

حُسْنَكَ الْجَيْدَ

الْأُوسِيْ مُفْتِلٌ

هَذِبَة
المكتبة المركبة
جامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة المعارف - بغداد
م ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨

B P
80
· A 516
A 62

قدمت هذه الرسالة الى قسم اللغة العربية بكلية الآداب فى جامعة القاهرة ، ونوقشت صباح يوم ٨-٣١ ١٩٦٧ ، ونالت درجة الماجستير في الآداب (التفسير) بمرتبة (جيد جداً) .

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

كنت في حياتي الدراسية شغوفاً بدراسة القرآن الكريم ، اراجع بين
فترة و أخرى تفسير سور أو آيات معينة في التفاسير المشهورة . و كنت
المح فيها اشرافه روحية ، و متعة عقلية ، اذ أن هذه الكتب دوائر معارف
خاصة ، تفتح امام التأمل آفاقاً واسعة من اسرار اللغة العربية ، و مقومات
الحضارة الاسلامية ، و تبصره بتاريخ الامم والاديان ، و تربى فيه روح
الجدل المنطقي و المناقشة العلمية الهادئة ، و تصلق في نفسه ملكة تذوق
الجمال و التأثر بروعة الاسلوب المعجز .

وانطلاقاً من هذه الرغبة الطموحة ، عرضت في اول لقاء بيني وبين
الاستاذ الدكتور يوسف خليف (اللوسي مفسراً) ليكون موضوع رسالتي
في الماجستير . و سرت كثيراً عندما رحب بالفكرة و عندها علمت أن الموضوع
نال رضا الاستاذة الأجلاء في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، لما مثل هذه
الدراسات من طرافة في البحث ، و احياء للتراث ، و اتصال بالكتاب المعجز
الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أما لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات ؟ فالجواب لاهميته البالغة من نواح عده : اولاها ان معرفة تاريخ تطور التفسير تساعدننا كثيرا على معرفة مدى فهم المسلمين لكتابهم الكريم ، والاطلاع على المستويات العقائية المتعددة في هذا الفهم المتصل بحياتهم الحضارية التي امتحنت امترجا عميقا بهذا الكتاب الحال . والباحث الفرد قد لا يستطيع ان يراقب بدقة سير هذا التطور ، اذ يحتاج اذا ما أراد ذلك ان يقرأ التفاسير المصنفة في مختلف المذاهب والصور . وهذه العملية شاقة قد لا يكفي عمر باحث أن يقوم بها . ومن هنا كان لزاما على كل باحث في تاريخ التفسير أن يخصن تفسيرا أو تفسيرين بدراسة متخصصة ، حتى اذا ما أراد باحث آخر ان يكتب تاريخا عاما للتفسير وجد امامه دراسات منفردة دقيقة عن كل تفسير ، فيسهل عليه عند ذلك ان يبني حكماته على اساس من الدقة وال موضوعية والعمق . وثانيةها اني كنت اتساءل في نفسي ، أيمكن ان يقفز التفسير قفزة فجائية من الاساليب القديمة الى هذا الاسلوب الحديث الذى نلمسه بين ايدينا اليوم ، والذى زرعت بذوره مدرسة الامام محمد عبده ؟ ألا يمكن ان تكون هنالك مرحلة وسطى بين الاسلوبين ، ومنهج وسط بين المنهجين . وقد حاولت في دراستي هذه أن أحدد مكانة هذا التفسير كي اسهم بدورى في تسهيل فهم التطور التفسيري ، واختصار الطريق للباحثين فيه . وثالثتها أني لم أزل أعتقد ان محاولة أي تفسير أصيل في اي عصر من العصور للقرآن الكريم انما تمثل استجابة حية لحاجة المسلمين الحضارية التي ت يريد دوما ان تستبط الاسس الجديدة لبناء حياتهم المناسبة للمستوى العقلي الذى وصلوه ، فمحاولتي لدراسة هذا التفسير انما هي محاولة للوصول الى هذا الهدف وهو معرفة ما اذا كان هذا التفسير استجابة لحاجة طبيعية أم كان ترفا عقليا محضا لعالم تعمق في التفسير وأراد أن يثبت قدرته العلمية على ذلك . ورابعتها أن تفسير الآلوسي لم ينزل غير معروف في كثير من الاوساط والاقطارات . فأردت بذراستي هذه

أن أقدم هذا التفسير الجيد إلى العالم الإسلامي علهم يعيدهون النظر في أمره ،
فينكبون عليه ويدرسونه ، ويستخرجون منه ما يفيدهم في مجالات العلم
والمعرفة والدراسات القرآنية .

وقادني منهجي في البحث إلى دراسة تفسير روح المعاني للألوسي
دراسة كاملة من أوله إلى آخره . وإذا ما عرفت أن تفسير الألوسي يكاد
يكون أضخم تفسير ، وإذا ما عرفت أنه ليس سهل القراءة ، لأنه كتب
للخواص لا للعوام ، عرفت إنني صرفت في قراءته جهدا ليس بالقليل .
وكان عليّ أنلاحظ كثيراً من الموضوعات وأدون مئات الملاحظات ،
وأتبه إلى ما يقوله في أماكن عدة في موضوع واحد ، لأساير تطور عقليه
التفسيرية ، وكان عليّ أن أصبر في مواجهة مصطلحات علمية دقيقة في
العلوم العقلية والقليلة المشورة هنا وهناك من هذا التفسير . وكان عليّ أيضاً
أن أنتقل مع الألوسي في آفاق معلوماته الواسعة ، وأشد نفسي إليه وهو
يخوض في مناقشات مسائل كثيرة . ومع كل ذلك فلا أزعم إنني هضمت
كل شيء في هذا التفسير ، ولا أدعى إنني أحاطت به وبمسائله ، ولكنني
أستطيع أن أقول أن ما كان عليّ واجباً حاولت أداؤه ، وبذلت ما في وسعي
في تطبيق خطتي التي رسّمتها لنفسي ، وحملت فكري على فهم ما أريد
فهمه ، وجنبته عن فهم مسائل قليلة عقيدة ، تعبّر عنها عبارات مغفلة متکلفة
لا تتصل بموضوعي من قريب ولا من بعيد كتبت لزمان غير زماننا وفي
ظروف تختلف عن ظروفنا ، وأكثر هذه النماذج الباهة نقولات ينقلها
الألوسي من بعض كتب القوم من المؤاخرين في معرض مجادلات بيزنطية
لا جدوى من ورائهما ، ولا داعي لمعرفتها وعرضها على انسان هذا القرن .
لقد كنت أحب أن أقع على دراسات علمية عن هذا التفسير لاستفید
منها في توجيه بحثي ، وتلمس طريقي ، ولكنني لم أحصل على مثل تلك
الدراسات التي كنت انشدتها عدا الفصل القصير العام الذي كتبه الاستاذ

محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) *

ان الموضوع جديـد ولم يكتب حوله الا النـزـر الـيسـير ، ولذلك فقد كانـ
عليـ أنـ أـسـير وـحـيـ مـتـوكـلاـ عـلـى اللهـ وـعـلـى قـرـاءـ التـفـسـير .

وـقـبـلـ أـدـخـلـ فـي فـصـولـ الـكـتـابـ درـسـتـ بـصـورـةـ سـرـيعـةـ منـاهـجـ
المـفـسـرـينـ الـقـدـمـاءـ وـالـمـحـدـثـينـ ، حـتـىـ يـسـطـعـ القـارـيـءـ أـنـ يـحـدـدـ مـكـانـةـ الـأـلوـسـيـ
بـيـنـ الـمـفـسـرـينـ ، وـبـيـنـ مـنـهـجـهـ بـيـنـ هـذـهـ الـمـنـاهـجـ الـكـثـيرـةـ الـمـتـوـعـةـ *

ولـمـ يـكـنـ لـيـ بـدـ - وـأـنـاـ أـدـرـسـ الـأـلوـسـيـ - أـنـ اـدـرـسـهـ مـنـ حـيـثـ هـوـ
كـلـ * فـلـقـدـ بـدـأـتـ أـوـلـاـ بـالـقـاءـ نـظـرـةـ عـامـةـ عـلـىـ عـصـرـهـ ، وـتـحـدـيدـ سـمـاتـهـ
الـسـيـاسـيـةـ ، وـمـلـامـحـهـ الـعـقـلـيـةـ ، فـمـعـرـفـةـ الـعـصـرـ الـذـيـ يـعـيـشـ فـيـهـ الـعـالـمـ أـوـ
الـأـدـيـبـ تـنـيرـ اـمـاـنـاـ السـيـلـ لـفـهـ اـخـلـاـقـهـ وـشـخـصـيـتـهـ وـاتـجـاهـ ثـقـافـتـهـ * وـتـطـوـرـ
عـقـلـيـتـهـ * ثـمـ قـسـمـتـ بـحـثـيـ إـلـىـ بـاـيـنـ جـعـلـتـ أـوـلـهـماـ لـدـرـاسـةـ الـأـلوـسـيـ :ـ عـصـرـهـ
وـحـيـاتـهـ ، وـجـعـلـتـ الثـانـيـ لـدـرـاسـةـ تـفـسـيرـهـ الـمـشـهـورـ «ـ رـوـحـ الـعـانـيـ »ـ * وـفـيـ
الـفـصـلـ الـاـوـلـ مـنـ الـبـابـ الـاـوـلـ عـالـجـتـ بـيـةـ الـأـلوـسـيـ الـخـاصـةـ مـتـكـلـماـ عـنـ
أـسـرـتـهـ وـمـوـلـدـهـ وـنـشـأـتـهـ وـرـحـلـتـهـ وـوـفـاتـهـ ، ثـمـ اـسـانـدـتـهـ وـشـيـوخـهـ * فـالـحـدـيـثـ
عـنـ هـذـهـ اـمـوـرـ الـمـهـمـةـ مـتـمـ لـلـحـدـيـثـ السـابـقـ مـنـ جـهـةـ ، وـضـرـوريـ لـعـرـفـةـ
تـرـبـيـتـهـ الـخـاصـةـ ، وـالـجـوـانـبـ الـخـفـيـةـ وـالـظـاهـرـةـ مـنـ حـيـاتـهـ السـيـاسـيـةـ وـالـعـقـلـيـةـ.
وـالـاجـتمـاعـيـةـ * وـلـمـ يـكـنـ لـيـ أـنـ أـتـرـكـ الـحـدـيـثـ عـنـ حـيـاتـهـ دـوـنـ سـبـرـاـغـوارـ
شـخـصـيـتـهـ الـاجـتمـاعـيـةـ ، وـالـلـوـلـوـجـ إـلـىـ الـجـوـانـبـ الـوـاسـعـةـ فـيـ تصـوـيرـ ذـكـائـهـ *
وـعـقـلـيـتـهـ *

أـمـاـ الـفـصـلـ الثـانـيـ مـنـ الـبـابـ المـذـكـورـ فـقـدـ خـصـصـتـ لـلـتـحدـثـ عـنـ تـرـاثـ
الـأـلوـسـيـ الـادـبـيـ وـالـعـلـمـيـ كـتـابـاـ كـتـابـاـ كـيـ يـسـطـعـ القـارـيـءـ أـنـ يـلـمـ بـجـوـانـبـ
ثـقـافـتـهـ ، وـتـعـدـ مـنـاهـجـهاـ ، لـاـنـهـ سـتـسـاعـدـهـ فـيـ فـهـمـ شـخـصـيـتـهـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ تـفـسـيرـهـ *
وـتـطـلـعـهـ عـلـىـ جـذـورـ آـرـائـهـ وـافـكارـهـ وـمـوـاقـفـهـ *

وفي الفصل الاول من الباب الثاني درست الصورة العامة لتفسير الآلوسي من حيث تاريخ كتابته له وانتهاؤه منه ، ونسخه المطبوعة والمخطوطة ، ووصفه ، بينما الاسس العامة له حتى يكون نبراسا ينير امام القارئ سبل الفهم فيه ٠

اما في الفصل الثاني فقد درست مصادر تفسيره حتى يتبيّن تأثيره بمن قبله ، وعرضت منهجه في تفسير الآيات ، وهو يشكل في حد ذاته جانبا مهما من جوانب دراسة هذا التفسير اذ الالام بمنهجه هذا سيقودنا الى معرفة اتجاهه الحقيقي في كيفية تناول الآيات وفهمها ٠

واما في الفصل الثالث فقد درست موقف الآلوسي من موضوعات التفسير فدرست موقفه من حروف الهجاء في أوائل السور ، وموقفه من فوائل الآيات ، وموقفه من المتشابه والنسخ والاعجاز القراءات ، وموقفه من الاسرائيليات ، وموقفه من المسائل الاعتقادية والفقهية ، وموقفه من التصوف ، وموقفه من الآيات الكونية ، وموقفه من الملل والنحل ، كي تظهر بوضوح موافقاته ومخالفاته للمفسرين الذين سبقوه ٠ فمن خلال هذه الدراسة ظهرت ايجي الشخصية الحقيقة للآلوي المفسر والعالم وقيمة تفسيره من الناحية العلمية ، وكان لا بد لي وانا ادرس لكم الموقف أن اقدم نماذج من آرائه التي انفرد بها في فهم الآيات القرآنية ، كي تقوم دليلا واضحا على اصالته في تفسيره وعدم اعتماده الكامل على غيره ٠

وفي الفصل الرابع درست امورا مهمة لا يمكن أن يكون البحث كاملا بدونها ، فلقد بينت آراء العلماء المعاصرين للآلوي والذين جاؤوا من بعده في تفسيره ، وهي ترحيب عريق به ، وتمجيد ساطع له ، وقبول حسن ٠ ثم بينت منزلته بين كتب التفسير ، وحددت مكانته معتمدا على الدراسات السابقة ٠ ثم عرجت على تأثيره فيما جاء بعده من المفسرين وأخيرا وضعته

في الميزان وبينت رأيي فيما له وما عليه ، مستخلصا قيمته الحقيقة ، ومميزاته العامة ، والثغرات الموجودة فيه ٠

ان الموضوعات المتنوعة التي عالجتها وعرضتها عن هذا التفسير ، يقود بعضها الى البعض الآخر ، ويشارك جميعها في اعطائنا فكرة صادقة عن الآلوسي وتفسيره وتراثه ، مبنية على دراسة موضوعية خالية من الهوى والتقصب ٠

ان هذا البحث هو أول محاولة علمية جادة – على ما أعلم – لدراسة تفسير الآلوسي ، وباعتباره هذا فإنه سوف لن يخلو من ثغرات أرجو ان يوفق الله غيري من الباحثين الى سدها ، الذين قد يرون فيه ما لم أر ، ويفهمون ما لم أفهم ، فالكمال لله وحده ٠ وما على الانسان الا ان يبذل جهده ويدقق في المسائل للوصول الى بعض الحقائق ٠ وظني اني استطعت أن أصل الى حقائق معينة لم اسبق اليها ٠

وكل ما أرجوه ان أكون قد وفقت في تقديم هذا المفسر الجليل الى محبي التفسير من الباحثين والدارسين ، وان أكون قد نجحت في اضافة صفحة جديدة الى علم تاريخ التفسير ٠

وليس لي في ختام هذه المقدمة الا أن أتقدم بشكري الفائق إلى الاستاذ المشرف الدكتور يوسف خليف لما لمسته منه من تشجيع ولطف ، ولما استفدت منه من ارشاد وتوجيه ٠ فجزاه الله عن الدين والعلم خيرا ٠ وأشكر اساتذة قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة القاهرة على موافقتهم على هذا البحث ٠

كما واقدم وافر شكري إلى الاستاذين الجليلين الدكتور شوقي ضيف والدكتور حسين نصار لقبولهما الاشتراك في مناقشتي ، وتقديمهما لي ملاحظات قيمة جزاهما الله خيرا ٠ انه سميع مجيب ٠

محسن عبد الحميد

مَهِيدٌ

مناهج التفسير عند القدماء والمحدثين :

نزل القرآن الكريم كتاب هداية شاملة للبشرية باللغة العربية ، في مجتمع بسيط ، غير معقد حضاريا ، فكان من البديهي أن يتفاوت الناس في عصر واحد في فهمه ، نتيجة لاختلاف ظروف حياتهم العقلية والاجتماعية . وكان من الطبيعي أيضا أن يختلف العلماء في تفسيره حسب مستوى عصرهم الثقافي ، لأن القرآن الكريم كتاب الله الخالد الكامل ، وليس بمقدور العقول أن تحيط به أحاطة تامة في عصر واحد . فكلما تقدمت الحياة ازداد الإنسان علما بهذا الكتاب الكريم وفهم ما لسؤاله ومواضعه ، وتشريعاته وسننه . وببناء على ذلك تعددت مناهج التفسير وتبينت سبل الفهم فيها على مدى العصور من زمان النبي الكريم إلى يومنا هذا .

ان العرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم كانوا يفهمون منه ما يفهمون مسترشدين بما في لغتهم من أساليب الأداء ، وأحكام التعبير ، وكانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمور التي يقفون عندها ، ولا يعرفون معناها . فكان يوضح لهم الكلمات ، ويشرح لهم المعنى . أخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححاه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله

عليه وسلم في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا) قال عدلا^(١) . وأخرج أحمد وغيره عن أبي رزين الأصي قال : قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان ، فain الثالثة ؟ قال : التسريح بحسان الثالثة^(٢) وأخرج أحمد والشیخان وغيرهم عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه ، قال : انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح « إن الشرك لظلم عظيم » إنما هو الشرك^(٣) .

وإذا راجعنا كتب الحديث المشهورة الموثوقة ك الصحيح البخاري و صحيح مسلم نجد أنها تحوي أبواباً كاملاً من الأحاديث التي تفسر القرآن الكريم ، وقد عرض السيوطي في كتابه (الاتقان) صفحات عديدة منها تفسر مختلف جوانب الآيات الكريمة^(٤) .

وقام بهذا الأمر بعده صلي الله عليه وسلم الصحابة الكرام . واشتهر منهم علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وابي بن كعب^(٥) .

روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال : شهدت علياً يخطب وهو يقول سلوني فو الله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم ، سلوني عن كتاب الله ، فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبيل نزلت أم بنها أم في سهل أم في جبل . وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن مسعود انه قال والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت^(٦) .

(١) السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ٢/١٩١ .

(٢) المصدر السابق ٢/١٩٢ .

(٣) المصدر السابق ٢/١٩٣ .

(٤) المصدر السابق ٢/١٩١ - ٢٠٥ .

(٥) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١/٣ . احمد امين - ضحي الاسلام ٢/١٣٢ .

(٦) الاتقان ٢/١٨٧ .

واما ابى بن كعب فلقد اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً للوحى ، و كان على مبلغ عظيم من العلم بأسباب النزول و مواضعه و مقدم القرآن و مؤخره ، و تاسخه و منسوخه ^(٧) ، واما ابن عباس فقد قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل) ولذلك فانه سمي بترجمان القرآن وبالبحر لكثرة علمه ، وشهد له الصحابة بالتقدم فى هذا المضمار ^(٨) .

وبمرور الزمن تكونت مدارس تفسيرية ؟ كمدرسة مكة التي قامت على أساس علم عبدالله بن عباس والتي ضمت أمثال سعيد بن جبير (٩٥-٤٥ هـ) ومجاهد بن جبر (١٠٤-٢١ هـ) وعكرمة البربرى (١٠٥-٢٥ هـ) وطاوس بن كيسان البهانى (١٠٦-٣٣ هـ) وعطاء بن ابى رباح (١١٤-٢٧ هـ) . ومدرسة المدينة التي قامت على أساس علم ابى بن كعب (ت ٢١ هـ) والتي ضمت أمثال ابى العالية رفع بن مهران الرباحى (ت ٩٠ هـ) و محمد بن كعب القرظى (١١٨-٤٠ هـ) و زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ) . ومدرسة الكوفة التي قدمت على أساس علم عبدالله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) والتي ضمت علقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ) ومسروق بن الاجدع (ت ٦٣ هـ) والاسود بن يزيد (ت ٧٥ هـ) ومرة الحمدانى (ت ٧٦ هـ) وعامر الشعبي (١٠٩-٢٠ هـ) والحسن البصري (١١٠-٢٢ هـ) وقتاده السدوسي (ت ١١٧ هـ) ^(٩) .

(٧) التفسير والمفسرون ٩٢/١

(٨) تفسير ابن كثير ٤٢٣/١ ، الاتقان ١٨٧/٢ ، التفسير والمفسرون ٦٥/١

(٩) ابن تيمية - مقدمة في اصول التفسير ٢٣ ، الاتقان ١٨٧/١ وما بعدها ، مناهل العرفان في علوم القرآن ٤٨٠ - ٤٩٠ ، التفسير والمفسرون ١٤٠ - ١٢٧ ، ضحى الاسلام ١٣٩/٢ ، ١٠١/١

وكان رجال هذه المدارس جميعها يعتمدون على :

آ - القرآن الكريم : فهو يفسر بعضه بعضا ؟ فما أطلق في مكان قيد في مكان آخر وما أوجز في سورة فصل في سورة أخرى، وما عم في آية خصص في آية ثانية .

ب - السنة النبوية : فقد كانوا مطلين عليها ، حافظين لها ، لأنهم صاحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وسمعوا يقرأ القرآن الكريم ويفسره ، وشاهدوا معه الواقع ، وعاشوا معه الحياة التي فيها نزل .

ج - اجتهادهم : مستندين على معرفتهم بأسباب النزول ، وسعة ادراكهم ، وعلو كعبهم في الفصاحة ، واطلاعهم الدقيق على أسرار اللغة العربية وعادات المجتمع العربي ، مما كان يكشف لهم النقاب عن أسرار كتاب الله ، ويمكّنهم من الفهم الصحيح لآياته .

د - ما نقلوه عن أهل الكتاب مما لا يرجع إلى الأحكام مستندين على ابادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحدد عن بنى إسرائيل ، والتي شكلت فيما بعد القصص والأخبار فدخلت إلى تفسير القرآن الكريم والتي سميت بالاسرائيليات (١٠) .

وقد أصبح هذا التراث النقلي في التفسير وما لحقه من أقوال تابعي التبعين مصدرًا خصباً لظهور الملامح النهائية الواضحة فيما نسميه - (المنهج المأثور في التفسير) الذي وعاه وجمعه في تفسير واحد كبير ، ابن جرير الطبرى ، في تفسيره الذي سماه (جامع البيان في تفسير القرآن) والذي

(١٠) ابن كثير ٤/١ ، ٤ جولدزيهر : مذاهب التفسير الإسلامي ٧٥ - ١٠٦ - مناهل القرآن ٤٨٠ - ٤٨٢ دائرة المعارف الإسلامية م ٥ ع ٩ ص ٣٥٢ ، التفسير والمفسرون ١/٣٧ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٦١ - ٣٤ - ٣٩ - أحمد خليل: نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن

عرض فيه أقوال الصحابة والتابعين وتابعهم مع ذكر اسانيدها - دون تعقيب غالباً بتصحيح أو تضييف - وترجح بعضها على بعض ترجحاً يعتمد على النظر العقلي واستنباط بعض الأحكام ، وذكر وجوه الاعراب القراءات وعرض الروايات والأخبار الاسرائيلية مع مخاصة قوية للذين يفسرون القرآن بالرأي المجرد ، والدعوة الى الاعتماد على علم الصحابة والتابعين ، وهذا التفسير هو دائرة معارف غزيرة الشروة من التفسير المأثور لا بل هو جماع التفسير بالمؤثر ومتنه ذروته^(١١) .

ويدخل ضمن المنهج المأثور تفسير (بحر العلوم) للسمرقندى (ت ٣٧٣ هـ) و (الكشف والبيان من تفسير القرآن) لابى اسحق احمد بن ابراهيم الثعلبى النيسابورى (ت ٤٢٧ هـ) و (معالم التنزيل) لمحيى السنة البغوى (ت ٥١٠ هـ) و (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) لابن عطيه الاندلسي (ت ٥٤٦ هـ) و (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) و (الجوواهر الحسان فى تفسير القرآن) للشاعبى الجزائرى (ت ٨٧٥ هـ) و (أسباب النزول) للواحدى (ت ٤٦٨ هـ) و (الناسخ والمنسوخ) لابى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) و (الدر المشور فى التفسير المأثور) للسيوطى (ت ٩١١ هـ)^(١٢) .

وبجانب التفسير بالمؤثر اهتم المفسرون منذ عصر الصحابة الكرام (بالتفسير اللغوى) فالتمسوه فى شعر العرب الذى قال عنه عمر رضي الله عنه (يا أيها الناس تمسكوا بدبيوان شعركم فى جاهليتكم فإن فيه تفسير

(١١) مذاهب التفسير الاسلامى ١٠٦ - ١٢٠ ٠ منهال العرفان ٤٩٧ ٠ التفسير والمفسرون ١/٢١٠ - ٢١٢ صبحى الصالح : مباحث فى علم القرآن ٠ ٢٩١

(١٢) منهال العرفان ٤٩٧ ٠ التفسير والمفسرون ١/٢٠٤

كتابكم)^(١٣) . ولقد أكثر ابن عباس من ذلك بناء على اطلاعه الواسع على لغة العرب واعمارهم حتى عده بعض الباحثين مبدعا للطريقة اللغوية في تفسير القرآن الكريم^(١٤) . وتبعه المفسرون من مدرسة المأثور في هذه الناحية كثيراً أو قليلاً على ما بينهم من اختلاف في الاتجاه حتى وصل الأمر إلى ابن جرير الذي لم يكن اهتمامه بها أقل من اهتمامه بالتفسير المأثور^(١٥) .

ان اللغويين في العصور التالية قاموا بحملة واسعة في جمع المفردات ، وتنسيق الأشعار وجمعها وتدوينها ، كما ان اللهجات المختلفة وجدت منهم عنایة كبيرة وذلك لدراسة ما يتعلق بالقراءات في القرآن الكريم^(١٦) .

لقد ظهرت مؤلفات مستقلة في هذا الاتجاه يجمعها عنوان (معاني القرآن) للرؤاسي (ت ١٨٧ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ) والفراء (١٤٤-٢٠٧ هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) والزجاج (٢٤١-٣١١ هـ) وخلف النحوي (ت ٢٢٩ هـ) وكذلك (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) و (مجاز القرآن) لابي عبيدة (١١٠-٢٠٩ هـ)^(١٧) .

ولقد عنى المعتزلة بالدراسات اللغوية في توجيهه تأويلاً لهم لآيات القرآن الكريم وكان هذا النهج هادياً لجميع مفسري المعتزلة وابرزهم في هذا الميدان الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ)^(١٨) .

(١٣) الشاطبي - المواقفات ٢/٨٨ .

(١٤) التفسير والمفسرون ١/٧٥ .

(١٥) مذاهب التفسير الإسلامي ١١٥ .

(١٦) ضحى الإسلام ١/٣٢٨ ، ٢/٢٥٠ وما بعدها . مصطفى

الجويني : منهاج الزمخشري في التفسير ١٣ .

(١٧) معجم الأدباء ١٨/١٢٥ . ضحى الإسلام ٢/١٤٦ . منهاج

الزمخشري ٢٨٢ .

(١٨) مقدمة ابن خلدون ٩٩٨ . مذاهب التفسير الإسلامي ٤٠-١٥٢ .

منهاج الزمخشري ١٦٣ .

ونستطيع أن نعد ضمن هذا المنهج الدراسات النحوية المتعددة في تفسير كلمات القرآن واعرابها منها كتاب (اعراب القرآن) المنسوب إلى الزجاج وكتاب (اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وتفسير أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) الذي صب اهتمامه الأعظم على الجانب النحوي والاعرابي في القرآن الكريم^(١٩).

وتمثل كتب القراءات المختلفة التي تهتم باللغات التي نزل بها القرآن الكريم جانباً مهماً من جوانب المنهج اللغوي ومن أهمها (القراءات السبع) لابن مجاهد (ت ٣٧٤ هـ) و (القراءات) لابي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) و (التسير في القراءات السبع) لابي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) و (النشر في القراءات العشر) لابن الجوزي (ت ٨٣٣ هـ)^(٢٠).

وهناك المنهج البصري الذي يدخل ضمن دائرة المنهج اللغوي والذي يتمثل في تلجم الدراسات البصريّة التي قامت من أقدم العصور إلى اليوم حول تبرير التركيب القرائي وبيان مواطن جمال آيه ، ودراسة الحس اللغوي في كلماته . ومن هذه الدراسات دراسات الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في (نظم القرآن) وكتاباً (أسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ودراسات الزمخشري القيمة لبيان اعجاز القرآن في تفسيره ، والتي تمثل تراثاً معزلاً في هذا الباب وغيرها^(٢٠).

لم يبق تفسير الكتاب الكريم في نطاق المنقول من المأثور واللغة وإنما

(١٩) التفسير والمفسرون ٣١٨/١ . قاسم القيسي : تاريخ التفسير

٨٦

(٢٠) تاريخ التفسير ٩٢ - ٩٥

(٢١) منهج الزمخشري ٦٦ - ٢١٥ . تاريخ التفسير ٩٩ - ١٠٠ .

دخل فيه اتجاه آخر هو ما نسميه (التفسير بالرأي) وذلك بعد أن واجهت
الحضارة الإسلامية عند توسيع رقعتها حضارات عدّة ، وامتنجت بها امتزاجاً
قوياً ، فانطلقت العقلية الإسلامية تجوب في آفاق المعارف الإنسانية ، فاتضحت
معالم الفرق المختلفة والمذاهب المتنوعة من فقهية وكلامية وباطنية وصوفية ،
فانعكسـت فيـ فـهـمـ الـمـسـلـمـينـ لـكـتابـهـمـ ، وـبـدـأـ اـخـضـاعـ التـفـسـيرـ لـلـلـوـانـ الذـاتـيـةـ ،
حتـىـ اـجـتـمـعـ فـيـ مـيـدانـ التـفـسـيرـ موـادـ كـثـيرـةـ ، غـلـبـ الـجـابـ الـعـقـليـ مـنـهـاـ
الـنـقـلـيـ (٢٢) . وـلـمـ يـكـنـ تـنـاجـ هـذـاـ النـهـجـ الـعـقـلـيـ كـلـهـ مـحـمـودـاـ ، مـقـبـلاـ لـدـىـ
الـعـلـمـاءـ ، مـطـابـقـاـ لـمـقـاصـدـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـيـ الـهـدـاـيـةـ ، فـقـدـ خـرـجـ قـوـمـ مـنـ
الـمـفـسـرـيـنـ بـالـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ إـلـىـ مـاـ لـاـ يـقـبـلـ الـعـقـلـ الـقـوـيـمـ ، وـالـصـحـيـحـ الـمـنـقـولـ
مـنـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـاصـحـابـهـ وـالـتـابـعـيـنـ لـهـمـ ، وـالـمـنـطـقـ الـلـغـوـيـ
فـيـ أـسـالـيـبـ الـعـرـبـ فـيـ الـأـدـاءـ حـقـيـقـةـ وـمـجـازـاـ (٢٣) .

وـرـتـيـجـةـ لـذـلـكـ وـضـعـ الـعـلـمـاءـ شـرـوـطـاـ لـقـبـولـ التـفـاسـيرـ الـعـقـلـيةـ ، نـقـلـهـاـ
الـسـيـوطـيـ عنـ الزـرـكـشـيـ وـهـيـ :

أـ - النـقـلـ عنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ معـ التـحرـزـ عنـ الـضـعـيفـ
وـالـمـوـضـوـعـ .

بـ - الـأـخـذـ بـقـوـلـ الصـحـابـيـ فـقـدـ قـيلـ إـنـهـ فـيـ حـكـمـ الـمـرـفـوعـ مـطـلقـاـ
وـخـصـهـ بـعـضـهـمـ بـاسـبـابـ التـزـوـلـ وـنـحوـهـاـ مـمـاـ لـاـ مـجـالـ لـلـرـأـيـ فـيـهـ .

جـ - الـأـخـذـ بـمـطـلـقـ الـلـغـةـ مـعـ الـاحـتـرـازـ عنـ صـرـفـ الـآـيـاتـ إـلـىـ مـاـ لـاـ يـدـلـ
عـلـيـهـ الـكـثـيرـ مـنـ كـلـامـ الـعـرـبـ .

(٢٢) ضـحـىـ الـإـسـلـامـ ١٤٩ـ١٤٦ـ / ٢ . دـائـرـةـ الـمـعـارـفـ الـإـسـلـامـيـةـ مـ ٥
عـدـدـ ١٠ـ صـ ٣٦٢ـ - ٣٦٤ـ . التـفـسـيرـ وـالـمـفـسـرـونـ ١ـ / ١٤٦ـ .

(٢٣) مـناـهـلـ الـعـرـفـانـ ٥١٧ـ . التـفـسـيرـ وـالـمـفـسـرـونـ ٢٧٥ـ - ٢٨١ـ .
مـبـاحـثـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ ٢٩١ـ .

د - الأخذ بما يقتضيه الكلام ، ويدل عليه قانون الشرع ، وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ^(٢٤) .

وقد تلقى العلماء عددا من التفاسير التي سيطر عليها المنهج العقلي بالقبول فمنها تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي (ت ٦٠٦ هـ) و (أنوار التنزيل) للقاضي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) و (غرائب القرآن) للنيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) و (ارشاد العقل السليم) لأبي السعود العمادي (ت ٩٩٢ هـ) و (لباب التأويل) للخازن (ت ٧٤١ هـ) وتفسير (الجلالين) للجلال المحلي (ت ٨٦٤ هـ) والجلال السيوطي ^(٢٥) (ت ٩١١ هـ) .

أما التفاسير التي لم تحظ بالقبول لدى علماء أهل السنة والجماعة ، فهي تلك التي يخضع فيها المفسرون آيات القرآن الكريم لتأييد اهوائهم وبدعهم ، واسناد مللهم ونحلهم . فالمتعلقة أخضعوا آيات القرآن الكريم لمبادئهم في العدل والتوحيد وحرمة الارادة والوعود والوعيد وانكار الرؤية وغيرها ، وتعسفو ايما تعسف في تأويلها وتوجيهها .

وتقوم مدرسة المعتزلة في التفسير على ثلاث قواعد : أولها اتباعهم للمنهج اللغوي الدقيق القائم على أساس التحري عن المدلولات التي توافق مذهبهم وتبرر تأويلهم . وثانيتها قيام منهجهم على أساس افتراض التعبير المجازي وثالثتها ايمانهم بالعقل كمصدر للمعارف الإنسانية ، وأظهر تفسير يمثل نتاج هذه المدرسة هو الكشاف للزمخشري ^(٢٦) .

(٢٤) الاتقان ١٧/٢ . مباحث في علوم القرآن . ٢٩٢

(٢٥) مناهل العرفان ٥٣٧-٥٣٤ . التفسير والمفسرون ١/٢٩٠ وما

بعدها . مباحث في علوم القرآن . ٢٩٠

(٢٦) مناهل العرفان ٥٢٨-٥٤٢ . التفسير والمفسرون ٣٧٢ وما

بعدها . مذاهب التفسير الإسلامي ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ - منهج الزمخشري ٩٣ ، ١٦٣ ، ٢١٥ .

والمتصوفة والباطنية وأهل الاشارة يشتهركون جميعاً في مناهجهم التفسيرية في مخالفة ظاهر القرآن الكريم مع ما بينهم من اختلافات . فالصوفية حكموا نظرياتهم في الحلول والوحدة في تفسير الآيات فأبعدتهم عن النسق القرآني وجعلت كلامهم غامضاً واحياناً اسطورياً . والباطنيون يرفضون ظاهر القرآن ، ويفترضون أشياء يسمونها بالباطل من نسج خيالهم . والاشاريون يؤولون الآيات على غير ظاهرها مع ايمانهم بأن الظاهر هو المراد^(٢٧) .

ان أهم التفاسير التي تمثل الاشاريين والصوفية هي تفسير التستري (ت ٢٨٣ هـ) وحقائق التفسير للسلمي (ت ٤١٢ هـ) وعرايس البيان لأبي محمد الشيرازي (ت ٦٠٦ هـ)^(٢٨) . واما التفاسير الباطنية فمنتشرة في كتب فرقها كالاسماعيلية والقرامطة والبابية والبهائية^(٢٩) .

اما الشيعة - على اختلاف فرقهم - فانهم غالباً في حب آل البيت ، وتطرفو في تأويل الآيات القرآنية على اصول مذهبهم دون الاعتماد على القواعد المترنة المقررة عند علماء أهل السنة في التفسير . ومن أهم الكتب التي تمثل طريقتهم في التفسير (مجمع البيان) للطبرسي (ت ٥٣٨ هـ) و (الصافي في تفسير القرآن الكريم) لملأ محسن الكاشي الذي ألفه سنة ١٠٧٥ هـ^(٣٠) .

واما الخوارج فقد نظروا إلى ظاهر النصوص جداً ، ولم يتمعموا في فهم معاني القرآن الكريم ولم يتمسوا الحكم والاسرار وراءها . وانما

(٢٧) مناهل العرفان ٥٤٢-٥٥٠ . مذاهب التفسير الإسلامي ٢٠٤ وما بعدها . التفسير والمفسرون ٢٩٧-٢٩٥ / ٣ . مباحث في علوم القرآن ٧١ .

(٢٨) مناهل العرفان ٥٥٠ . مذاهب التفسير ٢٩٢ وما بعدها . التفسير والمفسرون ٤٦-٨٢ / ٣ .

(٢٩) مناهل العرفان ٥٤٣-٥٤٤ . التفسير والمفسرون ٢٤٠ / ٢ وما بعدها .

(٣٠) التفسير والمفسرون ٩٩ / ٢ ، ١٤٥ .

صدروا من آرائهم ونظرياتهم واجتمعوا القرآن الكريم لها ، وركبوا في ذلك الصعب والذلول . ومن تفاسير الخارج الباقية تفسير هود بن محكم الهواري من أهل القرن الثالث الهجري ، وتفسير هميان الزاد إلى دار المعاذ للشيخ محمد بن يوسف الطفيش من أهل هذا القرن ^(٣١) .

ولم يقتصر الأمر على تلك الألوان المختلفة في ميدان التفسير وإنما ظهر لون آخر كثيجة طبيعية لنمو الفقه الإسلامي وتعدد المذاهب الفقهية في العصور التي تلت عصر الفقهاء الأولين من التابعين وتابعهم والذي اوجد لنا تفاسير فقهية متعددة حاول المفسرون الفقهاء فيها أن يستبطوا الحلول الشرعية من القرآن الكريم لتلائم المسائل التي استحدثت في الحياة الإسلامية المنظورة وظهر ما نسميه (المنهج الفقهي في التفسير) .

حاول الفقهاء على ضوء هذا المنهج دعم مذاهبهم . وبذلك أحضروا القرآن الكريم إلى قواعدها وأراء فقهائها ، ولم يطلبوا الحق لذاته في كل حين ^(٣٢) . فمن التفاسير الفقهية لأهل السنة المعروفة بـ (أحكام القرآن) تفسير الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠ هـ) والكيا الهراسي الشافعي (ت ٥٠٤ هـ) وابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) (والجامع للأحكام) لابي عبدالله القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) . ومن التفاسير الفقهية الشيعية (كتنز العرفان في فقه القرآن) لمقداد السعيري من أهل القرن الثامن و (الثمرات اليانعة والاحكام الواضحة القاطعة) ليوسف الزيدى من علماء القرن التاسع الهجرى ^(٣٣) .

وبانتهاء عصر الترجمة من الحضارات التي كانت تحيط بالبلاد الإسلامية . وبنفوذ تأجها إلى التفكير الإسلامي ظهر (المنهج العلمي) في

(٣١) مذاهب التفسير ٢٨٧ . التفسير والمفسرون ٢/٣٠٥-٣١٨ .

(٣٢) التفسير والمفسرون ٣/٩٨-١٠١ .

(٣٣) المصدر السابق ٣/١٠١-١٠٣ .

تفسير القرآن الكريم ، وهو القول بأن القرآن الكريم يشمل العلوم جمِيعاً .
وتفسير آياته في ضوء اصطلاحاتها . و الأول من بسط القول في ذلك الإمام
الغزالى في كتابه (أحياء علوم الدين) و (جواهر القرآن)^(٣٤) . واستمرت
هذه النزعة في التفسير وأصبحت فيما يبدوا وجهاً في تعليل اعجاز القرآن
وبيان صلاحيته للحياة^(٣٥) . ولعل تفسير الرازى في القديم أبرز من
يمثل هذا الاتجاه مع كتب مستقلة أخرى كثيرة^(٣٦) .

أما في العصر الحديث فقد حاول كثيرون إثبات أن القرآن الكريم
لا يخالف العلم ولا يتعارض مع حقائقه^(٣٧) . لا بل أنهم حاولوا إثبات أن
جميع النظريات العلمية التي جاء بها العلماء في العصر الحديث في علوم
الكيمياء والفيزياء والطب والفلك والحياة موجودة في القرآن الكريم طبقاً
لقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(٣٨) وأضخم تفسير يمثل هذا
الاتجاه في العصر الحديث هو التفسير الذي الفه الشيخ طنطاوي جوهري
(ت ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م) والذي فسر فيه آيات القرآن الكريم بالنتائج التي
وصل إليها العلماء ، والذي أراد فيه أن يلفت نظر المسلمين إلى العلوم الكونية ،
كي يستفيدوا منها في بناء حضارتهم الجديدة ، ويتفوقوا على الأفرنج في
الزراعة والطب والمعادن والحساب والفلك والهندسة وغيرها من العلوم
والصناعات^(٣٩) .

(٣٤) دائرة المعارف الإسلامية م ٥ ع ٩ ص ٣٥٧ . التفسير والمفسرون . ١٤٢-١٤٠ / ٣

(٣٥) دائرة المعارف الإسلامية م ٥ ع ٩ ص ٣٥٧ .

(٣٦) المصدر السابق م ٥ ع ٩ ص ٣٥٩ .

(٣٧) مذاهب التفسير الإسلامي ٣٧٧-٣٧٦ .

(٣٨) التفسير والمفسرون ١٦٣/٣ .

(٣٩) تفسير طنطاوي جوهري ١/المقدمة . التفسير والمفسرون . ١٧٥-١٧٢ / ٣

ولقد استنكر الناس قديماً وحديثاً هذا الاتجاه واعتبروه دخلاً على القرآن الكريم، فهو لم يأت لكي ينشر بين الناس القوانين العلمية والمعادلات الجبرية أو الأرقام الحسابية ولم يأت لكي يقدم كشفاً لخصائص المواد وحقائقها، وإنما هو كتاب هداية يلفت نظر الإنسان إلى مختلف مظاهر هذا الوجود^(٤٠).

وهنالك منهج آخر يتفرع من المنهج العلمي وهو يكمن في محاولة التوفيق بين معانٍ القرآن الكريم والفلسفات التي دخلت إلى المجتمع الإسلامي في عصوره الأولى، ولعل محاولات ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) في هذا المجال تعتبر ابرزها^(٤١).

أما في العصر الأخير فقد ظهر منهج آخر نتيجة للأوضاع القاسية التي تعرض لها العالم الإسلامي في العصور الحديثة من احتلال عسكري، وغزو فكري، وانحطاط عام في المجتمع الإسلامي بقيادة الشيخ محمد عبد الذي بدأ بتفسير القرآن الكريم في الأزهر مستنداً على الأسس التالية:

آ - تقوم هذه المدرسة على عدم الاكتفاء من العلوم والمصطلحات والتفصيل فيها، وتنظر إلى القرآن الكريم من حيث هو كتاب يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة^(٤٢).

ب - العودة إلى الكتاب والسنة وعدم اخضاع القرآن الكريم للمذاهب الفقهية والأراء الكلامية^(٤٣).

ج - بيان حكم التشريع في العقائد والاحكام على الوجه الذي يجب أن يروج ويسوقها إلى العمل والهداية، والتجديد الكامل لفقه الإسلام

(٤٠) دائرة المعارف الإسلامية م ٥ ع ١٠ ص ٣٦١ . التفسير والمفسرون ١٥١/٣ .

(٤١) التفسير والمفسرون ٩٠/٣ ٩٧ .

(٤٢) تفسير جزء عم ص ٢ . تفسير المنار ١٩٧/١ . التفسير والمفسرون ٢١٥/٣ .

(٤٣) التفسير والمفسرون ٣/٢١٤ .

واستبطاط الاحكام الاكثر انسجاما مع روح العصر^(٤٤) . واثبات أن الاسلام

دين عالمي صالح لجميع الشعوب والازمان وملابسات الحضارة^(٤٥) .

د - الاستفادة من العلم الحديث في تفسير القرآن الكريم^(٤٦) .

ه - الدفاع عن الاسلام امام الغزو الفكري الذي تعرض له ، ودفع

المطاعن المختلفة عنه^(٤٧) .

و - انكار الروايات الاسرائيلية وعدم الاعتماد على الاحاديث الضعيفة

والموضوعة^(٤٨) ، ومن أشهر الذين فسروا في إطار هذا اللون الحديث من

التفسير تلميذ الشيخ محمد عبد السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير

المنار ، وتلميذه الشيخ أحمد مصطفى المراغي صاحب تفسير المراغي ، وتلميذه

الشيخ عبدالقادر المغربي الدمشقي صاحب تفسير جزء تبارك^{*} .

وانطلق الاستاذ سيد قطب من مدرسة الامام محمد عبد منهجه في

تفسير القرآن الكريم ، فرسم ملامح واضحة لمنهجه الذي تفرد به ، والذى

يسند على الاسس الآتية :-

١ - الاهتمام الشديد باكتشاف الاسلوب القرآني في التعبير

والتصوير مستفيدا من دراسات المدرسة البيانية ، ومستندًا على ذوقه الأدبي ،

ومتأثرا بمقاييس النقد الأدبي الحديث . ويحلق الاستاذ بقاريء تفسيره

تحليلات رائعة في سماء الاعجاز القرآني مقدمًا لوحات وصوراً ومشاهد

وشخوصاً يجده الانسان معها التطور الكبير الذي ادخله على مثل

(٤٤) المنار ٢٥/١ . التفسير والمفسرون ٢١٥/٣ . مذاهب التفسير

٣٧١-٣٥٢

(٤٥) المنار ٣٩/٨ .

(٤٦) مذاهب التفسير ٣٨٥-٣٨٠ .

(٤٧) المصدر السابق ٣٩٠-٣٨٧ .

(٤٨) التفسير والمفسرون ٢١٤/٣ . دائرة المعارف الإسلامية م

٥ ع ١٠ ص ٣٦٤ .

هذه الدراسات *

٢ - أراد الاستاذ سيد قطب أن يتخذ من تفسير القرآن الكريم منطلقاً لبناء حضارة إسلامية جديدة ، تحفظ بشخصيتها المستقلة محارباً بيانه الرائع في سبيل ذلك الأفكار الجاهلية المعادية للإسلام ونظرته عن الكون والحياة والمجتمع والآنسان *

٣ - استقطاب النشء الجديد حول هذه المعاني ، ومحاوله بناء أساس فكري متين لجتماع حركي منظم ، للقيام بانقلاب جذري في الأفكار والعقائد والأخلاق والسلوك ، تمهداً لتمكين الإسلام وشرعيته في قيادة المجتمع الإسلامي *

وظهر في العصر الحديث منهج سمي بالمنهج الأدبي حمل لواده الاستاذ أمين الخولي عندما كتب تعليقاً طويلاً على مادة التفسير في دائرة المعارف الإسلامية ، حاول فيه أن يرسم لنا ملامح هذا المنهج الأدبي الذي دعا إليه وهي :

آ - التفسير في نظره هو النظر في القرآن الكريم من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي العظيم ، وهو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج الكاملة الناجحة المتسقة التوزيع ^(٤٩) *

ب - تفسير القرآن موضوعاً موضوعاً لا تفسيره على ترتيبه في المصحف الكريم ^(٥٠) *

ج - دراسة ما حول النص القرآني من تحقيق للنص وضبطه وبيان تاريخ حياته ومن تعريف للبيئة التي ظهر فيها ^(٥١) *

(٤٩) دائرة المعارف الإسلامية م ٥ عدد ١٠ ص ٣٦٧ ، ٣٦٦ *

(٥٠) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٦٨ *

(٥١) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٦٩ *

د - فهم القرآن الكريم في حدود الألفاظ العربية التي كانت تستعمل في وقت نزوله بعيداً عن الاصطلاحات الحضارية لتلك الكلمات ، والنظرة الأدبية الفنية التي تمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني و تستعين معالم هذا الجمال ^(٥٢) .

ه - التفسير على أساس وطيد من الفن القولي بالنفس الإنسانية وبالجتماع ^(٥٣) الإنساني ويستدرك أمين الخولي منهجه هذا بأن أسلافنا من العلماء والمفسرين شعروا بجملته وقاموا ببعضه ^(٥٤) .

استطيع مستيراً بما سبق - أن أقرر أن حركة التفسير مرت بالادوار الآتية :-

١ - التفسير في ظل الثقافة الإسلامية الخالصة ، كما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ^٠

٢ - التفسير في ظل الثقافة الإسلامية المطعمة إلى حد ما بالروايات الاسرائيلية التي دخلت إلى التفكير الإسلامي من قبل مسلمي أهل الكتاب كما في عهد الصحابة الكرام والتابعين لهم ^٠

٣ - التفسير في ظل المصطلحات والعلوم الحادثة في الملة والتي دخلت إلى المجتمع الإسلامي نتيجة لاختلاط الحضارات وامتزاج الثقافات كما في العصر العباسي والعصور التالية له ^٠

٤ - التفسير في ظل النهضة الإسلامية الفكرية الحديثة كما في مدرسة الشيخ محمد عبده ^٠

(٥٢) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٥٣) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٥٤) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٧٤ .

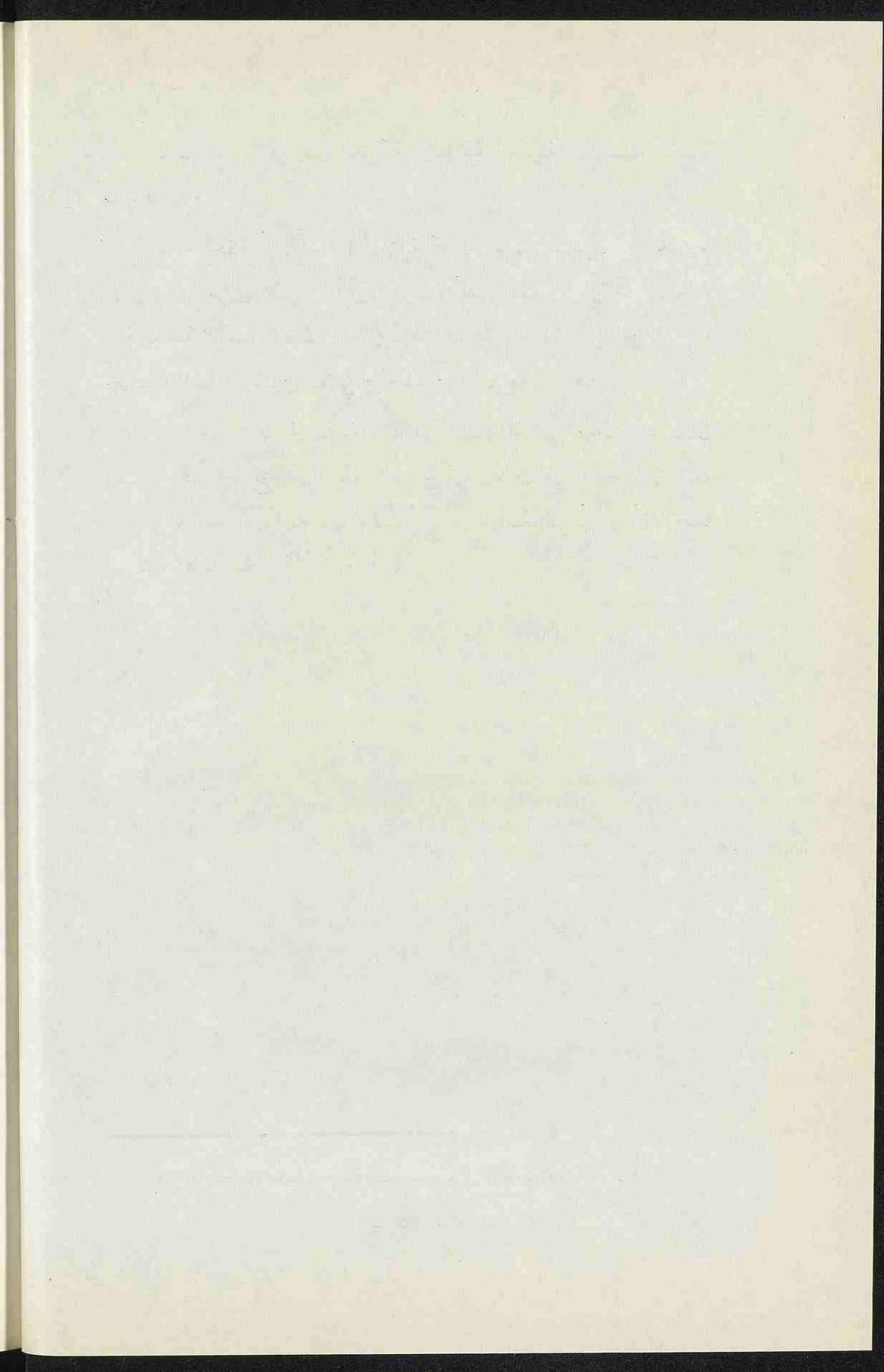
٥ - التفسير في ظل الحركة الإسلامية الحديثة كما يمثله الاستاذ

سيد قطب •

مع ملاحظة أن الثقافة الإسلامية كانت العنصر المشترك بين جميع الأدوار التي مر بها تفسير القرآن الكريم ، أقصد التفسير الذي مثل استجابة حاجة لحاجة المسلمين الحضارية التي ت يريد دوماً استبطاط الاسس الجديدة لبناء حياتهم المناسبة للمستوى العقلي والحضاري الذي وصلوه •

هذه صورة قلمية سريعة للمذاهب التفسيرية التي وجهت اعمال المفسرين عبر التاريخ تضيء امامنا الطريق في التعرف على المنهج الذي اتبعه الآلوسي ، وتحديد مكانه بينها ، فلنبدأ بهذه الدراسة التي أرجو أن توصلنا إلى نتائج علمية محترمة (٥٥) •

(٥٥) تحديد منهج سيد قطب اضيف الى الكتاب عند الطبع •



البَابُ الْأَوَّلُ

الفصل الأول

عصره وحياته

- (١) عصره من النواحي السياسية والعقلية والأدبية .
- (٢) حياته .
- (٣) أساتذته وشيوخه .
- (٤) ثقافته واتجاهاتها .
- (٥) شخصيته الاجتماعية والعقلية .
- (٦) مكانته العلمية في عصره .

(١) عصر الآلوسي من التواثي السياسية والعلقية والادبية :

الناحية السياسية : - توالى على العراق النكبات ، وتابعت عليه الكوارث بعد سقوط بغداد بأيدي هولاكو وجنهه (٦٥٦ هـ) ، فتعاونته منذ ذلك الحين أيادي المغول والفرس والصفويين الى ان دخل في حكم الاتراك العثمانيين عام (٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م)^(١) ، فقسموه تقسيماً جديداً الى ايالة بغداد وايالة البصرة وايالة الموصل وايالة شهرزور وايالة الاحساء^(٢) . وعيت الدولة سليمان باشا الذي كان والياً على ديار بكر اولَ وآل على العراق عام (٩٤٣ هـ)^(٣) .

ولكن السلطة الحقيقة لم تبق بيد العثمانيين طويلاً ، وانما دخلت تدريجاً الى ايدي المالك^(٤) . وكان على الدولة اذا أرادت عزل وزير من الوزراء ان تمهد لذلك ، وتسرير الجيوش ، وتليجأ الى طريق المشاورات والمناورات . لأن عزل الوزير كان يؤدي غالباً الى سفك الدماء ، واضطراب الاحوال ، واعدام اتباعه . وتشريد وملحقة مناصريه^(٥) .

لم يكن الوزراء جميعهم من ذوي الدرأة والعدل ، فلقد كانت المظالم تظهر على ايديهم وايدي اتباعهم ، وكانت اموال الناس تصادر احياناً في سبيل تأمين رواتب الجنود ، وامضاء أمور الدولة^(٦) . وعند عزل والومجيء آخر مكانه ، ينزل هذا العقاب على جماعة سلفه ، ومناصريه في حكمه .

(١) عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ١٤/٤ ، ١٩ .

(٢) المصدر السابق ٤/٣٧ .

(٤) لونتريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ٣٣ .

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ٦/٣٢١ .

(٥) المصدر السابق ٦/٣٠١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ .

(٦) اربعة قرون ٢٥٨ .

وأما علاقة العراق بالدولة الإيرانية وامارة آل سعود في الجنوب فلم تكن علاقات قائمة على أساس المودة وحسن الجوار^(٧) . وكان هوى الشيعة ومركزهم كربلاء مع ايران ، وكانوا يتصرفون دوما على وزراء بغداد ، ويسيرون للادارة فيها أزمات ومشاكل كثيرة ، وأاما علاقة الدولة بامارة آل سعود فلم تكن طيبة نظرا لانتشار الدعوة الوهابية السلفية التي كانت تختلف المذهب الرسمي للدولة العثمانية في تشجيع التصوف والتمسك بالحنفية^(٨) .

ولم يكن أمن العراق في القرن الثالث عشر الهجري مستقراً ، اذ كثروا الخارجون على الدولة من العشائر وغيرهم ، وكانت ثوراتهم مستمرة ، وخاصة في منطقة الفرات الأوسط ، وكان المتمردون في الحاضر يتوجهون إلى العشائر^(٩) . ولم تكن البلاد خالية من عصابات اللصوص التي كانت تنشر القلق ، وتعيث بأموال الناس^(١٠) . ولم تكن الثورات مقتصرة على العشائر ، فلقد ثار أهل مدينة كربلاء – وهم من الشيعة – على الوالي نجيب باشا (١٢٥٨ هـ – ١٨٤٢ م) مستغلين ضعف الحكومة ، فأرسل هذا الوالي جنده إليها فاحتلها ، وقتل نتيجة لذلك خلق كثير^(١١) .

أما النفوذ الاجنبي فقد بدأ يتغلغل في هذه الفترة المضطربة من تاريخ العراق ، وخاصة ، النفوذ البريطاني ، اذ كان في بغداد مقيم لهم ، وكان يحدث أحيانا الصدام بينه وبين الوزير ، كما حدث بين الوزير القوي داود

(٧) تاريخ العراق ٦/٣٣٥ – ٣٣٧ .

(٨) سليمان فائق : تاريخ بغداد ٤٢ – ٤٦ .

(٩) تاريخ العراق ٦/١٦٠ ، ١٦٨ ، ٢٨٧ ، ٣٣٦ .

(١٠) تاريخ بغداد ٨٢ – ٩٠ . أربعة قرون ٢٥٩ . تاريخ العراق ٦/٢٥٢ .

(١١) أربعة قرون ٢٧١ .

(١٢) تاريخ العراق ٧/٦٤ – ٦٨ .

بشا (١٢٣٢ - ١٢٤٧ هـ) (١٨٣١-١٨١٦ م) وبين كلاديوس رج ، حيث ضيق عليه الوزير حتى اضطره الى الخروج من بغداد ، وكان سبب ذلك أن هذا المقيم قام بسفرة الى منطقة كردستان في شمال العراق ، وكان يردد من ورائها اثارة القلاقل وتأليب الناس هناك على الدولة^(١٣) .

ويمكن أن نلخص الوضع السياسي في العراق بهذه الشهادة الخطيرة التي أتبها سليمان فائق^(١٤) أحد رجالات الفترة الأخيرة من أيام الدولة العثمانية في كتابه (تاريخ بغداد)

(أني أنا سليمان فائق الشخص العاجز الذي فتح عينه وترعرع في بغداد ، قد رافقت هذه التقليبات وتمرست بما يدنوني منها منذ طفولتي ، وأطلعت على العادات والأخلاق وتصرات المسؤولين في العراق ، أشهد أنني رأيت رأي العين ما فعلته الدولة ، وما أوقعته من اضرار في البلاد بسبب حركة التقلبات المستمرة ، والتبدلات السريعة بين رجالها المسؤولين منذ عهد الملالي حتى الآن ، وقد تبين لي أن القطر العراقي مال طابعه نحو النحس منذ أمد غير قصير ولذلك فإن أعمال الذين تولوا الحكم فيه مهما كانت على جانب من الحكمة والاستقامة والخدمة المخلصة ، فأنها تعكس لدى المقامات العليا ، وتبدو لهم على خلاف حقيقتها ، وهذا من جملة اسباب حصول البلبلة والفوضى ، وخلاصة القول إن العراق لم يتحسن وضعه ، ولم يتول أمره من يأخذ بيده منذ انقراض العباسين ، وبعدما كان من الأقطار المحسودة على خيراتها قد أصبح في انحطاط مستمر ، واستطاع أن أقول

(١٣) أربعة قرون ٢٨١ : تاريخ العراق ٢٦٧/٦ ، ٢٦٨ ، ٠ دون المقيم المذكور هذه الرحلة في مجلدين باسم (رحلة رج) ٢٦٦/٦ ، ٢٦٧ ، ٠

(١٤) مؤرخ كبير ، وكاتب اديب ، له عدة مؤلفات ، اثنى عليه ابو الشتاء في رحلاته . تقلد عدة وظائف مهمة توفي سنة ١٣١٤ هـ . تاريخ العراق ١٢٧/٨ .

بمرارة وأسف وحزن بالغ ان الموجات العدائية التي طفت عليه ، والظلم والاستبداد الذى حل فى ربوعه ، كل اولئك قد غيره وغير اخلاق اهله وبدلها من الحسن الى السوء ، وجعلته فى بداوة وجهل وفقر ، ومايزال سائراً نحو الانحدار والتقهقر ، ولقد بذلت الدولة العثمانية الكثير من الجهد والاموال ، وسفكت الكثير من دماء ابنائها فى سبيل اعمار البلاد منذ أن استولت عليها ، ولكن تلك الجهود قد ذهبت ادراج الرياح)^(١٥) .

لقد حكم العراق وزراء كثيرون ، ولكن نظراً لأننا نريد فهم الحياة السياسية التي عاصرها الالوسي فلن نشير الا الى الوزراء الذين عاصرهم ، حتى تعرف عليهم عند ذكر علاقاته بهم •

داود باشا :- من أعاظم الوزراء ولد فى تفليس^(١٦) (١١٨٨ هـ - ١٧٧٤ م) دخل بغداد مملوكاً ، فاعتنق الاسلام ، وتداولته الايدي حتى دخل تحت تملك سليمان باشا الكبير^(١٧) ، وسرعان ما ظهرت مواهبه الادبية والعلمية والعسكرية ، فترقى فى المناصب الى ان وجه اليه الوزارة فى بغداد سنة (١٢٣٢ هـ - ١٨١٦ م)^(١٨) . وكان داود باشا متديناً ، مشجعاً للتقدم العلمي ، أسسست على عهده عدة مدارس ومطبعة^(٢٠) ، واهتم بجيشه ، فهيأ له المعلمين الاجانب والأسلحة الحديثة ، وكان رجلاً قوياً

(١٥) تاريخ بغداد ١٧٠ - ١٧٢ •

(١٦) من بلاد تركستان ، وهى الآن عاصمة الجمهورية الكرجية السوفيتية . المنجد فى الادب والعلوم ١١١ •

(١٧) فى كتاب (اربعة قرون) انه ولد سنة (١١٨١ هـ - ١٧٨٠ م) • ٢٥٧

(١٨) وجه اليه اياته بغداد يوم الخميس ١٥ شوال سنة (١١٩٣ هـ) تاريخ العراق ٦/٨٦ •

(١٩) اربعة قرون ٢٥٧ • تاريخ العراق ٦/٢٣٦ ، ٣٢٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ •

(٢٠) اربعة قرون ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٣٢٩ •

استقل بشؤون العراق ، وكان هذا سبب نقمة السلطان عليه^(٢١) . وكان داود باشا فاضلاً ومن أكابر العلماء ، متضلعًا في الشرعية والقانون ، عارفًا باللغات العربية والتركية والفارسية ، ناظماً وناشرًا . ولم يكن له قرین من الوزراء في العفة والحياء على الرغم من اتهام بعض المؤرخين له بالقسوة والظلم^(٢٢) .

عزل عن الوزارة سنة (١٢٤٧هـ - ١٨٣١م) وسير إلى القدسية
بأمر من السلطان محمود الثاني^(٢٣) .

علي رضا باشا اللاز :- دخل بغداد وزيرًا في ١٧ ربيع الآخر سنة (١٢٤٧هـ - ١٨٣١م) كان بعيداً عن التعصب ، وقد ايدى خلال اشتغاله في العراق شيئاً من حرية الفكر ، وكان يتلاع姆 مع دعاة التقدم من الأجانب^(٢٤) . رماه بعض المؤرخين بالظلم والقسوة في معاملة الناس ، وذكروا ان رجاله كانوا من الظلمة^(٢٥) .

عزل عن الوزارة سنة (١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م) .

محمد نجيب باشا :- ولى الوزارة في بغداد في ربيع الأول سنة (١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م)^(٢٦) اختلف فيه المؤرخون فمنهم من قال : (كان ذا عدالة ومتانة وشجاعة ، يأخذ بحق المظلوم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم) ومنهم من قال : (كان قد بلغ الظلم في أيامه حداً فائقاً وكان متمسكاً بالطريقة القادرية الصوفية تمسكاً قوياً صده عن النظر في أمور الدولة)^(٢٧) .

(٢١) المصدر السابق ٢٧٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ .

(٢٢) المصدر السابق ٢٩٥ . تاريخ العراق ٦/٣٣١ ، ٣٣٠ .

(٢٣) تاريخ العراق ٦/٣٣١ .

(٢٤) أربعة قرون ٣٠٤ .

(٢٥) تاريخ العراق ٧/٤١ ، ٤٩ ، ٥٣ .

(٢٦) المصدر السابق ٧/٥٨ .

(٢٧) المصدر السابق ٧/٦٤ ، ٨٣ .

عزل هذا الوالي في رجب (١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م) ^(٢٨) .

وتولى بعده ولاة كانوا يتبدلون بسرعة ، ومن الذين عاصرهم الألوسي وكان على علاقات حسنة مع بعضهم (عبدي باشا) الذي ولى الوزارة سنة (١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م) وعزل سنة (١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م) ومحمد وجيه باشا الذي عين وعزل سنة (١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م) ومحمد رشيد باشا الكوزلكي الذي ولى الوزارة سنة (١٢٦٨ هـ - ١٨٥٢ م) وعزل في نفس السنة وتولى باشا الكبير الذي ولى الوزارة سنة (١٢٦٨ هـ - ١٨٥٢ م) وعزل (١٢٦٩ هـ - ١٨٥٣ م) ^(٢٩) .

الناحية العقلية والأدبية :- ظهرت في العراق في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بوادر نهضة علمية أدبية خطيرة ، كتلك التي شهدتها القرن الرابع للهجرة في بلاط سيف الدولة بحلب ، وكتلك التي شهدتها عصر ملوك الطوائف في الاندلس على اختلاف في بعض الفروع والتفاصيل . فقد نبغ في العراق اذ ذاك عدد كبير من أعلام الفقهاء والمحدثين والمفسرين والشعراء والأدباء ^(٣٠) .

ان الثقافة العربية الإسلامية لم تقرض بانقراض الدولة العباسية ، وإنما ظلت هناك مراكز ثقافية مهمة حاملة هذا المشعل في مدارس بغداد والموصل وكربلاء وسامراء وشهر زور (كردستان العراق) ^(٣١) وهذا يرجع إلى تشجيع

(٢٨) المصدر السابق ٧/٨٤ .

(٢٩) المصدر السابق ٧/٦٣ - ١٠٦ .

(٣٠) البصیر (محمد مهدي) (الدكتور) نهضة العراق الأدبية ٩ .

انظر ايضا يوسف عز الدين (الدكتور) الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ١٦ .

(٣١) قال ياقوت الحموي (بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة بعد زاي و واو ساكنة وراء ، وهى كورة واسعة فى الجبال بين اربيل و همدان ،

الولاة العثمانيين أمثال المماليك ومنهم داود باشا ، وامراء الاسرة البابانية الشهيرة في لواء السليمانية ، فلقد أسس هؤلاء مدارس جديدة بالإضافة إلى المدارس القديمة ، فانتشرت نتيجة لذلك الثقافة العلمية والادبية^(٣٢) .

وكان الوزراء الذين جاؤوا بعد المماليك يقومون برعاية العلم ، وتأسيس المدارس ، وعمارة المساجد ، وكانوا يشجعون العلم والعلماء والأدب والأدباء^(٣٣) ، وكانوا يهابون العلماء ويختلفون أن يصدر منهم ما يذكر أمر السياسة ، أي أن العلماء كانت لهم كرامتهم وكلمتهم المسموعة^(٣٤) .

ونتيجة لهذه البذور الطيبة في نهضة العراق الثقافية ظهرت بيوتات علمية وأدبية كثيرة في بغداد وغيرها ، اشتهر منهم علماء وادباء وشعراء منهم آل السويدي وآل الرومي وآل الواقع وآل الشواف وآل المدرس ، وآل العمري وآل الألوسي وآل الزهاوي وغيرهم^(٣٥) .

وكان نظام التعليم يفرض على الطالب ان يدرس في الكتاب أولاً ، وكانت هذه الكتايب منتشرة لتحفيظ الاولاد الصغار مبادئ القرآن الكريم ، يشرف عليها مدرس للقرآن يسمى ملا (تحريفاً لكلمة مولى)^(٣٦) ثم

واهل هذه التواхи كلهم اكراد ، وقد خرج من هذه الناحية من الاجلة والكرياء والائمة والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء ما يفوق الحصر) معجم البلدان ٣١٤ / ٥

(٣٢) الفزنجي (محمد) التعريف بمساجد السليمانية ٢٣ - ٣٠
نهضة العراق الادبية ١٠ - ١٣ . تاريخ العراق ٣٣٣ / ٦ . الحال (محمد)
البيتوشى ٢٠ . الحال (محمد) معروف النودهى البرزنجى ١٢ .

(٣٣) تاريخ العراق ٢٤٧ / ٦ ، ٢٤٨ / ٦ .

(٣٤) المصدر السابق ٢٤٤ / ٦ ، ٢٩٢ ، ٣٣٤ .

(٣٥) التعريف بمساجد السليمانية ٣٨ - ٣٩ . تاريخ العراق ٣٣٣ / ٦ ، ٣٣٤ .

(٣٦) الهلالي (عبد الرزاق) تاريخ التعليم في العراق ٨٠ - ٨٢ .

ينتقل الطالب بعد ذلك الى المدارس الملحقة بالمساجد ، وهذه المدارس هي التي قادت الحركة العلمية والادبية ، وكانت تخرج افواجا من طلبة العلم ، وتنقفهم بالثقافة العقلية والنقلية^(٣٧) .

أما أشهر المدارس في بغداد التي رفعت مشارع هذه الحركة المباركة فهي مدرسة الامام الأعظم ، والمدرسة السليمانية ، والمدرسة المرادية ، والمدرسة العالية ، والمدرسة الداودية ، ومدرسة جامع علي افندي ، ومدرسة جامع الوزير ، ومدرسة مسجد آل شكري افندي ، ومدرسة مسجد الأصفية ، والمدرسة الطبقجلية ، والمدرسة العمرية ، والمدرسة السويدية ، ومدرسة جامع القرية ، ومدرسة جامع القبلانية ، والمدرسة المرجانية ، ومدرسة جامع حسين باشا ، ومدرسة جامع الفضل ومدرسة جامع العادلية الكبير ، ومدرسة جامع الاحسانى ، ومدرسة جامع الحاج أمين الباجهجي ، ومدرسة الحاج نعمان الباجهجي ، ومدرسة جامع السيد سلطان علي ، ومدرسة جامع النعمانية ، ومدرسة جامع الخاescكي ، ومدرسة جامع الخلفاء ، ومدرسة جامع الرواس ، ومدرسة جامع الشيخ سراج الدين ومدرسة جامع الخاتون ، والمدرسة القادرية ، ومدرسة جامع خضر بك ، ومدرسة مسجد الشيخ الانصاري ومدرسة جامع حمام الملاع ، ومدرسة مسجد السيف^(٣٨) .

وكانت هنالك مدارس اخرى منتشرة في جميع نواحي العراق كالموصل وكركوك والسليمانية والبصرة وسامراء والنجف وكربغاء^(٣٩) .

(٣٧) المصدر السابق - ٨٣ - ٩٢ .

(٣٨) الآلوسي (محمود شكري) مساجد بغداد - ٨٢ - ١٣٤ . تاريخ

التعليم في العراق - ٧٩ - ٧٠ .

(٣٩) تاريخ التعليم في العراق - ٨٣ - ٩٢ . الشيخ معروف النوادي

١٦

وأما العلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس فهي العلوم النقلية التي كانت تشمل اللغة وفروعها والتفسير والحديث والفقه والاصناف، والعلوم العقلية التي كانت تشمل المنطق والفلسفة والكلام وعلم الهيئة، وكانت مناهج الدراسة هذه هي نفسها التي كانت تدرس في العصور الإسلامية الأولى^(٤٠).

وأما المكتبات العامة والخاصة، فلقد كانت منتشرة في كل مكان، في المدارس الملحقة بالمساجد وفي بيوت العلماء، وكان لكل مكتبة محافظ كتاب^(٤١). ومن أشهر هذه المكتبات، مكتبة مدرسة سليمان باشا، التي كانت تحتوي على (٢٠٠٠) مجلد، وكان فيها ثلاثون نسخة من صحيح البخاري في أربعة مجلدات، ومكتبة عنابة الله آغا التي كانت تحتوي على (٢٤٦٣) مجلداً، وكانت كتبها مراجع مهمة^(٤٢).

واما الاجازات، فكانت تعطى للطلاب الذين يكملون المرحلة الدراسية، وتهيؤهم عند ذلك كي يقوموا بالتدريس والخطابة والوعظ، فكان يجتمع لشهود تلك الاجازات علماء البلدة واعيانها^(٤٣).

وكانت الاجازات هذه تكتب بيد الشيخ يعترف فيها بتدريسه علوم معينة للطالب المجاز على اساس الرواية التي اخذها عن اسلافه من العلماء^(٤٤).

(٤٠) تاريخ التعليم في العراق ٩٦ - ٩٨.

(٤١) الآلوسي (أبو الثناء) غرائب الاغتراب ٢١.

(٤٢) داود سلوم (الدكتور) تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي ٢٩.

(٤٣) غرائب الاغتراب ٢٠ العزاوى (عباس) ذكرى أبي الثناء الآلوسي ١٦.

(٤٤) غرائب الاغتراب ٢٧٦ - ٣١٢.

واما الدراسات الادبية فلم تكن ضمن مناهج الدراسة المدرسية عدا النحو والصرف والبلاغة وانما كانت تعتمد على الذوق الشخصي ، والتابع الانفرادي ، ولذلك فان هذه الدراسات تأخرت بعض الشئ عن الدراسات العلمية الاسلامية واللغوية^(٤٥) . ومع ذلك فأن هذا العصر شهد نهضة ادبية كان روادها مجموعة من الكتاب والشعراء الذين قادوا الحركة الادبية ، واستطاعوا ان يرفعوا من المستوى الذى انخفض اليه الشعر العربي بعد سقوط بغداد ومن اشهر الشعراء الذين نجد اسماءهم لامعة في سماء هذا العصر عبد الباقى العمرى (١٢٠٤ هـ - ١٢٧٨ م) وعبدالغفار الاخرس (١٢٢١ - ١٢٩٠ هـ ، ١٨٠٦ - ١٨٧٣ م) والشيخ صالح التميمي (١١٩٠ - ١٢٦٠ هـ ، ١٧٧٧ - ١٨٤٣ م) والشيخ عبدالغنى جميل (١١٩٤ - ١٢٧٩ هـ ، ١٧٨١ - ١٨٦٢ م) والشيخ محسن الخضري (١٢٣٥ - ١٣٠٢ هـ ، ١٨١٩ - ١٨٨٣ م) وآخرون غيرهم من نشر شعرهم في مجموعات ودواوين تداولتها ايدي الناس^(٤٦) .

وكانت اغراض الشعر تحصر في مدح الخليفة ورجالات الدولة ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومدح آل بيت النبوة ، والتصوف والسياسة والقومية والشكوى والمطالبة وفي الأمور الاجتماعية المتعددة كالغزل ووصف الخمرة والمواضيع الفردية وال العامة^(٤٧) .

(٤٥) تطور الفكره والاسلوب ٣٣ - ٣٦ . تاريخ التعليم في العراق ٣٨ - ٩٢ .

(٤٦) نهضة العراق الادبية ١٦ - ١٣١ . تطور الفكره والاسلوب ٤٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ .

(٤٧) الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ٣١ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ١٢٩ ، ١٦١ ، ١١٣ . ١٧٨ .

وبجانب هؤلاء الشعراء ظهر كتاب ومؤرخون كتبوا كتابا في تصوير
حياة عصرهم ولعل أعظم كاتب ظهر في هذا العصر هو صاحب الترجمة أبو الثناء،
الآلوزي الذي سنفرد فصلا كاملا في هذا الكتاب لدراسة تراثه وأسلوبه
الأدبي والعلمي ^(٤٨) .

حياة الآلوسي

أسرته: تسمى أسرة الآلوسي إلى «آلوس» وهي بلدة تقوم على جزيرة صغيرة في نهر الفرات ، قرب عانه تابعة لناحية الحديثة في لواء الدليم^(١) .

وهي آلوس بوزن صبور واللوسة بالمد ذكرهما الزبيدي في تاج العروس ، كما وردت في نزهة المشتاق «آلس» بمد الهمزة وضم اللام^(٢) . وينسب إليها من القدماء محمد بن حصن بن خالد القيسى أبو عبدالله البغدادى الآلوسى الطرسى والمؤيد الآلوسى الشاعر المتوفى سنة ٥٥٧هـ^(٣) .

وهناك رواية نقلها جرجي زيدان تقول ان اجداد الآلوسى فروا من وجه هولاكو التترى عندما دهم بغداد وفتك باهلها ، ومنذ نحو ثلاثة عشرة سنة رجع أبناؤه إلى بغداد ولبثوا فيها حتى الآن^(٤) . ولكن الاستاذ الأثرى يرد هذا الزعم على اساس ان هذا الخبر لم يرد في اهم مصادرین^(٥) وهما حدائق الورود لعبدالفتاح الشواف ، والمسك الاذفر لمحمود شكري الآلوسى^(٦) .

(١) البستى (فؤاد) دائرة المعارف ٣٤٤/١

(٢) الأثرى (محمد بهجت) محمود شكري الآلوسى ٢١

(٣) الأثرى (محمد بهجت) أعلام العراق ٧

(٤) مشاهير الشرق والغرب فى القرن التاسع عشر ١٦١/٢

(٥) هما اهم مصادرین لأن الأول الفه تلميذه عبدالفتاح الشواف اودع فيه تفاصيل حياة الآلوسى ، وقرأ الآلوسى ما كتب فاقره عليه ، ولما مات الشواف اتم الكتاب ابن الآلوسى نعمان خير الدين . والنثانى الفه حفيده محمود شكري الآلوسى ضمنه ما في الأول مختصرًا واضاف إليه هو ما كان يعرفه عن جده .

(٦) محمود شكري الآلوسى ٢٧

وأضيف أن هذه الرواية لم ترد في مصدر مهم آخر وهو (شجرة الانوار) الذي الفه ابو الثناء الآلوسي في نسبه يوم كان في القسطنطينية^(٧) . ولقد ناقشت هذه المسألة مع بعض افراد اليت الآلوسي في بغداد فانكروا ذلك وقالوا لا نعلم هذا في الكتب المعتبرة التي تتحدث عن تاريخ اسرتنا . ويرى الاستاذ الآخر أن لهذه الاسرة نشأتين في بغداد ، نشأة قديمة كانت في القرن الحادى عشر حين ارتحل في آواخره من كان ساكناً في بغداد الى الحديقة واللوس وهي مجهولة عندنا لا نعرف من امرها شيئاً ، ونشأة حديثة في الثلث الاخير من القرن الثانى عشر الهجرى وذلك حين جاء محمود بن درويش الخطيب الآلوسي الى بغداد فاتخذها وطننا ، وتوفي فيها في اوائل القرن الثالث عشر^(٨) .

وفي شجرة الانوار أن جد الآلوسين البغداديين الشيخ عبدالقادر الطيار سكن اللوس ومعظم اهلها من ذريته اليوم^(٩) .

أما والد أبي الثناء محمود فهو السيد عبدالله أفندي ، ينتهي نسبه من جهة أبيه الى الحسين بن علي ، ومن جهة امه الى الحسن بن علي . وكان مدرساً في جامع أبي حنيفة ببغداد أربعين سنة ، وكان يذهب ماشياً اليه احتراماً ل أبي حنيفة ، وكان مع ذلك يدرس في مدرسة المولى خانة ، ودرس اربع سنوات في مدرسة الشهيد علي باشا رئيساً للمدرسين^(١٠) وصفه ابنه ابو الثناء بقوله (وكان عليه الرحمة ترشح بالصلاح جلدته ، وشرح الصدور رؤيته ، ما رأته عيون الاسحار الا قائماً ، وما ابصرته مواسم الابرار الا صائماً ، وما ابسم ثغر فجر تحت اذیال دجاج الا وجده يبكي حشية بين يدي

(٧) غرائب الاغتراب ١٠٦ .

(٨) محمود شكري الآلوسي ٢٩ .

(٩) ص ١٢ مخطوطة في مكتبة الآثار ببغداد تحت رقم (١١٠٣) .

(١٠) غرائب الاغتراب ٢١ ، ٢٢ . ارجع الند والعود ٢٠ .

مولاه^(١١) . ولقد حج قبل أن يتزوج ثلاث مرات ، وذهب إلى مصر لزيارة شقيقه السيد حسن ، فوجده يوم دخل قد مات . توفي بالطاعون في بغداد سنة (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م)^(١٢) ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، وكان عمره قد بلغ ثمانين سنة^(١٣) . وأما أمها فاطمة ، فكانت امرأة صالحة ، توفيت وهو صغير يقرأ القرآن الكريم ، وكان أبو الشاء احب اولادها اليها ، وهي بنت العالم المعروف الشيخ حسين بن الشيخ على العشاري صاحب المؤلفات الجليلة ، والتعليقات الطفيفة الذي توفي سنة (١٢٠٠هـ - ١٧٨٥م) وكان للألوسي من الأخوة عبد الرحمن الذي أخذ العلم عن أخيه ، وكان عالماً بالنقل و توفي سنة (١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م) وعبدالحميد وقد فقد بصره وعمره سنة ، فانضم إلى التصوف ، وكان عالماً شاعراً ، درس على أخيه أبي الثناء وعلى غيره ، وتوفي سنة (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م)^(١٤) .

مولده ونشأته :-

في هذه الأسرة العربية الصالحة المتدينة العالمة ولد أبو الثناء شهاب الدين محمود قيل ظهر الجمعة رابع عشر من شعبان وذلك سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف من هجرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (١٨٠٢م)^(١٥) في جانب الكرخ من بغداد^(١٦) .

(١١) غرائب الاغتراب ٢١ .

(١٢) المصدر السابق ٢٢ . المسك الاذفر ٤ .

(١٣) شجرة الانوار ١٣ .

(١٤) حدائق الورود ٤/٤ مخطوطة في مكتبة الاستاذ المرحوم هاشم الآلوسي ببغداد .

(١٥) المسك الاذفر ٣٠ - ٤٠ .

(١٦) غرائب الاغتراب ٥ . حدائق الورود ٦/١ . اريج الندى والعود ٢ .

وبدأ الآلوسي منذ صغره بحفظ القرآن الكريم ، وما أن بلغ الخامسة من عمره حتى ظهرت عليه علامات الذكاء فبدأ بحفظ المتن في الكتاب قبل أن يختتم القرآن الكريم^(١٧) . ثم لم يزل يقرأ عند والده حتى استوفى الغرض – كما يقول – من علم العربية ، وحصل طرفاً جليلاً من فقهه الحنفية والشافعية ، واحاط خبراً بعض الرسائل المنطقية ، وكتب الحديث ، وكان ذلك قبل أن يبلغ العاشرة من عمره^(١٨) .

وبلغ شغف الآلوسي في تحصيل العلم حداً كبيراً ، فأخذ ينتقل بين كبار علماء عصره يأخذ منهم ويدرس على أيديهم^(١٩) . ولما انقضت ثلاثة عشرة سنة من عمره استقر عند شيخه الأجل (علاء الدين أفندي الموصلي) . ولم يزل يقرأ عنده تخرج عليه ، وتأدب بأدبه^(٢٠) واحاط بتفسير القرآن الكريم قبل أن يبلغ العشرين^(٢١) . ولما بلغ عمره احدى وعشرين سنة اجازه في يوم مشهود ، اجتمع فيه علماء بغداد ، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية قريباً من الحضرة الكيلانية^(٢٢) . وكان رئيس التجار الحاج نعمان الباجهجي حاضراً ، فاعجب به غاية العجب ، فاقترح عليه ان يكون مدرساً في مدرسته ، فاستجاب له ، ونصب مدرساً في هذه المدرسة^(٢٣) . ولم يبق الآلوسي بها كثيراً ، اذ تأججت عليه نيران قلوب اعدائه الحاسدين فاضطر أن يخرج منها . ثم لما عمر الحاج أمين الباجهجي في محلة رأس القرية مدرسة وجاماها ، نصب هنالك على رغم الحاسدين خطيباً وواعظاً

(١٧) غرائب الاغتراب ٥ . حديقة الورود ٧/١

(١٨) غرائب الاغتراب ٦ . حديقة الورود ٩/١

(١٩) غرائب الاغتراب ٧ ، ٨ . حديقة الورود ١١/١ ، ١٢ ، ١١/١

(٢٠) غرائب الاغتراب ٨ ، ٩ ، ٢٠ . حديقة الورود ١٦/١ ، ١٦ ، ١٧

(٢١) روح المعانى ٣/١

(٢٢) غرائب الاغتراب ٢٠ . حديقة الورود ١٦/١ ، ١٦ ، ١٧

(٢٣) حديقة الورود ١/٢٠ . اعلام العراق ٢٢

من قبل داود باشا الذى لم يسمع اقواله اعدائه فيه^(٢٤) .

وقام الآلوسى بالإضافة الى هذه المدرسة بالتدريس فى مسجد المرحوم الحاج الملا عبدالفتاح ، ودرس فى مسجد القمرية والسيدة نفيسة وجامع المرjania^(٢٥) . وبلغت دروسه فى اليوم اربعة وعشرين درسا و كان أيام اشتغاله بالتفسير والافتاء يدرس فى اليوم نحو ثلاثة عشر درسا^(٢٦) .

وبعد وفاة والده (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) انتقل من الكرخ وسكن فى جوار مسجد الشيخ عبدالقادر الجيلى^(٢٧) وظهر صيت الآلوسى بين الناس ، وانتشرت هنا وهناك اخبار ذكائه وعلمه وفضله ، فجلبت عليه حشد الحاسدين ، ولما جاءت حادثة الطاعون (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) واستسلم الوزير داود باشا ، ودخل الوزير على رضا باشا ببغداد ، استغل حсад الآلوسى الوضع القائم فى الایقاع به ، فابلغوا الوزير الجديد أن الآلوسى من اعون داود باشا ، فاضطر للاختفاء . وهو يروى قصة اختفائه هذا فيقول (واختفى هذا العبد المحقير ، زمن فتح بغداد ، بعد المحاصرة سنة سبع واربعين بعد الالاف والمائتين خوفا من العامة وبعض الخاصة ، لأمور نسبت اليه ، واقتراها بعض المنافقين على) في سردار عند بعض الاجنة ثلاثة ايام^(٢٨) .

ولما جاء عبدالغنى أفندي الجميل (١١٩٤-١٢٧٨هـ ، ١٧٨٠-١٨٦١م) الى بغداد ، ونصب مفتيا للحنفية فيها ، لجأ اليه الآلوسى ، وحل فى داره ، فسعى هذا عند الوزير حتى عفا عنه ، وعين امينا للفتوى ، ووجه اليه التدريس بالمدرسة القادرية^(٢٩) . ولما عزل الجميل من منصب الافتاء فقد

(٢٤) غرائب الاغتراب ٢٠ حدائق الورد ٢٢/١

(٢٥) حدائق الورود ١/٢٠ - ٢٢

(٢٦) المسک الأزفر ٨

(٢٧) غرائب الاغتراب ٢٢ ، ٢٣ - ٢٣ اعلام العراق

(٢٨) روح المعانى ١٠/٩٧

(٢٩) حدائق الورود ١/٢٢ - ٢٤

الوزير على الآلوسي مرة اخرى ، الا أن بعض اتباع الطريقة النقشبندية تدخلوا في الأمر ، فعفا عنه الوزير ، وأمره بالجلوس في التكية الخالدية^(٣٠) . ثم وشى به مرة اخرى عند الوزير من قبل محمود افندى النقيب ، فحبسه في محله الشيخ عبدالقادر سنة ونصفا^(٣١) .

وفي رمضان سنة (١٢٥٠ هـ ١٨٣٢ م) دعاه النقيب للوعظ في الحضرة الكيلانية ، فاجابه مكرها واتفق أن حضر الوزير على رضا وعظه ، فذهب من فصاحة الآلوسي ، وغزاره علمه ، فأمره أن يذهب إليه في العيد ، فذهب إليه في قصره فاكرمه ، وأعاد إليه وظائفه التي أخذها منه وتوطدت الصداقة بينهما ، فكان يذهب إليه في الأسبوع مرتين ، وعيته في عيد الأضحى خطيبا للاعزمية ، ويقول الآلوسي انه كان المخاطب الوحيد له في مجلسه من بين العلماء والاعيان .

وفي هذه الأثناء شرح الآلوسي البرهان في اطاعة السلطان ، فقدمه إليه ، فلما حازه بوقف جامع المرجان ، وكان لا يعطي إلا لعلماء بغداد ، وجاءته رتبة التدريس من قبل السلطان ، ثم عينه الوزير في منصب خطير جدا وهو (مفتى الحنفية في بغداد) وكان وعده بذلك يوم سمع وعظه^(٣٢) . وبتعيين الآلوسي مفتيا في بغداد ، هطلت من سماء الشعر والبيان اعذب الالحان ، من قبل الشعراء الذين اشادوا بالوزير ، ومجدوا الآلوسي ورفوه ، وتغنوا بعلمه وفضله وادبه ، واستبشروا خيرا لمستقبل العلم والافتاء في بغداد ، ومن تلك القصائد قصيدة الشاعر قاسم افندى الموصلى التي يقول في مطلعها :

(٣٠) المصدر السابق ٢٥/١

(٣١) المصدر السابق ٢٦/١

(٣٢) غرائب الاغتراب ٢٣ ، ٢٤ . ٣٠ حدائق الورود - ٢٦/١

هل العيش الا للمفاحير تشييد وللمجد تأليل وللفضل تمييد
 وقصيدة الشاعر صالح التميمي التي يقول في مستهلها :
 مكارم وزیر العصر يسديها اذا انزل الدار دار العلم بانيها
 وابيات الشاعر عبدالغفار الاخرس التي يقول في اولها :
 يا قدوة العلماء يامن علمه بحر ومنهل فضله مورود
 وفي هذه الاثناء اشتري له دارا ، فهناك بها الشعراء الذين كانوا
 يستغلون كل مناسبة من تجديد دار او ختان اولاد ، فيقولون في تهشيم
 ومدحه (٣٣) .

ولما نقل على رضا باشا سنة (١٢٥٨هـ - ١٨٤٠م) وجاء بعده الوزير
 (محمد نجيب باشا) تغير على الآلوسي فعزله من منصبه في الافتاء (٣٤)
 وكان سبب عزله أن كتابا ورد عليه من شيخ الاسلام في
 الاستانة يدعوه فيه لحضور حفلة ختان ابن السلطان عبدالمجيد (١٢٣٩هـ -
 ١٢٧٨هـ - ١٨٢١ - ١٨٦١م) فاعتذر الآلوسي عن الحضور ، فكتب
 كتاب اعتذار الى الشيخ وأعطاه الى الوزير . ليرسله مع الكتب الرسمية ،
 فالحقه الوزير بكتاب اتهم فيه الآلوسي بولائه للقنصل الفرنسي في بغداد
 وهذا ما صرخ به شيخ الاسلام فيما بعد لاحظ اصدقاء الآلوسي المخلصين ،
 فابلغه عندما كان في الاستانة (٣٥) . وكان هذا الوزير هو الذي اشار على

(٣٣) حدائق الورود ٦٦ / ١ - ٨٠ .

(٣٤) ذكر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور مفتى الديار التونسية
 في كتابه (التفسير ورجاله) أن الآلوسي استقال من منصب الافتاء . وهذا
 خطأ واضح جاء من قلة المصادر عن الآلوسي في تونس . انظر ص ١٤٧ .
 (٣٥) غرائب الاغتراب ٢٤ ، ٢٥ . شهوى النغم . ورقة ٧ مخطوطة .
 مكتبة الاوقاف العامة ببغداد تحت رقم ٥٩٣٣ .

الآلowi بعدم السفر ، وتقديم الاعتذار ، ومع ذلك فقد فرح الآلوسي لعزله كثيراً ، لأن الأفقاء قد ضيق عليه أوقاته ، وحال بيته وبين اتمام تفسيره (روح المعاني) فكان أن خلا لتفسيره ، وتوجه إلى اتمامه^(٣٦) . ولم يكتف الوزير بعزله ، بل رفع عنه وقف جامع مرجان ، فعاش الآلوسي عيشة فقر وضنك حتى انه كاد – على حد تعبيره – أن يأكل الحصير الذي تفرض به المساجد^(٣٧) ، ولذلك لم ير بداً من الارتحال إلى استنبول ، لعرض مظلمته على المسؤولين^(٣٨) .

رحلته إلى القسطنطينية :-

يقول الآلوسي في تبرير رحلته (فلم أر بدا من الارتحال خشية ان تعتالي غائلة العيال ، وقلت في نفسي لابد من السفر ، وإن كان قطعة من السقر ، لاعرض حالى وعرىض ما أنا فيه من البالية ، على مراحم الدولة العثمانية ، أبدها وايدها رب البرية ، واتفق على أن تم تأليف روح المعاني ، فقلت نعمت الوسيلة هذه لسفر إلى تلك المعاني)^(٣٩) .

بدأ الآلوسي رحلته الطويلة هذه غرة جمادى من سنة سبع وستين بعد ألف والمائتين^(٤٠) (١٨٥٠ م) بمرافقة الوزير المشير عبدالكريم الملقب من قبل السلطان عبدالمجيد بالنادر ، وكان مشير جند العراق والمحجاز وهو يقول عنه (وبالجملة هو نادر المثال من الرجال ، ما أحسن صحبته وأجل) ورافقه كذلك جماعة من ذوى المناصب العالية^(٤١) . وصل

(٣٦) غرائب الاغتراب ٢٤ ، ٢٥ .

(٣٧) المصدر السابق ٢٥ .

(٣٨) غرائب الاغتراب ٢٥ .

(٣٩) المصدر السابق ٢٥ .

(٤٠) المصدر السابق ٢ ، ٣ .

(٤١) المصدر السابق ٣٩ – ٤٧ .

الآلوي الى الموصل^(٤٢) ، فنزل في بيت محمود افندي العمرى الذى وصفه
بانه فيلسوف الفكر ، وسرعان ما اجتمع حوله علماء الموصل من حبائن وعلى
رأسهم شيخه عبدالله افندي العمرى ، وفي هذا المجلس سُئل عما يقوله
الشيعة في قوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) فاحضر لهم تفسيره
(روح المعانى) فقرأ ما ادهشهم حتى قالوا ما وجدنا هذا في غير هذا
الكتاب^(٤٣) . وبعد يومين خرج من الموصل ووصل الى جزيرة ابن عمر ،
فاجتمع الناس عليه مستبشرین ، وأمطروه بوابل من الأسئلة وخاصة في
التصوف ، فأفاض عليهم بأجوبيه التي تدل على علمه الواسع الغزير^(٤٤) .
ثم سار من الجزيرة حتى وصل الى (آمد السوداء) بعد يومين ، وسئل
هنا ايضاً من قبل مدرسيها المشهورين بين اهاليها عن بعض اقوال البيضاوى
وغيره من المفسرين ، فكان يجيب عنها « جواب عالم خير كالبحر غزير » على
حد قوله ، وأقام في هذه المدينة نيفاً وعشرين يوماً معززاً مكرماً^(٤٥) .
وجاءته دعوة من الوزير محمد حمدى باشا يدعوه اليه في
(ارضروم)^(٤٦) وكانت قد عقدت بينهما الصدقة حينما كان الوزير في

(٤٢) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (بالفتح وكسر الصاد ،
المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الإسلام ، قليلة النظير كبيرة وعظمة وكثرا
خلق وسعة رقعة ، فهي محطة الركبان ، ومنها يقصد إلى جميع البلدان ،
وهي مدينة قديمة الأَس على طرف دجلة و مقابلها من الجانب الشرقي نينوى
• ١٩٥/٨.

(٤٣) غرائب الاغتراب ٥١ ، ٥٠

(٤٤) انظر المصدر السابق ٦٦ - ٩٢ . وجذير ابن عمر بلدة فوق
الموصل بينهما ثلاثة أيام يحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة (البغدادي
صفى) مراصد الاطلاع ١١/٣٣٣ .

(٤٥) غرائب الاغتراب ٩٥ . واما (آمد السوداء) فمدينة من ديار
يذكر ، وهي على غربى دجلة كثيرة الشجر والزرع . المصدر السابق ٩٢ .

(٤٦) ارضروم : ولاية عثمانية في آسيا تحتوى على اعظم قسم من

بغداد في معية (علي رضا باشا) فأستقبل هنالك استقبلاً عظيماً، وأخذ عنه كثير من فضلاتها، فاجاز غير واحد من العلماء في مجالس مشهورة وبقي في هذه المدينة نحو خمسة وعشرين يوماً، ثم رافقه الوزير المذكور إلى محل ولادته بلدة (سيواس)^(٤٧) واجتمع الآلوسي هنالك بطائفة من العلماء الفضلاء، وبقي خمسة أيام^(٤٨) ثم خرج من عند الوزير بعد أن انقل ركابه ببره حتى وصل إلى مدينة (توقات) ولم يمكن فيها إلا ليلة واحدة مما رأى من أهلها من دناءة الخلق، وكثرة السقط، وقلة العلم^(٤٩).

وتوجه الآلوسي بعد ذلك إلى مدينة (سامسون)^(٥٠) ومنها ركب البحر الأسود متوجهاً إلى الاستانة وقاسى من أحوال البحر ما قاسى فوصل إليها بعد أربعة أيام، فنزل في بيت «حمدي باشا» ثم قابل شيخ الإسلام السيد (أحمد عارف حكمت) فقدم إليه التفسير فأوصاه بمقابلة الصدر الأعظم (رشيد باشا) فقابلها، واعجب بوقار عقله، وحسن أخلاقه، ثم انزله في دار الضيافة، واتصل بكثير من أصدقائه المخلصين، فدافعوا عنه فصدر الأمر بمكافأته ورد نصف أوقاف المرجان إليه^(٥١).

ارمينيا العثمانية تحدوها شمالاً طرابزون وشرقاً إملاك روسيا وبلاد فارس وجنوباً كردستان وغرباً بيراس منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ٢١٦/١

(٤٧) سيواس : بكسر السين وسكون المثلثة التحتية وفتح الواو وبعدها الف وسین مهملة (غرائب الاغتراب) ١٠٠

(٤٨) غرائب الاغتراب ٩٦ - ١٠٠

(٤٩) المصدر السابق ١٠٢ وفي نفس الصفحة (توقات) بضم المثلثة من فوق وسكون الواو وفتح القاف ثم الف وتأء مثناء الأولى بلدة صغيرة في الروم من الخامس في لحف جبل من تراب أحمر

(٥٠) وهي بالسين مهملة ثم الف وميم وسین ثانية وواو ونون مدينة من السادس من سواحل الروم غرائب الاغتراب ١٠٤

(٥١) غرائب الاغتراب ١٢٧ - ١٣٢

ومن التقى بهم من كبار رجال الدولة (محمد علي باشا) صهر السلطان محمود خان ، ومشير جند المسلمين والوزير المشير (احمد فتحي باشا) الصهر الأول للسلطان محمود ، وكان معجبا به ايمانا اعجاب ، يمدحه بين الخواص والعام في استنبول حتى نال شهرة كبيرة (٥٢) ، وللمشير (محمد باشا سرعسکر) الذي ابلغه عن احوال العراق في زمانه ما جعله يضرب راحا على راح ، والمشير (رفعت باشا) رئيس مجالس الاحكام ، و (عالي باشا) مشير الخارجية ، والمشير (علي علي باشا) المستشار (فؤاد افندي) وآخرون غيرهم (٥٣) . وقد أجاز في العلم (رضا افندي) أحد أعضاء مجلس الاحكام (٥٤) . وقابل من العلماء (عارف افندي) قاضي عسكر روم ايلي و (احمد شكري افندي) و (توحيد افندي) القاضي السابق في مكة المكرمة و (شهرابي سيد حافظ افندي) و (ذا الجناحين يحيى افندي) وغيرهم (٥٥) .

لقي الآلوسي حفاوة بالغة في كل مكان ، حتى خيل إليه أنه ليس هو الذي كان بغداد ٠٠

وقد سجل هذا في الكتاب الذي أرسله إلى صديقه الشاعر عبدالباقي العمري بقوله (فكر مرتون عنني ، وكم وكم راوعني ، ولا أكاد أسمع في المدارس والمعانوي سوى قال الآلوسي في روح المعانوي) (٥٦) . ومن أجله هذه المكانة العلمية الرفيعة اقتربوا عليه البقاء في استنبول والحواف عليه في ذلك ، وأردوا أن يعرضوا المسألة على السلطان عبدالمجيد ، إلا انه رجاهم ألا يفعلوا ، وكان يخشى كثيرا من مواجهة السلطان خوفا من ان يطلب إليه

(٥٢) المصدر السابق ١٣٥ ٠

(٥٣) غرائب الاغتراب ١٣٦ - ١٣٩ ٠

(٥٤) المصدر السابق ١٤٦ ٠

(٥٥) المصدر السابق ١٦٠ - ١٧٥ ٠

(٥٦) المصدر السابق ٢٢٥ ٠

البقاء ، وهذا هو السبب الذي جعله يتصل من مواجهته ويسرع في الرجوع
الى الآلوسي نظرة الوداع على ربع اسطنبول ثم ذهب الى الصدر
الاعظم فودعه ، وزار شيخ الاسلام فاهداه ساعة واحسن توديعه (٥٨) .

ثم ركب الى (سامسون) والتقي في السفينة بالمشير سليم باشا والى
(شهرزور) ومصطفى ظريف باشا والى (أرض روم) ثم مر في طريقه
بالمدن التي مر بها في رحلته وبخرى غيرها ، فاجتمع كلمرة الاولى بعلمائها ،
وكان موضع ترحاب الجميع (٥٩) .

وصل الآلوسي الى بغداد يوم الخميس ١٥ من ربيع الاول سنة
(١٢٦٩ هـ - ١٨٥٢ م) فقاطر عليه العلماء والادباء ، يرحبون بمقدمه ،
وتبارى الشعراء في انشاد القصائد في مدحه والترحيب به . يقول الآلوسي
(وأسرعت سحرة شعراء بابل باسرهم الى تقديم حبال نظمهم وعصى نثرهم
فقدموا ما لو رأته العصا الموسوية ، لجعلت تهتز به عجباً كأنها جان ، ولو
شاهدته الرهبان العيساوية ، لاوشكت ان تقول وحرمة الانجيل هذا قبس
من معجزة القرآن) .

ومن هذه القصائد الرائعة قصيدة الشاعر عبدالباقي العمري التي يقول
فيها :

أعيدت الى الزواراء روح معانيها فكادت بشراها تفوه مغانيها
وردت اليها الشمس مشرقة الضيا ومن حكمة الاشراق نالت اماميها

(٥٧) المصدر السابق ٤٣٨ - ٤٤٠ . وبهذا يظهر خطأ الشيخ محمد
الفاضل بن عاشور عندما ذكر في كتابه (التفسير ورجاله) أن الآلوسي
اجتمع بالسلطان عبد المجيد . انظر ص ١٤٨ .

(٥٨) المصدر السابق ٤٤٠ .

(٥٩) نشوة المدام في العود الى مدينة السلام ٦ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٩٨ .

وفاقت الكرخ الرصافة بالهنا
 ودجلة قد سالت بصفو تهانيها
 وقد شملت أرض العراق مسرأ
 فعمت افاصيها وخضت أدانيها
 وأسيغارها عن رقة السحر قد روت
 كما قد روت عنها لحاظ غوانيها
 وفي الروضة الغباء غنت حمام
 فاطربنا ترجيع لحن أغانيها
 بأواب شهاب الدين محمود سيره
 مروقة تحكي الطلا في برانيها
 بتشريف مولانا الأجل أبي الثنا المقرئ من أم الكتاب مثانيها
 كسا حمرة التوريد وجنة عصره
 وأحسن أنواع الملاحة قانيها
 فكم من يد فيها لروحى راحة
 بمقدمه كف الزمان جبانيها
 لي الله من ساعات غيته التي
 دقائقها أيام حسر ثوانيها
 فكاهته منها العقول كم اجتنبت
 ثمارا بأيدي الفكر طابت مجانتها
 كما بالقوافي الغرفت ابن هانيها^(٦٠)
 بروح المعاني فضلها ملأ الملا
 فيما الكون الا من صغار أوانيها
 وفازت بلاد الروم منه بحضوره
 عطارد يخشى في العل أن يدانها
 وأحى عميم الفضل في عرصاتها
 وشاد باحياء العلوم مبانها
 وعاد ولا عود للهزبر لغابة
 برفة شأن أرغمت أنف شانها^(٦١)
 ومنها قصيدة طويلة للشاعر عبدالغفار الرايس يقول فيها :

يمينا برب النجم والنجم اذ يسري
 ومن انزل الآيات من محكم الذكر
 لقد اشرقت بغداد منذ أتيها
 كما تشرق الظلماء من طلعة البدر

(٦٠) ابن كمال : العلامة شمس الدين احمد بن سليمان المتوفى سنة
 ٩٤٠هـ له تصانيف لغوية . العزاوى (تاريخ الادب العربي في العراق)
 ٨٥/١

اما ابن هانيء : فهو الشاعر الاندلسي المشهور (٣٢٠ - ٣٦٢هـ)
 اشعاره المغاربة على الاطلاق . الزركلى : قاموس الاعلام ٣٥٤/٧
 (٦١) الترياق الفاروقى - ديوان عبدالباقي العمري ٣٥٨

فراحت كما راحت خميلة روضة سقتها الغوادي المستهل من القطر
· وما سرها شيء كمقدمك الذي يبدل منها صورة العسر باليسير^(٦٢)

وكانت لرحلة الآلوسي نتائج خطيرة بالنسبة إليه ، وبالنسبة إلى العلم
والأدب . أما بالنسبة إليه فقد كانت رحلته فرصة لتجديد المحبة مع معارفه
من الوزراء والقضاة والمحظى الذين شهدتهم في بغداد ، ومع أصدقاء والده
ومعارفه . وكان هؤلاء جميعاً يتنافسون في استضافته ، ويتقاطرون للسلام
عليه . وكان النساء الآلوسي ب الرجال آخرين من العلماء وأولى الفضل من
الوزراء فرصة كبيرة للتعرف عليهم ، والاتصال بهم ، فعرف هؤلاء فضله
العظيم ، وعلمه الغزير ، وذكاءه الخارق ، فأخذوا يتحدثون عنه في كل
مكان مما أدى إلى اشتئار أمره ، وانتشار تفسيره بين الناس .

ثم ان الآلوسي اطلع على حقيقة أوضاع الأمة الإسلامية ، وأخلاق
رجالها ، ووضع علمائها ، وشوؤن مدارسها وجواب قوتها وضعفها ،
والمشاكل التي كانت تعانيها ، مما نراها مبسوطة في كتبه في الرحلات .

أما العلم والأدب فقد ظفرا منه ثلاثة كتب في هذه الرحلة الممتعة هي
غرائب الاغتراب ، ونشوة الشمول ، ونشوة المدام . وستتعرف على هذه
الكتب وقيمتها الأدبية عند الكلام عن تراث الآلوسي .

وفاته :-

وفي أثناء رجوع الآلوسي من اسطنبول إلى بغداد ، أمطر في منطقة
الزاب بين أربيل وكركوك ، وهما مدستان بين الموصل وبغداد ، حتى ابتلت
ثيابه ، فاعتبرته الحمى ، وشفى منها ، ولكنها كانت تعاوده بين الحين والحين
حتى انحل جسمه ، واشتد المرض حتى صام رمضان على هذه الحالة ، فلم

(٦٢) الطراز الانفس - ديوان عبدالغفار الآخرس ١٨٩ .

يقدر على القيام والقعود ، والركوع والسجود ، فحضرته الوفاة يوم الجمعة
 بعد أن صلى بaimاء الظهر ، وكان اسم الله على لسانه يلهج به ولم يتلاعث حتى
 صباح السبت ، فعرجت روحه في الخامس والعشرين من ذى القعدة من
 سبعين ومائتين وalf ، وتولى غسله أجل تلامذته العالم محمد أمين أفندي
 الشهير بالواعظ ، وكان يوم موته عظيماً اشتراك في جنازته خلق كبير ،
 فصلت عليه جماعة عظيمة من الحنفية ، ثم صلت الشافعية . وفي أغلب المدن
 الإسلامية صلوا عليه صلاة الغبة . وقد اختلف الأطباء في دائه ، فمنهم من
 قال انه فالج ومنهم من قال ازداد الدم فاحترق ، ومنهم من قال هو استرخاء
 في العصب ^(٦٣) .

وأخذ الشعراء يكتونه أحر بكاء ، وينشدون في رثائه القصائد الكثيرة ،
 منها قصائد لصديقه الشاعر عبدالباقي العمري التي يقول في احداها :

قبر الشهاب أبي الشا كنز الدقائق والحقا بل كعبة من حولها روح المعاني يوم ما يد الأسى ورق المصاحف فلتكمه الأقلام ولتندب فضائله الصحائف لا زال يستقي قبره وبجنة الفردوس يكسى من رضا أنسى مطاراتف	محمود زخار العسوارف ئق والرفائق واللطائف أبداً حبيح الفضل طائف ت بكت بادمعها الذوارف وعلىمه شقت جيهما فلتكمه الأقلام ولتندب فضائله الصحائف غيث بوبيل الطف واكف من سندس ابهى ملاحف قبضت جهابذة غطاراتف ^(٦٤)
--	---

(٦٣) حديقة الورود ٢٦٣/٢ . أريج الند والعود ٥ . المسك الاذفر

(٦٤) الترائق الفاروقى ٣٩١ .

ومنها ما قاله الشاعر عبدالغفار الآخرين :

الله يعلم والأنام شهود
كان الامام به الائمة تقدى
ظلا على الاسلام كان وجوده
ففقده في كل قلب لوعة
فروال ذاك الطود بعد ثباته
هيئات يرفع للمدارس بعده
سمط الفضائل والقواضل كلها
أسد من الآسود يصرعه الردى
عجب من ضاق الفضاء بعلمه

ان الذي فقد الورى لفريد
فله الهدى ولغيره التقى
حتى تقلص ظله الممدوه
ولذكره فى حمده تردید
ينيك أن الراسيات تيد
علم ويورق بالمكان عود
تنرت عليه من الدموع عقود
ومن الرجال بهائم واسود
أنى حوتة من القبور لحود^(٦٥)

ومنها قصيدة المشاعر حسين الطاطبائى آل بحر العلوم يقول فيها : -

وزادني شجنا ناع نعى قمرا
فأى بدر غدا بالرغم من خسفا
وأى طود ثوى في رمسه فلقد
احيا مدارس علم بعدما اندرست

بالفضل مشتهر يا ليته خرسا
وأى نجم هو في الترب منظمسا
أمى لعمري بالطف الله متresa
وعندما مات مات العلم واندرست^(٦٦)

وترثى الآلوسي من بعده خمسة أولاد :

١ - عبدالله بهاء الدين : ولد سنة (١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م) فرأى العلوم العقلية والتقلية على والده وعلى علماء بغداد بعد وفاته ، اشتغل مدرسا في بغداد ، وalf كتابا في علم النحو سماه (الواضح) وشرح كتاب التعريف في الأصولين والتصريف لابن حجر الهيثمي ، وله متنان في علم المنطق والبيان .

٦٥) الطراز الانفس ٩٣ .

٦٦) أربح الند والعود ٦ .

وكان ورعاً تقىاً ، مات فجر يوم الثلاثاء ٣ شعبان سنة (١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م) دفن بجوار الجنيد البغدادي *

٢ - عبد الباقى سعد الدين : ولد يوم الجمعة صفر ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) درس على والده وعلى غيره من العلماء ، كان عالماً ولف عدة كتب ، تقلد مناصب قضائية مهمة ، توفي سنة (١٢٩٨ هـ - ١٨٧٤ م) *

٣ - نعمان خير الدين : ولد يوم الجمعة ١٢ محرم الحرام سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) . أخذ العلم عن والده ، ومن اجلة تلامذته ، برع في العلوم وسافر إلى إسطنبول واجتمع بالعلماء والكبار وانعم عليه السلطان ، له كتب ومؤلفات قيمة عديدة ، توفي سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) *

٤ - محمد عاكسف : ولد سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) درس على أخوه ، وله بعض المؤلفات توفي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) *

٥ - أحمد شاكر : ولد سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) ومات سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) *

أساتذته وشيوخه :-

أما أساتذته وشيوخه فهم (٦٨) *

١ - الملا حسين الجبورى : درس عليه القرآن الكريم دراسة جيدة ، وكان رجلاً تقىاً صالحًا ، وكان مقىماً في مسجد سوق حمادة *

(٦٧) المصدر السابق ٧ - ١٠ + المسك الأذفر ٣٨ - ٥٨ + ذكرى أبي الثناء ٩٤ - ٩٥ +

(٦٨) كان في نية الآلوسى أن يمؤلف كتاباً مفصلاً عن أساتذته وشيوخه ، غرائب الاغتراب ٢٠ ، بل كان يفكر في تأليف كتاب في ترجمة رجال العراق في القرن الثالث عشر كما يصرح في كتابه إلى شيخ الإسلام عارف حكمت . حدائق الورود ٢١٨/٢

٢ - والده السيد عبدالله أفندي : درس عليه علم العربية وفقهها الشافعية والحنفية ، وكتبا في الحديث ، ورسائل في المنطق ، ومن الكتب التي درسها عليه الاجرومية والفيقہ بن مالک ، وحفظهما ، وغاية الاختصار في فقه الشافعی ، والمنظومة الرحيبة في علم الفرائض ٠

٣ - السيد علي بن السيد احمد : كان ابن عمہ ، قرأ عليه شرح القوشي للرسالة الوضعية العضدية ، فوقف على مضمراتها وشاراتا الخفية كما قرأ عليه حواشیها^(٦٩) ٠

٤ - عبدالعزيز أفندي شواف زاده (المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ - ١٨٣٠ م) قرأ عليه حاشية الفاضل مير أبو الفتح على الرسالة الوضعية العضدية مع حواشی اخری لها ، وهذه الرسالة هي في علم الوضع ٠ وكذلك قرأ عليه آداب المسعودي وعبداللطيف في علم آداب المنازرة ، وشرح السراجية في الفرائض للسيد الشريف الجرجاني ، وكتبا ورسائل اخری ٠ وكان شيخه هذا عالمة فاضلا مشهورا بعلم العربية حتى سمي بسيويه الثاني وكان متواضعا يجري مع الحق ، يقول عنه الآلوسي (ما رأيته غلط في جواب) والذي لا يعرفه يسكت عنه^(٧٠) ٠

٥ - السيد محمد امين بن السد علي الحلي : المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) قرأ عليه شرح الوضعية لمولانا عصام في علم الوضع ، وكان فصيحا مولعا بنقل الغريب ، قال عنه الآلوسي لا يبالي أيخطئ أم يصيب ، وقد كثر لغطه فكثر غلطه مع أنه أذكي من ايس^(٧١) ٠ والظاهر من هذا الكلام أن هذا الشيخ كان متھورا لم يصبر على اتقان العلوم ، ولم يستعمل

(٦٩) غرائب الاغتراب ٥ ، ٦ ٠

(٧٠) المصدر السابق ٧ ٠

(٧١) المصدر السابق ٨ ٠

ذكاءه في هذا المجال بدليل أن الآلوسي ذكر أنه درس على شيخه علاء الدين الموصلي ولم يصبر على أخلاقه ، ففاته بذلك الاستفادة منه^(٧٢) .

٦ - علاء الدين على أندى الموصلي : من أسرة علم في الموصل ، كان أول مدرس في مدرسة عاتكة خاتون الكيلانية في بغداد ، له مؤلفات كثيرة^(٧٣) . قال الآلوسي (ولم أزل أقرأ عنده ، واستنسق شيخه ورئيشه أن تخرجت به ، وتأدب بأدبه)^(٧٤) وكان استاذه هذا قاسي الطبع ، لا يتحمل منه الطلبة ، وكان تلامذته قليلين لذلك ، غير أن الآلوسي الذي عرف كيف يستغل هذا الكنز صبر على أخلاقه . وتأدب معه غاية الأدب ، وكان شيخه هذا شاعراً مجيداً ، روى له الآلوسي قصائد في الفخر والشكوى والتضوف^(٧٥) ، ولقد حبس الآلوسي نفسه على شيخه هذا أربع عشرة سنة ، وأكمل المادة عليه ، فاجازه بما تجوز له روايته ، وصحت لديه درايته ، أي انه اجازه في العلوم النقلية والعقلية^(٧٦) .

ولقد رأيت في نهاية كتاب (شرح القاضي في المحكمة) و (حاشية الاري) ما يلي بخط الآلوسي (قد فرأته القراءة الطيبة ، وأستواعت مباحثه

٧٢) المصدر السابق ٨ .

٧٣) تاريخ الأدب العربي في العراق ٤٨/٢ .

٧٤) يروى الآلوسي انه كان قد بلغ شغفه بالعلم اوجه ، فسئل شيخه يوماً سؤالاً من شرح الرسالة الوضعية للمولى عصام فلم يجبه ، ولم يتم كما يقول في تلك الليلة . لانه لم يحصل على الجواب ، ثم ان شيخه أبلغه الجواب في اليوم الثاني ، فاستحسنها واعجب بها ايماناً اعجب ، ثم علم أن شيخه قد ذهب إلى العلامة علاء الدين الموصلي ، فسألته وأخذ عنه الجواب المذكور ، ومن يومه توجه الآلوسي إلى شيخه علاء الدين . حدائق الورود ١١/٦ - ١٤ .

٧٥) غرائب الاغتراب ٩ - ١٥ .

٧٦) مقامات ابن الآلوسي ٢٤ - ٢٥ .

الشريفة لدى كلمة العين ، ومصلح الشين ، ذى الاشارات العلية ، والتلويحات الشهابية ، مواقف المنشول ومقاصد المعقول شيخي واستاذي ، وسيدي وملادي ، علاء الملة والدين ، وامام الاسلام وال المسلمين علي افندي بن يوسف افندي الموصلي الحنفي المدرس ، والله تعالى الحمد والفضل ، وكان هذا في سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م)^(٧٧) .

٧ - ضياء الدين الشيخ خالد النقشبendi : كان شيخ طريقة النقشبندية الصوفية ، عالماً كيرا ، حريصاً على سلوك أهل السنة والجماعة ، قرأ عليه الآلوسي مسألة الصفات ، وأخذ عنه التصوف ، فأمره بالاشتغال بالعلم ، وضمن له أن لا يحرم من بركة الطريقة . قال عنه الآلوسي (هو صاحب الاحوال الباهرة ، والكرامات الظاهرة ، والانفاس الطاهرة ، الذي تواتر حديث جلالته ، واجمع المنضفون على ولائه)^(٧٨) توفي في دمشق الشام سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) وجزع لوطه المسلمون في كل مكان^(٧٩) .

٨ - الشيخ علي السويدي : كان سلفي العقيدة ، عالماً بالسنة يقول عنه الآلوسي (ما رأيت أكثر منه حفظاً ، ولا أعنده منه لفظاً ، ولا أحسن منه وعظاً ، ولا أقصح منه لساناً ، ولا أوضح منه بياناً ، ولا أكمل منه وقاراً) قرأ عليه (شرح النخبة) للمحدث ابن حجر العسقلاني . يقول (وقد أوقفني على جميع اجازاته واجازني كاولاده بجميع مروياته) توفي في دمشق سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢١ م)^(٨٠) .

(٧٧) الكتابان مجموعان في مخطوطه واحدة تحت رقم ٦٤٥٠ في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد .

(٧٨) غرائب الاغتراب ١٧ .

(٧٩) المصدر السابق ١٨ .

(٨٠) غرائب الاغتراب ١٥ - ١٧ .

- ٩ - الشيخ يحيى المزوري العمادى^(٨١) . كان اماما عالمة فاضلا معروفا بين أهل زمانه ، معلولا عليه في مذهب الامام الشافعى . قال الآلوسي (اجازني بما تجوز له روايته ، وصحت لديه درايته)^(٨٢) . وهي علوم التفسير والحديث والفقه والعلوم الآلية . وجميع العلوم العقلية والنقلية وقراءة القرآن والصلوة والاذكار والاوراد كما تلقاها من استاذته^(٨٣) .
- ١٠ - عبدالله افندي العمري : أخذ منه قراءة ابى عمرو وقراءة ابى كثير ، وقراءة نافع ، توفي سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٦٤ م)^(٨٤) .
- ١١ - الشيخ المحدث عبدالرحمن الكزبرى : أجازه إجازة طويلة من الشام بسانيد كاملة للعلوم التي تلقاها ، العقلية منها والنقلية ، توفي سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م)^(٨٥) .
- ١٢ - الشيخ عبداللطيف بن عبدالله المقفى : أجازه في العلوم العقلية والنقلية ، مع ذكر اسانيده في جميع هاتيك العلوم الى كبار علماء الاسلام ، توفي سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)^(٨٦) في بيروت .
- ١٣ - شيخ الاسلام العالمة احمد عارف حكمت (١٢٠٠ - ١٢٧٥ هـ) (١٧٨٥ - ١٨٥٨ م) ارتقى المشيخة في عاصمة الخلافة سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) ، والتلى به الآلوسى في اسطنبول وضمتهم جلسات علمية كثيرة ، طلب منه الآلوسى أن يحيزه فاجازه بما عنده بسانيد كاملة ثم طلب هذا من الآلوسى أن يحيزه بما عنده فاجازه^(٨٧) .

(٨١) محمد امين زكي - مشاهير الكرد والكردستان ٢٢٢/٢

(٨٢) غرائب الاغتراب ١٨ ، ١٩ ،

(٨٣) حديقة الورود ١/٢٠٥

(٨٤) نشوة الشموط ٧

(٨٥) غرائب الاغتراب ١٩ . حديقة الورود ١/٢١٩ - ٢٠٥ . قاموس الاعلام ٤/١١٠

(٨٦) حديقة الورود ١/٢٢٠ - ٢٣٥ . قاموس الاعلام ٤/١٨٣

(٨٧) غرائب الاغتراب ٢٧٦ - ٢٩٧ . قاموس الاعلام ١/١٣٨

ثقافته واتجاهاتها :-

كانت ثقافة الآلوسي ذات اتجاهات عدة ، هضمنها درسا وبحثا وتمحیضا على ايدي استاذة مهرة ، وشيخ اجلاء ، كانوا - كما رأيت - معروفيين بعمق ثقافتهم ، وطول الاباع في فنهم ، وكان يعرف كيف يختار هؤلاء ، ثم يتصل بهم ، ويأخذ عنهم بوعى وادراك من كزین ، وكانت ثقافته هذه عبارة عن العلوم النقلية من اللغة وفروعها والتفسير والحديث والفقه والاصول ، والعلوم العقلية من المنطق والفلسفة والهيئة والكلام لقد درس الآلوسي عند شيوخه الكتب المتداولة المعتبرة عندهم ، أو ما نسميها اليوم بالكتب المدرسية ، والتي كانت تدرس في اکثر مدارس البلاد الاسلامية وخاصة في العراق ، ثم التفت الى كتب اخرى كثيرة مؤلفة في هذه الموضوعات فاشبعها قراءة وفهمها ، والذى يطلع على اجازاته التي اعطتها للامذته وكثير من العلماء ، يتبيّن له صدق هذا الكلام .

ان الذى نقرؤه في تلك الاجازات يدل على انه لم يبق على كتاب من تلك الكتب الكثيرة المهمة لم يقرأه ، ولم يجز بروايته من قبل كبار علماء عصره ^(٨٨) ، كما يشهد على ذلك تفسيره الضخم وتراثه الغزير ^(٨٩) .

ولم تقف ثقافة الآلوسي عند حدود العلوم التي كانت تدرس في المدارس ، والمعارف التي كانت متداولة في بلاد الاسلام في عصره ، وإنما تجاوزتها إلى ما استجد من العلوم في عصره ، وخاصة في اوربا على الرغم من ضعف العلاقات الثقافية والحضارية بين الشرق والغرب حينئذ ، والقاريء لتفسيره وكتبه يمر على كثير من المقررات والمفاهيم التي توصل إليها العلم الحديث والتي يعرضها الآلوسي معجبا بها احيانا وناقدا لها احيانا

(٨٨) غرائب الاغتراب ٢٧٦ - ٢٩٧ .

(٨٩) راجع فصل (تراثه) وفصل (مصادر ثقافته) .

وقد دفعته ثقافه الحديثه الى ان يفكر في تأليف كتاب يقارن فيه بين علم الفلك (الهيئة) قديماً وحديثاً^(٩١) . ولو لم يكن مطلعاً اطلاقاً كافياً على نظريات الفلك الحديثة في عصره لما فكر في خوض مثل هذا البحث العلمي .

وهناك رايد آخر من رواد ثقافة الآلوسي يمثل اتجاهه الأدبي . فقد كان الآلوسي شاعراً كما ستبين لنا عند الحديث عن شعره ، وكان ناثراً اديباً كبيراً كما تدل عليه كتبه الادبية من مقامات ورحلات . ولم تكن الدراسات الأدبية وقراءة الدواوين الشعرية ضمن المنهج المقرر المتداول في زمانه بين العلماء ، وإنما كانت تستند أولاً على المطالعات الشخصية ، والواضح من مجموع مؤلفاته أنه اتعب نفسه كثيراً في مثل هذه الدراسات . وهو يأسف كثيراً لأنها في بعض البلاد اثناء رحلته إلى اسطنبول لم يجد كتاباً أدبياً يقرأ فيها ، فهو يقول (ولا وجدت عندهم كتاباً أدبياً ارتع في حدائقها ، واستمع مادمت بين ظهرينيهم بصفتها ورائتها ، واسرح طرف الطرف في طرفها ، واتلذذ بمآدب ميسوطها ، وفواكه تفتها ، فبقى طائر قلبي في قفص الحسيرة حبساً^(٩٢) .

ان اسلوبه الأدبي الرشيق ، واطلاعه الواسع على فقه اللغة العربية ، ومعرفته الجيدة بالأدب العربي واتجاهاته ، وتطوره عبر العصور لغير شاهد على ما نقول ، فهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي ، غواص في معانيه .

(٩٠) روح المعانى ١١٨/٨ . ٢٣٩/٢٤ . ٢٣٩/٢٣ . ٢٩/١٥ . ٢٣٩/٢٤ . ٦١ -

(٩١) روح المعانى ٢٣٩/٢٣ .

(٩٢) غرائب الاغتراب ٩٦ .

يستخر جها عندما يحتاج اليها ، بمناسبة كلامه على موضوع من الموضوعات .
وهذه الاحكام التي نقررها هنا ستبقى عامة الى ان ندرس تراث الرجل في
الفصل التالي ، وعندما ستتعدد هذه الاحكام بالأدلة والشاهد من كتبه التي
تمثل تراثه الأدبي .

اما ثقافة الصوفية فقد اتصل بها عن طريق دراسة كتب كبار رجالاتهم ،
واللمندة على شيخ فاضل من شيوخهم وهو (مولانا ضياء الدين خالد
النقشبendi) المار ذكره .

ان اجوبة الآلوسي المدونة في كتابه (غرائب الاغتراب)^(٩٣) وما
يتطرق اليه في كثير من كتبه وخاصة تفسيره خير دليل على تعمقه في
التصوف نظريات ورموزا ، ورياضة وسلوكا^(٩٤) .

وللآلوي اطلاع واسع على التاريخ العام ، والتاريخ الخاص بالعلوم ،
كما يدل على ذلك شرحه للآيات من سورة آل عمران وغيرها ، وكذلك
ابحاته المتعددة المنشورة هنا وهناك في بعض كتبه^(٩٥) .

وكان مطلعا ايضا على آخر ما وصل اليه علماء الجغرافية في عصره ،
ونجد ذلك واضحا في كتابه^(٩٦) .

اما دراسته للأديان والملل التي كانت قبل الاسلام فدراسة عميقة
متبصره ، يظهر ذلك واضحا في كل ما كتبه في تفسير الآيات التي تتحدث
عن أهل الكتاب ، فقد كان في نيته تأليف كتاب يتضمن تحريرا اعتقدات
النصارى في الواجب تعالى وذكر شبهم العقلية والنقلية التي يستدلون عليها

٩٣) ص ٧١ - ٩١

٩٤) راجع موقفه من التصوف في الفصل الثاني من الباب الثاني
من هذا الكتاب .

٩٥) روح المعانى / ٣ الفيض الوارد ١٤٢ - ١٤٣ ، ٢٥٣ -

٢٥٨

٩٦) الفيض الوارد ٢٠٧ - ٢١٤

ويعولون في التشكيت عليها حسبما وقف عليه في كتبهم مع ردها على أكمل وجه^(٩٧) .

وكان الآلوسي على معرفة حسنة باللغة الفارسية ، وهي معرفة هيأت له الاطلاع على ما كتب فيها من ادب ، وما دون فيها من رسائل مشهورة في التصوف ، وهو يستشهد أحياناً في تفسيره بآيات فارسية في الموضوع الذي يعالجـه .

وكان الآلوسي صاحب ثقافة اجتماعية واسعة ، اكتسبها من تجاربه الذاتية ، وعلاقاته الاجتماعية ، وتجواله أيامه وشهروراً بين المدن والقرى ، وهي ثقافة طبعته بطابع خاص ، ينعكس على ما كتب في أمور الناس في مختلف ما كتب وخاصة في مقاماته ورحلاته .

وان الآراء الاجتماعية ، والنظارات السياسية ، وحكمته على الرجال التي دونها في هذه الكتب تشكل مادة للمؤرخ والعالم الاجتماعي عند دراسة الفترة التي عاش فيها من حياة العالم الإسلامي وسوف تتضح ثقافة الآلوسي واتجاهاتها أمامنا عندما نتكلم عن تراثه .

شخصيته الاجتماعية والعلقانية :

لم تكن شخصية الآلوسي شخصية عادية ، وإنما كانت شخصية عقريـة ، فلقد كان ذكياً ذكاءً حاداً . استطاع أن يدقق ويتحقق ، وبهضـم المـعارف الإنسانية في عصره هضماً عجـياً ، وظهرت عليه علامـات النجـابة منذ الصغر ، ولم يبلغ العشرين من عمره حتى كان قد تعمـق في العـلوم المختلفة ، واحتـاط بـتفسير القرآن الكـريم احـاطة شاملـة ، هـيـاً ليـكون من كـبار المـفسـرين^(٩٨) . وانـه من الغـريب حقـاً أن نـرى شـابـاً في العـقد الثـانـي من عمره

٩٧) روح المعانـى ٣٠/٢٧٧ .

٩٨) المصـدر السـابـق ١/٣ .

يبرز بمثل هذه القوة ، ثم يتسلم مقاليد العلم والتدريس في مدارس عدة كانت جامعات بعينها في مجتمع كثُر فيه رجال من الشيوخ ، ثم يرتفع فوقهم جمِيعاً ، يشق الطريق وحده ، وينبئ لنفسه أعظم الامجاد والانتصارات العلمية ، ويفرض نفسه على أعلى الرتب الدينية والدنيوية ، فيعين مفتياً في بغداد من قبل وزير سجنه من قبل وأراد قتله ، وكان يكرهه أشد الكراهة ، إلا أنه لما تبين له علمه الغزير ، وبيانه العذب ، ووقاره المهيب ، وآيمانه القوى ، ووعظه المؤثر تراجع خاشعاً أمام جلال الموقف معترفاً بذنبه ، واضعاً الآلوسي في مكانه الذي يجب أن يوضع فيه ، متخدًا منه أخلص صديق ، وآنس جليس .

إن عقرية الآلوسي ، وشخصيته القوية جلبت عليه الاحقاد والحسد ، فعندما يعين مدرساً في مدرسة الحاج نعمان الپاجهچي وهو شاب في مقابل حياته ، تتأجج نيران قلوب أعدائه عليه ، فيضطر إلى الخروج منها^(٩٩) .

ويمر الآلوسي بتجربة قاسية بعد ذلك ، فقد بدأ جمع من العلماء يدسون عليه بعض الأقوال للايقاع به ، فقد اجمع (عبد الله افندى) مفتى الشافعية ، و(محمد اسعد افندى) مفتى الحنفية ، ومحمد افندى الكركلي الشهير بـأبن النائب أمرهم فذهبوا إلى الوزير داود باشا ، فشكوه إليه ، وقالوا أنه يسب العلامة ابن حجر ، ولكن الوزير العالم رد لهم ، وقال لهم إن أبن حجر من أكابر الشافعية والآلوسي شافعي المذهب ، فكيف يصح أن يسبه ؟ — ولم يتركوه بعد ذلك ، وإنما حاولوا النيل منه بين الناس^(١٠٠) . يقول الآلوسي (ثم انه بلغنى أن القوم لم يتركوا أمرى ، وإنهم لا يزالون يتاجون فيما يتوصلون به إلى ضرى ، فخرجت اشتمم الخبر خشية ان يفاجيني

(٩٩) غرائب الاغتراب ٢٠ .

(١٠٠) مقامات ابن الآلوسي ٢٨ - ٣٠ .

الضرر ، فشمت من انفاس افواه الناس جيفة^(١) ٠ ولما سقط داود باشا ، وجاء على رضا باشا اللاز ، تنفس هؤلاء الصعداء ، وبدأوا يوغردون صدر الوزير عليه ، ويزينون له قتله بحججة انه من اعون داود باشا ، فحاربه الوزير ، وأخذ منه وظائفه ، ثم سجنه كما مرّ بنا سابقاً ٠ ولما عرف الحقيقة احبه وقربه ، وعينه مفتياً في بغداد وعمره لم يتجاوز الثانية والثلاثين ، ففقد هؤلاء عليه اكثر ، الا انهم اخروا حقدتهم ، ولم يستطعوا أن يؤذوه طيلةبقاء الوزير علي رضا في بغداد ، ولكنهم كانوا يلحوظون إلى طرق أخرى للنيل من شخصيته امام الوزير ، فلقد كان يصادف أن يتطرق جماعة على لغز علمي معين ، فيدسوه على الوزير على رضا ليسأل الآلوسي عنه أمام الناس ، حتى إذا لم يستطع أن يجيب نزل قدره ، وشمت به الاعداء ، ولكنه كان حاضر الجواب دائمًا^(٢) ٠

ان اعداء الآلوسي لم يضعوا اسلحتهم عن محاربته ، فعندما عزل الوزير علي رضا وجاء الوزير محمد نجيب باشا ، استغلوا الفرصة ، وزوروا على الآلوسي عند الوزير الجديد ، فحاربه هذا - كما مرّ بنا - محاربة شديدة ، وذلك بعزله من الافتاء ، واحد او قاف المرجان منه ، ثم انهم لم يتربّكوا حتى في غيته عن بغداد ، وذهبوا إلى اسطنبول تخلصاً من ملاحقهم ، وعرض مظلومته على المسؤولين هناك ، فلقد كتب إليه الشاعر عبدالباقي العمري ان بعض علماء الاكرااد يهوشون عليه ، وبنالون من سمعته ، فتأثر الآلوسي أشد التأثر ، نلاحظ ذلك في رده على هذا الكتاب حيث يقول (فليقل الاكرااد ما شاءوا ، وسيظهر ان شاء الله تعالى قريباً كذب ما أشاعوا ، وليكن ذلك عند حضركم كطين ذباب ، أو كاطيط سرير أو كصرير باب ٠ ثم اني أعجب

(١) المصدر السابق ٣٣ - ٣٤ ٠

(٢) حديقة الورود ٥٣/١ - ٥٤ ٠

منهم ، واستغرب ما يروى عنهم ، فطالما اكرمت فقيرهم ، وجرت بمواساة
سعى كسيرهم ، وعلمت جاهلهم ، وعظمت فاضلهم ، ومسحت باردان الشفقة
دموع باكيهم ، وازلت باكمام الهمة غبار الأذى عن وجه شاكيرهم ، وأنسنت
غريبهم داره ، وستر لذى شمار منهن شماره ، وشاركت من قرأ على من
طلبتهم فى الاوقات ، وبالغت فى اكرام نزيلهم عندي فى سائر الاوقات ، الى
محاسن اعوزها الحد ، ومكارم لا تكاد تعد ، وأظن - ومعاذ الله أن أفترى
عليهم - ان الذي أوجب اساعتهم الى احساني اليهم^(٣) .

والظاهر ان علماء اسطنبول بعد ان رأوا علم الآلوسي ، ومكانته العظيمة
لدى المسؤولين والناس أجمعين ، حسدوه أيضا ، فبدأ بعضهم يزورون عليه
اقوالا لم يقل بها ، وهو يشكوا من ذلك حيث يقول (وقد صح عندي أن
هذه الطبيعة الشيطانية شعار ودثار لبعض علماء القسطنطينية ، وانهم لم يزروا
يجمعون حجر الباطل ويؤمنون به بربما ، ويفضلون لادر درهم كل من يرد
على بلدهم من الافضل ولو كان نيا)^(٤) .

ان حياة الآلوسي المضطربة ، من حسد واضطراب وسجن وفقر ،
غيرت رأيه ، وطبعته بطابع السلبية في أواخر أيامه ، ففي وصية من وصاياه
لابنائه نراه يدعوهم الى الحذر من الخلق ، ومداراة ذوي السلطان ، وعدم
معارضة أحد من جلاس الوزير^(٥) . ولذلك كثرت شكاوه من الناس
والزمان على نحو ما نرى من هذه الزفرة التي يقول فيها (ورب كلمة
لا تقال الا لدى الرب الحق يوم الحساب) ، فآه ثم آه ۰۰۰ ثم آه ۰۰۰ الى الف الف
آه ۰۰۰ من زمان لا يستطيع فيه المحق أن يفتح فمه ، خوفا من خفض القدر

(٣) غرائب الاغتراب ۲۲۸ .

(٤) المصدر السابق ۱۶۹ .

(٥) مقامات ابن الآلوسي ۱۶ - ۱۸ .

وكل ما فعله الآلوسي تجاه من آذوه دعوات ارسلها في تفسيره (أسأل الله تعالى بحرمة حبيه الاعظم «صلى الله عليه وسلم» أن يدفع ويرفع عن مكر الماكرين ، وان يعاملهم في الدارين بعدله ، انه سبحانه وتعالى القوي المتين)^(٧) .

ورب قائل يقول هل كان الآلوسي شخصية حاسدة ، لا يحب للناس ما يحب لنفسه ؟ وأقول في جواب هذا السؤال اني لم أقع على شيء في حياته بعد دليلا على ذلك كما اني لم اقرأ شيئا في تفسيره ومؤلفاته يقتضي بمثل هذه الفكرة الا اني وقعت على رواية نقلا عنها الشيخ محمد المخال في كتابه الذي الفه باللغة الكردية عن (العلامة محمد فضي الزهاوي) معاصر الآلوسي ومقفي بغداد (ت ١٣٠٨ هـ) عن (حسن أفندي التائب) قال فيها ان الزهاوي كان في نيته أن يؤلف تفسيرا قبل شروع الآلوسي بتفسيره ، الا ان الآلوسي لم يكن متاحا في قلبه لذلك ، وأراد ان يفعل شيئا يحول بينه وبين هذا التفسير ، والاجل الوصول الى هذا الهدف كان يحدث الوالي خفية كلما ذهب اليه عما كتبه الامام الرباني ، وخاصة عن مؤلف له باللغة الفارسية في التصوف مغلق وعميق وصعب جدا ، ويقول له لا أحد يستطيع ترجمته الا الزهاوي ولم يكن يعلم بما ذبره له الآلوسي ، الى ان كلفه الوالي يوما وأخذ منه عهدا بترجمته الى اللغة العربية ، ولما بدأ الزهاوي به رأه بحرا لا ساحل له وشيئا دقيقا جدا وعميقا ولكن سبق السيف العذل ، فبدأ الترجمة الى ان انتهى منه ^(٨) . هذه الرواية ان صحت تقدح في شخصية

(٦) نشوء الشمول ٨

(٧) روح المعانى ٢٢/٢٠٨

(٨) مقتني زهاوى ١٠٤

الآلوسي ، وتظاهره بمظهر الذي يسعى وراء الشهرة ، والانفراد بالعمل
وحده دون غيره ٠

لقد فكرت في هذه الرواية جيدا ، وثبت لي أنها رواية موضوعة وغير
صحيحة للأسباب التالية :

الاول : ان هذه الرواية مروية من قبل شخص واحد لم تستند إلى احد
من معاصرى الرجلين ، ولو كانت صحيحة لا تشرت لفظاعتها ، واستغلها
خصوم الآلوسي ولدخلت إلى مجال الكتابة والتدوين ٠

الثاني : ان حياة الآلوسي معروفة ومدونة في كتب عديدة ، وكان يتسم
بالإيمان القوي ، والخوف من الله ، والخلق الرصين ، الامر الذي يمنعه
من ارتكاب جريمة علمية كهذه ٠

الثالث : ان الزهاوي لم يكن رجلا عاديا ، تنطلي عليه هذه المخدة ،
وانما كان علاما عظيما ، وفيه حكيم ، لا يمكن ان يقدم على ترجمة
كتاب لا يعرف عنه شيئا ، ولم يخطط لنفسه شيئا من هذا القبيل من قبل ،
فكيف يلزم نفسه فجأة بهذا العمل ؟ الا يمكن له أن يعتذر بطريقة ما أو
يستمهل الوالي ان يطلع على الكتاب ليعلم هل يقوى على ترجمته ؟ وكم
يستغرق من الوقت ؟ ثم كيف يعقل أن يترك تفسير كتاب الله من أجل عمل
صغرى كهذا ؟

الرابع : الرواية تقول ان الآلوسي وفق لزحمة الزهاوي قبل البدء
بتفسيره ، ثم بدأ تفسيره مطمئنا على انه ليس هنالك من ينافسه ، وهذا
يخالف حقيقة مدونة في تاريخ الرجلين وهي ان الزهاوي دخل بغداد
 حوالي سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)^(٩) ، اذن فما ذكره الآلوسي يجب ان يكون

(٩) مفتى زهاوى ٢٠

بعد هذا التاريخ ، مع اننا نعلم أن الآلوسي بدأ تفسيره في بداية شعبان سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٤ م)^(١) وانتهى من المجلد الخامس في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) كما ورد بخط يده في نهاية المجلد المذكور في النسخة الخطية المحفوظة في خزانة المرحوم هاشم الآلوسي ببغداد ٠

ومن المعلوم أن شهرة تفسير الآلوسي قد انتشرت في بلاد الإسلام كافة ، وأنه كان يرسل كل مجلد إلى السلطان محمود ومن بعده إلى السلطان عبد المجيد حال انتهائه منه ، فلما خوف يمكن أن يتوقع الآلوسي على تفسيره حتى يرتكب في سبيل ذلك هذا العمل المخالف للدين والخلق الرصين ٠ لقد مرّ بنا أن الآلوسي كان شخصية محاسدة ، فلا يستبعد أن يدرس عليه أعداؤه مثل هذه الروايات للتليل من سمعته ٠

وهنالك صفة بارزة في تحدي دالملاجم الاجتماعية للآلوي وهي ايمانه القوى بالمثل العليا التي جاء بها الإسلام ، وتمسكه بها من الناحية العملية ، فعلى الرغم من أنه كان من أسرة الرسول أباً وأماماً ، وأنه كان من الممكن أن يستغل نسبه هذا في الاستعلاء على الناس واستغلال البسطاء كما كان يفعل كثير من هؤلاء المستسين ، إلا أننا نجده لا يفخر على أحد بنسبيه ، ولا يستغله في بناء مجده ، وهو يقول (ومع هذا كله فالقوى التقوى ، فالاتكال على النسب وترك النفس وهوها من ضعف الرأى ٠ وقلة العقل ، ويكتفى في هذا الفصل قوله تعالى لتوح عليه السلام في ابنه كنعان (انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح) وقوله عليه الصلاة والسلام (سلمان من أهل البيت) فالحزم اللايقن بالنسبي ان يتقى الله تعالى ، ويكتسب من الحصول الحمية ما لو كانت في غير نسبه لكتفه ليكون قد زاد على الزبد شهداً ، وعلق على جيد الحستاء عقداً ، ولا يكتفى لمجرد الانتساب إلى

(١) ذكرى أبي الثناء ٨٦ ٠

جدود سلفو ليد قال له نعم الجدود ، ولكن بئسما خلفوا • ولقد ابتنى كثير من الناس بذلك فترى احدهم يفتخر بعظام بال وهو عرى كالابرة من كل كمال • وأكثرا ما رأينا ذلك الافتخار البارد عند اولاد شايخ الزوابيا الصوفية ، فانهم ارتكبوا كل رذيلة ، وتعرو عن كل فضيلة ، ومع ذلك استطالوا باباءهم على فضلاء البرية ، واحقرروا أناسا فاقوهم حسبا ونسبة وشرفوهم اما وأبا ، وهذا هو الضلال البعيد ، والحمق الذى ليس عليه مزيد^(١١) •

وكان الآلوسي شديد التمسك بأخلاق السلف الصالح ، فلقد قرأ صغيراً أن ابن عباس رضي الله تعالى عنه كان يذهب إلى أبي رضي الله تعالى عنه في بيته لأخذ القرآن العظيم عنه ، فيقف عند الباب ، ولا يدق الباب عليه حتى يخرج فاستعظم ذلك أبي منه ، فقال له يوما هلا دقت الباب يا ابن عباس ؟ فقال : العالم في قومه كالنبي في أمه ، وقد قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) قال الآلوسي (وقد رأيت هذه القصة صغيرا فعملت بموجبها مع مشايخي والحمد لله تعالى^(١٢)) •

والآلوسي متواضع حقا ، لا يدعى علماء ، بل هو في كل مناسبة يبين انه ليس من فرسان ميادين التفسير ، وانه لم يقدم على التفسير الا تشبيهاً بالمفسرين ، وهو يتطلب من شيخ الاسلام في احدى رسائله إليه ان يغفو عما وقع له في التفسير من الاوهام ، ويأخذ بيده اذا كان عاثرا في ذلك ايندان^(١٣) وكثيراً ما نرى الآلوسي يصرح في كتاباته انه احقر ابناء جنسه^(١٤) .

(١١) روح المعانى ٢٦ / ١٦٦ - ١٦٧ •

(١٢) روح المعانى ٢٦ / ١٤٤ •

(١٣) شهى النغم ١٠٢ •

(١٤) غرائب الاغتراب ٤ •

وهو يغفو عن كل من اساء اليه^(١٥) . وكان على جانب عظيم من
الحلم معهم ، والصفح عنهم ، يلاقيهم بالبشر والاكرام والتواضع
والاحترام^(١٦) . فمع أن الوالي نجيب باشا اساء اليه كثيراً ، وكان السبب
في عزله ، واسترجاع او قاف المرجان منه ، ومع انه لم يكن يرسل رسائله
إلى سيدنا وآله وآل بيته السلام ، فإن الآلوسي يترحم عليه كلما جاء ذكره ، ولا يذكره
 الا بخير^(١٧) .

وكان كرييم الطبع يشرك تلامذته في ملبيه ومائكه ، ويفتح بيته
لاستقبالهم ويوؤيهم عنده^(١٨) . ومن مظاهر كرمه انه كان يوجد في كل
عام بعثة على الشاعر عبدالغفار الرايس ، ولقد سجل الشاعر ذلك في
شعره حيث يقول :

على الداعي لكم خصل اليدين اذا هطلت يمداك به وبيني رأيت نجاهه من غير مين بلبس عباءة وتقر عيني ^(١٩)	بقىت ابا الثناء مدى الليالي يحول بذلك ما بين الرزايا تواعدني بك الآمال وعدا تجود على محبك كل عام
---	---

وكان رجلاً محبوباً راعياً للحقوق ، وفيما ، شريف الطبع ، كريم
الخلق ، كثير الصبر ، يتبع الصدق في أقواله وافعاله ، يحب السنن ، كثير
الصدقات والصلة والاستغفار^(٢٠) .

وشخصية الآلوسي لم تكن شخصية منعزلة ، وإنما كان يشترك في

(١٥) مقامات ابن الآلوسي ٤٨ .

(١٦) المسك الأذفر ١١ .

(١٧) شهوى النغم ١٠٣ .

(١٨) أريج الند والعود ٤ .

(١٩) الطراز الانفس ٤١٨ .

(٢٠) أريج الند والعود ٣ ، ٤ . المسك الأذفر ١٠ - ١٣ .

النشاط الاجتماعي ، في المجالس والنوادي ، وكان على علاقات حسنة وصداقة مخاصة مع كثير من الأدباء والشعراء والوزراء والقواد والكتاب والصفار ، ومن قرأ كتاب (حديقة الورود) اطلع على مظاهر كثيرة تمثل تلك العلاقات (٢١) .

لقد كانت له مع الأدباء والشعراء مجالس في بيته وبيوتهم يسامرهم ، ويقضي الاوقات الجميلة معهم ، فكانوا يستقبلونه اعظم الاستقبال ، ويقولون القصائد الكثيرة في مدحه وتهنئته ، فمن هؤلاء الشعراء عبدالباقي العمري ، وعبد الغفار الأخرس وعبد الحميد الاطرقجي ، وصالح التميمي ومحمد أمين العمري وغيرهم (٢٢) .

وكان بعض هؤلاء يدعوه احيانا الى مجلسه بالنظم ، اسمع الى الشاعر عبدالباقي العمري يرسل اليه داعيا الى مجلسه بهذين البيتین :

زها بالزهاوى المجليل مجلسى فهل لك فى التشريف نقتم الزهوا
ونحن ببحث حار فيه عقولنا فيحتاج من غير ارتياه الى القتوى (٢٣)

ويصف الشاعر عبد الغفار الأخرس مجلس الألوسي بقوله :

أى جمع هذا وأى اتفاق	وصحاب أماجد ورفاق
خالفوا داعي الشقاق وشقوا	بالشام منهم عصي الشقاق
كل فرد منهم من الفضل كنز	ليس يخشى الاملاق في الاتفاق
أى نادى الأجل (شهاب الدين) بحر العلوم مفتى العراق	
لو افيضت علومه في البرايا	شمل العالمين بالاغراق
محرق حجة الصداد ولا بد	ع فان الشهاب للاحراق

(٢١) ٢٧٠ - ٢٥٠ / ١

(٢٢) حديقة الورود ١٨٥ / ١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ .

(٢٣) المصدر السابق ٢ / ١٠٩ .

مجلس ما انطوى على غير انس وخلام من تحاسد ونفاق^(٢٤)
 أما الوزراء والقواد ، فكانت علاقته معهم قائمة على اساس الاحترام
 العظيم لشخصيته العلمية ، وكان يراسلهم ويراسلونه ، ومن هؤلاء على رضا
 باشا ، ومحمد حمدي باشا ، وهذه الرسائل مدونة في كتاب (حديقة
 الورود)^(٢٥) .

وكان الآلوسي من اشد انصار الدولة العثمانية ، ومن اقوى الدعاة لها ،
 ايدها بسانه ، ودافع عنها في كتبه ورسائله ومواعظه ، وببر وجودها
 بنصوص القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، واجماع كبار علماء
 المسلمين^(٢٦) .

وهذا الموقف يرجع في نظرى إلى الاسباب التالية :

- ١ - كان الآلوسي مسلماً متبعاً للشريعة ، وهي تفرض ابتداء وجود
 دولة تمثلها ، وتفرض على المسلمين طاعتها ما لم تكن قد خرجت عليها ،
 فتأييده للدولة العثمانية كان نابعاً من هذا المبدأ .
- ٢ - كان الآلوسي يعيش في العراق ، وكان العراق مطمح انتشار
 الدولة الإيرانية التي كانت تريد سوقه إلى التشيع ، وكان من البديهي أن
 تناصر الشيعة في العراق الدولة الإيرانية خفية واعلاناً ، ولم يكن هناك بد
 من علماء السنة ومنهم الآلوسي أن يقفوا موقف المؤيد للدولة العثمانية
 لتشديد أمرها في العراق ، وتوثيق حكمها فيه .
- ٣ - كان الآلوسي يشعر بان اعداء الاسلام والمسلمين من الدول الاوربية

(٢٤) الطراز الانفس .

(٢٥) المصدر السابق ١/٢٠٢٠ ١٧/٢ .

(٢٦) التبيان شرح البرهان ٧٥ - ٧٠ مخطوطة في مكتبة الاوقاف
 العامة ببغداد رقم ٥٦١٦ .

يريدون الانقضاض على الدولة العثمانية ، وكان الصراع عقدياً على انسان أن الدولة العثمانية كانت الوصية على المسلمين في العالم ، فكان على الآلوسي وامثاله من العلماء أن يقووا صلة الرعية بالدولة ، ويركزوا حبها وتأييدها في نفوسهم كى تستطيع تجنيدهم في أى وقت لمحاربة الكفار ٠

ان تأليف الآلوسي لرسالة الجهاد وجمعه خمسة وثمانين حدیثاً من احاديث الجهاد والرباط في سبيل الله في آخر شرحه للبرهان دليل قوى على ما ذهبنا اليه ٠

وعلى الرغم من تأييده للدولة كياناً وعقيدة ، ينبه نظر الناس إلى بعض الأدواء الاجتماعية التي كانت مستشرقة في زمانه ، فهو مثلاً يتحدث عن أكل أموال الدولة من قبل موظفيها بهذا الاسلوب عندما انزل في دار الضيافة في اسطنبول (وفي اليوم الثاني عين لمصارفي في كل شهر ثلاثة الاف قرش صاغ ، فكان القيم يصرف على " أقل من ثلثها ويأكل الباقى ، وهكذا يفعل بما عين لسائر النزول)^(٢٧) . وهو يستغل بعض الفرص في اسطنبول يتحدث عن احوال العراق السيئة ، كما فعل مع (المشير محمد باشا سهر عسکر) مما جعله يضرب راحاً على راح ، ولكن يقول (لعمري ما انمر صفق الراح راحة لأهل العراق ، بل اوقع في ايديهم ضحكة تتغنى بمجابهه الركيان في الأفاق ، وما ذاك الا بعد خطتهم عن حمى دولتهم ، وقصور هممهم عن شकایة المهم ، واستيلاء وضعفهم على رفيعهم ، وشرارهم على خيارهم ٠٠ وليس لديهم من دواء حتى ينزل المسيح من السماء)^(٢٨) .

وهناك لفتات اجتماعية كثيرة في النقد والاصلاح عرضها الآلوسي في ثنايا كتبه ، نستطيع أن تكون عن طريقها فكرة واضحة عن الوضع الاجتماعي

٢٧) غرائب الاغتراب ١٢٢ .

٢٨) المصدر السابق ١٣٦ .

في ذلك الوقت في العراق خاصة ، وفي البلاد الإسلامية بصورة عامة ،
ولأجل ذلك يمكن أن نقول إن شخصية الأولي كانت من الشخصيات
الصلاحية التي تفكّر في أمر مجتمعها ، وتحاول أن تلقت نظر الناس
والمفكرين إلى عيوبه ، ووضع الحلول الضرورية لصلاح أمره .

ومن ملامح هذه الشخصية أنها كانت شخصية معتدلة متزنة غير متطرفة ، وإذا عرفنا أن التطرف كان سمة عصره في كل شيء ، فالسلفي يكفر الصوفى والصوفية تلعن السلفية ، وضعتنا يدنا على هذه الشخصية الكبيرة التي فهم صاحبها الحياة في خلال طبعه الهدایة ، وعقليته الواسعة ، وفهمه العميق لروح الاسلام . وان هذا الجانب من شخصيته يظهر بصورة واضحة في تفسيره ، عند الموازنات والمقارنات ، وعرض الآراء والردود على الخصوم ، وسوف ينجلي هذا الجانب عند دراستنا لتفسيره في الباب الثاني من هذا الكتاب .

ومن ملامح هذه الشخصية ايضا انها كانت شخصية ساخرة ، تجد السخريه والفكاهه في ثنياها كلام صاحبها ، ففي طريقه الى اسطنبول لحق به ابنه عبدالباقي ، فحسن له الرجوع الى امه فلم يفعل وهنا يقول الالوسي (وحدست أن أمه سهلت عليه سلوك الفجاج ، وارسلته ليكون رقيبا على علي يمعنى مما عسى ان اهم به من الزواج) ثم يضيف (على انى وان كنت في حب النكاح مشهورا ، قد جعل الله تعالى اليوم بيني وبين ذلك حجابا مستورا) (٢٩) وفي جزيرة ابن عمر في اثناء رحلته الى اسطنبول سأله شيخ عن قول للعلامة ابن حجر ، فأجابه ونقل اليه آراء طائفة من العلماء ، فما رأه لا هش ولا بش ◦ قال ساخرا (فأحسست ان تكافف شعر ذقه حال بيته وبين الوصول الى ذهنه) (٣٠) ◦

٤٩) غرائب الاغتراب (٢٩)

^{٦٧}) المصدر السابق .

ومن مظاهر شخصية الآلوسي انه كان يجهر بالحق ، وان اصابه فى سيل ذلك الأذى والمكرره يتحدث الآلوسي عن بعض موافقه فى هذا المجال فيقول (وكم قد قال بعض الولاة ايak أن تقول في مجلسنا المسألة شرعاً كذا ، وقد اصابنى منه عامله الله بعدله ، لعدوى عن قوله مزيد الاذى ، واتفق أن قال لي بعض خاصته يوماً ، أرى ثلثي الشرع شرّاً ، فقلت له – وان كنت عالماً أن في أذنيه وقرأ – نعم ظهر الشر لما أذهبتم من الشرع العين ، ولم تأخذوا منه سوى حرفين) ^(٣١)

ولا غرابة بعد ذلك اذا تعجب الآلوسي من الذين يوالونظلمة من
المتسبيين الى المتصوفة في زمانه ، وعيرونهم بذلك ^(٣٢) .

ومع ذلك فان كرم الضيافة يجعله احياناً يحيد عن الطريق الواضح
الذى اختطه لنفسه فى حياته فى هذا المجال ، فقد دعاه الوزير (محمد
حمدى باشا) الى آمد فاكرمه وعظمه ، وفي أحد الأيام ضمه وآياته مع آخرين
مجلس ، جرى فيه بحث علمي حول المهدى المنتظر ، فأيد الآلوسى ظهوره ،
ولما كان هذا القول يمكن أن ينم عن ان مجىء المهدى المنتظر قد يعني انتهاء
الدولة العثمانية ، استدرك الآلوسى قائلاً (ثم قلت يا مولاي (للوزير السائل)
أن دولة آل عثمان تبقى على حالها بعد انفراض دولة صاحب الزمان) ^(٣١)
وفي اسطنبول ضمه مجلس فى دار فؤاد افندي المستشار واختلف الحاضرون
فى صورة امرأة حسنة قد نحتت من رخام ، فأنكروا الحاضرون ذلك ، وقالوا
انه محروم باتفاق المسلمين . فقال الآلوسى مرتجلًا :

هذه السدار يحاكي حسنها دار السلام

(٣١) روح المعانى ٢٨-٢١ .

(٣٢) المصدر السابق ٢٨/٣٥ .

(٣٣) نشوة الشمول ٧٨ .

غير أن الحور فيها

فابيض وجه صاحب المكان بالسرور ، واعتبر ذلك فتوى من الآلوسى ،
ولم يشأ الآلوسى أن يواجه بالحق ، وإنما قال لنفسه (هي لو فرضت فتوى ،
خالية من فتوى) ^(٣٤) .

وأخذ السيد رشيد رضا على الآلوسى انه كان شافعيا فتحول حنفيا
تقربا إلى الدولة ^(٣٥) ، ويوضح حفيده السيد محمود شكرى الآلوسى
هذه المسألة بقوله (وكان فى صباح شافعى المذهب لا يميل لسواه ، وقلد
مدة افتائه الإمام ابا حنيفة فى معاملاته ، وبقى على ما كان عليه فى عباداته ،
وكان بعد عزله يقول انا شافعى ما لم يظهر لى الدليل والا فليس عن العمل
به من محيل ، حيث ان العالم اذا علم الدليل لا يعذر بالتقليد) ^(٣٦) .

واظن أن كلام السيد رشيد ليس صحيحا ، لأن الآلوسى لم يطلب
الافتاء ، ولم يكن يمر بذهنه أن يعينه الوزير على رضا باشا فى هذا المنصب
الخطير ، وهو لاحقه واضطهده وسجنه ، وإنما جاءه هذا المنصب عفوا كما
ثبت من قبل ، فماذا يفعل الآلوسى؟ هل يترك هذا المنصب الخطير ، ويرفض
فضل الوزير العدو ، بدوعى التحصب والجمود فى اتباع المذهب . ان مذهب
الدولة الرسمى كان حنفيا ، فلم ير الآلوسى بأسا فى تقليد الحنفية فى
المعاملات ، واصدار الفتاوى على اصول مذهبها ، ولم يكن الآلوسى متبعا
لذهب معين ، وظاهر كلام حفيده السالف الذكر يدل على ذلك ^(٣٧) .

(٣٤) غرائب الاغتراب ١٤١

(٣٥) تفسير المنار ٩٠/١

(٣٦) المسك الازفر ٢٢

(٣٧) راجع (موافقاته ومخالفاته للعلماء فى المسائل الفقهية / فى
الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا الكتاب)

والآلوسى يبالغ فى مدح الخلفاء والوزراء فى نظرى^(٣٨) . فهو يقول مثلاً فى السلطان عبدالمجيد (ولم تزل قناعة الخلافة تزهو بستان بعد سنان ، حتى انتهت التوبة الى سنان حضرة الغازى (السلطان عبد المجيد خان) فقعد على سرير العدل بين الانام ، وقام بامر الله حق القيام ، فكادت فى ايامه ترعى الشاة مع الذيب^(٣٩) . مع ان الحالة فى العراق مثلاً كانت مضطربة فى ايامه ، وكانت مظالم كثيرة ترتكب ضد الاهلين كما ظهر لنا سابقاً .

وتفلت احيانا منه جمل لا تليق بمقامه العلمي كقوله (وهرولت للثم مواطىء حضرة امير المؤمنين)^(٤٠) . وكذلك تصدر عنه احياناً كلمات نابية كقوله (حتى اذا دخلنا كركوك خفتني ام ملدم (الحمى) وهى القحة الهاوك)^(٤١) او (فلما رأوا انهم بذلك لم يوصلوا الى شيئاً من الضرر وانهم فيما يفعلون اشبه شيء بكلاب تنبح القمر)^(٤٢) .

والآلوسى يهمه كثيراً أن يكون محترماً بين الناس ، وهو يذكر احترام الناس له بفخر واعتزاز ، والويل لمن لا يقدرها ، ولا ينزله المنزلة التي يستحقها ، وعلى الرغم من القارئ يشعر انه قد يكون صادقاً فيما يقول - وهذا هو الفتن الاغلب - الا اننا مع ذلك نؤاخذ الآلوسى عليه ، ونود لو انه لم يلتجأ الى هذا . ومع ذلك فالعصمة لله وحده ، وما اجمل قول

الشاعر :

(٣٨) الأجوبة العراقية على الاستلة اللاهورية ٥ . نشوة الشمول . ٣٣ - ٣٤ .

(٣٩) سفرة الزاد لسفرة الجهاد ٣ .

(٤٠) غرائب الاغتراب ١٢٣ .

(٤١) حديقة الورود ٢١١/٢ .

(٤٢) مقامات ابن الآلوسى ٢٨ .

ومن ذا الذين ترضى سجايده كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايهه
ولا استطيع أن اعد على الآلوسي المعايب ، وإنما هي عبارة عن هنات
وهفوات ٠

ومن ملامح هذه العقلية الكبيرة صفاء الذهن والقريحة ، وسرعة
الخاطر ، وحلابة المنطق ، وعدوبه التقرير ، وبراعة المحاجة ، فإذا تكلم
لا يمل له كلام ٠ ومن ملامحها أيضاً الحافظة العجيبة ، يقول الآلوسي عنها
(ما استودعت ذهني شيئاً فخانتي) ، ولا دعوت فكرة لعضلة إلا
واجابني) (٤٣) ٠

ومن ملامح هذه العقلية النشاط الدائب ، فلقد كان صاحبها مشغولاً
باعمال الأفتاء والتدريس ، وعشرة اسرته واصدقائه واقرائه ، ومع ذلك
كان تاليقه في اليوم والليلة لا يقل عن ورقة من أكبر الأوراق ، وكان يؤلف
حتى في مرضه الأخير ، ومع ذلك كان حريصاً على أن يزيد علمه في كل
لحظة ، لا يفتر عن اكتساب الفوائد ، واقتراض الشوارد (٤٤) ٠ وكان في
أفتائه وكتاباته للتفسير يدرس في اليوم ثلاثة عشر درساً في كتب
مطولة (٤٥) ٠

ان هذه العقلية الناضجة هي التي أثارت أمام صاحبها الاحساس
بالمشاكل التي كان يعاني منها المجتمع الإسلامي ، فعرضها عرضاً هادئاً ،
هنا وهناك من خلال ما سطر من كتب ، وما كتب من تفسير ،
وما قال من شعر ، وما نثر من أدب ٠ لأن ظرف زمانه ، وكثرة
اعدائيه ، واضطراب أحوال بلاده لم يساعد عليه التحدى ، بل لجأ إلى

(٤٣) اريح الند والعود ٣ ، ٤ ٠ المسك الاذفر ١٠ ٠

(٤٤) المسك الاذفر ٧ - ٨ ٠

(٤٥) المصدر السابق ١٩ ٠

الاعتدال والتلميح • فعقلية الآلوسي اذن تمثل الحلقة التي ربطت بين العقلية الجامدة في القرون التي تلت سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ) وبين العقلية الحديثة القائمة على الانطلاق الكلي ، والصراحة التامة ، والأصرار على التحدى •

(٦) مكانته العلمية في عصره :-

الآلوسي من اولئك العلماء الذين تبؤوا ارقى المقامات العلمية في سرعة وجدارة ، وشقوا طريقهم بين العقبات الكثيرة ، وفي خضم احداث كبيرة • عين الآلوسي وهو شاب في مدارس عدة ، فتصدر التدريس فيها ، واجاد واشتهر ، ثم فرضه علمه ونطقه وبيانه فصار مفتياً في بغداد ، وهو أرقى منصب علمي وديني في ذلك العصر • ثم كان أن اشتعل بتفسير كتاب الله ، فوضعه تفسيره في العالم الإسلامي جنباً إلى جنب مع المفسرين العظام ، والعلماء الاعلام ، فصار خبره شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً • وعظمته علماء عصره وعلى رأسهم شيخ الإسلام السيد احمد عارف حكمت الذي يكتب إلى المقامات العليا في اسطنبول عن الآسي فيقول (كلما بالقلم في اكرام هذا الرجل فهو بالنسبة الى ما ينبغي جل من قل) (٤٦) • ثم يؤدى به الأمر أخيراً وهو الشيخ الكبير في السن والمقام ان يستجيز الآلوسي فيحيزه بعد أن اجازه هو (٤٧) • ولمكانة الآلوسي العلمية استجازه كثير من العلماء فاجازهم ، وكانوا يفتخرن أنهم اجيزوا من قبله (٤٨) •

ان مكانة الآلوسي العلمية اكبرته في عيون الناس ، وجعلت له مقاماً كريماً ، فكان يارزاً بين العلماء في بغداد ، ينشدون صداقته • فمن هؤلاء

(٤٦) غرائب الاغتراب ١٢٧

(٤٧) المصدر السابق ٣٠٤

(٤٨) المصدر السابق ٢٧٧ - ٢٩٧

الذين كان الآلوسي على علاقة حسنة معهم ، علامة عصره ابن عابدين (ت ١٢٥٧هـ - ١٨٤١م) وصاحب الحاشية المشهورة بhashia ibn abidin المسماة برد المختار على الدر المختار . والعلامة عبدالغنى آل جميل مفتى بغداد قبله ، ومحمد سعيد أندى المفتى قبله أيضاً ، والعلامة محمد فيضي الزهاوى المفتى اللاحق لبغداد .

ومراساته العلمية مع هؤلاء وغيرهم مشهورة ومدونة^(٤٩) وكانوا يكترون من مراساته حتى وهو فى استانبول . ولا عطاء صورة واضحة لتبجيل واحترام كبار العلماء له نقل فقرات من رسالة العلامة محمد فيضي الزهاوى الذى يلقبه الآلوسى بثالث الرافعى والنواوى . يقول فى المقدمة (إلى حضرة الشهاب الثاقب ، الساطع نوره فى المشارق والمغارب ، ذى المقام المحمود ، واللواء الذى هو بآيدي الفضائل معقود ، علامة علماء الأفاق) ، ومن وقع على فضله وكماله الاتفاق ، معدن الشرف والفتوة ، ومصباح مشكاة آل بيت النبوة ، مولاي الأفخم الاعلم ، السيد السندي الأندى المفخم ، لازال فى حضر وفى سفر ، ذاك الشهاب يضي ، كالقمرا^(٥٠) .
وكان كثير من العلماء يكتبون إليه ، ويسألونه عن المشكلات العلمية ، والمسائل الفقهية ، ولقد رأيت رسالة كتبها الآلوسى بخط يده إلى مفتى قصبة بنجوبين فى لواء السليمانية من منطقة (كردستان) فى العراق ردًا على سؤال فقهي ورد فيها^(٥١) .

أما الالقاب التى اطلقت عليه من قبل العلماء والأدباء والوزراء فكثيرة جداً ، وهى تعبّر عن جانب المكانة العلمية التى حصل عليها

(٤٩) حديقة الورود ٦٣/١ ، ١٧٠ - ١٧٥ .

(٥٠) غرائب الاغتراب ٢٥٢ .

(٥١) الرسالة موجودة فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى فى بغداد .

الآلوي وهو (شيخ علماء العراق) وهو (المفرد في جميع العلوم بالاتفاق) وهو (آية الله الكبرى) وهو (نادرة الزمان) وهو (بحر البيان الراخى) وهو (سيبويه العربية) وهو (سعد زمانه)^(٥٢) وهو (ختمة المفسرين) وهو (الشهاب الثاقب) وهو (علامة علماء العراق) وهو (البحر الطامى) وهو (فخر الاسلام) وهو (حلال العويسات) وهو مفتى (مفتى الانام) إلى غير ذلك مما ورد في رسائل القوم ، وكتاباتهم عنه^(٥٣) .

ومن مظاهر هذه المكانة انه أينما حل ، اجتمع العلماء عليه ، واستغلوا وجوده لديهم ، فيسألونه ويستفسرون منه ، ويناقشونه ، ويقرؤون عليه ، ويودعونه بالزفرات والعبارات . ولقد سجل الآلوysi في كتابه (غرائب الاغتراب) كثيرا من اجوائه ومناقشاته مع العلماء وخاصة مع شيخ الاسلام في اسطنبول^(٥٤) .

ولقد فرض علم الآلوysi وأدبه نفسهما على الشعراء ، فأجمعوا على مدحه وتعظيمه وتقديمه ، والاشادة بعلمه وفضله وادبه ، والتغنى بشخصيته الكريمة ، واحلاقه العالية ، ولا اظن ان عالما قبله ولا بعده قيل فيه من القصائد في المدح والترحيب به ورثائه اكتر منه ، ولو اتنا جمعنا كل ما ورد عنه في دواوين شعراء زمانه ، لحصلنا على ديوان من الشعر كامل ، وجدير بما أن نستأنس بعض ابيات منها ، كي تظهر امامنا شخصية الآلوysi واضحة جلية ، يقول عبدالباقي العمري مادحاه بقصيدة طويلة منها :

شييت لته الآى كما شييت خير الورى سورة هود

(٥٢) هو سعد الدين التفتازاني من كبار علماء الكلام والبلاغة (ت ٧٩٢ھ) . صديق حسن خان . الناج المكلل ٤٥١ .

(٥٣) غرائب الاغتراب ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ . اريح الند والعود ٣ . المسک الاذفر ٦ - ٥ .

(٥٤) انظر ص ٢١٣ - ٤٣٨ .

والطباق السبع قد طبقها
والبحار السبع قد ادرجها
نزل الروح بها فانتعشت
اوقد الكشاف فى تفسيره
حجنة بالغة برها نهها
نشر العلم الذى كف البلى
لم أجد لي علة عن مدح من
فاتخذت المدح فيه سلما

رؤية فسرها حال الشهود
ذلك الطمطمam فى سبع جلود
ونشت ارواحها بعد ركود
ياله فخر على كشف الحدود
قام من غير دفع أو ردود
قد طوته تحت اطباق اللحود
علة كان ابوه للوجود
لصعودى فوق غايات سعود^(٥٥)

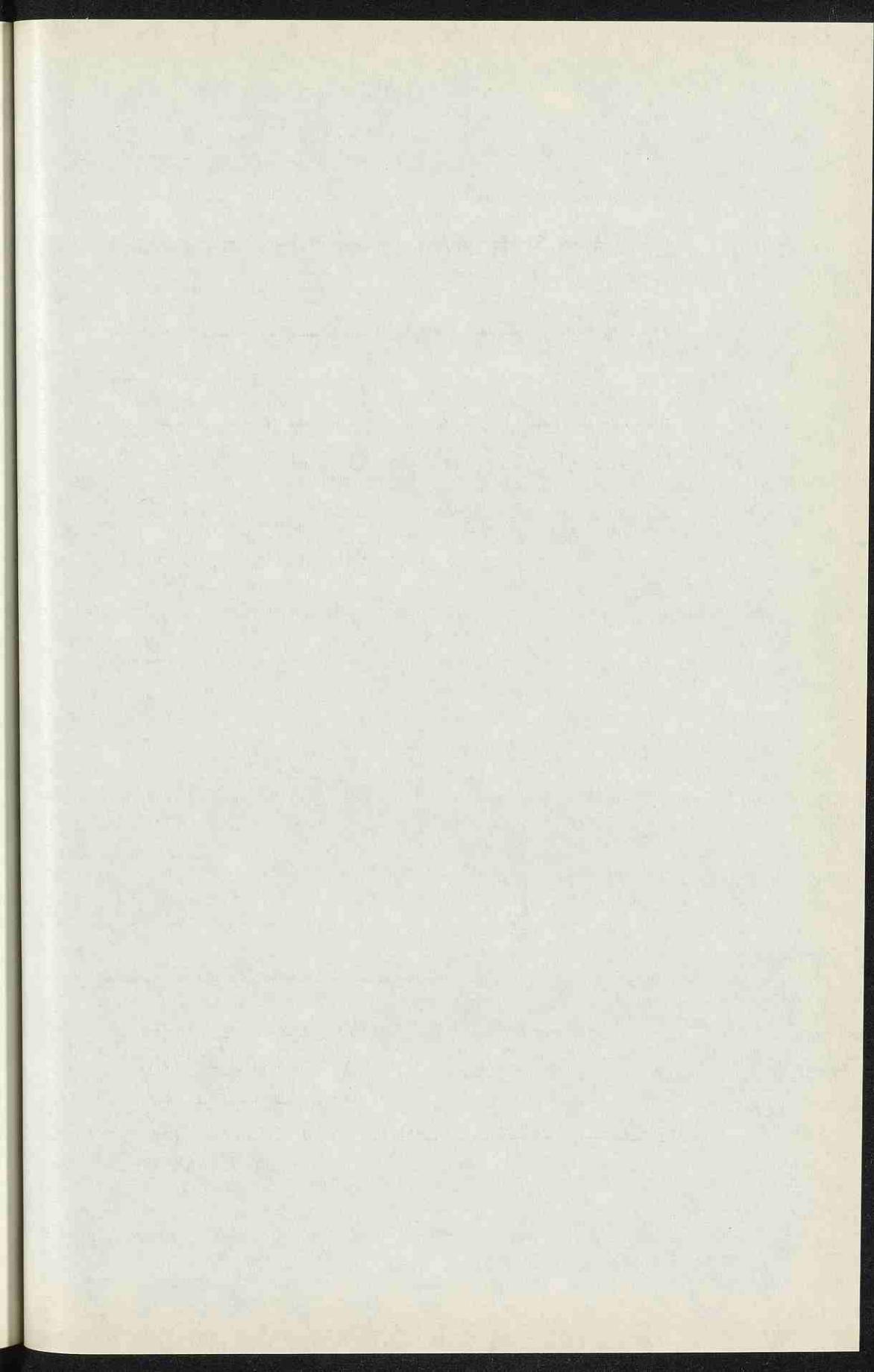
كما وللشاعر عبدالغفار الاخرس^(٥٦) والشاعر حبيب ابن قاسم اغا
الكروى^(٧٥) وصالح التميمي^(٥٨) قصائد فى مدحه •

٥٥) الترباق الفاروقى ٢٧٧ •

٥٦) الطراز الانفس ٢٥٣ •

٥٧) غرائب الاغتراب ٢٥٠ •

٥٨) ديوان صالح القزويني ١٣٢ - ١٣٧ مخطوطة فى متحف الآثار
تحت رقم ١٨٩٢ بغداد •



الفصل الثاني

آثاره العلمية والأدبية المطبوعة والمخطوطة

(١) آثاره العلمية :

- أ - في اللغة والادب
- ب - في البحث والمناظرة
- ج - في الترجم

(٢) آثاره الأدبية :

- أ - كتب الرحلات
- ب - المقامات

(٣) دراسة فنية لأدبه :

- أ - دراسة لأسلوبه العلمي
- ب - دراسة لأسلوبه الأدبي

أولاً : آثاره العلمية :-

أ - اللغة والادب *

١ - حواشى شرح القطر لابن هشام :

وهي ما وعنه أذنه من التقارير التي كانت تدور في مجالس شيوخه ، كتبها عندما كان عمره ثلاث عشرة سنة ، ولم يتمها وإنما أتمها ابنه نعمان خير الدين وسمها (الطارف والتالد في إكمال حاشية الوالد) في كتاب مستقل عن حاشية والده . ولهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية ، أحدها في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد والثانية في مكتبة المرحوم هاشم الألوسي ، والثالثة في الخزانة القادرية ببغداد . وطبع هذا الكتاب مع كتاب ابنه المذكور في مجلد واحد سنة ١٣٢٠ هـ (١٨٩٨ م) .

وحاشية الألوسي هذه تشمل الموضوعات التي طرقها ابن هشام ، فهو يبدأ أولاً بالكلمة وأقسامها ، ثم الاعراب والبناء وما يتعلق بهما ، ثم الاسم والفعل والحرف وأحكامها ، ثم المعرفة والنكرة ، ثم المبتدأ والخبر وأحكامهما ، ثم النواسخ وأنواعها ، ثم الفاعل ونائبه ثم الاستغلال والتنازع ثم المفاعيل وأنواعها ، والمنادي وأحكامه ، والاستغاثة والنديبة ، ثم الحال والتمييز والاستثناء ، ثم حروف الجر والاضافة ، ثم اسماء الافعال ، فاعمال المصدر باسم الفاعل فاسم المفعول ، ثم الصنفة المشبهة باسم التفضيل ، ثم النعت والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق والبدل ، ثم مواطن الصرف فالتعجب فالوقف ثم رسم الحروف وهمزة الوصل .

ومذهب الألوسي في حواشيه شرح الكلمة لغة واصطلاحا كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، فهو يقول مثلاً (الفصل : لغة المجاز ، ويفسر بالعجز بين الشيئين ، واصطلاحا عبارة عن الفاظ مخصوصة دالة على معان كذلك

(١) ذكرى أبي الثناء ٨٥ .

وأحياناً يوضح الكلمة ذكرها ابن هشام كقوله (والمراد بالفرد ما لا يدل جزؤه على جزء معناه وذلك نحو زيد ، فان اجزاءه وهي الرأي والياء والدال اذا افردت لا تدل على شيء مما يدل هو عليه بخلاف قوله (غلام زيد) فان كلام من جزءيه ، وهمما الغلام وزيد دال على جزء معناه ؟ فهذا يسمى مركبا لا مفردا) بقوله (فيه اشارة الى ان المفرد غير هذا المعنى وهو كذلك فان له عندهم اطلاقات غير ما ذكر ، فيطلق تارة على ما ليس مشني ولا مجموعا ، وذلك في باب ما خرج عن الاصل ، وتارة على ما ليس جملة ولا شبها وذلك في باب المبتدأ والخبر ، وتارة على ما ليس مضافا ، ولا شبها بالمضاف وذلك في باب المنادى ولا النافية للجنس)^(٣) .

وأحياناً يبين مقصد ابن هشام ، ففي قوله المار الذكر (نحو زيد) يقول أي اذا كان علماً كما هو المتبدّل ، أما اذا كان اسم فاعل أو مصدر نائب مناسب الفعل وقلنا باستثار الضمير فيه فهو حيث يكون مركباً كما لا يخفى^(٤) .
ويفصل أحياناً ما أوجزه ابن هشام ، ففي كلامه على (نعم وبئس) نقل لابي البقاء قوله (قال الكوفيون هما اسمان ، وهما في الاصل صفة لموصوف ممحذف كانك اذا قلت نعم الرجل زيد ، فتقديره ، الرجل نعم الرجل ، ولما حذف الموصوف وهو اسم ، فكما كان اسمما فكذلك ما قام مقامه^(٥) .

وعندما يذكر ابن هشام من علامات الفعل المضارع (لم) يقول الآلوسي (وبقيت للفعل علامات ، والمجموع ما ذكره بعضهم اربع عشرة علامة ، تاء

(٢) حواشى شرح القطر ٦ ، ٧

(٣) المصدر السابق ٨

(٤) حواشى شرح القطر ٩

(٥) المصدر السابق ٤٤

الفاعل ويائه ، وباء التأنيث الساكنة ، وقد ، والسين ، وسوف ، ولو ،
والتوابع ، والجوازم ، وأحرف المضارعة على الصحيح ، ونونا التوكيد ،
واتصاله بضمير الرفع البارز ، ولزومه مع ياء المتكلم ، نون الوقاية ، وتغير
صيغته لاختلاف الزمان) ^(٦) .

ويجعل أحيانا حكما ذكره ابن هشام ، ففي قوله (وفاء السبيبة) لا يعمل
ما بعدها فيما قبلها يقول الألوسي (ان ما قبلها بمنزلة الشرط ، وما بعدها
بمنزلة الجواب ، فكما لا يعمل الجواب في الشرط . لا يعمل الخبر
المتشبه للجواب في المبتدأ في المتشبه للشرط ، وما لا يعمل لا يفسر عاما)
ويجعل كذلك تقسيم ابن هشام الفعل إلى ثلاثة أقسام بقوله (قيل علة الانحصار
المفهوم في التقسيم انحصر الزمان بذلك ، فإن الفعل لا يخلو أبداً أن يكون
سابقاً على زمن الاخبار فهو الماضي ، أو مقارنا له فالحال ، أو متاخراً عنه
فالمستقبل) ^(٧) .

وإذا استند ابن هشام في موضوع (الاسم) من أقسام الكلمة ، قوله
لأحد النحوين ولم يذكر اسمه ، جاء الألوسي فكشفه وذكره كقوله
(والظاهر أنه أراد به العلامة عثمان بن الحاجب ، فإنه عبر بذلك في الكافية
وله في ذلك متابعون) ^(٨) .

وينقل الألوسي آراء النحوين في مسألة يذكرها ابن هشام كقوله
(فإن قلت إذا انحصرت في قسمين ، فالأسماء قبل التركيب من أي الفريقين ؟
قلت اختلفوا فيها ، فذهب بعضهم إلى أنها مبنية الشبيهة بعض الحروف في
الاستعمال من حيث أنها لا عاملة ولا معمولة عليه ابن الحاجب ، واختار

(٦) المصدر السابق ٥٣ ، ٥٤ .

(٧) المصدر السابق ، ٣٢ ، ٤٠ .

(٨) المصدر السابق ١٠ .

صاحب الكشاف انها معربة بمعنى صلاحيتها لاستحقاق الاعراب . وعندما يقول ابن هشام (فانه يكون مجرّد ما بذلك الطلب) يقول الآلوسي (هذا قول الخليل وسيوبيه) وقال الفارس والسيرافي لنيابته مناب الشرط المقدر ، وقال الجمهور بالأدلة المقدرة بعد الطلب المدلول عليها به^(٩) .

ويحيل الآلوسي القارئ عند الحاجة الى المطولات بقوله (وكمال التحقيق في كتب المطولات)^(١٠) ويستطرد الآلوسي خارج الموضوع الذي يطرقه ابن هشام كتعليق على قوله (فإن قلت) قبل السؤال إن كان قوياً صدر بـ (ولسائل أن يقول أو لك أن تقول أو وقد يقال وإن كان متوسطاً صدر بفأنا قلت أو فإن سئلت ، وإن كان ضعيفاً صدر بفأنا قيل أو لا يقال)^(١١) .

وفي رأيي أن الكتاب مفيد للدراسات النحوية ، لأنه يذكر المصادر التي استند إليها في نقل آراء عشرات من علماء النحو في مسألة معينة ، وهو يقوم دليلاً على أن دراسة الآلوسي النحوية كانت قوية منذ الصغر ، مما هيأت له فيما بعد اتقان النحو العربي والاحاطة بمسائله الخلافية ، وعلمه الكثيرة ، كما يظهر لنا خلال شرحه للقصائد ، وتفسيره للقرآن الكريم .

٢ - كشف الظرة عن الغرة :-

وهو شرح ونقد لدرة الغواص في أوهام الخواص ، لابي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦ هـ)^(١٢) ، الذي سرّحه الشهاب الحفاجي المصري (ت ١٠٦٩ هـ) .

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط يد المؤلف في خزانة المرحوم

(٩) حواشى شرح القطر ١٤٦ .

(١٠) المصدر السابق ١٨٣ .

(١١) المصدر السابق ١٠ .

(١٢) كشف الظرة عن الغرة ٧ .

هاشم الآلوسي ٠ ونسخة اخرى في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد تحت رقم
٥٩٩٨/٣٦(ب) وطبع في دمشق سنة ١٣٠١ هـ

يبدأ الآلوسي كتابه بشرح خطبة الحريري اعراباً ولغة ٠ يوضح
مراهمه ، ويجلو غامضه ، ثم ينتقل إلى متن الكتاب يشرحه ٠ والحريري
صنف كتابه حسب الحروف الابجدية ، فهو يبدأ مثلاً (ومن اوهامهم قولهم
ابداً به أولاً والصواب ابداً به أول بالضم ، وحكمها حكم قبل وبعد في
أحوالها الشهيرة) ٠ يأتي الآلوسي إلى القول ويشرحه بقوله (أعلم أن لاول
ثلاث استعمالات ، صفة بمعنى أسبق ، يشرب معنى الظرفية ، إن يكون
محرداً عن الوصف كسائر الأسماء الجامدة فينصرف وينون) ثم ينتقل إلى
أقوال العلماء وتعليقاتهم حول الموضوع^(١٢) ٠

ويناقش الآلوسي أقوال الحريري ، ويرد عليها ، ويدرك أقوال علماء
النحو المخالفين لها ، فمثلاً يقول الحريري (ويقولون أصفر لونه من المرض ،
واحمرّ خده من الخجل وعند المحققين أنه إنما يقال أحمرّ وأصفر
ونحوهما في اللون الخالص الذي قد استقرّ ، وأما إذا كان قد عرض بسبب
يزول فيقال فيه أحمارّ وأصفارّ مثلاً ليفرق بين اللونين) فيقول الآلوسي
(قال ابن بري (ت ٥٨٢ هـ) هذا غير معروف عند أحد من البصريين ، إلا
ترى التخييل وسيبويه وجميع أصحابها يرون أن أحمر مقصور من أحمارّ
وادهمّ من ادهامّ ، ولا فرق بينهما معنى ، وقد سوى بينهما أيضاً ابن
عصفور)^(١٤) ٠

ويقول الحريري (ويقولون في جمع ريح أرياح قياساً على رياح وهو
خطأ والصواب أرواح) فيقول الآلوسي مبيناً خطأه (هذا كلامه ، ولعمري

١٢) المصدر السابق - ٢٤ - ٢١

١٤) كشف الطرة عن الغرة - ٣٣

ما هبت ريحه من جهة القبول ، ولا ارتاحت بها نفوس الفحول ، ففي شرح
بانت سعاد لابن هشام من العرب من يقول ادرياح كراهة الاشتباہ بجمع
أرواح (١٥) .

ويقول الحريرى (ويقولون للقائم اجلس والاختيار على ما حکاه
الخليل ان يقال للقائم اقعد ولنائم اجلس) فيقول الآلوسي (ان ما ذكره وان
قاله بعض اللغويين مستقد فقد ورد في الفصيح ما يخالفه) (١٦) .

وفي قول الحريرى (ويقولون للمعرس بنى باهله ، ووجه الكلام
بنى على اهله) يقول الآلوسي (ما انكر مما لا شبهة في صحته فانه متضمن
معنى دخل فيتندى تعديته) ثم يعرض آراء العلماء الذين ذهبوا الى صحة
هذا التعبير (١٧) .

والآلوسي يستند الاقوال التي جاء بها الحريرى غير مسندة الى
 أصحابها ، ثم يعطي الاقوال المضادة لها كي يعطي للقاريء المجال حتى يقارن
بين الآراء . ففي قول الحريرى (ويقولون افعل من التعجب من الالوان
والعاهات كما يقولونه في التفضيل منها ، والكل لحن مجتمع عليه وغلط
مقطوع به) قال الآلوسي (والذكور مذهب جمهور البصريين ، وذهب
الكسائي (ت ١٨٩ هـ) وابن هاشم (ابن هشام) الى جواز بناء اسم
التفضيل من الالوان مطلقا واجاز الكوفيون التعجب من السواد والبياض) ثم
قال (ودعوى الاجماع على كون ذلك لحنا غير صحيحة) (١٨) .

ويرد الآلوسي قول بعض من يستشهد بهم الحريرى ، ففي قوله

(١٥) المصدر السابق ٥٢ .

(١٦) المصدر السابق ٧٢ .

(١٧) المصدر السابق ١٢٩ - ١٣٠ انظر مثلاً ١٣٣ ، ١٩٥ ، ٢١٢ .

لنفس الغرض .

(١٨) المصدر السابق ٩٢ - ٩٣ .

(ولذا قال المبرد (ت ٢١٠ هـ) في قراءة حمزة (ت ١٥٦ هـ) ، واتفوا الله الذي تسألون به والإرحم بالجر : لو اني صليت خلف امام فقرأ بها لقطمت صلاتي ، ومن تأول لحمزة جعل الواو للقسم) قال الآلوسي (ولعمري ما أشار إليه المبرد من جملة السقطات ، وعظيم المهوّفات ، بنى على أن القراءات السبعة غير متواترة ، وانه يجوز ان يقرأ بالرأي ، وهو مذهب باطل ، وخيال فارغ ، فانه لا يشك عاقل في توافرها) ^(١٩) .

ويرد الآلوسي على الحريري بعباراته هو . قال الحريري (ويقولون بينما زيد قائم اذ جاء عمرو ، فيتلقون بينما باذ والمسموع ترکها) فبعد ان ان ينافشه الآلوسي يقول (والعجب من صاحب الاصل أنه قال في مقاماته (فيينا انا اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيت النج) وقال ايضاً (فيينا انا عند حاكم الاسكندرية اذ دخل عليه شيخ) وقال (فيينا اسعى واقعد اذ قابلني شيخ) فكانه نسي ما قاله هنا وفي المثل من غير ابتلي ^(٢٠) . وقد أخذ عليه ذلك في شعره ايضاً ففي قوله (ويقولون ما كان ذلك في حسابي ، يعنون ظني والصواب في حسابي بكسر الحاء) قال الآلوسي (والعجب من صاحب الاصل انه خطئ بذلك وقد وقع في شعر له أنسد في الخريدة)

نالت يدي منك ما لم يكن يخطر في الوهم ولا في الحساب ^(٢١)

وكثيراً ما ينقلب تعليق الآلوسي على كلام الحريري الى بحث قائم بذاته كما فعل في بحثه عن (التعليق) بمناسبة قول الحريري (ان من الاصول المطردة تعليب المذكر على المؤنث اذا اجتمعا الا في موضعين احدهما تشنيه الذكر والاثني من الضياع فانه يقال ضبعان وتجري التشنية على لفظ

(١٩) كشف الطرة عن الغرة ١٣٩ .

(٢٠) المصدر السابق ١٤٥ .

(٢١) المصدر السابق ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

المؤنث الذي هو ضبع لا المذكر الذي هو ضبعان فرارا مما يجتمع من الزوائد لو ثنى ° الثاني باب التاريخ فانهم يؤرخون بالليلي دون الايام مراعاة للاسبق والاسبق من الشهر ليته ، ومن كلامهم سرنا عشرما بين يوم وليلة) حيث ذكر رأي ابن هشام الذي اعتبره سهوا ، لأن حقيقة التغليب ان يجتمع شيئاً فيجري حكم أحدهما على الآخر ولا يجتمع الليل والنهار وليس هنا تعبير عن شيئاً بلفظ أحدهما وإنما أرخوا بالليلي لسبقها ، ثم ذكر مناقشة بعض النحويين لابن هشام وذكروا ان الضابطة التي ذكرها غير تامة ، ثم ذكر الآلوسي ان تغليب المؤنث لا يختص بالصورتين اللتين ذكرهما الحريري ، فلقد غالب في مواطن أخرى مثل المروتان للصفا والمروة ، وما أضيف إلى البناء والبنات لغير الناس من الحيوان وغيره فإنه يجمع مذكرةه ومؤنته على بنات فيقال في ابن لبون وابن آوى وابن عرس بنات لبون الخ فلا يجمع على بنين إلا شذوذ ، وكذلك إمالة للام والآب ، وتقوم هند وزيد في باب العطف ، والشيئات للرجل والمرأة بناء على أن الشيب لا يطلق على الرجل (٢٢) °

ولا يقتصر عمل الآلوسي على الشرح والنقد ، وإنما يذكر أيضاً أمثلة لقواعد لا يمثل لها الحريري (٢٣) ، أو يأتي بشواهد لشعراء ذكرهم ، ولم يأت بآياتهم ° مثال ذلك قول الحريري (وفي مع لقمان افصحهما فتح العين وقد نطق بسكنها كما قال جرير) فقد اضاف الآلوسي قوله (من قصيدة مدح بها هشام بن عبد الملوك) :

فريشى منكم وهواي معكم وان كانت زيارتكم لاما (٤٤)

(٢٢) المصدر السابق ٣١٢ - ٣١٧ .

(٢٣) كشف الطرة عن الغرة ٣٤ .

(٤٤) المصدر السابق ٣٦ .

ويؤيد الآلوسي احيانا ما ذهب اليه الحريري بالاحاديث والشعر ففي قوله (ويقول في التحذير اياك والاسد ، وجه ادخال الواو على الاسد) فعاق الآلوسي (كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ومصاحبة الكذاب ، فانه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب) ، وقول الشاعر

فيايك والامر الذي ان توسيع موارده ضاقت عليك مصادره^(٢٥)

وللآلوي تعليقات على بعض الاعلام الواردة في أثناء الكلام . فلقد جاء ذكر يحيى بن اكثم (ت ٢٤٢ هـ) عرضا أثناء الكلام فقدم الآلوسي تعريفا مختصرا به وبعلاقته بالمؤمنون (ت ٢١٨ هـ)^(٢٦) .

ان نظرة الآلوسي الى اللغة في هذا الكتاب نظرة مرننة ، فهو يؤمن بأن باب المجاز واسع ، وان اللغة تتطور ، ولا يجب الجمود على اصولها الاولى والا لعسر التكلم على من بعدهم وهو يقول (لانا لو اقتصرنا في الالفاظ على ما استعملته العرب العارية والمستعربة ، حجرنا الواسع ، وعسر التكلم بالعبرية على من بعدهم)^(٢٧) .

القد بذل الآلوسي في سبيل اخراج كتابه هذا جهدا كبيرا ، فهو يراجع كتب اللغة والمعاجم المشهورة وكتب النحو والصرف والبلاغة والقراءات ، وكتب الادب ودواوين الشعر ، فضلا على استشهاده بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفصحاء الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) .

ان طريقة الآلوسي في هذا الكتاب طريقة جيدة وعلمية ، لأنه يسند كل رأي الى صاحبه . ويزذكر الكتاب الذي ورد فيه دون أن يعين الصفحات على عادة الباحثين القدماء .

(٢٥) المصدر السابق ٣٦ ، ٥١ ، ٦٨ .

(٢٦) المصدر السابق ٤١ ، ٥٠ .

(٢٧) المصدر السابق ٨٦ ، ٣٤٨ .

ويظهر في هذا الشرح عمق الآلوسي وفقهه الواسع باللغة ، فهو
دقيق في التفريق بين المعاني ، وله احساس رائع في تذوق المعنى الجميل .
والواقع ان هذا الشرح جليل القدر ، جم الفوائد لطلاب اللغة ،
يتتفق فيه الآلوسي بلا ريب على الحريري في اللغة ، وهو يضعه جنبا الى
جنب مع كبار اللغويين العرب . يقول الدكتور مصطفى جواد ، استاذ فقه
اللغة في جامعة بغداد (وأما البحث اللغوى الخاص بالمفردات فى معانىها
الأصلية فأول من الف فيه فى أيام النهضة اللغوية الحديثة السيد شهاب الدين
ابو الثناء محمود بن عبدالله الآلوسى ثم البغدادى ، وأسم تأليفه (كشف
الطرة عن الغرة) وهو ترتيب جديد على حروف المعجم لشرح درة الغواص
فى اوهام الخواص تأليف شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي المصرى
المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ وزيدات عليه تدل على سعة علم السيد الآلوسى
بالعرابة ، وطول باعه في النقد اللغوى) ^(٢٨) .

٣ - الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد :-

القصيدة للسيد محمد الجواد السياه بوشى الشاعر البغدادى المتوفى سنة (١٢٤٦ هـ) فى رثاء الشيخ خالد النقشبندى شيخ الآلوسى (٢٩) أتم تأليفه فى غرة محرم (١٢٤٥ هـ) . توجيه نسخة منه فى مكتبة الاستاذ عباس العزاوى ببغداد ، ونسخة ثانية فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى كيت سنه (١٢٧٠ هـ) ونسخة ثالثة فى مكتبة الاوقاف العامة كيت سنه (١٢٧٤ هـ) . وطبع فى مصر طعنة حجرية سنه (١٢٧٨ هـ) (٣٠)

بدأ الالوسي شرحه بيان بحر القصيدة (الطوبل) ثم عقد كلاماً في
أكثر من صفحتين حول هذا البحر وعروضه واضرره^(٤١) . ثم مضى إلى
ابيات القصيدة يشر حها .

٢٨) المباحث اللغوية في العراق ٥١

(٢٩) الفيض الوارد .

(٣٠) ذكرى أبي الثناء ٩٢

(٣١) الفيض الوارد ٧ - ١٠

ومنهج الآلوسي في شرح هذه القصيدة يتلخص في انه يشرح البيت
شرعاً أدبياً بلاغياً ، وينقل عديداً من الآيات المختارة في موضوع البيت
الذى يشرحه ، أو فيما يتعلق بكلمات يشرحها في البيت كما فعل مثلاً في
كلمة (الاطلال) و (حب الوطن) و (نوح الحمام) و (الانيس) و
(الرحيل) و (الشيب) ^(٣٢) .

ويتوسع الآلوسي كثيراً في تبيان معاني بعض الكلمات ، ففي كلمة
(الهوى) مثلاً بين مراتبها من حيث فقه اللغة . ثم وقف عند كلمة العشق،
وأفاض في نقل أقوال المحبين شعراً ونشرأ ، ثم ذكر آراء بعض الفلاسفة
والمتصوفين والعلماء والاطباء في العشق ^(٣٣) . وأكثر ما يعتمد في اللغة
على ابن سيدة (ت ٣٩٨ هـ) والراغب (ت ٥٠٢ هـ) والفيومي (ت ٧٧٠ هـ)
والفيروز آبادى (ت ٨١٧ هـ) .

ولا يتطرق الآلوسي إلى النواحي التحوية والاعرابية إلا مضطراً ، ولا
يعالج النواحي النظرية من البلاغة ، وشواهده وأمثاله قليلة .

ولقد صب الآلوسي اهتمامه الكبير في شرحه هذا على التصوف ،
فأفاض فيه كثيراً ، فهو يذكر الخواطر وانواعها وتأثيرها في سلوك الإنسان
وتصرفاته ، وينقل آراء طائفة من علماء التصوف في ذلك ^(٣٤) ، وهو يعتقد
فصلاً مركزاً عن المقامات عند الصوفية ^(٣٥) ، ويتكلم عن العشق عندهم ،
ويشرح كثيراً من مصطلحاتهم كالقبسات والمشهد والسر والقطب والباطن

(٣٢) المصدر السابق ٢٦ ، ٢٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٧ .

(٣٣) المصدر السابق ١٠ - ١٣ .

(*) المصدر السابق ٧٨ .

(٣٤) الفيض الوارد ١٠٨ - ١١٠ .

(٣٥) المصدر السابق ١٥٢ - ١٥٧ .

والتوحيد والابدال والقرب والجمال والرياضه والعرفان وغيرها^(٣٦) .

وتأثر الآلوسي بشيخه خالد اوضح ما يكون في هذا الكتاب ، فلقد عقد فصلا طويلا للتتحدث عن تاريخ حياة شيخه هذا ، وتاريخ الطريقة القشيندية وحققتها ، وهي في رأيه اقرب الطرق الصوفية الى الكتاب والسنة^(٣٧) . ومن أدلة تأثيره بهذه الطريقة أنه يؤمن بان الشيطان تجلى مرة للشيخ عبد القادر الجيلاني ، ودعاه الى عبادته ، فأبى عليه ولعنه^(٣٨) .

ويدافع الآلوسي في شرحه هذا عن ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) وابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) والتمساري الأندلسي (ت ٥٩٤ هـ) والجليلي (ت ٨٣٢ هـ) . ويوجه أقوالهم في وحدة الوجود ، فهو يقول ان أقوالهم صحيحة لأن علومهم مبنية على الكشف والعيان لا على الخواطر الفكرية والاذهان ، وهو مع ذلك يدعو الناس الى ترك الخوض في مثل هذه المسائل الخطيرة^(٣٩) .

وظاهر كلام الآلوسي في هذا الشرح انه يؤمن بوحدة الوجود ، يدل على ذلك قوله « والكلام عليها (وحدة الوجود) قد شاع وكثرا قديما وحديثا ، وردها قوم فاقرون غافلون محظوظون » ، وقبلها قوم عارفون محققون ، ومن ردها فانما ردها لعدم فهمها وقصور ذهنه عن معناها^(٤٠) .

ويتهم الآلوسي في الدرجة الثانية بعلم الكلام ، فبمثابة الكلام عن الرؤية يتطرق الى موضوع رؤية الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة ، واختلاف العلماء في ذلك ، تبعا لاختلاف مذاهبهم الاعتقادية ، ويتكلم حول خلود

(٣٦) المصدر السابق ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦ .

(٣٧) المصدر السابق ١٩٨ - ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٥١ .

(٣٨) المصدر السابق ١١٢ .

(٣٩) المصدر السابق ١٩٤ - ١٩٥ .

(٤٠) المصدر السابق ٤١، ٤٢، ١٩٤ .

الانسان في الجنة أو في الجحيم ، والمقصود من الآية الكريمة (خالدين فيها الا ما شاء الله) ثم يبدي رأيه في معنى الآية ، وينقل الكلام بعد ذلك الى الجنة والجحيم ، وهل هما مخلوقتان أم لا ؟^(٤١) ز

ويتطرق الآلوسي الى موضوعات فلسفية ايضا ، فعند كلامه عن النفس ، شرع يدخل في موضوع فلسطي عن النفس وماهيتها ، والروح وحقيقةها ، ثم بدأ يذكر الفرق بينهما ، وعاد الى النفس فذكر معانيها المختلفة مع عرض آراء جماعة من فلاسفة اليونان وال المسلمين^(٤٢) . وكثيراً ما يدعوه المقام الى التحدث عن فلسفة الحياة والموت ، فيعرض في كل مرة طائفة من الاقوال والحوادث التي تثير في نفس القارئ ، الآخر المطلوب^(٤٣) .

ولا يترك الآلوسي الموضوعات الفقهية دون التحدث فيها ، كحديثه عن اللهو ، وبيان رأى المتصوفة والفقهاء في السمع والطرب والآلات^(٤٤) .

ولا يخلو الكتاب من موضوعات فلكية ، كبحثه في السموات والأرض ، فقد نقل آراء جماعة من علماء الفلك القدامي والمحدثين ، حول الشمس والسيارات والارض والقمر^(٤٥) ، وهو مقتني بالنتائج التي وصل إليها العلم في العصر الحديث مما يدل على كثرة اطلاعه ، وجبه للحقيقة . فهو يقول في هذا المعنى (والقول بانها - السموات - متلاصقة خلاف ما ذهب اليه المحدثون الذين هم المرجع والعمدة في امثال هذه المقامات^(٤٦) آ) . وفي هذا الكتاب لفقات علمية كثيرة في موضوعات مختلفة ، فبنسبة

(٤١) المصدر السابق ١٢٢ - ١٢٥ .

(٤٢) الفيض الوارد ٤٧ - ٤٩ .

(٤٣) المصدر السابق ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٨ .

(٤٤) المصدر السابق ٦٩ - ٧٠ .

(٤٥) المصدر السابق ٨٣ - ٨٧ ، ١٦٩ - ١٧٠ .

(٤٦) المصدر السابق ٨٣ .

ورود الكلمة (الاقاليم) تكلم عنها ، ونقل كل ما توصل اليه علم الجغرافية
في زمانه بایحاز (٤٧) .

ومن ذلك كلامه عن تاريخ النحو ، وواضعه ، وسبب وضعه (٤٨) .
وكلامه عن تاريخ التقاويم العربي والرومي والفارسي والنبطي (٤٩) .
وكلامه عن الصحابة ومن يطلق عليه هذا اللقب ومن لا يسمله ، وارتداد
الصحابة ، وبيان رأي العلماء في ذلك ، وكلامه في الرد على الرافضي
يوسف الكوفي في طعنه على أبي بكر ، وتفسيره لآية الغار يعكس ما يفهم
منها . ورده على الشيعة في تفسير حديث الغدير (٥٠) .

وتغلب على الكتاب نزعة تشوئمية ، تظهر في شكوى الآلوسي من
الزمان وروايته لطائفة من الأشعار فيه ، وتشجيعه على العزلة لفساد الناس .
وللكتاب وجة أخلاقية واضحة ، فهو يستغل كل مناسبة للاشادة
بالفضائل ، ودعوة الناس إليها ، وأعتقد أن أحد أسباب شرحه لهذه القصيدة
هو استغلال المواقف الصوفية التي عرضها الشاعر في المرئية لأجل الدعوة
إلى المعاني الأخلاقية .

ان الاحوال فسدت في زمانه ، والقيم الاسلامية تعرضت للهزات ،
فأراد الآلوسي أن يتخذ من هذه القصيدة ستاراً يعرض رأيه في كثير من
مشاكل المجتمع الاجتماعية . والحق ان للآلوي خطرات رائعة في النفس
الانسانية ، ونظرات صائبة في اصلاحها وتهذيبها .

والكتاب بعد ذلك يقوم دليلاً قوياً على ما ذهبنا إليه سابقاً من ان الآلوسي
درس التصوف الاسلامي دراسة جيدة .

(٤٧) المصدر السابق ١١٤ - ٢٠٧ .

(٤٨) المصدر السابق ١٤٣ - ١٤٢ .

(٤٩) المصدر السابق ٢٥٣ - ٢٥٨ .

(٥٠) المصدر السابق ٢٠٨ - ٢٣٢ ، ١٣٩ - ١٤٠ .

٤ - الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب :-

هذه القصيدة للشاعر العراقي عبدالباقي العمري في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ)^(٥١) . يقول الآلوسي (فحديثي نفسي بشرحها ، ودعني كنوز اشاراتها الى فتحها)^(٥٢) .

توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي ، وهي بخط المؤلف ، حيث أتم تأليفه في رمضان سنة ١٢٥٥ هـ ، ومنه نسخة أخرى بخطه أيضاً في خزانة المكتبة القدادية^(٥٣) ورأيت نسخة أخرى منقولة عن النسخة الأصلية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي .

ويظهر منهجه الآلوسي في هذا الشرح فيما يأتي :

١ - اهتمامه الشديد بشرح المفردات شرعاً لغويًا واسعًا ، فهو يبين معانيها المختلفة واصنافاتها الكثيرة ، مستشهدًا بأراء من سبقه من اللغويين^(٥٤) . ولا يكتفي بهذا ، بل يلتجأ إلى الاعراب وبيان الأوجه النحوية للكلمة ، ويدخل في تفاصيل دقيقة ناقلاً عن كبار علماء النحو على اختلاف مدارسهم ومشاربهم . ويتبع الآلوسي هذا الأسلوب في جميع أبيات القصيدة وهو لا يقف عند حدود نقل كلام الآخرين ، بل ينافسهم في أقوالهم كما فعل في شرحه لكلمة (الشفيع) فهو يقول (هنا صاحب الشفاعة وهي كما قال ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) السؤال في التجاوز عن الذنب والجرائم ، وعندى أنها أعم من ذلك ، فتشمل السؤال في دفع الضرر والسؤال في جلب الخير)^(٥٥) . وكذلك كلمة (سبحان) فهو يقول

(٥١) الطراز المذهب ٥ ، ٦ .

(٥٢) المصدر السابق ٨ .

(٥٣) ذكرى أبي الثناء ٨٩ .

(٥٤) الطراز المذهب ٨٨ .

(٥٥) المصدر السابق ١١ .

(ومجيئه منادي مما زعمه الكسائي ولا حجة له^{٥٦})

٢ - ان شرحه هذا يحتوى على طائفة كبيرة مختارة من أجمل الشعر وأرقه ، حشدها مستشهدًا على بعض المسائل التي يتطرق إليها في القصيدة ، فعندما يقف عند القول المنسوب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني (قدmi على رقبة كل ولی الله عز وجل) ويشرحه ، يبين مقصود الصوفية بذلك ، وهل يحمل على الرمز أم على الحقيقة ، ويستشهد بهذه المناسبة بكثير من كلام العرب قدیماً وحديثاً مما يدل على رسوخ قدمه في أدب العرب^{٥٧} . وكذلك فعل في كلمتي (التوسيح) و (الطراز) وفي كلمات أخرى غيرها^{٥٨} .

والألوسي يهتم بالنواحي البلاغية في البيت ، وخاصة المحسنات البدوية ، ثم يستشهد في الناحية التي يبحثها بشهادته من أجمل الأشعار قدیماً وحديثاً ، انه استشهد مثلاً بآيات كثيرة عند كلامه عن (الاغراق) و (المبالغة) و (الجنس) و (التورية) و (الغلو) وهي أنواع بدوية^{٥٩} . وهو يفعل ذلك في جميع آيات القصيدة . واحسب أن مؤلفي كتب البلاغة المدرسية سيجدون كثيراً من التماذج الشعرية الجميلة في هذا الشرح ، لتوضيح أفكارهم عن طريقها ، لأن الألوسي استعمل ذوقه الشعري الدقيق في اختيارها .

٣ - لم يقف الألوسي في شرحه هذا عند شرح القصيدة فحسب ، وإنما اتخذ من ألفاظها مجالاً لدراسات في مختلف نواحي العلوم ، وهذا

(٥٦) المصدر السابق ١٠٢

(٥٧) الطراز المذهب ٩ - ٢٨

(٥٨) المصدر السابق ٦٠ - ٦٣

(٥٩) المصدر السابق ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ - ١٢٦ ، ١٣٠ - ١٣٩ .

فيما أرى غرضه الأساس من هذا الشرح . فمثلا عند شرحه لكلمة (الضريح) نقل آراء العلماء الذين يقولون ان ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض^(٦٠) . وانتقل على السلام على الرسول ، وهل يرد اليه الروح ام لا ؟ وهل تعظيم مكان الضريح موافق للشريعة ام لا ؟ ثم انتقل الى رواية الشعر للدلالة على ان تعظيم المحل لا لذاته وانما للموجود فيه^(٦١) . ثم ذكر في صفحتين اول من كسا قبر الرسول ، ونقل روايات متعددة في ذلك ، وهل يجوز ستره ام لا ؟ ثم قاس كساء قبر الرسول على كساء الكعبة ، وذكر الذينكسوها في التاريخ وبين حكم المذاهب في شراء وبيعكسوة الكعبة الشريفة^(٦٢) . وبمناسبة الحديث عن (خاتم الرسول) في أحدى الآيات دخل الى موضوع خلاف بين الفقهاء حول تعدد الخاتم ، وحرمة اتخاذه من الذهب والخالص ، ونقل في ذلك حجج محللين والمحرمين ، ثم انتقل الى خاتم التحسس وارصاص مع ذكر احاديث في ظاهرها متعارضة عن ليس خاتم الحديد^(٦٣) .

وعند الكلام على كلمة (القدر) نقل كل ما طويلا حول تعين ليلة القدر ، واختلاف علماء الامة في ذلك^(٦٤) . اما في شرحه لكلمة (التقبيل) فهو ينقل لنا آراء العلماء فيه ومتى يسن ، ومتى لا يسن ، واستذكر تقبيل الناس لقبور ، ورماتهم بالجهل^(٦٥) .

ولا يقف الآلوسي عند المسائل الفقهية ، وانما يعرض كثيرا من مسائل التاريخ والجغرافية والكلام والفلسفة والمنطق ، فهو مثلا يذكر بغداد

(٦٠) المصدر السابق ٣١ ، ٣٠ .

(٦١) المصدر السابق ٣٢ - ٣٤ .

(٦٢) المصدر السابق ٣٣ - ٣٤ .

(٦٣) المصدر السابق ٦٤ - ٦٦ .

(٦٤) المصدر السابق ٨٨ - ٩٠ .

(٦٥) الطراز المذهب ١١٥ - ١١٧ .

وبناءها ، وحقيقة الاسم ، واختلاف الناس في ذلك مع ذكر طائفة كبيرة من شعر كبار الشعراء فيها^(٦٦) . وفي احدى المناسبات يذكر فيضان دجلة ، وخراب بغداد ، وانتشار مرض الطاعون ، وبيان حالة بغداد في ذلك الوقت .
وعند شرحه لكلمة (الباز) عرج على حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٦٧) .
أما في علم الكلام فيكفي أن تطرق على سبيل المثال إلى كلامه في الفرق بين الرسالة والنبوة ، والكلام عن التوسل والوسيلة^(٦٨) .

وأما الابحاث العلمية فيكفي أن نشير إلى شرحه لكلمة (ابصارنا) حيث شرح كيفية حصول الرؤية ، ونقل الكلام بعد ذلك إلى كيفية حصول الشم والذوق واللمس^(٦٩) .

وفي احدى المناسبات نراه يعقد بحثا حول طلوع الشمس وغروبها^(٧٠) ، وحتى الفلسفة والمنطق خاص فيما وذاك ، بمناسبة شرحه لكلمة (الدهر) حيث عقد بحثا فلسفيا منطقيا حول معنى الدهر^(٧١) .

واسلوب الكتاب اسلوب علمي يلجم إلى السجع أحيانا ، ويسترسل أخري ، وهو كتاب ممتع حقا ، على الرغم مما فيه من غموض في الموضوعات الفلسفية والمنطقية وبعض معتقدات الصوفية بالنسبة للذين لم يدرسوا مصطلحاتها^٠

وتتجلى قدرة الآلوسي اللغوية في هذا الكتاب ، حتى ليخيل للإنسان انه امام صفحات كتبها أحد اللغويين الكبار من القدماء^٠

(٦٦) المصدر السابق - ٩٤ - ٩٥

(٦٧) المصدر السابق - ١٤٦ - ١٤٨

(٦٨) المصدر السابق - ١٨٣ - ١٨٥

(٦٩) المصدر السابق - ١٦٠ - ١٦٣

(٧٠) المصدر السابق - ٨٧

(٧١) المصدر السابق - ٤٢

٥ - الغريدة الغبية في شرح القصيدة العينية :

القصيدة للشاعر عبدالباقي العمري في مدح أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، يبدأ الآلوسي بشرح القصيدة على عادته بتوضيح معاني المفردات اللغوية ، ويعرض أحياناً معناها الاصطلاحية والعلمية أيضاً . وبعد ذلك ينتقل إلى تفصيلات نحوية^(٧٢) ، وهو يعتمد - كعادته - في اللغة والنحو على كبار المغويين والنحويين ، ويشهد بأراءهم ، ويعرض اختلافاتهم . ومع ذلك فإن هنالك فرقاً واضحاً بين هذا الشرح وشرحه لقصيدة (الباز الأشهب) ، فهو يهتم كثيراً بالتفاصيل النحوية في القصيدة الأولى ، أما في (الغريدة) فيسبّب حيناً ويوجز أحياناً .

اما النواحي البلاغية في الآيات فلا يتطرق إليها إلا عرضاً ، وهو في هذا الشرح لم يستشهد لا بالقرآن ولا بالحديث الشريف ، ولا بشعر العرب كما اتبع ذلك في شرحه السابق ، ولكنه يستطرد إلى موضوعات شتى يعالجها بمناسبة المفظة التي يشرحها ، فهو مثلاً يدخل إلى موضوعات فقهية كذكره لصلة التوافق في الكعبة ، ونقل اختلاف أئمة المذاهب في ذلك^(٧٣) .

واما تعرضه لمسائل الكلام والفلسفة فاووضح من معالجته لمسائل الفقهية في هذا الشرح فقد تعرض مثلاً ل الكلام عن الرسالة والنبوة والولاية ، ونقل بعض الآراء في ذلك^(٧٤) . ويعرض أيضاً إلى شرح معنى النقطة وأيّاً في آراء الفلسفه^(٧٥) .

وهذا الشرح يقوم دليلاً آخر على اطلاع الآلوسي على الفلسفات

(٧٢) الغريدة الغبية ٥ ، ٨ - ٦٥ .

(٧٣) الغريدة الغبية ١٢ ، ١٣ .

(٧٤) الغريدة الغبية ١٢ ، ١٣ .

(٧٤) المصدر السابق ٤٦ - ٤٧ .

(٧٥) المصدر السابق ٤٠ .

القديمة والحديثة ، وهذا ظاهر من قوله (والاختلاف في تفسير المكان مشهور بين الفلاسفة الاشرقيين منهم والشائين) ^(٧٦) . ومن قوله (وانكر فلاسفة الافرنج اليوم عنصريتها الاربعة ، وقالوا بعناصر فوق الخمسين) ^(٧٧) . وظاهر من هذا الشرح انه كان متابعاً للحركة العلمية في زمانه كما هو واضح من كلامه عن الكواكب السيارة وكلامه حول الشمس ^(٧٨) . ويدخل احياناً إلى موضوعات أخلاقية ، ككلامه عن الفضائل وأنواعها ^(٧٩) .

اما التاريخ فهو يهتم به كثيراً ، ويكتفي ان نشير هنا الى ذكره لبناء الكعبة وترقيمها ، والآراء المروية في ذلك ^(٨٠) ، وكلامه عن الخوارج ومعركة النهروان ^(٨١) ، وعرضه لحياة حسان بالتفصيل ^(٨٢) .

والآلوي في كتابه هذا مستقل في آرائه ، فهو يستغل كل مناسبة للرد على بعض الأفكار ، ويدخل في مناقشات موجزة مع أصحابها ، فهو في كلامه عن الأفلاك والبروج يسخر من آراء بطليموس التي تقول ان الصور التي في عالم التركيب مطيبة للصور الفلكية ^(٨٣) . ويظهر عدم اعتقاده ببعض التعليقات عند العلماء ، كقولهم بتفضيل الليل على النهار على اعتبار وقوع الأسرار فيه ^(٨٤) . ويرد على الشعراوي في ادعائه أن في الاولى نباء على سبيل ظهور مظهر الحقيقة المحمدية لهم ^(٨٥) . ويسخر من

(٧٦) المصدر السابق ٧٣ .

(٧٧) المصدر السابق ٨٧ - ٨٨ .

(٧٨) المصدر السابق ١٠٠ - ١٠٣ .

(٧٩) المصدر السابق ١٢٧ - ١٢٨ .

(٨٠) المصدر السابق ١٠ - ١١ .

(٨١) المصدر السابق ٩٠ - ٩٢ .

(٨٢) المصدر السابق ١٢٩ - ١٣٢ .

(٨٣) المصدر السابق ١٧ - ١٩ .

(٨٤) المصدر السابق ٧٩ .

(٨٥) المصدر السابق ٢٣ .

المنجمين بهذا البيت •

لست أدرى ولا المنجم يدرى ما يريد القضاء بالانسان (٨٦)

والآلوي في شرحه هذا يستغل كل مناسبة للاشادة بفضائل الامام علي وشجاعته ، وايمانه ، وحسن بلائه في سبيل الله (٨٧) • وهو يتحدث في أماكن كثيرة عن فاطمة وابنيها الحسن والحسين • ويدرك فضائل أهل البيت ، ومكانتهم بين المسلمين ، ويرمي قتلة الحسين بالزندقة ، ويصف أعداء علي بالفئة الباغية ، وعلى الرغم من ان هذا كله هو رأي أهل السنة والجماعة ، الا انه كان له غاية واضحة في الالحاح على هذا الاتجاه ، والضرب على هذا الوتر ، فهو في رأيي انما يريد بذلك على الشيعة الذين يزعمون أن أهل السنة لا يحبون أهل البيت ، ويقوي هذا الرأي تصريحه بأن أهل السنة من شيعة علي ، غير انهم لا غلو عندهم (٨٨) • وفي أغلب الفتن أن الآلوسي لم يشرح هذه القصيدة الا للوصول الى هذه الغاية ، فجميع الشواهد والآثار تدل على هذا دلالة واضحة ، والقاريء لهذا الشرح يتلمس هذا في كل صفحة من الشرح بمناسبة وبدون مناسبة •

والآلوي في شرحه هذا يهتم بذكر مراجعه كقوله مثلا (وان أردت زiyادة ما ذكرنا فعليك بشفاء الغرام باخبار البلد الحرام لابي الطيب محمد المكي المالكي) (٨٩) • وعند كلامه على الاسد يقول وتفصيل الكلام فيه يطلب من حياة الحيوان) (٩٠) • ولا ينسى احالة القاريء الى كتبه كروح المعاني والطراز المذهب والفيض •

(٨٦) الخريدة الغريبة • ١٨

(٨٧) المصدر السابق ٣٣ - ٣٦ •

(٨٨) المصدر السابق ١٣٨ - ١٤٠ •

(٨٩) المصدر السابق ١٤ •

(٩٠) المصدر السابق ١٧ •

٦ - حاشية عبدالملك بن عصام في علم الاستعارة :

وسماه ايضاً بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام في علم الاستعارة ٠
واصل هذه الحاشية تعليقات كتبها الآلوسي على كتاب بلوغ الارب من تحقيقه.
استعارات العرب لعبدالملك بن عصام المولود بمكة سنة (٩٧٨ هـ) ، ايام
شبابه ، عند رجوعه الى مسقط رأس آبائه (آلوس) ثم جدد النظر فيما كتبه
قديماً (٩١) ٠

توجد نسخة منه في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي ببغداد ، وهي بخط
يد المؤلف كتبت سنة (١٢٣٢ هـ) والنسخة الثانية في مكتبة المرحوم هاشم
الآلوسي ، استكتبه ابنه احمد شاكر سنة (١٢٧٩ هـ) (٩٢) ٠

يبدأ الآلوسي بشرح كلمات وعبارات ابن عصام كعادته في شروحه
للكتب ، اعتباراً من البسملة ثم ينقل آراء العلماء في القضية ٠ فتحن لا تقرأ
الصفحات الأولى من الكتاب حتى نرى انفسنا وجهاً لوجه امام الرضي
والزمخري والبيضاوي والباقلي والسكاكى (٩٣) ٠

ينقل الآلوسي قول المتن (وهو الكلام الفصيح) ثم يشرحه بقوله (من)
الفصاحة وهي في الاصل تبني عن الابانة والظهور ، ويقال فصح الاعجمي
وأفصح اذا انطلق لسانه ، وخلصت لغته من اللكنة وجادت فلم يلحن ،
وأفصح به أي صرح به ٠٠٠ الخ (٩٤) ٠ ويشرح احياناً جملة قال : وقوله
(كبراعة الاستهلال) من برع الرجل براعة اذا فاق اصحابه في العلم أو
غيره ، والاستهلال من استهل الصبي اذا وقع من بطن امه صارخاً ، والمراد
بها كون الابتداء مناسباً للمقصود بان يكون فيه اشارة الى ما سبق الكلام لاجله
كقول ابي الفرج الساوي :

(٩١) حاشية عبدالملك بن عصام ١ ، ٢ ٠

(٩٢) ذكر ابي الثناء ٨٥ ٠

(٩٣) حاشية عبدالملك ٣ - ٥ ٠

(٩٤) حاشية عبدالملك ١٥ ٠

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكي^(٩٥)

ويشرح الموضوع من جوانبه العدة كما فعل فى شرح لفظة التوربة^(٩٦) . ولا يكتفى بهذا وحده ، وإنما يعرض على المؤلف أحياناً ، فعند كلامه على اصول العرب ، وانهم ثلاثة رجال قال (فيه نظر لأن علماء الانساب ذكرروا ان اصول العرب اثنان)^(٩٧) .

وعندما يذكر ابن عاصم وجهاً في الاعراب يتم الآلوسي الكلام بذلك اوجهه الأخرى ونقل الاختلافات التحوية في المسألة^(٩٨) .

ويوضح الآلوسي بعض المصطلحات ، وذلك بشرح معانيها ، وضرب الأمثلة عليها فمثلاً في قوله (السببية) يقول (وهي أن يطلق اسم السبب على السبب نحو رعينا الغيث أي النبات الذي سببه الغيث) وفي قوله (المسببة) يقول (وهي أن يطلق اسم المسبب على السبب نحو أمطرت السماء بناقاً ، أي عشاً تكون النبات مسبباً عنه) وكذلك فعل الآلوسي في الفاظ أخرى كالجزئية واللازمية والملازمية وغيرها^(٩٩) .

وينقل المؤلف اعترافات ومحضرات لكلام العلماء ، ف يأتي الآلوسي فينقل الاعتراض مفصلاً أو ينقل نص كلام ذلك العالم^(١٠٠) . أو ينقل أحياناً تعليلاً لقاعدة لا يذكرها ابن عاصم كقوله في الحرف (لعدم استقلاله بالمفهومية) فيقدم لنا تعليلات العلماء والمحققين في عدم الاستقلال هذا^(١) . ولا ينسى الآلوسي أن يعرف بالاعلام ، والبلدان التي ترد في أثناء

(٩٥) المصدر السابق ١٦ .

(٩٦) المصدر السابق ١٧ .

(٩٧) المصدر السابق ٢٠ .

(٩٨) المصدر السابق ٢٧ .

(٩٩) المصدر السابق ٤٣ .

(١٠٠) المصدر السابق ٥٣ – ٥٥ .

(١) المصدر السابق ٥٥ .

ورأيي في هذا الشرح انه لا يخلو من الطرافه والفائده ، الا ان طبعه دون المتن الاصلي لا فائد فيه ، لأن الآلوسي لا ينقل المتن كله ، فكلامه احيانا غامض دون الرجوع الى ما قاله ابن عاصم بكماله .

ب - البحث والمناظرة :

١ - البيان شرح البرهان في اطاعة السلطان :-

أصل الكتاب وهو (البرهان) من تأليف الشيخ عبد الوهاب افندى .
يسين جي زاده ، كلفه الوزير علي رضا باشا بشرحه .

توجد نسخة من هذا الشرح بخط مؤلفه في مكتبة الاوقاف العامة ،
كتبت سنة ١٢٤٩ هـ ، ونسخة ثانية منقوله عنها في مكتبة المرحوم هاشم
الآلوسي كتب سنة ١٣٠١ هـ^(٣) .

يداً الآلوسي كتابه بتقديم مداائح طويلة في السلطان محمود الثاني
والوزير علي رضا باشا ومؤلف المتن الشيخ عبد الوهاب^(٤) .

والكتاب من أوله إلى آخره يبحث في شرعية وجود الدولة العثمانية
ووجوب طاعة سلطانها محمود الثاني على جميع المسلمين ، وذلك بسوق
الأدلة الشرعية من الكتاب والستة ، والكتاب بعد ذلك رد على الشيعة ،
وتقييد لفكرة المهدى المتغطر ، كما هم يؤمنون بها .

لا يقف الآلوسي عند ظواهر الكلمات التي يشرحها ، وإنما يتعمق
في مفاهيمها الفلسفية والكلامية والصوفية ، فينقل آراء أهل الحكمة والكلام
والصوفية في الفاظ (الحمد والجوهر والعالم والمكان والحلال والحرام

(٢) المصدر السابق - ٢٨ - ٧٧

(٣) ذكرى أبي الثناء ٩١ .

(٤) التبيان شرح البرهان ١ - ٤ مخطوطه في مكتبة الاوقاف العامة .
تحت رقم ٥٦١٦ .

والحكم والعقل والخاطر) فهو مثلا يقول (وقال بعض أكابر الصوفية ، نفعنا الله بفتحاتهم السنية ، العوالم خمسة : عالم الاعيان الثابتة وهو عالم الغيب المطلق وعالم الجبروت وعالم الملائكة وعالم الملك وعالم الانسان) ثم يبدأ بتفصيل هذه المراتب من العوالم^(٥) ، وهو يقول مثلا في بيان مدلول الكلمة (الاحكام) ؟ وهي جمع حكم وهو في اصطلاح قدماء المتصقين نسبة أمر الى آخر ايجابا وسلبا ، وفي اصطلاح المؤاخرين ادراك وقوع النسبة أولا ووعوها ، وفي اصطلاح الاصوليين خطاب المتعلق بالملکفين بالاقتصاد او التخير^(٦) .

ويشرح الآلوسي كذلك المدلولات اللغوية ، ويبدى آراءه فيها . يقول في الكلمة السياسة (وسبب هذه الكلمة ان جنكيز خان (ت ٦٢٤ هـ) ملك المغول كان قد قسم مماليكه بين اولاده الثلاثة وجعلها ثلاثة أقسام ، واوصاهم بوصايا لم يخرج الترك عنها الى يومنا هذا مع كثرتهم واختلاف اديانهم فصاروا يقولون (سهيسا) يعني التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكيز خان ، فتقل ذلك بين العامة ، فعروها على عادة تحريفهم فقالوا (سياسة) ثم قال (وأقول لا يبعد أن يكون اصله العربي سيساء وهي كلمة عربية قال في القاموس يقال حمله على سيساء الحق اي على حده ، ثم وقع التحرير فقيل سياسة . وأرادوا بها ما اقر من الحدود والقوانين وسائر الاحكام)^(٧) .

ويدخل الآلوسي في مناقشات ساخرة مع الشيعة في قولهما بظهور المهدى المنتظر^(٨) فيقول (يعتقدون امامته ، ويحقّقون غيته ، ويقولون ان

(٥) المصدر السابق ١٠ .

(٦) المصدر السابق ٢٧ .

(٧) البيان شرح البرهان ٣١ .

(٨) هو فيما يقولون محمد بن الحسن العسكري ، آخر الائمة الاثنى عشر عند الامامية . اختلف كما يقولون في سرداد في دار أبيه بسامراء ، والشيعة ينتظرون خروجه ، وينكر بعض المؤرخين ولادته اصلا اختلف كما يقولون سنة ٢٧٥ هـ . انظر قاموس الاعلام ٣٠٩/٦ .

نصب الامام لطف واجب على الله ، فأى لطف في النصب مع الاختفاء ،
وأى نفع في الامامة مع الخوف من الاعداء . على انه لم ينقل أحد من
المؤرخين ان ولداً للحسن العسكري ادعى الامامة ، وطلب الرعامة ، وانهض
للحلال ، وان أحداً من خلفاء وقته هدده وأخافه ، سلمنا لكن نقول ان
الاختفاء لو كان من خوف القتل فهذا لا يتصور لأن الائمة بزعم الشيعة
يموتون باختبارهم كما أثبته شيخ اسلامهم الكليني (ت ٣٢٩ هـ) بروايات
كثيرة ، وعقد له باباً مفرداً ، وان كان من خوف الابداء البدني يلزم انه فر
من عادة المجاهدة والصبر اللذين فيهما غاية الأجر ، على ان الذين يخافهم
ان كانوا قد انفروا أجمعين من مئات السنين ، وقد شاع التشيع في كثير
من البلاد ، وتسلطن الجم الغير من شيعته على العباد ، فهلا حدته نفسه
بالظهور في دار المؤمنين (قم) أو مدينة الایمان (کاشان) . ولا نراه يخطر
له ببال ، ولا يمر له بخيال ، بل يزداد كل يوم سترة واحتفاء ، وهجرا
لشيعته وجفاءً^(٩) .

ويعد الآلوسي فصلاً عن الفقه السياسي في قضية الامامة من وجهة
نظر أهل السنة والجماعة ، ومن وجهة نظر الشيعة ايضاً ، فيجاجج الشيعة
فيقول (وايضاً لو كان اللطف واجباً على الله ، لم يفوض الامامة الى جماعة
لم يكونوا قادرين على اظهار الامور الشرعية بل مضت اوقاتهم على الاختفاء
والتقية^(١٠) .

اما الاحاديث التي رواها صاحب المتن في وجوب طاعة الامام ، وعدم
الخروج عليه ما أقام الصلاة وأدى الى الفتنة . فأن الآلوسي شرحها شرعاً
ولافياً وقدم تراجم مختصرة عن رواتها^(١١) . وخاصة الصحابة ونقل جرح
رجال الحديث بعض رواتها .

(٩) التبيان شرح البرهان ٣٨ (قم و کاشان) مدینتان فى ایران .

(١٠) المصدر السابق ٤٧ .

(١١) المصدر السابق ٤٩ - ٦٩ .

وبعد أن ختم الآلوسي شرح البرهان ، ساق مائة حديث في فضل
الجهاد والرباط وأورد قصصاً شيقة مؤثرة تبين ما آل إليه أمر بعض المجاهدين
الابرار الذين اخصوا مع الله ، فباعوا أنفسهم في سبيل اعلاء كلمته ٠

ولا أريد أن أترك الكلام عن هذا الكتاب قبل أن أشير إلى مسألة
أثيرت حوله من قبل بعض الباحثين ، فهو يقول (لذلك كان أصحاب الآراء
يضطرون للمحاورة والتقية ، ومجاراة الولاة الذين لا يرعون إلا ولا ذمة ،
وبذلك يؤمنون على أنفسهم من بطشهم ، حتى إن أبا الشناء الآلوسي لم يجد
ما يدفع عنه غائلة الاضطهاد واعادة حقوقه المهدومة الا بتأليف كتاب كان
يعتقد ببطلانه ، إلا وهو شرح البرهان في اطاعة السلطان)^(١٢) ٠

هذا الكلام لا يظهر بين اسطرِه مخايل التحقيق العلمي لما يأتني :

- ١ - لقد قدمنا صورة واضحة عن حياة الآلوسي واتهينا إلى أن الرجل
كان جريئاً في حدود ، وكان عزيز النفس ، أو ذي واضطهاد وسجن ،
فكيف يتصور أن يؤلف كتاباً يعتقد ببطلانه - كما زعم الكاتب - فيسع دينه
بدنياه ، وهو العالم العامل المؤمن الذي لم يكن حريراً على المناصب والمغانم ٠
- ٢ - إن الآلوسي لم يؤلف هذا الكتاب أيام اضطهاده أملاً أن تعاد له
حقوقه المهدومة وإنما ألف هذا الشرح بعد اعادة حقوقه وتعيينه مفتياً في
بغداد - كما مرّ بنا سابقاً - فقول الكاتب يدل على عدم اطلاعه على حياة
الآلوسي ٠

- ٣ - لا يظهر فيما كتبه الكاتب أنه على علم بما كان يدبره أعداء
المسلمين . يقول الدكتور علي حسن الخربوطي (وفي منتصف القرن
التاسع عشر تعرض العالم العربي والاسلامي للاظماع الاوربية ، فقد فتح

(١٢) يوسف عزالدين (الدكتور) الشعر اعرافي أهدافه وخصائصه ٠

الفرنسيون الجزائر سنة (١٨٣٠ م) واستولت الروسيا على القوقاز ، وسيطرت انجلترا على الهند ، وهولندة على اندونيسيا ، وخاف المسلمون أن يسيطر الاوربيون على العالم الاسلامي جميعه ، ولذا فكر المسلمين في جمع كلمتهم للوقوف امام التيار الاوربي^(١٣) .

وكان الدّولة العثمانية هي الكيان السياسي والعسكري الذي كان يقف امام هذا التيار ، فكان لابد للعلماء والمفكرين من أن ينادوا الدولة – وقد فعلوا – ويقوّوا الصلة بينها وبين الرعية .

ثم ان الصراع الطائفي ، دفع علماء السنة في العراق ان يبذلوا المستحيل في سبيل مناصرة الدولة العثمانية السنية الحنفية .

ان الكاتب المذكور لم يقم اي حساب للصراع العقائدي والطائفي في تحديد افكار العلماء في ذلك العصر .

نعم ان الآلوسي ينقد كثيرا من الوضاع السئئة في البلاد الاسلامية ، وينبه الى عديد من التوأقص في جسم الدولة بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، ولكن هذا شيء والايمان بأصل الدولة ومناصرتها للتغلب على اعدائها شيء آخر .

لقد هيأت لي هذه الدراسة أن أطلع على كل ما كتبه الآلوسي تقريبا ، فتبيّن عندي انه ناصر الدولة العثمانية عن عقيدة راسخة ، لأن الواجب الاسلامي في ذلك العصر المعم بالاخطار والمؤامرات على الاسلام وال المسلمين ، كان يفرض عليه وعلى أمثاله ذلك ، وكان الآلوسي من أوائل المبهين الى هذا الخطر ، فلقد حذر المسؤولين والناس من خطر الروسيا (المسقوف) التي كانت تشكل في ذلك الوقت خطرا عظيما على الاسلام وال المسلمين^(١٤) .

(١٣) غروب الخلافة الاسلامية ١٨٦

(١٤) غرائب الاغتراب ١٤٣

يقول الآلوسي (نسأل الله تعالى ان يطفئ نار اولئك الطعام ويؤجج
عزو جل بلطفه نور المسلمين والاسلام ، ولا يخرجنا الى الاستعنة بأعداء
الدين يريدون أن يصطادوا بشباك الاعانة بعض بلاد المسلمين وأنا أخوف
ما أخاف من مكر الأعداء من جهة العراق) .

ان من الخطأ في البحث العلمي استخلاص الاحكام من عناوين
الكتب ، فطريق الباحث هو الدراسة الكاملة لما في تلك الكتب ، ثم مراعاة
الظروف والاحوال المحيطة بما كتب حسب الزمان والمكان .

٢ - الأوجبة العراقية على الأسئلة اللاهورية :

أجاب الآلوسي في هذا الكتاب عن سؤال ورد من لاهور حول جماعة
ظهروا في بلاد الهند ، كانوا يزعمون انهم من أهل السنة ، فيسبون الصحابة
رضي الله تعالى عنهم خصوصا من خاض لجة الفتنة كمعاوية بن أبي سفيان
ومن وافقه ، فحوله الوزير علي باشا إلى الآلوسي ، وكان قد أجابه عليه
علماء آخرون (١٥) .

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم
الآلوسي كتب سنة ١٢٥٤ هـ ورأيت نسخة خطية في مكتبة الاوقاف العامة
بغداد ضمن مجموعة خطية اهدى إليها من قبل بيت (الانكلي)
وقد رتب الآلوسي كتابه هذا على مقدمة وخاتمة وثلاثة فصول .

بدأ الكتاب بتعريف (الصحابي) لغة ، ثم نقل آراء العلماء الثقات ،
والمحدثين في إخراج أنس معين من مفهوم الصحابة ، كالاعراب الذين رأوا
النبي والمناقفين في المدينة والأطفال . والمقصود بالصحبة من لازمه بالإيمان ،
ومات مؤمنا . وعلى ذلك فقد ادخل العلماء الذين ارتدوا ثم عادوا واحلصوا
في زمرة الصحابة ، فلم تخربهم الردة كأشعث بن قيس (ت ٤٠ هـ) الذي
ارتدى ثم رجع ، فزوجه الصديق اخته ، ولم يختلف أحد من المحدثين في

أما في الفصل الأول ، فلقد بين الآلوسي أن الصحابة عدول ، لأن الله عدلهم ، وأعد لهم الجنة ، ولأن حياتهم وسيرتهم ندل على ذلك ، فهم الذين نقلوا إلينا الكتاب والسنّة ، فالطعن فيهم طعن في الدين وزندقة^(١٧) . ثم أورد رأي الشيعة في الحكم على الصحابة بالارتداد إلا أربعة أو ستة ، فردهم مختصرًا ، وحول القاريء إلى تفسيره في بعض الموضوعات ، كموضوع ردة حجية حديث الغدير على امامية علي بن أبي طالب^(١٨) .

ثم أورد أقوالاً للإمام علي وبعض أئمة الشيعة من المصادر المعتمدة عند الشيعة ، كلها تعظيم وتجليل لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ثم انتقل إلى ذكر بعض الأحاديث المروية التي ينص ظاهرها على أن الصحابة سيتذمرون أموراً من بعده ، فوجهها وبين المقصود منها ، ثم انتقل إلى القرآن الكريم فذكر الآيات التي تدل على إيمانهم ، وطهارة ثوبهم^(١٩) . ثم أفرد بقية صفحات هذا الفصل لرد شبهات الشيعة حول بعض تصرفات الصحابة كفراً بهم من الزحف يوم أحد وحنين ، وتركتهم رسول الله قائماً يوم ورود العبر من الشام يوم الجمعة ، وعدم استجابتهم لما طلبهم منهم الرسول صلى الله عليه وسلم حين وفاته من احضار دوامة وورقة^(٢٠) .

أما الفصل الثاني فقد أفرده للفترة التي وقعت بين علي وبين عائشة والزبير بن العوام وطلحة بن أبي عبيد الله ، ثم أثبت أن هؤلاء عادوا إلى بيعة

(١٥) الاجوبة العراقية على الاستئلة اللاهورية ٤ ، ٥ .

(١٦) المصدر السابق ٩-٦ .

(١٧) المصدر السابق ١٠ ، ١١ .

(١٨) المصدر السابق ١٤-١٧ .

(١٩) الاجوبة العراقية على الاستئلة اللاهورية ٢١ - ٢٥ .

(٢٠) المصدر السابق ٣٦-٣١ .

علي^(٢١) ، ثم انه ذكر وقعة صفين وما دار فيها من حرب وتحكيم وأورد
أقوال العلماء في بقاء هؤلاء على الاسلام ، ورد القول بکفرهم ، ثم ذكر
حوادث تاريخية معينة تظهر ان معاوية ندم على ما فعل في حق علي ، وكان
يذكره بخیر ، وما نقله المؤرخون من أقوال معاوية في علي لا صحة له في
نظر الآلوسي ، لأن المؤرخين ينقلون ما ثبت وطاب ، ولا يميزون بين
الصحيح والموضع والضعف ، وأكثرهم حاطب ليل ، ويمكن ان يعتبر
هذا ملخص رأي الآلوسي في المؤرخين^(٢٢) .

أما في الفصل الثالث فين سب الصحابة وشتمهم واختلاف العلماء في ذلك وفي اللعن ؛ ثم رد على الشيعة بالقرآن والسنة وأقوال العلماء في عدم جواز سب الصحابة وذكر آراء العلماء والفقهاء في تفسير أو تكfir من سبهم ووجوب قتلهم ، وذكر اجماع الطرق الصوفية على محنة الصحابة الكرام^(٢٣) . ثم خص بالذكر معاوية وعمرو بن العاص وذكر أقوالاً كثيرة في صحيحتهما للنبي صلى الله عليه وسلم وفضائلهما^(٢٤) .
وفي خاتمة الكتاب ذكر مراتب الصحابة وأفضلية بعضهم على بعض ،
وأقوال العلماء في ذلك .

ويمتاز هذا الكتاب بالتركيز ، وعدم الاستطراد ، كما يمتاز بأسلوبه العلمي الرائع بحيث لا نجد لعاطفة الآلوسي مكاناً ، وإنما ليجأ في المناقشات والردود وتقرير الحقائق والأراء إلى الحجج المنطقية ، والواقع التاريخي والاستشهاد بالكتاب والسنة . وفي رأيي أن هذا الكتاب على صغره من

(٢١) المصدر السابق ٣٧-٣١ .

(٢٢) المصدر السابق ٤٤-٣٨ .

(٢٣) المصدر السابق ٤٥-٥٠ .

(٢٤) المصدر السابق ٥٢ .

أجل الكتب ، ومن الضرورة طبعه وتوزيعه ، لأن فيه توجيهها قيماً للناس ،
وتصححاً لكثير من الأخطاء المنشورة بين العوام وخاصة في العراق في أيامنا
هذه .

٣ - سفرة الزاد لسفرة الجهاد :

ألف الآلوسي هذا الكتاب أيام السلطان عبدالمجيد خان ، سنة ١٢٧٠ هـ
عندما حشدت الدولة (المسقوفية) الروسية قواتها للهجوم على الدولة
العثمانية ، فثارت الحمية الإسلامية بين الناس فهبا يلبون نداء السلطان
للحجـاد (٢٥) .

توجد نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي كتبـت
سنة ١٢٧٠ هـ . وقد طبع في مطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٣٣ هـ .
يقول الآلوسي (فلما رأيت من الناس على الجهـاد فرط التهـالك ، وحققت
أن قد سعوا إليه من أقصى الممالك ، تاقت نفسي ، واشتافت الانسلـاك في سـلك
أبناء جنسـي . وثارت غيرـتي الهاشـمية ، وحمـت حميـتي الـإسلامـية ٠٠٠٠)
ونوـدـيت أنـ منـ الجـهـادـ آنـ تـؤـلـفـ فيـهـ رسـالـةـ ، تـذـكـرـ فيـهـ فـضـلـهـ وـمـآلـهـ ، وـتـعـظـ
فيـهـ مـسـلـمـيـ البـشـرـ ، وـتـسـتـهـضـ القـاعـدـينـ عنـ الجـهـادـ غـيرـ اـولـيـ الضـرـرـ (٢٦) .

بيان الآلوسي في مقدمة رسالته هذه المعنى اللغوي للجهاد ، ثم استشهد
بآراء طائفة من العلماء ، ثم بحث فيما إذا كان هذا يشمل جهـادـ الانـبيـاءـ الذينـ
الـذـينـ سـبـقـواـ الـاسـلامـ آـمـ لاـ ؟ـ وـفـيـماـ إـذـ كـانـ مـعـاـونـةـ الـمـسـلـمـ بـالـمـالـ وـالـرـأـيـ
تعـقـبـ جـهـادـ آـمـ لاـ ؟ـ وـظـاهـرـ رـأـيـهـ أـنـ يـعـتـبرـ جـهـادـ آـوـ نـوـعـاـ مـنـ لـاحـادـيـثـ
يـسـوقـهـ فـيـ تـوـضـيـحـ المعـنىـ ،ـ ثـمـ اـنـتـقـلـ إـلـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ جـهـادـ أـيـامـ الرـسـوـلـ

(٢٥) سفرة الزاد ٣ .

(٢٦) المصدر السابق ٤ .

صلى الله عليه وسلم (٢٧) *

انشأ الآلوسي بعد ذلك بحثاً فقهياً حول الجهاد أهوا فرض كفاية أم فرض عين ، وذكر أدلة كلتا الوجهتين • وهل تختلف الكفاية والعينية حسب الظروف كما ذهب إليه بعض العلماء أم لا ؟ ومتى يجب القتال ؟ ويتهيى الآلوسي بعد هذا العرض إلى أن الجهاد في زمانه فرض عين على المسلمين ، وبرر قوله (حيث ان الكفارة علينا صالوا ، وفي ظلال الضلال والعدوان قالوا ، ودخلوا دار الاسلام ، وخرجوا عن عهدهم مع الامام) (٢٨) *

واختتم المقدمة ببحث موجز عن الناحية المالية في تجهيز الجيش ومشروعية الاستعانة بالكافر في القتال ، ويرى الآلوسي أن يكون هذا الكافر مخالفًا في المعتقد للعدو الكافر *

أما في فصل (المقصد) فقد ساق عشرات الأحاديث الصحيحة المؤتوق بها في فضل المجاهد في سبيل الله والمرابط في سبيل الله والشهيد في سبيل الله • والذى يجلب النظر ان الآلوسي بدأ في هذا الفصل باسلوب علمي ، ثم انتقل إلى اسلوب خطاب المسلمين وحثهم على الجهاد ثم رجع إلى الاسلوب العلمي مرة أخرى ، ثم لجأ إلى اسلوب الخطابي الادبي المؤثر *

وأما في فصل (المتممة) فقد ذكر الآلوسي بعض السنن والأمور المتعلقة بالجهاد ، فقسم الفصل إلى فوائد ، ففي الفائدة الأولى ذكر يوم الخروج وتعيين الامير ، ومواعيد القتال ، ونقل طرفاً من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في ميدان القتال ، وفي الفائدة الثانية بحث عن مشروعية قتال القرابة بعضهم فيما إذا كان جمع منهم مشركاً والآخر كافراً وفي

• (٢٧) المصدر السابق ٦-٤ *

• (٢٨) المصدر السابق ١١-١٠ *

الفائدة الثالثة نقل آراء المذاهب حول قتل الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان والملوك من الأطفال والنساء وهم بين مانع وجائز ، وطرق الى منع المثلة بالقتل ، ثم انتقل الى حكم الفارين من الجهاد متى يجوز ومتى لا يجوز ؟ ونقل آراء أهل المذاهب في ذلك . وفي الفائدة الرابعة عالج الآلوسي حكم استصحاب القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه ، وحكم المبارزة والمحاصرة عند الحاجة . وفي الفائدة الخامسة عالج حكم المواجهة وشروطها ووقتها ونقل بعض الحوادث التاريخية التي توضح المسألة . وفي الفائدة السادسة دعا الجندي التوكل على الله بعد تهيئة الأسباب ، وتقوية الاتصال بالله سبحانه وتعالى ، وكتب لهم طائفة من أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم وقت القتال .

وفي رأيي أن هذا الكتاب كتاب جليل في بابه ، يبين فيه المؤلف كل ما يحتاج إليه المجاهد المسلم من علم بالجهاد ، ومعرفة بكل ما يتعلق به . واسلوبه يتسم بالموضوعية ، وإن كنا نلاحظ ظهور الأساليب الخطابية عليه أحياناً .

٤ - الاجوبة العراقية للاسئلة الايرانية :-

هذا الكتاب جواب على ثلاثين سؤالاً وردت من ايران الى علماء بغداد ، فعرضها المشير الوزير على رضا باشا على العلماء الذين كانوا يترددون على مجلسه ، ولكنه لم يصل الى غرضه المنشود ، فأعطتها الى المفتى الآلوسي ، فأجاب عنها (٢٩) .

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم

(٢٩) الاجوبة العراقية للاسئلة الايرانية ١ ، ٢ مخطوطه الاوقاف العامة تحت رقم ٥٣٤٥ .

الآلوسي كتب سنة ١٢٧٠ هـ ونسخة ثانية في مكتبة الأوقاف العامة تحت رقم (٥٣٤٥) وطبعت على هامش كتاب (خواتم الحكم) في مصر سنة ١٣١٤ هـ وطبع أيضاً في مطبعة مكتب الصنائع في الاستانة سنة ١٣١٧ هـ

والأسئلة هذه في فنون عدة فالسؤال الأول في التصوف ، والثاني والثالث والسادس والسابع والتاسع والعاشر والحادي عشر في الموضوعات الكلامية والمنطقية والفلسفية ، والسؤال الرابع والخامس في الفلك ، والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والتاسع عشر والثلاثون في المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية ، والخامس عشر والسادس عشر في علوم القرآن والسابع عشر والثامن عشر في تاريخ الرجال ، والعشرون والثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون والتاسع والعشرون في مختلف المذاهب الفقهية وخاصة في الشافعية والحنفية . ويتميز هذا الكتاب بümaliyi :

١ - ان اسلوب الآلوسي في أجوبته جميعها اسلوب علمي بحت ، فلم ينجرف مع أية نزوة عاطفية .

٢ - يعتمد اعتماداً أساسياً على الكتب والرسائل التي تبحث في موضوع الجواب ، ويدل عليها في كتابه (٣٠) .

٣ - يعتمد في تقريره الحقائق على الظروف والقواعد التي قيدت أصحابها فهو مثلاً يستذكر على بعض من حمل كلام الشيخ ابن عربي على غير محمله ، لانه يخالف قواعد الشيخ في التفكير والبحث ، أي ان الآلوسي يريد معالجة موضوعاته ضمن نطاق مصطلحاتها (٣١) وهذه قاعدة علمية

(٣٠) الاجوبة العراقية للأسئلة الإيرانية ٣-١٠ ، ١٤ .

(٣١) المصدر السابق ١٠ ، ١١ ، ١٩ .

حقيقة تعصم الباحث من أخطاء جسيمة •

٤ - يذكر الآلوسي آراء المخالفين لمن بحثوا في موضوع الجواب ،
فيعطي المجال للقارئ كي يقارن ويرجح (٣٢) • وهذه الطريقة في الوصول
إلى الحقيقة من خصائص الأسلوب العلمي الذي سبق إليه علماؤنا الأفضل •

٥ - عندما يبحث الآلوسي في مسائل هندسية أو فلكية ، يتبع أقواله
بشكل رسومات هندسية أو فلكية •

٦ - الآلوسي شخصية قوية في كتابه ، فهو يناقش ويقارن ، ويرد
وينهي رأيه في آراء أهل الكلام والفلسفة ، ويرميهم بالعدول عن ظواهر
الكتاب والسنة (٣٣) •

٧ - يمتاز هذا الكتاب بردوده العلمية على اعترافات الشيعة في
بعض مسائل التاريخ وتاريخ الرجال •

والحق أن هذا الكتاب هو الكتاب الثاني للآلوي من حيث القيمة
العلمية بعد تفسيره (روح المعاني) وفي رأيي أنه لو لم يكن للآلوي إلا هذا
الكتاب ، لكان قيمتنا أن يضع اسمه مع اسماء كبار علماء الاسلام في التاريخ ،
لان كتابه هذا غير المادة ، قوي الأسلوب ، ثابت الحجة • ولاجل ذلك
استقبلته الاوساط العلمية والادبية استقبلاً منقطع النظير ، حتى وصل الخبر
إلى السلطان في اسطنبول فسماه بـ (جامعة الفنون) وقال (الحمد لله الذي
جعل في أيام دولتي مثل هذا العالم ، وجدد به في هذا العصر المعابد
والمعالم) (٣٤) ومدحه الشعرا و الادباء، فمنه قصيدة للشاعر عبدالباقي العمري
يقول فيها :-

(٣٢) المصدر السابق ٤٢-٥٠

(٣٣) المصدر السابق ، ٨٥ ، ١١٩

(٣٤) حديقة الورود ١/٩٧

قد قيل في التمثيل اثنى وذكر
عن حلها كلت أنامل الفكر
سوى شهاب الدين محمود الاثر
كم طاب في محلولك الليل سمر
يروّع الرعد بها اذا هدر
بجده تفاحت علية مضر
وسائل برهانها لنا ظهر
مرطاً فلاحت من جيشه غدر
قد غشى الدنيا واهليها غمر
في فضله من شك بالله كفر
أنامل من كفها البحر زخر^(٣٥)

ان السؤال والجواب مثلما
وهذه اسئلة عويصة
ابكارها ليس لها من ثاقب
علامة الدنيا مع العلية له
فحمل يراعه له شقشقة
به تباہت المعالي مثلما
فيها مسائل منها ابرت
اماط عنها بناء حده
بحر علوم ما لها من ساحل
آمنت بالله وايقنت بمن
لازال في حل العويصات له

وقال الشاعر عبد الغفار الاخرس من ارجوزة طويلة :-

لو نشرت سد بها رحب الفضا
حتى الذى عنا خفا فيه خفا
اوضح فيها ما انطوى وما اشرى
فبان فعل السيف منا والعاص^(٣٦)

الهمـه الله علوما بعضها
فكم أبان من خفايا علمـه
فافهم الجاـهـل في عبارـة
والقمـ الجـاحـدـ منهـمـ حـجـراـ

٥ - النفحات القدسية في الرد على الامامية :- هذا الكتاب رد على
الشيعة في عقائدهم المخالفة لعقائد اهل السنة والجماعة ، أراد به الآلوسي
أن يكون كتابا مستقلا في هذا المجال ، ولكن الظروف لم تسمح له
بأكماله .

(٣٥) التربiac الفاروقى ٣٥٠ .

(٣٦) الطراز الانفس ٣١ .

توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي كتب
سنة ١٢٩٢هـ وهو بخط السيد احمد شاكر ابن المؤلف .
والكتاب بابان ، الباب الأول منه مقسم الى فصول وأما الباب الثاني ،
فقد كتب منه شيئاً ولم يكمله .

بدأ الآلوسي في الفصل الأول بالبحث في قضية الامامة ، ورد الشيعة
في قولهم أن الله عين الامام ، وصرح الآلوسي أن هذه الفكرة مخالفة لطبع
الإنسان (ففى تعين رجل ل تمام العالم فى جميع الا زمنه الى متى بقاء الدنيا
ايجاب لتهيج القتن وجر لأمر الامامة الى التعطيل ودوم الخوف ، والتزام
الاختفاء كما وقع للجماعة الذين تعتقد الشيعة فى امامتهم)^(٣٧) ثم يسوق
الادلة العقلية على بطلان الاختفاء ، ويعتقد ان ذلك مخالف للكتاب والسنّة ،
وال السنن الاليمية في المجتمع الإنساني ، ومناف لحكمة وجود الامام على
الناس ، ويصرّح الآلوسي أن افكار الشيعة في دعوahم افتراضية ، لا تستند
لا على دليل نقلى ولا عقلي ، وان قياس اختفاء المهدى باختفاء الرسول في
الغار مخالف لابسط قواعد المقارنة المنطقية .^(٣٨)

ويعتقد الآلوسي فصلاً في انذر عصمة الامام ، ويقول ان شرط الامامة
العدالة لا العصمة ، ثم يأتي بأدلة كثيرة من القرآن الكريم في رفض هذه
الفكرة .^(٣٩) وينكر أن يكون اماماً على وجوباً بعد الرسول صلى الله عليه
وسلم ، يستند على بعض الأدلة التاريخية .^(٤٠) ويعالج الآلوسي قضية لعن
مخالفتهم ويطبلها ايضاً .^(٤١) ويفند مزاعمهم في ان مخالفة الامام كفر ،

(٣٧) النفحات القدسية ٣ مخطوطه مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي .

(٣٨) المصدر السابق ٦-٣ .

(٣٩) النفحات القدسية ٦ .

(٤٠) المصدر السابق ٧ .

(٤١) المصدر السابق ٨ ، ٩ .

واطاعته ايمان ٠ ويعتمد في ذلك على مسائل تاريخية وكتاب نهج البلاغة المعتبر عندهم ^(٤٢) ويناقشهم كذلك في قولهم في اغتصاب الامامة ، ويرد لهم بالأدلة العقلية والنقلية ^(٤٣) ٠ ثم يأتي بادلة الشيعة في نصب علي اماما ، ويفندها معتمدا على القواعد الاصولية والمنطقية ، مستشهادا بالآيات والاحاديث ، منها على أن الآيات والاحاديث التي يعتمد عليها الشيعة في هذا المجال غير دالة عليها ، لأن النصوص عامة ، فلا تتحمل الالفاظ على الخصوص ٠ ولا ينسى الآلوسي رد بعض الاحاديث الموضوعة والمتكررة التي يستشهدون بها ، والتي تكلم عنها كبار الحفاظ من المحدثين وفندوها ٠ ثم ان الآلوسي يهتم في ردوده بالاعتبارات اللغوية في التوصية والتأويل ^(٤٤) ٠

ويرد قول الشيعة في ان الموافق والمخالف لم يرويا ما يطعن بالأمير ، ويورد مطاعن الناصبة على علي حتى يستدل بها على كذب هذا الرأي ، ثم رد هؤلاء الناصبة في مطاعتهم ردا مفصلا ، واعتبر الامير ممجتهدا في المسائل التي اعترضوا بها عليه ^(٤٥) ٠

ثم يعقد فصلا ثانيا حول عدم الرجعة بعد الموت في الدنيا وفصل ثالثا حول قول الشيعة (انه لا يدخل الجنة الا محبوه ولا يدخل النار الا مبغضوه) ٠

اما في الباب الثاني ، فقد رد مطاعن اهل الاهواء للصحابۃ الكرام وخاصة التي وجهت للصديق ^(٤٦) ، ولم يستمر بعد هذا في تسمة الكتاب ٠

(٤٢) المصدر السابق ١١-١٤ ٠

(٤٣) المصدر السابق ١٦-١٧ ٠

(٤٤) المصدر السابق ١٧-٣٥ ٠

(٤٥) المصدر السابق ٣٧-٤١ ٠

(٤٦) المصدر السابق ٤٢-٤٣ ٠

قال ابنه (الى هنا وقف قلم الوالد ، لازال في رياض الجنان خالد ، فاشتغل بما هو اهم من تفسير كلام الله عزوجل ، ثم لم يتفرغ له لأمور اشغله)
ويظهر الآلوسي في هذا الكتاب حقا بمظهر المجادل الممتاز الذي يبدى براعة فائقة في الردود والزام الخصم

٦ - نهج السلامة إلى مباحث الإمامة :-

وهو آخر مؤلفاته ، وتوفي ولم يكمله . توجد نسخة منه في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي كتبت سنة ١٢٧٨هـ . ونسخة ثانية في مكتبة الأوقاف . العامة كتبت سنة ١٣١٤هـ .

اعتمد الآلوسي في كتابه هذا على التحفة الثانية عشرية من تأليف علامة الهندشاه عبدالعزيز غلام الدھلوی (ت ١٢٣٩هـ) المنقول من الفارسية إلى العربية سنة ١٢٢٧هـ. قسم الآلوسي الكتاب إلى مقدمة ومقصد وخاتمة ، أما في المقدمة فقد ذكر معنى الإمامية وفرقها الأربع :

أ - المخلصة : الذين كانوا مع علي من المهاجرين والأنصار ، ولم يقدحوا في الصحابة الكرام .

ب - التفضيلية : الذين يفضلون الإمام علي دون سب الصحابة الكرام .

ج - السمية : الذين يسبون الصحابة الكرام إلا قليلا منهم .

د - الغلاة وهم القائلون بالوهية على وينقسمون إلى أربع وعشرين فرقة . أما الإمامية فقد انقسموا إلى سبع وثلاثين فرقة .

ويعتبر الآلوسي الثانية عشرية أهون الفرق الإمامية ، ويقول إنهم متظفلون .

في الاعتقادات على المعتزلة^(٤٧) .

(٤٧) نهج السلامة - المقدمة مخطوط الأوقاف العامة تحت رقم ٤/٦٧٨ ب .

ومن المهم في هذا الكتاب أن الآلوسي أدرج فيه الفرق الجديدة التي هي زمانه وترعرعت من الثانية عشرية ، وخرجت على الإسلام نهائياً وهي الشيشية والرشتية والبابية والقرتية^(٤٨) ، وتبنّى الآلوسي بظهور فرق أخرى تتفرع من الإمامية^٠

أما البحث الثاني في المقدمة ففي حكم أهل القبلة ، من حيث تكفير من خالف منهم أهل السنة والجماعة ، وقد نقل آراء العلماء وهي عدم تكفير أهل القبلة ، ثم نقل اختلاف العلماء في بيان منكر الاجماع^(٤٩) . ورأى الآلوسي أنه ينبغي أن لا تکفر فرقة من الفرق التي تختلف ما أنت عليه إلا بعد الاطلاع على عقائدهم ، والوقوف على افكارهم مما علم ضرورة^(٥٠) ثم يبين أدلة مکفرى الثانية عشرية والذين لم يکفروهم ، وهو مع الفريق الثاني مع قوله بأن الكفر منهم قريب جداً ، لعظم ما قالوه من تفضيل علي على الانبياء والملائكة ، وسبهم للصحابية^(٥١) .

(٤٨) **الشيشية** : وهم اتباع احمد الاحسائي (ت ١٢٤٢ هـ) وكان مجدداً للفكر الباطنية ، خارجاً على الشيعة الإمامية في كثير من تعاليمه (انظر : الحسنی (عبدالرازق) البابيون والبهائیون ١٠) .

الرشتية : وهم اتباع السيد كاظم الرشتى (ت ١٢٥٩ هـ) وهو تلميذ احمد الاحسائي ، ولكنه لم ير رأي شيخه في مسائل كثيرة ، وانفرد بأراء وأفكار تختلف عن آرائه اختلافاً جوهرياً (المصدر السابق ١٠) .

البابية : وهم اتباع المیرزا على محمد الشیرازی الذي أُعدم في ایران سنة ١٢٦٥ هـ وهو تلميذ السيد كاظم الرشتى ، والذى ادعى انه نسخ الدين الاسلامي بكتابه المسمى و (البيان) المصدر السابق ١١ .

القرتية : نسبة إلى امرأة آمنت بالميرزا محمد على وسميت بقرة العين (المصدر السابق ٢٠) .

(٤٩) نهج السلامه ٢٧-٢٢ .

(٥٠) المصدر السابق ٢٨ .

(٥١) المصدر السابق ٣٢-٣٩ .

اما المقصد ففي بابه الاول عالج معنى الامامة واقسامها ، فتكلم على وجوب نصب الامام ومعنى الوجوب وعدد المبايعين وشروط الامام وعدم نصب امامين في وقت واحد ، وطاعة من ثبتت امامته وعزل الامام ومعنى الخلافة وعلى من يطلق ^(٥٢) .

ومن المؤسف ان الالوسي لم يتم هذا الكتاب ، فلقد كتب سطرين من الباب الثاني نص على انه سيناقش فيه خلاف الشيعة لمسألة الامامة ، ونصب الامام واعتبر هذا البحث اهم بحث في الكتاب ، فتوفي رحمه الله تعالى ^(٥٣) .

وفي رأيي انه من الممكن تكملة هذا الكتاب ، وذلك باخذ الموضوعات المركزة التي كتبها في هذا الموضوع بالذات في تفسيره واضافتها اليه ، وبهذا يكون كتابا مستقلا كما كان يريد الالوسي .

ويتميز هذا الكتاب الناقص بعدم تعصب الالوسي واتباعه الحق دائما . والدليل على ذلك تبرئته للاثنى عشرية من الطعن في عائشة ام المؤمنين ^(٥٤) . كما أن شخصيته واضحة وقوية في اختيار الافكار ^(٥٥) .

^(٥٢) نهج السلامа ٣٣-٤٤ .

^(٥٣) المصدر السابق ٤٦-٤٧ .

^(٥٤) المصدر السابق ٣٠ .

^(٥٥) المصدر السابق ٣٩-٤٢ .

ج - الترافق :

ليس للآلوزي في الترافق إلا كتاب واحد في ترجمة شيخ الإسلام ، ولقد كان في بيته أن يؤلف كتاباً مفصلاً عن مشايخه وأساتذته^(١) ، وكتاباً آخر في ترجمة رجال العراق من أهل القرن الثالث عشر كما يصرّح بذلك في كتابه إلى شيخ الإسلام السيد عارف حكمت^(٢) . على أيدينا لو جمعنا من كتبه الترافق المختصرة والمطولة لأساتذته وشيوخه ، والعلماء والوزراء والقواد الذين التقى بهم في زمانه لكان حرياً بأن يكون كتاباً يفيد أهل التاريخ والباحثين عن ترافق الرجال .

شهى النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم :-

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط يد المؤلف في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي ونسخة أخرى كتبت سنة ١٢٦٨ هـ في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي ، ونسخة ثالثة في مكتبة الاوقاف العامة ، وقد حفظه حفيض الآلوسي السيد محمد درويش الآلوسي نسخة منه إلى محمد شرف الدين بالتقى باعتباره (رئيس الشؤون الدينية) في الجمهورية التركية^(٣) .

بدأ الآلوسي كتابه هذا بقصة ذهابه إلى إسطنبول ، والتقاءه بشيخ الإسلام ، ثم دخل في تعداد مآثره وآخلاقه ، وقواته وعبادته ، وعلمه وبلامغته ، بأسلوب أدبي رفيع^(٤) .

ثم بدأ بترجمة حياة شيخ الإسلام ، وذكر تقليله في مناصبه القضائية المتعددة في اتجاه مختلفة من بلاد الدولة العثمانية إلى أن صار شيخاً

(١) غرائب الاغتراب ٢٠ .

(٢) حدائق الورود ٢١٨/٢ .

(٣) ذكرى أبي الثناء ٩٠ .

(٤) شهى النغم ١١-١ مخطوطاة الاوقاف العامة تحت رقم ٥٩٣٣ .

للاسلام ، ثم ينقل القصائد التي قيلت في مدحه بينما موسحة طويلة كان قد نظمها عبدالباقي العمرى في تهنته بالشيخة العظمى^(٥) . نقل الآلوسى تشطيرات وتخميسات كثيرة ليتبن قالهما شيخ الاسلام ، ويدرك قصائد من اشعاره قالها عند حجته الثانية^(٦) .

ويذكر الآلوسى نص الرسالة الطويلة التي ارسلها الى شيخ الاسلام عام توليه المشيخة^(٧) وبمناسبة سؤال احد العلماء عن كروية الأرض ، يدخل في هذا الموضوع الفلكي ، ويدرك شيئاً عنه^(٨) .

ويذكر الآلوسى تأليفات الشيخ الشعرية والترية ومن اجازوه ، وهم كبار علماء عصره^(٩) ، ثم أتم كتابه بذكر شيء من تعليقاته في التفسير واللغة على بعض الكتب .

وهذا الكتاب وثيقة تاريخية أدبية مهمة عن حياة شيخ الاسلام السيد احمد عارف حكمت ، وشيوخه ، وعلاقاته مع شعراء عصره ، وتبين اهميته من حيث ان الآلوسى لازمه ، وحضر مجالسه طيلة اقامته في اسطنبول ، الأمر الذي اتاح له فرصة الاطلاع على جوانب من سيرته وعلمه وسلوكه .

ثانياً آثاره الأدبية :-

١ - كتب الرحلات :

١ - نسخة الشهول في السفر إلى اسلامبول :-

وهو كتاب ادبي ممتع، يتحدث فيه الآلوسى عن رحلته إلى (اسلامبول)

(٥) المصدر السابق ٦٥

(٦) المصدر السابق ١١٩-١١ ، ١٠٥ ، ١٩-١١

(٧) المصدر السابق ٩٤

(٨) المصدر السابق ١٢٧-١٢٥

(٩) المصدر السابق ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٦٦-١٦٧

وما جرى له فى الطريق الى ان وصل اليها ٠ توجد نسخة خطية من هذا الكتاب فى مكتبة الاستاذ عباس العزاوى مؤرخة فى ١٩ ربى الثاني سنة ١٢٧٩ هـ ٠ وتوجد نسخة خطية اخرى فى مكتبة المرحوم هاشم الالوسي ٠ وطبع فى مطبعة الولاية (الزوراء) سنة ١٢٩١ هـ^(١٠) ٠

افتتح الالوسي كتابه بطاقة من الاشعار الطريقة فى الرحمة والاغتراب لجماعة من الشعراء منهم ابو تمام (ت ٢٣١ هـ) ثم ذكر مروره بمدينة كركوك واربيل والموصى واجتماعه بالعلماء الذين كانوا يجتمعون حوله ، فيسألونه ويستمعون اليه^(١١) ٠ ويذكر الالوسي أنه التقى فى رحلته هذه فى دير الزعفران ، بجماعة من احبار الرهبان فبحث مع رئيسهم فى الثالثون^(١٢) وفي قرية (كچه بردو) التقى بكثير لهم فناقشه والزمه ، ثم تركه بعد ما رأى عدم الجدوى فى جdale^(١٣) ٠

ويذكر الالوسي أنه مر بماردين ، والتقى هنالك بالشيخ حامد أحد خلفاء الشيخ خالد النقشبendi استاذه ، فمدحه كثيرا ومن اقواله فيه (ولم يتخد حبات مسبحته بنادق يرمي بها آدم عيشه)^(١٤) وابرز ملاحظات الالوسي فى (آمد) هو الشكوى من جهل علمائتها ٠ وفي هذه المدينة كتب تقريرا على كتاب (مختارات ادبية) للسيد احمد افندي القلعلى ، ذكره بطوله فى الكتاب^(١٥) ٠

وبعد مروره بسلسلة من القرى دخل الى (ارض روم) فاجتمع

(١٠) ذكرى ابى الثناء ٩٠ ٠

(١١) المصدر السابق ٩ ٠

(١٢) نشوة الشجاع ٨٦ ٠

(١٣) المصدر السابق ٩ ٠

(١٤) المصدر السابق ٩ ٠

(١٥) المصدر السابق ١٢-١١ ٠

بطائفة من علمائها وأجازهم ثم يقول متهدلاً عن اجازات تلك المناطق (ثم اعلم أن اجازات هاتيك الارجاء التي رأيتها لا يعود عليها) ^(١٦) .

وهو يشكو من علماء هذه الاقطاع جميعها وخاصة من الفتن والقضاء، ويصورهم حساداً حتى ان احدهم من حسده ارسل (الضبطة) اليه واصحابه وهم في (المخان) فقضوهم بعد اتهامهم بالسرقة ^(١٧) .

ويذكر الآلوسي انه زاره في اسطنبول علماء وادباء من مختلف الاقطاع ، وبعضهم اشده شعراً في تفريذ تفسيره ، ومنهم الشيخ حسين الشرواني الذي ألف كتاباً في علم التوحيد جاء به إلى اسطنبول ليتألم جراءاً عليه من الدولة ^(١٨) .

وانهى الآلوسي كتابه بتقديم نصائح إلى ابنائه في بغداد .
ان هذا الكتاب ، كتاب جليل على صغره ، لأنه يصور جوانب متعددة من حياة المجتمع الإسلامي في ذلك العصر ، من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعمانية ، وفيه اوصاف أدبية جميلة لمشاهدة المدن والقرى والجبال والوديان والأشجار .

٣ - نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام :-

هذا هو الكتاب الثاني الذي يتحدث فيه الآلوسي عن رحلته ، وكان الأول وصفاً للذهاب ، وهذا وصف للإياب . توجد نسخة منه في مكتبة الاستاذ عباس العزاوى ، ونسخة أخرى في مكتبة الأوقاف العامة . وطبع هذا مع الكتاب السابق في مطبعة الولاية .

(١٦) المصدر السابق ٢٠-١٥ ، ٢٨ .

(١٧) نشوة الشمول ٣٢-٣١ .

(١٨) المصدر السابق ٥٢-٥٠ .

ذكر الآلوسي انه ركب سفينة (الطائف البحري) من اسطنبول الى (سامسون) والتلقى في السفينة بالمشير سليم باشا والي (شهربور) ومصطفى ظريف باشا والي (ارضروم) . ثم مر في طريقه بسيناب ، وذكر شيئاً من احوال مسجدها ومقتها وفي (سامسون) ذكر شيئاً عن احوال حماماتها ودلائلها ^(١٩) . ويتحدث عما لقيه من المتابع في القرى التي مر بها وخاصة من البعض وقبل الخشب والبرد في الطريق ^(٢٠) .

والآلوسي يصف في كتابه هذا الاماكن التي مر بها من حيث عذوبتها الماء ، واعتدال الهواء ، وطيب التربة ، وجودة الفاكهة ^(٢١) . ويدرك الآلوسي كعادته التفاف العلماء حوله ، وسوءاً لهم منه في التفسير والقراءات ، ولقد هاجم من هؤلاء مفتياً (توقات) مهاجمة عنيفة ، ورماه بالجهل والتكبر وقلة الآداب ^(٢٢) .

وهو في مروره بالمدن والقرى يصف كثيراً من احوال اهلها وحكامها وماموريها من النواحي الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، ويطرق ما للنصارى من قرى وكنائس في تلك الارجاء . وهو معجب بأهل آمد وبعض علمائها فهو يقول (ولقد استبشر بي أهل البلد طرأً كأنني هلال أباح لهم وقد اجهدهم الصيام فطراً ، ولعمري لم أر مثلهم في مكارم الاخلاق احداً ولا من يسدى مع الغريب مثل اياديهم يداً) ^(٢٣) . ويقول (ولم يزالوا يهربون الى ، ويتهافتون تهافت الفراش على ، حتى كادوا يتهمبون وقت منامي ، ويحلون بيبي وبين طعامي وشرابي) ^(٢٤) .

(١٩) نشوة المدام ٦-٧

(٢٠) المصدر السابق ٨-١٤

(٢١) المصدر السابق ١٩

(٢٢) المصدر السابق ٢٠-٢٣

(٢٣) نشوة المدام ٤٨

(٢٤) المصدر السابق ٥٤

ويذكر الآلوسي في هذه المدينة بعض ما صادفه ، ومن ذلك أنه حضر مجلساً للوزير نادر باشا عبدى ، فسمع بعض الألحان الموسيقية والغنائية قال عنها (ما نعمة معد بالنسبة إليها إلا صرير باب) ، ولو سمعها بأذني (اسحق) لصبا ولا صبوة العشق) ثم يعتذر لوجوده في مثل هذا المجلس بأنه لم يكن يدرى قبل الحضور ، وعذرها ما أصرّ من استغفار كما جاء في الآثر^(٢٥) .

وينقل لنا بعض ما دار من مناقشات في المجالس التي حضرها ، وخاصة مجلس المشير عبدى منها أن المشير في ليلة من الليالي حضر كتاباً في الحكمة الطبيعية باللغة التنساوية فترجم لهم فصلاً في عالم النحل ، ولكن الآلوسي لا يقر بجميع هذه المعلومات^(٢٦) . ولم تكن هذه المناقشات تقف عند النحل وإنما كانت تتطرق أحياناً إلى مسائل فلسفية وكلامية وصوفية كوحدة الوجود ، وقضية المهدى المنتظر ، يسأل فيها الوزير ، ويجيب الآلوسي^(٢٧) .

ووصف الآلوسي حفلة ختان للعساكر السلطانية بحضور أمير اللواء (حافظ باشا) مما يمكن أن يستفيد منها عشاق الفن الشعبي في تسجيل الفن الشعبي لهذه الفترة في تلك الأصوات^(٢٨) .

وللآلوي في هذا الكتاب أوصاف أدبية جميلة . فهذا مثلاً وصفه لمدينة ماردین (وماردين بلدة على جبل متراوحة ، وعلى ذروة قلعة تقصّر عنها يد المتراوحة ، قد بعده في السما مرتفعاً ، حتى تساوى ثراثها مع ثرياتها ، فهـي

(٢٥) المصدر السابق ٥٨-٥٩ .

(٢٦) المصدر السابق ٦٦-٦٧ .

(٢٧) المصدر السابق ٦٨ ، ٧٥-٧٨ .

(٢٨) المصدر السابق ٦٩ .

حمى لا يراع ، وعقل لا يستطيع وتشتمل البيوت نحو الفين وخمسماه
ذراعا ، وفيها عدة جوامع ومدارس بلغت سكنتها من القلة النهاية ، وفيها
ست كنائس للنصارى هي بجاذب النصارى آوانس ، والنصارى فيها اكثـر
من المسلمين . وتلك كثرة لا تضر . وفـاكـهـتها كثـيرـة ، قـليلـة الاسـعـار ، واـكـثـر
مياهـها مـاـفيـهاـ منـ الـآـبـار ، وارـتفـاعـ ثـلـجـهاـ شـتـاءـ نحوـ ذـرـاعـ ، وـقـدـ يـلـغـ فـيـ
بعـضـ السـنـيـنـ مـقـدـارـ باـعـ ، وـهـيـ مـرـاعـ غـزـلـانـ ، وـمـرـاعـ حـورـ وـوـلـدانـ)٢٩(.
ولـماـ وـصـلـ إـلـىـ مـشـارـفـ المـوـصـلـ ، اـرـسـلـ شـعـراءـ العـرـاقـ قـصـائـدهـ فـيـ
تبـحـيلـهـ وـالـترـحـيبـ بـهـ .

ويختـمـ الآـلوـسـيـ كـتـابـهـ بـتـقـارـيـظـ الـعـلـمـاءـ كـعـدـ القـيـ اـفـدـىـ المـفـتـيـ الـاسـبـقـ
لـبـغـدـادـ ، وـأـبـيـاتـ لـلـشـعـراءـ عـبـدـ الـبـاقـيـ الـعـمـرـىـ وـمـحـمـدـ اـمـيـنـ اـفـدـىـ الـعـمـرـىـ .
وـعـبـدـ اللهـ اـفـدـىـ الـفـيـضـيـ الـمـوـصـلـىـ ، وـالـسـيـدـ دـاـوـدـ اـفـدـىـ اـبـنـ السـيـدـ سـلـيـمـانـ .
آلـ سـيـدـ جـرجـيسـ .

والـخـلاـصـةـ انـ كـتـابـ نـشـوةـ الـمـدـامـ كـتـابـ طـرـيفـ ، وـرـحـلـةـ اـدـبـيـةـ مـمـتـعـةـ ،
سـيـجـلـ فـيـهاـ الآـلوـسـيـ مـشـاهـدـاتـهـ فـيـ الـبـلـدـانـ ، وـرـأـيـهـ فـيـ اـخـلـاقـ اـهـلـهـ وـعـوـائـدـهـ
وـفـيـ الـوـزـرـاءـ وـالـعـلـمـاءـ الـذـينـ تـقـيـ بـهـ ، وـتـرـكـ لـنـاـ فـيـهـ اوـصـافـ رـائـعـةـ لـمـظـاـهـرـ
الـطـبـيـعـةـ مـنـ الشـرـوقـ وـالـغـرـوبـ ، وـالـصـحـوـ وـالـمـطـرـ وـالـنـسـيمـ ، وـالـجـيـالـ وـالـانـهـارـ
وـالـسـهـوـلـ وـالـمـرـاعـيـ ، وـالـكـتـابـ يـفـيدـ عـلـمـاءـ تـقـوـيمـ الـبـلـدـانـ وـالـمـؤـرـخـينـ الـذـينـ
يـدـرـسـونـ تـارـيـخـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ ، فـهـوـ مـنـ الـمـوـادـ الـتـيـ يـمـكـنـ اـنـ يـعـتـمـدـ عـلـيـهـاـ
الـبـاحـثـونـ فـيـ مـيـجـالـاتـ كـثـيرـةـ .

٣ - غـرـائبـ الـاغـرـابـ وـنـزـهـةـ الـالـبـابـ :-

هـذـاـ الـكـتـابـ جـمـعـ بـيـنـ الـكـتابـيـنـ السـابـقـيـنـ ، وـتـفـصـيلـ لـمـاـ جـرـىـ لـهـ فـيـ

٢٩) المـصـدرـ السـابـقـ ٩٠

عاصمة الدولة (اسطنبول) ذكر فيه الآلوسي ما لم يذكره فيما ، وبذلك
تمت هذه السلسلة من كتبه في الرحلات ٠

توجد نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي ،
ونسخة أخرى في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي ٢ ونسخة ثالثة في مكتبة
الاستاذ كوركيس عواد ٠ وهنالك نسخة رابعة في مكتبة المرحوم ابراهيم
الآلوسي ببغداد ، وطبع هذا الكتاب في مطبعة الشابندر ببغداد سنة
١٣٢٧هـ (٣٠) ٠

يبدأ الآلوسي كتابه بالكلام عن تاريخ حياته ، واحوال دراسته ، وذكر
شيوخه وآخلاقهم ورأيه فيهم وبعض الكتب التي درسها عليهم (٣١) ٠
يهم الآلوسي في كتابه هذا بوصف المدن ، وبيان معانيها وتواريختها
وبنائتها وفتحها ، كما وصف شوارعها وعماراتها وحدائقها ومساجدها
وجسورها ومناظرها وصفا ادبيا رائعا (٣٢) كما فعل ذلك في الموصل وجزيرة
ابن عمر وارضروم وسيواس وتوقات وسامسون ، وأفرد اسطنبول بأطول
بحث (٣٣) ٠

ويسجل الآلوسي في كتابه صورا قلمية للرجال الذين قابلهم وأرخ
بعضهم ، منهم مصطفى بك افندي الربعي وسليمان بك بن ليث الوعا
وعبدالرحمن افندي الكلاك مفتى الموصل وحسن افندي قاضي زادة أحد
علماء الموصل (٣٤) ٠ أما في اسطنبول فلقد قابل جمعا كبيرا من العلماء

(٣٠) ذكرى أبي الثناء ٨٤ ٠

(٣١) غرائب الاغتراب ٢٥-٥ ٠

(٣٢) المصدر السابق ٦٥-١٠٢ ٠

(٣٣) المصدر السابق ١٠٤ ٠

(٣٤) المصدر السابق ٤١-٦٣ ٠

والفضلاء والوزراء والقادة ، فسيجل رأيه في كل واحد منهم وعرض بعض نواحي حياتهم الرسمية وغير الرسمية عرضا مفصلا^(٣٥) . وطرق إلى أخلاق العلماء في إسطنبول وقدم بيانا وافيا عن أحوال الطرق الصوفية ومشايخها بالإضافة إلى تصويره لاحوال المجتمع السياسية والثقافية في تلك الفترة ، والذى يمكن أن يكون مصدرا من مصادر المؤرخين ، ومرجعا من مراجع الدارسين^(٣٦) .

وفي الكتاب أوجبة مستفيضة عن الأسئلة التي كان يسأل فيها عن القرآن الكريم أو شرح بعض العبارات المغفلة . وتميز هذه الأوجبة بالمرونة وكثرة الاستشهاد بالكتاب والسنّة ، وعدم الاستسلام إلى القواع الشخصية والبدع المستحدثة ، كما تمتاز بقوّة شخصيّته العلمية^(٣٧) .

ويحتوى الكتاب على مجموعة مناسبة من الأشعار له ولغيره كتحاميس السيد عبد الباقى العمرى فى الحنين إلى بغداد ، وتحاميس السيد عبد الغفار الآخرين ، وتحاميس السيد عبد الغنى افندي^(٣٨) . ولم ينقطع الآلوسى عن احبابه وأصدقائه فى بغداد ، فلقد جرت بينهم مراسلات دونها فى كتابه ، كراسلات التى جرت بينه وبين عبد الغنى الجميل وعبد الباقى العمرى وابى بكر النقشبندى ومحمد فیضي الزهاوى وغيرهم ، وكان يرسلهم ترا فیجيونه شعرا ، ويسجل الآلوسى أن هنالك رسائل أخرى ضاعت منه^(٣٩) .

ومن أهم القضايا العلمية التى سجلها الآلوسى فى كتابه اجازاته للعلماء فى إسطنبول مع تسجيل كامل لتصوّصها ، فقد أجاز عبد الرحمن الأجهلى

(٣٥) المصدر السابق ١٣٢-٢٠٩

(٣٦) غرائب الافتراك ٧١-٩٢

(٣٧) المصدر السابق ٢٧٧-٠

(٣٨) المصدر السابق ٢١٤-٢١٨

(٣٩) المصدر السابق ٢٠٩-٢٧٥

ومحمد افدي الرافعي^(٤٠) ، كما أجاز جماعة في كتب أبي منصور الماتريدي^(٤١) ، وأخرين في مصنفات الإمام أبي الحسن الأشعري^(٤٢) . وجماعة ثالثة ، في كتب العقائد المشهورة المتداولة في ذلك الزمان بين العلماء الأشعرية والماتريدية^(٤٣) . وأجاز جماعة أخرى في فقه الإمام أبي حنيفة وفقه الشافعية وفقه الإمام مالك وأحمد^(٤٤) . كما أجاز بعضهم في كتب التفسير المشهورة وكتب الحديث المشهورة ، وكتب النحو والصرف^(٤٥) .

ويذكر الآلوسي انه تبادل الاجازات العلمية مع جماعة من كبار العلماء منهم السيد الشيخ احمد عارف حكمت والعلامة محمد التميمي المغربي والشيخ المعمور حسين الداغستاني^(٤٦) .

ويستطرد الآلوسي احيانا الى موضوعات ليست لها علاقة بموضوع الكتاب مباشرة ، ففيما يخص استخارته للسفر عقد تسعه فصول مبينا فيها الاستخاراة ؟ معناها وأصلها وأنواعها وأوقاتها وما يقال فيها من الأدعية وما يقال عقب الانتهاء منها وساق فيها أحاديث كثيرة رواها عن كبار المحدثين ، ونقل أقوال كبار الفقهاء فيها ، ثم انه ختم هذه الفصول بأشعار قديمة في التشاؤم والتفاؤل^(٤٧) .

وأهم ما في الكتاب في نظرى هو المحاورات التي جرت بين الآلوسي

- (٤٠) المصدر السابق ٢٧٧-٢٧٥
- (٤١) المصدر السابق ٢٨٢
- (٤٢) المصدر السابق ٢٨٢
- (٤٣) المصدر السابق ٢٨٣
- (٤٤) المصدر السابق ٢٨٦-٢٨٤
- (٤٥) المصدر السابق ٢٩٥-٢٨٧
- (٤٦) المصدر السابق ٣٠٤-٢٩٧
- (٤٧) غرائب الاغتراب ٣٦-٢٦

وبين شيخ الاسلام في مختلف الموضوعات ، فالشيخ يعرض عليه معضلات في التفسير واللغة ، والتصوف والادب ، والحكمة والكلام . فيبدأ هو بالجواب ، وعند عدم اقتناع الشيخ يذكر له جوابا آخر ، فتتعدد الاجوبة ينقد بعضها ، ويبطل البعض الآخر . والآلوسي حاد الذهن ، سريع التفكير ، حاضر الجواب . وهو يبذل قصارى جهده في سبيل إثبات مقدرته العلمية الفائقة امام شيخ الاسلام ، وعلماء الاتراك . ومن أطرف الاشياء أن يقدم إليه سؤالا منظوما ، فيجيبه نظما على نفس البحر ونفس القافية^(٤٨) .

ومن الاجابات المفيدة انه يوضح امرا لم يوضخه في تفسيره كرده على الرأى في قوله أن نور الفجر لا ينبع من الشمس وإنما نور يخلقه الله تعالى ابتداء^(٤٩) .

واجابات الآلوسي دليل واضح نصيفه الى الادلة التي أوردناها على انه قد هضم المعارف الانسانية في وقته ، فيجوابه على الشيخ في قضية المحكم والمتشبه وافعال العباد في الجن والتقويض وحشده لاقوال طائفه من العلماء من مختلف الاتجاهات الكلامية لدليل واضح على ما نقول^(٥٠) .

وفي ختام الكتاب يدون تقاريف شعرية للكتاب لمفتي بغداد الاسبق عبدالغنى الجميل والشاعر عبد الباقى العمرى ومحمد أمين افندي العمرى والسيد محمد سعيد .

وفي نظرى ان هذا الكتاب من أجل كتب الآلوسى ، خصب مادة ، وطراقة موضوع ، ودقة بحث وجمال اسلوب ، وسنعرض بعض عباراته عند الكلام عن اسلوب الآلوسى .

(٤٨) المصدر السابق . ٣٩٩

(٤٩) المصدر السابق . ٣٨٤-٣٨٢

(٥٠) المصدر السابق . ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤١٦

ب - المقامات

توجد نسخة منها في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي . وتوجد نسخة من المقام الاولى في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي قوبلت وصححت بقلم ابنه السيد نعمان خير الدين سنة ١٢٧١ هـ مع المسودة^(٥١) . وطبعت طبعة حجرية في كربلاء سنة ١٢٧٣ هـ وهذه المقامات هي :

١ - انباء الابناء باطيب الانباء :-

هذه المقامه وصيه لابنائه فهو يخاطبهم وبعضاهم ويضع لهم المنهاج الذي يسيرون عليه ، يدعوهم اولاً أن يستغلوا بالفقه والحديث والتفسير وسائر علوم الدين أكثر من اشتغالهم بفلسفه المتكلسين ، وينصحهم بأن يتمسكوا بعقيدة السلف لأنها أسلم وكذلك أعلم وأحكم . ثم يدعوهم الى أن يحسنوا الظن بالصوفية دون الاستسلام لظواهر ما قالوا من الضلاله ، فهم في رأيه لا يقصدون ظواهرها . والمطلوب منهم دائمًا التمسك بعمرى الشريعة^(٥٢) .

ثم يوجههم الى عدم الاستسلام للبدع ، ويدعوهم الى الآداب الجميلة مثل مصاحبة الاخيار ، وحفظ الاسرار ، والاحتفاظ بالوقار والكرم ، وعدم الرد على السفيه ، والقناعه ، وعدم مجالسة الاعيان . ثم يأمرهم بصلة الرحم بالأم والأخوات والأقارب . ويطلب منهم أن يحفظوا جيد الشعر والنشر . وكأنه أراد أن يعين لهم نوعية هذا الشعر ، فقدم لهم باقات متوعة من الاشعار التي تعمق في نفوس الناس المفاهيم الاخلاقية التي دعاهم اليها .

٢ - الاهوال من الاخوال :-

يبدأ الآلوسي هذه المقامه بالتحدث عن حياته العلمية الاولى ودراسته

(٥١) ذكرى أبي الثناء ٨٥ .

(٥٢) مقامات ابن الآلوسي ٤-٣ .

على والده وبعض العلماء ، وخاصة شيخه علاء الدين علي افندى الموصلى ، ويفيض كثيرا في وصفه^(٥٣) . ويتطرق ايضا الى مؤامرات خصومه عليه ، وخاصة اخواله الذين اعلنوا الحرب عليه نتيجة لدرس بعض اهل السوء ابیاتا عليه في هجائهم^(٥٤) . ويتحدث عن ايقاع هؤلاء به لدى الوزير داود باشا زاعمين انه سب العلامة ابن حجر ، وتدخل طائفة من اهل الخير للتتوسط بينه وبين خصومه ثم كيفية صدور أمر داود باشا بتعيينه في مسجد بمحله (سبع ابكار)^(٥٥) .

٣ - قطف الزهر من روض الصبر :-

هذه المقامه تصور طرفا من حياته العلمية كدراسته في الكتاب ، وتردد على الشيخ علاء الدين ومدة دراسته ، ويسجل الآلوسي فيها قساوة الزمان ومحابيه الشدائـ والمصـوبـات^(٥٦) . ويروى كذلك بعض الحوادث التاريخية كمحاصرة علي رضا باشا لبغداد ايام داود باشا سنة ١٢٤٦ هـ وقيام أهل بغداد عليه ، ويدرك ما لحقه من الاذى الذي ادى به الى حبسه في دار النقيب محمود افندى نقيب الاسراف^(٥٧) .

٤ - زجر المغروف عن رجز الغرور :-

يحدـر الآلوسي في هذه المقامـة الناس من الدنيا لأنـها خائـفة غـدارـة ، ويـمثل لـذلك بـحياتهـ عندـما اـبـتـسمـتـ لهـ الـدـنـيـاـ ، حيثـ كانـ ذـكـرـهـ علىـ كلـ لـسانـ وـكانـ الـخـيرـ متـوجـهاـ إـلـيـهـ مـنـ كـلـ جـانـبـ ، ثـمـ ذـهـبـ كـلـ هـذـاـ ، وـأـحـسـ الشـرـ

(٥٣) المصدر السابق ٢٣-٢٥ .

(٥٤) المصدر السابق ٢٦-٢٧ .

(٥٥) المصدر السابق ٣٤ .

(٥٦) المصدر السابق ٣٥-٣٧ .

(٥٧) المصدر السابق ٣٩ .

عندما عزل علي رضا باشا^(٥٨) فشكوه الى الوزير الجديد محمد نجيب ، فعزله عن افتاء الحنفية ، وسحب يده عن اوقاف المرجان ، ثم يذكر انه توجه مع الوزير المعزول عبد الكرييم باشا الى اسطنبول^(٥٩) .

٥ - سجع القمرية في ربعة العمرية :-

هذه مقامة في شكل قصة رمزية ينحو فيها الآلوسي منحي صوفيا ، ويعرض فيها كثيرا من الاخلاق الاجتماعية السيئة ، والعادات الفاسدة في المجتمع الصوفي البكتاشي ، وهم طائفة مغالية في التصوف ، وفرقة من الفرق الهدامة في تاريخ الاسلام^(٦٠) . ويدعوا الآلوسي في مقامته إلى العزلة من الاعتراف بأن الانسان لا يسلم من الناس ، فالشيخ الذي رافقه إلى زيارة جماعة من اصدقائه اودع السجن ، لأنه كان حاضراً وذكر فيه اسم الوالي . فلفق أحد الخباء التهمة عليه^(٦١) .

وفي هذه المقامات لفتات عن احوال الولاية ومعاداتهم للعلم ، وصلة بعض الموظفين بهم والتي تقوم على المراوغة والختل والنفاق .

وينهي الآلوسي مقامته بالدعوة إلى الرهد في الحياة ، ويدرك الانسان بالموت ، ثم يدعو إلى توبه (تغسل الاوزار قبل أن تحل بنان الغاسل الاوزار)^(٦٢) .

ولا تخلي هذه المقامات من تصوير علاقات الآلوسي بتلامذته في المدرسة العمرية .

(٥٨) مقامات ابن الآلوسي ٤٤-٤٦ .

(٥٩) المصدر السابق ٤٦-٤٩ .

(٦٠) ذكرى أبي الثناء ٦٧ .

(٦١) مقامات ابن الآلوسي ١١٨-١١٩ .

(٦٢) المصدر السابق ١٢٦ .

وللآلوي عدا الكتب التي ذكرناها كتاب (شرح سلم العروج في المنطق) الذي فقد وضع في حياته وله حواش وتعليقات على كتاب (عبدالحكيم حاشية الشمسية) في علم المنطق ، وكتاب الفوائد السننية في الحواشى الكنبوبية ، وله تعليقات على الالفية ، وعلى كتب اخرى في المعقول والمنقول والفروع والاصول ^(٦٣) . كما ان له رسالة في بعض ورقات في شجرة نسبة سماها (شجرة الانوار) .

وقد أنسد الى الآلوسي كتاب (دقائق التفسير) خطأ . ومن هؤلاء الاستاذ محمد بهجت الاثرى في كتابه (اعلام العراق) والاستاذ خير الدين الزركلى في (قاموس الاعلام) والدكتور محمد مهدى البصیر في (نهضة العراق الادبية) . وظهر لي هذا الخطأ اثناء مراجعتي للكتاب المخطوط في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي ، حيث وقعت على ورقة بخط وامضاء الاستاذ منير القاضى ^(٦٤) انقل منها ما يلى (طالعت كتاب دقائق التفسير وهي مخطوطة ملك الاستاذ السيد هاشم الآلوسي ورثها عن المرحوم ابيه عن المرحوم جد أبيه المفسر الشهير العلامة السيد محمود الآلوسي الكبير مفتى بغداد ، وعلامة العراق في عصره ، فتحصل عندي ان المخطوطة ليست من مؤلفات المفسر العلامة الآلوسي ، بل هي مجموعة عنى بجمعها رجل من أهل العلم اسمه (مصطفى) وقد كان كاتبا في المحكمة الكبرى في مدينة سلانيك وتم جمعها سنة ١٠٨٥ هـ جمعها من رسائل وبحوث في تفسير آيات من الذكر الحكيم كتبها طائفة من كبار علماء الدين مثل الزمخشرى والبضاوى والرازى

(٦٣) روح المعانى ١٢/١٦٦ . حديقة الورود ٢/٢٦٨-٢٧٣ . ذكرى ابن الثناء ٨٥-٩٠ .

(٦٤) الاستاذ منير القاضى من كبار رجالات العلم والادب والقانون فى العراق ، تقلب فى عدة مناصب منها (عميد كلية الحقوق) و (وزير المعارف) و (رئيس المجمع العلمى العراقى) .

وجلال الدين الدواني وعاصم جلبي زادة وابي السعود وابن الكمال ،
 وصدر الدين وابن سينا واضرائهم من كبار علماء الاسلام على اختلاف
 عصورهم وعناصرهم ٠ علق في بعض حواشى المجموعة بخطه اللطيف
 المنسق تعليلات قيمة اكثراها من كلام علامة العراق في وقته صبغة الله
 الحيدري الكبير وعلق في موضعين فقط من كلام شيخه علاء الدين علي
 افندي الموصلبي ، وتعليقات اخرى قليلة من كلامه او من كلام فضلاء
 آخرين ٠ عنى عليه الرحمة والرضوان عنابة كبرى في تصحيح المجموعة
 من محض فكره الصائب بدلالة مقتضى السابق واللاحق من الكلام وعزى
 الاقوال الى اصحابها في أكثر الموضع التي عبر عنها الجامع بكلمة (قيل)
 (كتبت في ٢٨ صفر من سنة ١٣٨٣ هـ المصادف لليوم ٢٠-٧-١٩٦٣ م) ٠
 والظاهر أن تسمية الكتاب بـ (دقائق التفسير) هو من عمل الآلوسي
 كما صرحت به هو نفسه^(٦٥) ولعل هذا هو الذي دفع هؤلاء الفضلاء الى أن
 يعدوا الكتاب ضمن مؤلفات الآلوسي ٠

(١) غرائب الاغتراب ٤٣١ ٠

ثالثاً : دراسة فنية لادبه :-

أ - دراسة لاسلوبه العلمي :

اسلوب الآلوسى العلمى تبدو عليه آثار اسلوبه الأدبى ، من اختيار الالفاظ ، والاسيجام بين التراكيب وخاصة فى تفسيره ، اذ ان ذوقه ، العالى يتحكم فى تعبيره ، فيختار اجمل الكلمات للتعبير عن ادق الحقائق والنظريات . العقلية التى يقررها . يقول فى تفسير قوله تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) أى بسبب تعاطيهما ، لأن السكران يقدم على كثير من القبائح التى توجب ذلك ولا يبالى و اذا صحا ندم على ما فعل ، والرجل قد يقامر حتى لا يبقى له شيء و تنتهى به المقامرة الى ان يقامر بولده و اهله فيؤدى به ذلك الى ان يصير أعدى الأعداء . من قمره و غلبه ، وهذه اشاره الى مفاسدھما الدنيوية)^(١) .

واساليب الآلوسى العلمية منتشرة فى كتبه وتفسيره ، ولكن كتابه (الأجوية العراقية على الأسئلة الايرانية) هو اوضح نموذج على هذا الاسلوب ، ونستطيع ان نستخرج مميزات اسلوبه من هذا وهى . كما يلى :

١ - الآلوسى فى تقريره للحقائق لايدع لعاطفته سبلا للسيطرة على عقله ، ولهذا اهمية كبيرة فى الوصول الى الحقيقة ، لأن العاطفة الذائبة هى المانعة من رؤية الحق ، والقائدة الى الهوى . فالرغم من أنه يعادى افكار المعتزلة ، الا انه يشيد بعلم بعض علمائهم . ويعتمد عليهم فى كثير من مسائل اللغة ، وقضايا الاعجاز القرآنى .

٢ - يعتمد فى تقريره الحقائق على الظروف والقواعد التى قيدت

(١) روح المعانى ١٦/٧ .

اصحابها والتى دفعتهم الى ما قالوه ، أى انه يريد معالجة موضوع من الم الموضوعات فى نطاق مصطلحاته ، فهو مثلا يعالج قضية وحدة الوجود والحلول والفناء عند الصوفية فى نطاق مقاصدهم .

٣ - انه فى تحقيقه لفكرة من الافكار يلتجأ الى كتبها ورسائلها المحققة فيها ، والمعتبرة من قبل المؤمنين بها ، فإذا كان يبحث قضية تخص الشيعة مثلا ، فإنه يستخرجها من كتب كبار علمائهم المعترف بهم من قبلهم ، وينقل كلامهم نقلآ امينا لفظا او معنى ثم يرد عليهما .

٤ - عند بحث الآلوسى فى فكرة من الافكار يبسط جميع الآراء ، ولا يخفى شيئاً حتى اذا كن طعنا مباشرا في العقائد التي يؤمن بها .

٥ - واسلوبه العلمي غير مغلق على عادة علماء ذلك الوقت الذين كانوا يعتبرون الاغلاق والغموض فى الكلام دليلا على العلمية ، وبرهانا على التعمق . فهو يعبر عن افكاره بوضوح ، ولم يحاول ان يصطفع اسلوب الاغلاق والغموض فى كتاب من كتبه او رسالة من رسائله .

٦ - أما اسلوبه فى ردوده ، فهو ان يست Britt الأدلة اولا من كلام خصميه ، أى انه يحاول ان يرد كلامه بكلامه ، ثم يوجه النقد اليه من وجهة نظره ، فالآلوسى من هذه الناحية مجادل بارع لا يملك الانسان الا ان يعجب بمناقشة مع خصميه حتى وان لم يكن مؤيدا له في ذلك النقاش .

ان الذى يمكن أن آخذه هنا على اسلوب الآلوسى انه لا يخلو من رواسب افكار بعض العلماء الذين كانوا يجدون فى الهجوم بالسب على الخصوم نسوة ولذة ، فهو كثيرا ما يستعمل الكلمات القاسية ضد بعض من يناظرهم وخاصة الزمخشرى وأضرابه من المعتزلة على الرغم من اعترافه بمامته فى العربية ، الا اننا نلاحظ ان هذا النوع من الكلام يأتي بعد انتهاءه من مناقشه العلمية مع خصميه ، وكأن العاطفة الحبيس طيلة مدة المناقشة

تنفس عن نفسها بهذه الوسيلة بعد أن تضع حرب القلم أوزارها .

دراسة لأسلوبه الأدبي : - الآلوسي كاتب كبير وأديب من الطراز الرفيع ، تشهد له براعته الفائقة في التعبير عن أفكاره وتجاربه . وقد ساعده على ذلك امتلاكه لادة التعبير ، ومصداق هذا ما قررناه من قبل من أنه كان نحوياً ولغوياً . وأنه كان كثير القراءة لادب العرب شعراً وترثاً . وقدرة الآلوسي على التعبير ملكرة قبل أن تكون مكتسبة ، ولا جله حلق في أجواء التعبير الجمالية ، وإنشاء الموضوعات الحيوية المتنوعة .

ولقد اعترف الكتاب والباحثون بهذه الحقيقة ، ففضلهم الاستاذ الاترى على الحريري والصاحب وابن العميد ، وعده في الرعيل الاول بين أئمة الانشاء ، فهو يقول (ما الحريري في مقاماته ، ولا الصاحب في سجعاته ، استغفر الله ! بل ما ابن العميد في ترسالاته ، والموفق عبداللطيف في وصفياته ، أشد للقلوب خلياً ، وأكثر بالآباب لعباً ، مما يطرزه أبو الثناء من بدائع الانشاء . اذا كان لكل من هؤلاء المنشئين وغيرهم ممن هم في طبقتهم العليا اسلوب خاص به اذا حاد عنه ربما أبهم عليه الامر ، والتوى عليه القصد ، وخانه الامكان ، فجدير بأبى الثناء - وقد بروز في جميع أبواب الانشاء - ان يفضل على هؤلاء أجمعين ، ويعد في الرعيل الاول بين أئمة الانشاء المخلقين في ميادين الفصاحة ، وحلائب البراعة ، فهو من أقدر الكتاب لا في عصره فحسب بل في العصور المتقدمة أيضاً على تكيف مناحي الكتابة وتصريف عنانها ، واجرائها في ميادينها ، فيما كتب وحبر في علوم الدين واللغة والادب)^(٢) .

وأما الدكتور محمد مهدي البصیر فقد عده كتاباً كبيراً على نمط بدیع الزمان والحریری ، ويعتقد كذلك أن (شرأبی الثناء في مقاماته وكتبه التي وصف بها سیاحتھ شعر لا يکاد ينقصھ سوی الوزن ، فلیس من شك

• (٢) اعلام العراق ٣٣-٣٢

في ان قوله في وصف الموصل مثلاً (وانها تنبت العلماء المحققين كما تنبت الاچوان والنسرين ، وتخرج الاخيار كما تخرج الازهار) شعر لا ينفعه سوى الوزن)^(٣) .

ولقد لمست خلال قراءتي له أنه لا يقل في الكتابة عن كبار كتاب الطبقة الأولى ، وهو في نظرى أشبه الكتاب بأبي حيان التوحيدي من حيث طول النفس في الوصف ، واتيان الجمل المتوعدة القصيرة فيه . يقول أبو حيان في وصف رسالة أبي سليمان المنطقى في الوزير أبي عبدالله العارض (وقد عمل رسالة في وصف ذكر فيها ما آتاك الله وفضلك به من شرف اعرافك ، وكرم أخلاقك ، وعلو همتك ، وصدق حدسك ، وصواب رأيك ، وبركة نظرك ، وظهور غنائمك ، وخصب فنائرك ، ومحبة أوليائك ، وك مد أعدائك ، وصباحة وجهك ، وفصاحة لسانك ، ونبيل حسيك ، وطهارة غريك)^(٤) . ويقول الآلوسي في وصف شيخه على السويدي (وكان لاهل السنة برهانا ، وللعلماء المحدثين سلطانا ، ما رأيت أكثر منه حفظا ، ولا أعذب منه لفظا ، ولا أحسن منه وعظا ولا أفصح منه لسانا ، ولا أوضح منه بيانا ، ولا أكمل منه وقارا ، ولا آمن منه جارا ، ولا أكثر منه حلما ، ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علما ولا أغزر منه عقلا ، ولا أوفر منه في فنه فضلا ، ولا ألين منه جانبا ، ولا آنس منه صاحبا)^(٥) . ويقول في وصف الوزير (عبدالكريم باشا النادر) (وكان سلمه الله ، زكي الاعراق ، طاهر الشياط ، نقى الاهاب ، لين الجانب ، مكرم الصاحب ، اذا دقق بهر ، واذا فكر شق الشعر ، يحب الكرم ، ويكره الظلم .. الخ)^(٦) .

(٣) نهضة العراق الادبية ٢٤٢ .

(٤) الامتناع والمؤنسة ٢٩/١ .

(٥) غرائب الاغتراب ١٦ .

(٦) المصدر السابق ٤٠ .

ومع ذلك فإن روح العصر فرضت نفسها على الآلوسي ، فقيدته وحالت بينه وبين الانطلاق في الكتابة على سجنته ، إذ ان الخضوع التام للسجع والمحسنات البدعية كالجناس والمطابقة والتورية ، واللعب بالالفاظ والتصنع في الغراب ، والاهتمام بالالفاظ على حساب المعنى كان من سمة هذا العصر ، لم يتخلص منه كاتب من الكتاب ولا أديب من الادباء .

اذن فالآلوسي يخضع لمتطلبات عصره في الخضوع للسجع والاهتمام بالمحسنات . ولكنـهـ والـحقـ يـقالـ سـجـعـ خـفـيفـ الرـوـحـ ، قـصـيرـ النـفـسـ ، بـعـدـ عنـ الـاغـرـابـ وـالـتصـنـعـ قـرـيـبـ إـلـىـ الرـوـحـ الشـاعـرـيـةـ منـ حـيـثـ هـذـهـ المـوـسـيـقـىـ المـتـزـجـةـ بـالـشـاعـرـ الصـادـقـةـ . استـمعـ إـلـىـ يـهـ وـهـ يـصـفـ مـدـيـنـةـ المـوـصـلـ (ـ وـهـيـ عـذـبةـ المـاءـ ، طـيـةـ التـرـبـةـ وـالـهـوـاءـ ، طـعـامـهـاـ هـنـيـ)ـ ، وـشـرـابـهـاـ مـرـيـ ، وـاسـطـةـ الـبـلـادـ وـسـرـتـهـاـ ، وـوجـهـهاـ الصـيـحـ وـغـرـتـهـاـ ، تـلـدـ الـرـبـيعـ فـيـ السـنـةـ مـرـتـيـنـ ، فـهـيـ بـيـنـ الـبـلـادـ أـمـ الـرـبـيعـينـ ، فـارـاضـيـهـاـ فـيـ فـصـلـيـنـ قـدـ عـلـاـ جـنـسـهـاـ ، وـتـجـرـدـ عـنـ عـوـارـضـهـ الـكـدـرـ اـنـسـهـاـ ٠٠٠٠ وـلـعـمـرـىـ اـنـ مـنـ اـخـبـرـ وـامـتـحـنـ ، حـكـمـ بـأـنـ كـلـ رـوـضـةـ بـالـنـسـبةـ إـلـىـ رـيـاضـهـ خـضـرـاءـ الدـمـنـ ، وـانـهـ تـبـتـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـمـحـقـقـينـ كـمـاـ تـبـتـ الـاقـحـوـانـ وـالـنـسـرـيـنـ ، وـتـخـرـجـ الـاخـيـارـ كـمـاـ تـخـرـجـ الـازـهـارـ)ـ (٧ـ)ـ . وهذا نموذج آخر من تفسيره (فالناس اذا أظلتهم المحنـةـ ، وـتـالـتـهـمـ الفتـنةـ ، وـمـسـتـهـمـ الـبـلـيـةـ ، وـانـكـسـرـتـ نـفـوسـهـمـ ، وـسـكـنـتـ دـوـاعـيـهـ ، وـتـخـلـصـتـ أـرـواـحـهـمـ عنـ أـسـرـ ظـلـمـةـ شـهـوـاتـهـ رـجـعـتـ أـرـواـحـهـمـ إـلـىـ الـحـضـرـةـ ، وـوـافـقـتـهـاـ الـنـفـوسـ عـلـىـ خـلـافـ طـبـاعـهـاـ ، فـدـعـواـ رـبـهـمـ مـنـيـنـ إـلـيـهـ ، فـإـذـاـ جـاءـ سـبـحـانـهـ عـلـيـهـمـ بـكـشـفـ ماـ نـالـهـمـ ، وـنـظـرـ جـلاـ وـعـلـاـ بـالـلـطـفـ فـيـماـ اـصـابـهـمـ ، عـادـ مـنـهـمـ مـنـ تـمـرـدـ إـلـىـ عـادـهـ المـذـمـوـمـةـ ، وـطـبـيعـتـهـ الـدـيـنـةـ الـمـشـؤـمـةـ)ـ (٨ـ)ـ .

وعلى الرغم من اتباع الآلوسي لأسلوب العصر ، ينطلق احياناً عندما

(٧ـ) المصـدرـ السـابـقـ ٦٥ـ .

(٨ـ) رـوـحـ الـمـعـانـيـ ٦٤/٢١ـ .

يعطى لنفسه الحرية في القول ، ويفتح لقريحته باب الابداع ، فيرسّل الكلام على سجنته ارسالا ، طليقا من القيود التي يقيد بها نفسه في كتاباته المسجوعة ، يقول (وذلك ان الحمد مبادى حرفة المريد) ، فان نفس السالك اذا تزكت ومرأة قلبها اذا انجلت ، فلاحت فيها اتونار العناية الموجبة للولاية تجردت النفس الزكية للطلب فرأث آثار نعم الله فيها سابقة ، والطاقة متناهية ، فحمدت على ذلك ، واخذت في الذكر ، فكشف لها من وراء الحجاب واستار العزة عن معنى رب العالمين ، فشاهدت ما سوى الله سبحانه على شرف الغناء مفقرا الى المبقي محتاجا الى التربية ، فتركت طلب الخلاص من وحشة الأدبار ، وظلمة السكون الى الايغار ، فهبت لها من نفحات جناب القدس نسمائم الطاف الرحمن الرحيم ، ففرجت للمعات بوارق الجلال من وراء الجمال الى الملك الحقيقي ^(٩) .

اما اهتمام الالوسي بالمحسنيات البدعية فواضح فيما كتب ، ولكن لم يکثر منها على عادة كتاب ذلك العصر . يقول في اصطناع الجناس في تفسير قوله تعالى (فمن اظلم من افترى على الله كذبا) ، بان قال اكرمني الله تعالى بالكرامات وهو الذي بالكري مات) ^(١٠) او (وان يصلح حاله حال ، وان لا يجعل افعاله افعى له) ^(١١) او (وحب المرأة وبغضه يقلبان لديه الحقائق) ، ويفسدان عليه بيسن النظر في الدفائق) ^(١٢) . والالوسي مغرم بالاستعارات ، وله قدرة عجيبة على توليد انواعها ، وهذه نماذج منها على سبيل الامثلة (تستى من خدر الغيب قصيدة فريدة) ^(١٣) . و (فاني عينه في أنوار شمسه) ^(١٤) و (لما انحلت عن صدر غانية الشمس الازرار ،

(٩) المصدر السابق ٨٨/١ .

(١٠) المصدر السابق ١٣١/٨ .

(١١) غرائب الاغتراب ٢٠٥ .

(١٢) المصدر السابق ١٦٢ .

(١٣) الخربدة العينية ٢ .

(١٤) المصدر السابق ٤ .

واختلط في كأس الجو مسك الليل بكافور النهار) و (وما طرز قميص الليل بغرة الصباح)^(١٥) و (حتى اذا قبلت الشمس بشفاه اشعتها وجنان الجبال وأفواه الوديان تاقت انفسنا لرشق قهوة البن في فم الفنجان)^(١٦) .

يقول الدكتور البصیر (وصوغ عشرات الصور بل مئاتها على هذا النحو دليل ناهض على سعة الخيال ، و خصب القرىحة ، و عظم المقدرة على التفنن في التعبير)^(١٧) .

و سعة خيال الآلوسي تظهر بصورة واضحة في اوصافه لمختلف المواقف والمناظر ، و تحديد ملامح الاشخاص المتوعة . ها هو ذا يصف ساعة الفراق عند سفره الى اسطنبول (و عندما وضعت رجلي بالركاب ، و تناولت بالرحيل الاصحاب ، تشبت باذياли عالي و اطفالى ، وقالت لا نطيق الفراق ، ولا نقدر على علاج آلامه ولو جئنا بالف راق ، و دونك فادفا أحياء ان لم تجد في هذه الاحياء لداء حاجتنا دواء ، و جعلت تذرى دموعا حمرا و تذكرى في كانون فؤادي عوفيت جمرا ، و كادت تصرخ بالويل ، و تشوق الجيوب الى الذيل) ثم قال (و شيعنى احبه ، وقد اغرى و رقت منهم بالدموع عيون المحبة ، و آخرون قد خنقتهم حبال العبرة ، و حرقوهم من خيال بين جمرة ، حتى اذا ودعتهم ، و لله تعالى او دعوهم انفصمت منهم عرى الاجفان ، فجاحت عزاليها بوابل هتان ، فسرت و انسان عينى بالدموع غريق ، و بين حنايا ضلوعى من نيران الفراق حريق ، و اعتبرتني دهشة ، و اضل طائر عقلى عشه ، فلم ادر أيمنة اضرب أم شامة ، و نجدا اقصد ام تهامة)^(١٨) .

وله في اوصاف المدن قطع جميلة منها وصفه الرائع لمدينة (اسطنبول)

(١٥) نشوة المدام ١٤ .

(١٦) المصدر السابق ١٧ .

(١٧) نهضة العراق الادبية ٢٤٣ .

(١٨) غرائب الاغتراب ٤٨ .

حيث يقول (وانا اقول غير مبالغ بمقول ، انها بلدة مونقة الارجاء ، رائقة الانحاء ، ذات قصور تضيق عن قصورها سعة الاذهان ، وتجاذب الحسن هي وقصور الجنان ، قد تغتت اطiarها ، فتمايلت طربا اشجارها . وبكت امطارها ، فتضاحكت ازهارها ، وطاب روح نسيمها ، فصح مزاج اقليمها ، ولتيك رأيت ما فيها من الرياض الانية ، والاشجار المتهدلة الوريقة وقد ساقت اليها ارواح الجنائب زفاف خمر السحائب ، فسقت مروجها مدام الطل ، فنشأ على ازهارها حباب المؤلؤ المنحل ، فلما رویت من الصهباء اشجارها ، رنحها مع النسمات المسکية خمارها . فندانت ولا تدانى المحين . وتعانقت ولا تعانق العاشقين ، يلوح من خلالها شقيق . كأنه جمرات من آثار حريق . ويختللهما بهار يبهر ناظره ، فيرتاح اليه ناظره^(١٩) .

والآلوي ساخر في اسلوبه ، يسرى في ثنياه مرح خفيف . يقول في تبرير تنوعه في أساليب الكتابة (فالطعم الواحد يمل ، وان حل وجل ، واكثر الاسماع اليوم^(٢٠) طيعتها اسرائيلية ، ففيهات ان تصبر على طعام واحد وان كان من اطعمة شهية) وقد مرت بنا امثلة توضح اتجاهه هذا عند الكلام على ملامح شخصيته الاجتماعية .

والآلوي متأن الى حد ما بأساليب الصوفية في التعبير ففي لفظة (المساكين) مثلا يقول (هم الذين سكنوا الى جمال الانس ونور القدس حاضرين في العبودية بنفسهم غائبين في انوار الربوبية بقلوبهم فمن رآهم ظنهم بلا قلوب ولم يدر أنها تسريح في رياض جمال المحبوب)^(٢١) .

والاسلوب الجمالي عند الآلوسي لا يفارقها حتى في تفسيره ، يقول في تفسير قوله تعالى (ان الله فالق الحب والنوى) : وفي ذلك دلالة على كمال

(١٩) المصدر السابق ١١٣ .

(٢٠) المصدر السابق ٥ .

(٢١) روح المعانى ١٤١/١٠ .

القدرة لما فيه من العجائب التي تصدق اط iarها على افان الحكم ، وتنفع
انهارها في رياض الكرم)٢٢(.

واسلوبه في تفسيره متسلل ، ينطلق فيه على سجيته ، ولكن التطبع
يعاوده أحياناً فيليجاً إلى التقى في الأسلوب كتفسيره لقوله تعالى (والشعراء
يتبعهم الغاوون) ، ألم ترى أن الشعراء في كل وادية من وادية القيل والقال ،
وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال ، وفي كل مسلك من مسالك الغي
والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سهل معين من السبيل ، بل
يتخرون في سباب الغواية ، ويتهون في تيه الصلف والوقاحة ، ديدنهم
تمزيق الاعراض المحمية ، والقدح في الانساب الطاهرة السنوية ، والنسيب
والغزل والابتهاج ، والتردد بين طرف الافراط والتفريط في المدح
والهجاء)٢٣(.

اما الخصائص الفنية لاسلوب مقاماته فهي :

(١) اصطناع السجع والتفنن في القول ، ونرى ذلك في مقاماته كلها .
قال في مقامته (سجع القمرية) لما سمع خبر موت الشيخ بطل المقامة (فياله
من خبر عز على النقوس مسمعه . واثر في القلوب موقعه ، فكادت له القلوب
تطير ، والعقول تطيش ، والنقوس تطيح . واوشك أن تسقط له الجبال ،
وتصحو منه السكارى وتغدو الأرض واجفة ، وتضحي الشمس كاسفة ،
وتمور السماء مورا ، وتسير الجبال سيرا) (٢٤) .

٢ - كثرة استعماله للشعر ، فهو يمثل به على كل فكرة ، ويستعين به
على كل موعظة ويظهر ذلك من المقام الاولى . يقول الدكتور البصیر (على
ان ابرز ما في اسلوب ابي الثناء اكتاره من الاستشهاد بالشعر حتى لقد خيل

(٢٢) المصدر السابق ٢٢٦/٧ .

(٢٣) المصدر السابق ١٤٦/١٩ .

(٢٤) مقامات ابن الآلوسي ١٢٢ .

لى وانا اقرأ مقامته الاولى انى اقرأ بابا من ابواب حماسة ابى تمام او ابواب
حماسة البحترى) (٢٥) .

٣ - ان المقامات جميعها محاولة من الآلوسى لنقل مضمون المقامات الى
مواضيع الواقعية الجدية بدل مواضع الهزل والسخف ، وأما المقامات
الاخيرة (سجع القمرية) فهى فى الحقيقة قصة لم تكتمل عناصرها الفنية ،
ولكنها محاولة لاعطاء القصة مضمونا حيويا أى ان الآلوسى له هدف معين ،
يوجه القصة بموجها ، وهذا الهدف هو اصلاح الحالة الاجتماعية ، والتبيه
إلى بعض المفاسد الأخلاقية . وفي هذه المقاومة لون من اسلوبه فى كتابة
الرسائل الأخوانية ، كتب الى الشيخ بطل القصة يقول (مولاي انا وحياتك
حسب بك ، ولوغ اليك ، معمور القلب بشكرك ، رطب اللسان بذكرك ،
متشوف الى قربك ، متشوق الى رؤيتك ومفاضتك ، وقد طالت الايام على
ما أعد به نفسي من الاجتماع معك ، ومن قضاء الوطر منك ، فالمرجو من
اياديك وزايا جمعت فيه ، أن تشرف مع جماعتك دارى ، لا فرق بالاجتماع
بكم اكدارى ، واجمع ما تفرق من اوطارى واطفى بزلال منادمتك
أوارى) (٢٦) .

ان مقامات الآلوسى ليست تقليدا اجوفا للمقامات القديمة ، وإنما
استطاع الآلوسى ان يحتفظ بشخصيته ، وبالخصائص العامة لاسلوب كتابته
وتفكيره فيها . ومن الجدير ان نعقد موازنة بين هذه المقامات والمقامات القديمة
كى نستطيع أن نضع ايدينا على مواطن الالقاء والافتراق بينها وبين تلك
المقامات ، ولنتحذق مقامات بديع الزمان (ت ٣٩٨هـ) والحريرى (ت ٥١٦هـ)
ميدانين لأجل الوصول الى هذا الغرض اولا : ان مقامات البديع والحريرى

(٢٥) نهضة العراق الادبية ٢٣٢ .

(٢٦) مقامات ابن الآلوسى ١٠٨ .

بطلين خيالين احدهما راو والآخر محتال ، فراوى البديع اسمه (عيسى بن هشام) ومحталه يدعى (ابو الفتح الاسكندرى) بينما راوى الحريرى اسمه (الحارث بن الهمام) ومحталه (ابو زيد السروجي)^(٢٧) . والحال ان بطل مقامات الالوسي واحد هو نفسه ما عدا المقامات الاخيرة (سجع القمرية) فان بطلها رجل صوفي يزور ابا الثناء فى ساعة متأخرة من الليل ويحدثه حديثا طويلا . يقول الاستاذ عباس العزاوى (كتب هذه القصة وأبدى فيها اوضاع رجال هذه الطريقة (البكتاشية) ممثلة في واحد منهم وهو شيخ البكتاشية خليل)^(٢٨) .

٢ - ان مقامات البديع والحريرى على تصويرهما لبعض جوانب الحياة الادبية والنفسية والعلمية ، ليست لها غاية اصلاحية صريحة ، وانما جانب الهزل والسخرية لقضاء الوقت واضح فيها^(٢٩) ، وبعكس ذلك مقامات الالوسي : فمقامته الأولى خطاب مباشر لاولاده فى التربية والتعليم ، ومقاماته الثانية والثالثة والرابعة تمثل حياة الخاصة العلمية منها والاجتماعية ، واقبال الدين عليه ، وادبارها عنه ، مقدما عظاته الصادقة المتزرعة من اختباراته وتجاربه . ومقامته الاخيرة نقد لجوانب من فساد المجتمع بشكل قصة رمزية^(٣٠) . اذن فنحن لا نجد في مقامات الالوسي السخرية الاجتماعية، الترف العقلى ، والتعليم اللغوى وانما نجد الدروس القيمة في فلسفة الحياة والمجتمع . وليس من المستبعد كما يشير كلام الاستاذ العزاوى ان يكون تبنيه لخطر طائفية البكتاشية في مقاماته الاخيرة ، قد اسرع في القضاء عليهم من قبل الدولة سنة ١٢٤١ هـ . علما بان الالوسي قد كتب هذه المقامات سنة ١٢٣١^(٣١) .

(٢٧) مقامات الهمданى . مقامات الحريرى . شوقى ضيف (الدكتور)
الفن ومذاهبه فى النثر العربى ١٧٣ .

(٢٨) ذكرى أبي الثناء ٦٧ .

(٢٩) مصطفى جواد (الدكتور) الاساس فى تاريخ الادب العربى .

(٣٠) ذكر ابي الثناء ٦٧ .

(٣١) الفن ومذاهبه ١٧٩ ، ٢١٩ - ٢٢٣ .

٣ - ان مقامات الآلوسي متأثرة من حيث شكلها باسلوب المقامات القديمة ، فنحن لا ننتهي من مقاماته كلها الا ونجد انفسنا امام السجع الملزم والمجانسات والمطابقات والتشابه والاستعارات ، ولكن الفرق بينه وبين الهمданى والحريرى ، انه لا يحشد مقاماته بالغريب ولا يشغل عن المعانى الاخلاقية بتدبيج الاساليب ، واللعب بالالفاظ ، والصعب فى الاداء كما كانا يفعلان وخاصة الحريرى ^(٣٢) .

والآلوسى فى اسلوبه اقرب الى التأثر بمقامات الهمدانى منه الى مقامات الحريرى . وهو بخارية احيانا ، ويقتبس عنه عبارات معينة فى الموضوعات المشابهة . يقول الآلوسى فى وصف المائدة التى اعدها للشيخ فى مقامته (الرمزية) (سجع القمرية) (ثم قدمت مائدة كداره البدر اللطيفة ، محفوفة بكل طرifice ، عليها ارغفة تصفع القضا ، وتشير باكفها للجالسين بالشروع . وان تسأل عن اللوزينج فى اوانى الفيروزج فهو ليلى العمر ، يومى النشر رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لولى الدهن ، كوكبى اللون يذوب كالصمغ قبل المضغ) ^(٣٣) . وحمله القصيرة الاخيرة مقتبسة من المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمدانى (زن لابى زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى فى الحلوق ، وامضى فى العروق ، ول يكن ليلى العمر ، يومى النشر ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لولى الدهن ، كوكبى اللون ، يذوب كالصمغ قبل المضغ) ^(٣٤) .

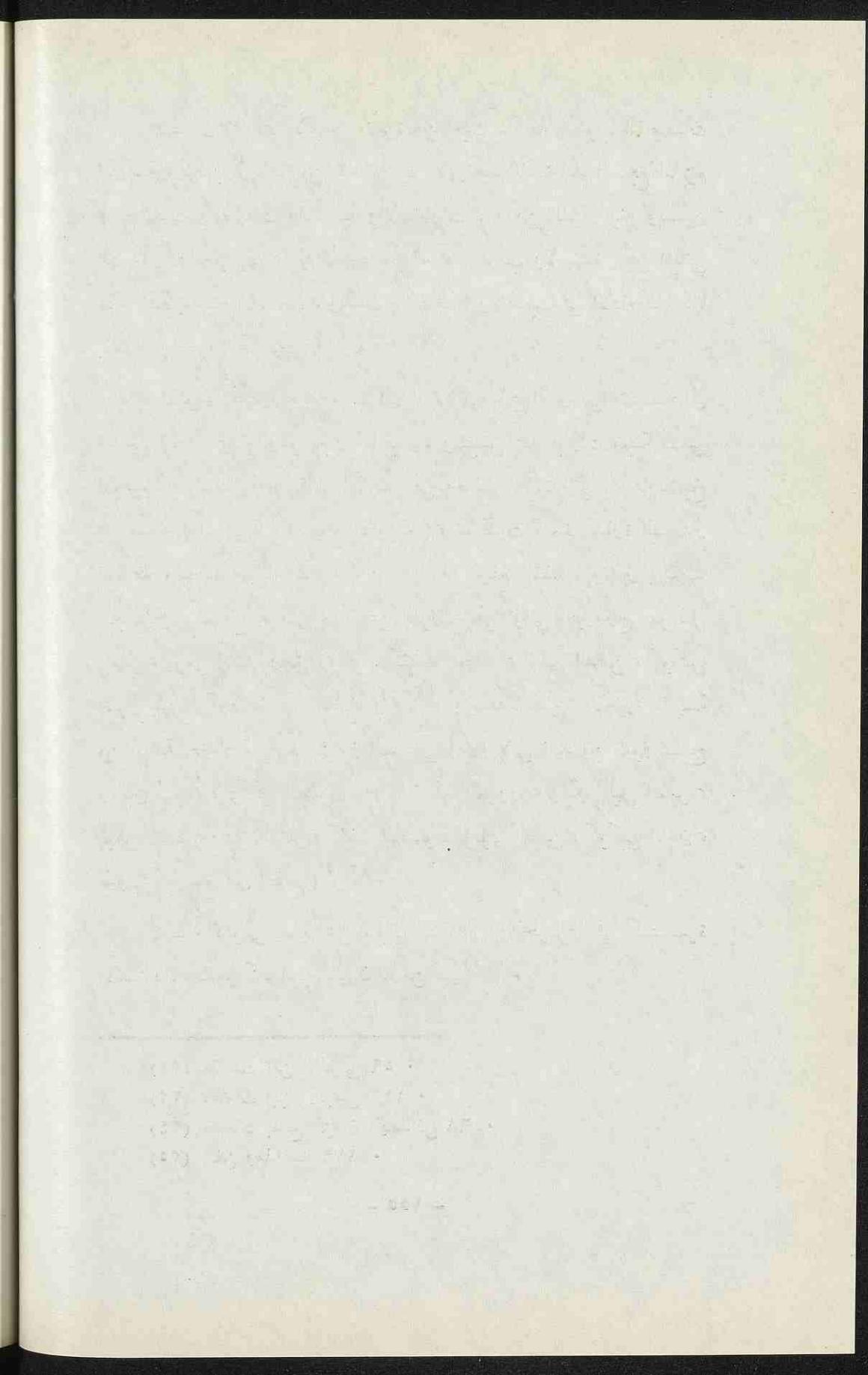
٤ - والآلوسى يسير على منوال الهمدانى والحريرى فى كثرة الاستشهاد بالشعر كما اشرنا الى ذلك من قبل ^(٣٥) .

(٣٢) مقامات ابن الآلوسى ٥٩ .

(٣٣) مقامات ابن الآلوسى ١١٢ .

(٣٤) مقامات بديع الزمان الهمدانى ٦٨ .

(٣٥) الفن ومذاهبه ١٧٩ .



البَابُ الثَّانِي

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

الصورة العامة للكتاب

(١) تاريخ كتابته وفراغه منه

(٢) نسخة المخطوطة والمطبوعة

(٣) وصفه

(١) تاویخ کتابته و فراغه منه : ذکر الالوی انه مند الصغر لم یزل متطلبا لاستکشاف سر کتاب الله المکتوم ، مترقبا لارتشاف رحیمه المحتوم ، وانه طالما فرق نومه لجمع شوارده ، وفارق قومه لوصال خرائده ، لا یرفل فی مطارات اللھو كما یرفل اقرانه ولا یهب نفائس الاوقات لخسائس الشهوات كما یفعل اخوانه ، وبذلك وفقه الله للوقوف على کثير من حقائقه ، وحل وفیر من دقائقه ، واضاف انه قبل ان یکمل العشرين من عمره ، شرع یدفع کثیرا من الاشكالات التي ترد علی ظاهر النظم الکريم ، ویتجاهز بعالم یظفر به فی کتاب من دقائق التفسیر . ثم ذکر انه استفاد من علماء عصره واقتطف من ازهارهم واقتبس من انوارهم واودع علمهم صدره ، وافی فی کتابة فوائدھم حبره ، وذکر انه کثیرا ما خطر له ان یحرر کتابا یجمع فیه ما عنده من ذلك ، وانه کان یتردد فی ذلك الى ان رأی فی ليلة من لیل الجمعة من شهر ربیع سنة انتین وخمسین ومائین والف من الهجرة ، اأن الله جل شأنه امره بطی السموات والارض ورتق فتقهما علی الطول والعرض ، فجعل یقتضی لرؤیاه عن تعبیر ، فرأی فی بعض الكتب انها اشارۃ الى تفسیر القرآن الکريم ، فبدأ به فی السادس عشر من شعبان سنة انتین وخمسین ومائین بعد الالف ، وکان عمره اربعًا وثلاثین سنة ، وکان ذلك ایام السلطان محمود خان العدلی^(١) . وظل الالوی حائز لا یعرف ماذا یسمی تفسیره ، الى ان سمی الوزیر علی رضا باشا بـ(روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسیع المثانی)^(٢) .

فرغ الالوی من المجلد الاول من تفسیره الذى یشمل الفاتحة والبقرة والآل عمران فی غرة محرم سنة (١٢٥٤ھ)^(٣) وارسله الى الدولة العلیة ، ثم ارسل المجلد الثاني والمجلد الثالث ، فوصله السلطان محمود

(١) روح المعانی ٤/١

(٢) المصدر السابق ٤/١

(٣) المصدر السابق ٤/١٧٨

يوسام ، وهناء الشعرا على ذلك^(٤) ، ثم اتم المجلد الرابع سنة (١٢٥٨هـ)
وصادف ذلك عزل الوزير على رضا وتولية نجيب باشا ، فارسل ذلك المجلد
إلى اسطنبول في أيامه^(٥) ، وحينذاك وجه إليه قضاء ازمير بفرمان سلطانى
سنة (١٢٥٩هـ) . وكتب المجلدات الخمس الأخرى فقدمها إلى السلطان
عبدالمجيد الثاني ، وكان قد انتهى منه ليلة الثلاثاء لاربع خلون من شهر
ربيع الآخر ١٢٦٧هـ . وهذه النسخة محفوظة إلى الآن في خزانة راغب باشا
في اسطنبول تر رقم ١٨٥ ، ١٩٣^(٦) .

استغرق تاليفه لهذا التفسير أربع عشرة سنة وسبعة أشهر واحد عشر
يوماً وتحديثوا أن سلوكه في تفسيره كان أمراً عظيماً ، وسراً من الأسرار
غريباً ، فإن نهاره كان للافاء والتدريس ، وأول ليله لمنادمة مستفيد وجلس ،
فيكتب بأواخر الليل منه ورقات فيعطيها صباح اليوم التالي لكتاب الذين
وظفهم في داره فلا يكملونها تبليساً إلا في نحو عشر ساعات^(٧) . والحق
أن الآلوسي قد كرس حياته لهذا التفسير ، فعلى الرغم من أن حياته الخاصة
كانت مضطربة كما علمنا ، وعلى الرغم من أن حياته الاجتماعية كانت حافلة
بوجوه النشاط ، وعلى الرغم من أنه كان مشغولاً بالافتاء والتدريس ،
والكتابة والتأليف في مختلف نواحي العلم كما يتبيّن لنا من دراسة تفسيره ،
فقد اتم تفسيره على أحسن ما يكون ، حتى احتل مكانه في العالم الإسلامي ،
ووضع بين كتب التفسير الشهيرة لكتاب المفسرين .

(٢) **نسخة المخطوطة والمطبوعة :** توجد مخطوطات متباينة لهذا
التفسير في المكتبات المختلفة في بغداد وأسطنبول منها ما هو بخط الآلوسي
ومنها ما هو بخط تلامذته أو خطاطي عصره . وسأبدأ بعرض المجلدات

(٤) حدائق الورود ١٤٤/١ - ١٥٦ .

(٥) المصدر السابق ١٥٧/١ .

(٦) ذكرى أبي الثناء ٨٦ .

(٧) اربیج الند والعود ٣ .

ومكان وجودها •

المجلد الاول : - توجد نسخة منه في مكتبة المرحوم هاشم الالوسي بغداد ، وهي مسودة المؤلف . كتب الالوسي الآيات والتفسير بخط اسود جميل ، ثم عدل عن هذه الطريقة فكتب الآيات بخط احمر اعتبارا من الآية الكريمة (او لئن لا خلاق لهم في الآخرة) . وقد فرغ المؤلف منه في ٥ محرم سنة ١٢٥٢ هـ . وتوجد نسخة أخرى من هذا المجلد في مكتبة المرحوم ابراهيم الالوسي وهو مجلد مع المجلد الثاني ، وكتب على ظهره (المجلد الاول والثاني من روح المعانى يوجد ايضا في مدرسة الشروانى في مكة المكرمة) . وفي اسلامبول بمدرسة الراغب كامل ومنه عند حضرة عاكف باشا وحضرت عبدى باشا السردار الاكرم وعند المغربي قرب الشیخ طاهر في الاسكندرية . كتب هذا المجلد (الاول والثانى معا) سنة ١٢٩٢ هـ بخط ملا محمد بن علي سينه . والنسخة الثالثة في بغداد توجد في مكتبة الاوقاف العامة . وهي تشمل كذلك المجلدين الاول والثانى . وفي بداية هذه النسخة تقریزان احدهما للشیخ الأزهري يوسف النابسى الحنبلي يدعى ابناء مصر الى طبعة . وقد احضر هذه النسخة الى مصر ابنه نعمان خير الدين سنة ١٢٩٥ هـ . والتقریز الثاني للشیخ الأزهري محمد الاشموني ، وفي بداية المجلد التقاریض التي نشرت في اول طبعة بولاق . والظاهر ان طبعة بولاق قد اخذت من هذه النسخة وهي نسخة مذهبة مكتوبة بخط جيد من اول البقرة الى آخر سورة الانعام . كتب هذا المجلد السيد محمد امير خطيب الحضرة القادرية .

المجلد الثاني : مرّ بنا ان المجلد الثاني يوجد مع المجلد الاول في مكتبة المرحوم ابراهيم الالوسي وفي مكتبة الاوقاف العامة ، وتوجد نسخة أخرى من المجلد الثاني هذا بخط الالوسي مع المجلد الثالث في مكتبة المرحوم هاشم الالوسي ، وهو خط صغير وجميل يكاد لا يقرأ بالعين المجردة . وفي هذه

النسخة شطب كثیر واضافات وتعليقات كثیرة اضافها الالوسي بخط يده فيما
بعد . وتوجد نسخة اخری من هذا المجلد في مكتبة ابراهيم الالوسي كتب
على الصفحة الاولى (بهذا الجزء يوجد نظير له في اسلامبول بمدرسة
كتبخانه راغب باشا ، وفي مکة المكرمة بمدرسة شروانی زاده وعند عبدي
باشا السردار الاکرم فلا تغفل) .

المجلد الثالث : توجد نسخة من هذا المجلد بخط المؤلف مع المجلد
الثانی في مکتبة المرحوم هاشم الالوسي كما مرّ بنا ، وتوجد نسخة ثالثة من
هذا المجلد مع المجلد الرابع في مکتبة الاوقاف العامة كتب على الصفحة
الاولى (روح المعانی كتب لحضرۃ المؤلف ، وهناك عبارة اخری بخط ابنه
نعمان نصها (ثم وصل الى بالأرث من تركته قدس سره وعمنا بره . انا
الفقیر نعمان بن المؤلف المبرور السيد محمود الفتی ببغداد آلوسي زاده
وذلك سنة ١٢٧٥ھ) . وهذه النسخة مذهبة في غایة الجودة ، خطها ممتاز
تحتوى على سور (الاعراف والانفال والتوبہ ويونس وهو ویوسف
والرعد وابراهیم وحجر والنحل والاسراء) اما كاتب هذا المجلد فهو محمد
الجواد ، كتبه سنة ١٢٧٠ھ وهناك عبارة تقول (على مسودة المؤلف بامرہ
العالی سنة السبعین بعد المائتين والالف) .

المجلد الرابع : توجد نسخة من هذا المجلد مع المجلد الخامس في
مکتبة المرحوم هاشم الالوسي . وخط هذا المجلد اوضح من المجلدات
السابقة التي هي بخط يده ، والشطب فيه قليل اتمه مع المجلد الخامس
في ٥ ذى الحجه سنة ١٢٦٠ھ . وتوجد نسخة اخری منه مع المجلد
الثالث في مکتبة الاوقاف العامة كما مرّ بنا ، ولم أجد المجلد الرابع في مکتبة
المرحوم ابراهيم الالوسي .

المجلد الخامس : توجد نسخة منه بخط المؤلف كما مرّ بنا مع المجلد
الرابع في مکتبة المرحوم هاشم الالوسي . وتوجد نسخة اخری من هذا

المجلد في مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسي ، استكتبه ابنه نعمان وهو يحتوى على سورة الكهف الى سورة المؤمنين . فرغ منه الآلوسي سنة ١٢٦٠ هـ .
كتب هذا المجلد محمد بن على سبنة سنة ١٢٩٢ هـ .

المجلد السادس : توجد نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة الاوقاف العامة ، كتب الآلوسي هذا المجلد على ورق ابيض جيد بخط جميل صغير ، عليه تعليقات واضافات ومحا الآلوسي منه كثيرا من الاسطر والعبارات .
وصل هذا المجلد الى ابنه عبد الباقى سنة ١٢٧٥ هـ ثم الى اخيه نعمان سنة ١٢٩٣ هـ . كتب الآلوسى الآيات بخط احمر ، اتمه فى سبع بقين من ذى الحجة الحرام ختام السنة الثانية والستين بعد الالف والمائتين الى آخر سورة السجدة .

المجلد السابع : لم أجده هذا المجلد في احدى هذه المكتبات .

المجلد الثامن : توجد نسخة من هذا المجلد في مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسي كتب سنة ١٢٩٤ هـ على مسودة المؤلف بطلب من ابنه نعمان خير الدين وكانته هو محمد بن على سينه . و توجد نسخة ثانية ايضا في هذه المكتبة مجلدة مع المجلد التاسع كتب سنة ١٢٨٨ هـ بقلم محمد جعفر بن ميرزا احمد الاصفهاني .

المجلد التاسع : وهو مع المجلد الثامن موجود في مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسي . انتهى الآلوسي من هذا المجلد وهو الاخير ليلة الثلاثاء الرابع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ . و خط هذا المجلد دون خطوط المجلدات الأخرى في الجودة .

اما النسخ الخطية الموجودة في تركيا ، فهي التي كان الآلوسي قد أرسلها الى السلطان محمود خان الثاني والسلطان عبد المجيد الثاني وهي محفوظة الآن في مكتبة راغب باشا في اسطنبول تحت رقم ١٨٥ ، ١٩٣ .

وقد كتبت الى من اثق به في الضبط ، اطلب منه ان يصف لي المجلدات
المودعة في مكتبة راغب باشا فكتب لي مشكورا :

المجلد الاول : كتب في محرم ١٢٥٤ هـ وعدد أوراقه ٥٤٦ ورقة ،
كل صفحة تتكون من ٣١ سطرا ، استنسخه محمد أمين الموصلـي .

المجلد الثاني : كتب في سنة ١٢٥٥ هـ ويـتكون من ٤٠٣ ورقـات ،
استنسخه الموصلـي .

المجلد الثالث : كتب في سنة ١٢٥٧ هـ ويـتكون من ٤٢٧ ورقـة ،
استنسخه الموصلـي .

المجلد الرابع : كتب في سنة ١٢٥٩ هـ ويـتكون من ٤١٤ ورقـة ،
استنسخه الموصلـي .

المجلد الخامس : كتب في سنة ١٢٦٠ هـ ويـتكون من ٤٢٩ ورقـة ،
استنسخه الموصلـي .

المجلد السادس : كتب في سنة ١٢٦٢ هـ ويـتكون من ٤٤٠ ورقـة ،
استنسخه الموصلـي .

المجلد السابع : كتب في سنة ١٢٦٤ هـ ويـتكون من ٤٢٥ ورقـة ،
استنسخه عبد الرحيم .

المجلد الثامن : كتب في سنة ١٢٦٦ هـ ويـقع في ٣٠٣ ورقـات ، استنسخه
علي بن محمد الشريف .

المجلد التاسع : انتهى منه في سنة ١٢٦٧ هـ وعدد أوراقه ٣٠٤ ورقـات
المستنسخ غير معلوم .

ان المجلد الاول يحتوي على عدة مقدمات شغلت ١٤ ورقة تبدأ بـمقدمة
الموصلـي مستنسخ المجلدات الستة الاولـيـ ، فـمقدمة نظام الدين عبدالغفور
وملا محمد الراوي وملا ابراهيم واعظ جامـع مرجـان وأحمد الحافظ

قائمه بجي زادة ومحمد سعيد المقني ومحمد طبقجي زادة مدرس العلية ·
والسيد محمد أمين خطيب الحضرة العادلية وواعظها ومقدمة شعرية لمحمد
المكي العزلي الموصلي وأسعد مدرس آل صنعة ، ومحمد الكردي
السهرودري البوکاني ومقدمة شعرية لعبدالحميد ، ويليه تلك المقدمات بحث
للآلوي تحت عنوان الفوائد السبعة تستعرق عشرين ورقة ، يأتي بعدها
التفسير · اودع الكتاب في مكتبة راغب باشا في اسطنبول يوم الاربعاء شهر
جمادي الاولى من سنة ثمان وستين ومائتين وألف ·

اما نسخه المطبوعة فهي :

١ - النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق لأول مرة سنة ١٣٠١ هـ بمصر
وهي في تسع مجلدات ضخم ، طبعت في مقدمة هذه الطبعة تسعه عشر
تقريراً لكتاب العلماء والشعراء الذين عاصروا الآلوسي ، ويليها كتاب (أرجح
الند والعود) في ترجمة شيخنا أبي عبدالله شهاب الدين السيد محمود ، وهو
مختصر كتاب حديقة الورود · ويعيب هذه الطبعة أن الآيات القرآنية غير
مضبوطة بالشكل ·

٢ - الطبعة الثانية من هذا التفسير كانت في المطبعة المنيرية في مصر
وهي في اثنى عشر مجلداً ، على ورق أبيض صقيل ، حروفيها واضحة والأيات
القرآنية مشكولة وأكبر حجماً من الكتابة الاعتيادية في التفسير · وطبعت
باذن علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي ، وليس عليها تاريخ
ملاحظة :

طرق سمعي وأنا أبحث في هذا الموضوع أن التفسير المطبوع للآلوي
فيه تحريف في بعض الأمور التي تخصل مذهب السلف ومعتقدات الصوفية
وزعموا ان الذي قام بهذا التحريف هو ابنه السيد نعمان خير الدين وأنا
أقول ان هذا قول باطل لا يستند على دليل ، فالنسخة المخطوطة موجودة
في مكتبة الاوقاف العامة ومكتباتاليوتات الآلوسية - كما أشرنا اليها -

قرأتها وقارنت بينها وبين المطبوع في مثل تلك الأماكن التي زعموا أن التحريف دخل فيها فوجدت مطابقة تامة بين ما هو مخطوط وما هو مطبوع ، وهذا يكفي لرد هذه الفرية العجيبة .

ولقد عرضت هذه المسألة على الاستاذ محمد بهجت الاثري فانكرها نهايائياً وقال ان المقارنة بين المخطوط والمطبوع تكفي لدحض هذه الدعوى . كما عرضته ايضاً على الاستاذ منير القاضي فانكر علمه بها .

(٣) **وصفه** : - بدأ الآلوسي تفسيره الضخم بخطبة الكتاب ، ثم ذكر ان العلوم الدينية أرقى العلوم ^(٨) وبين انه شغل منذ الصغر بدراسة التفسير وحل مسائله ، وأقوال العلماء في ذلك ^(٩) . ثم ذكر تاريخ تفسيره وبين معنى التفسير والفرق بينه وبين التأويل ^(١٠) . ثم ذكر شرف هذا العلم ^(١١) ثم ذكر شروط المفسر ^(١٢) ومناهج أهل الرأي والمتصوفة في التفسير ^(١٣) . وبعده دخل في موضوع كلامي طويلاً حول القرآن ومراتب الكلام ونقل آراء العلماء ، ورد اعترافاتهم بعضهم على بعض ^(١٤) . ثم انتقل الى الكلام عن القراءات السبع وجمع القرآن وترتيبه ^(١٥) ، ثم تكلم في أعيجاز القرآن وعرض آراء العلماء في ذلك ^(١٦) .

ثم بدأ تفسير السور ، وعادته ان يقطع الآيات كلمة أو جملة ناقصة أو تامة دون أن يكتب حزباً أو نصف حزب أو ربع حزب أو آيات معينة .

(٨) روح المعاني ٢/١ .

(٩) المصدر السابق ٣/١ .

(١٠) المصدر السابق ٤/١ .

(١١) المصدر السابق ٥/١ .

(١٢) المصدر السابق ٥/١ ، ٦ .

(١٣) المصدر السابق ٧/١ ، ٨ .

(١٤) المصدر السابق ١٠/١ - ٢٠ .

(١٥) المصدر السابق ٢٠/١ - ٢٧ .

(١٦) المصدر السابق ٢٧/١ - ٣٣ .

والذي نلاحظه أن الآلوسي قد صب مقدراته العلمية في الأجزاء الأولى من تفسيره ، فهي أصعب الأجزاء فيما ، وأكثرها تفصيلا ، وકأن الآلوسي أراد أن يبين للقارئ فهمه العميق واطلاعه الواسع على كتاب الله . وهذا مما لا يؤخذ عليه لأن الإنسان بفطرته يحاول أن يبدأ أعماله بكل ما أوتي من قوة .

والذي لاحظته أيضا أن المؤلف يحاول أن يتتجنب التكرار ، فهو كثيرا ما يحيلك في الآيات المتشابهات إلى الآية الأولى حيث بسط الكلام فيها أما إذا حصل على شيء جديد أو رأي لم يكن قد ذكره ، فإنه يذكره في أقرب فرصة مناسبة . ولذلك فإن الذي يريد أن يدرس رأي الآلوسي في مسألة معينة فما عليه إلا أن يجمع الآيات في ذلك الموضوع ثم ينظر في تفسيرها جمعيا .

وتقدير الآلوسي ملتقى التفاسير ، يجمع فيه الآراء ، وينسق فيه الأفكار ، مقارنا مرجحا مفندا ، أي أنه أراد أن يجمع المنهاج المختلفة في منهج واحد ، نستطيع أن نسميه بـ (المنهج الجماعي) في التفسير أو (المنهج الموسوعي) . والذى ليس له خبرة بهذا التفسير يظن أن الآلوسي متفاوض في تفسيره للآيات بسبب جمعه بين المنهاج والحال إن شخصية الآلوسي تتضح أمام الباحث إذاقرأ التفسير كله ، وأرجو أن أوفق في الفصول القادمة أن أضع يدي على هذه الشخصية العلمية الغربية .

وهذا المنهج الذي اصطنعه الآلوسي منهج جديد حقا ، إذ كان المفسرون قبله ذوي مناهج معينة ، كل له منهج خاص . ولم يحاول أحد منهم أن يجمع تلکم المنهاج جميرا وبنفس القوة في تفسيره . لقد أكد المفسرون أمثال ابن جرير والسمرقندى والشاعرى والبغوى وابن عطية وابن كثير والشاعرى والسيوطى على الجانب المأثور من التفسير^(١٧) . وأكيد الزمخشري على

(١٧) التفسير والمفسرون ٢٠٥/١ - ٢٨٧ . التفسير ورجاله ٦٩ .

المذهب البیانی^(۱۸) والرازی علی المذهب العلمی والکلامی^(۱۹) والیضاوی
جمع بین مذهب الزمخشیری والرازی^(۲۰) وأبو حیان أکد علی الجانب
النحوی^(۲۱) وأبو السعید عنی بالکشف عن بلاغة القرآن وسر اعجازه^(۲۲) .
وكذلك مفسرو المذاهب الفقهیة والصوفیة والباطنیة ، كل صب جل اهتمامه
علی ناحیته الخاصة^(۲۳) . ولكن المفسر الوحید – كما أرى – الذي جمع
بین تلک المناهج جميعها هو الآلوسی فانت تقرأ تفسیره وتراه یهتم بالمذهب
العقلی كما یهتم بالمذهب النقلی وانه یعنی بالمذاهب الفقهیة كعنایتہ بالمسائل
اللغویة ، ولا یترك عرض آراء الملل والنحل ومناقشتها كما لا یترك عرض
الا خبار والقصص والتاریخ . وجدير بنا ونحن نقرر هذه الفكرة ان نرجع
الى هذا التفسیر ونقتبس منه بعض النماذج التي توضح لنا ما ذهبتنا اليه توضیحا
کاما .

قال الآلوسی میینا وجوه القراءات المختلفة فی قوله تعالى (مالك يوم
الدين) (قرأ مالک كفاعل محفوضا عاصم والكسائي وخلف في اختیاره
ویعقوب ، وهي قراءة العشرة الظاهرة والظاهر وقراءة كثير من الصحابة منهم
أبی وابن مسعود ومعاذ وابن عباس ، والتابعین منهم قتادة والاعمش . وقرأ
ملك كفعل بالخفاض ايضا باقی السبعة وزید وأبو الدرداء وابن عمرو والمسور
وکثير من الصحابة والتابعین وقرأ ملك على وزن سهل ابو هریرة وعاصم
والجحدري ورواها الجعفی وعبدالوارث عن ابی عمرو وبکر بن وائل وقرأ

(۱۸) التفسیر والمفسرون ۴۴۳/۱ . التفسیر ورجاله ۷۷

(۱۹) التفسیر والمفسرون ۱ ۲۹۴/۱ . التفسیر ورجاله ۶۹

(۲۰) التفسیر والمفسرون ۱ ۲۹۷/۱ . التفسیر ورجاله ۱۰۳

(۲۱) التفسیر والمفسرون ۱ ۳۱۸/۱ .

(۲۲) التفسیر والمفسرون ۱ ۳۴۹/۱ . التفسیر ورجاله ۱۱۹

(۲۳) التفسیر والمفسرون ۳/۲ ، ۲۳۵ ، ۳۰۵ ، ۴۵/۳۰ ۳۰۵ ، ۸۳ ، ۹۸ .
مناهج التفسیر الاسلامی جولدمیزیهر ۷۳ ، ۱۲۰ ، ۲۰۱ ، ۲۸۶ . مناهل
العرفان فی علوم القرآن ۴۹۶ ، ۵۳۳ ، ۵۳۷ ، ۵۴۲ ، ۵۴۴ .

ملكي باشباع كسرة الكاف احمد ابن صالح عن ورش عن نافع وقرأ ملك
 عجل ابو عثمان والشعبي وعطاء ، وقرأ أنس بن مالك وأبو نوفل عمرو بن
 مسلم البصري ملك يوم الدين بنصب الكاف من غير الف وقرأ كذلك الا
 انه رفع الكاف سعد بن أبي وقاص وعاشرة ، وقرأ ملك فعلا ماضيا أبو حنيفة
 على ما قيل وأبو حية وجابر بن مطعم وأبو عاصم عبيد بن عمير الليثي
 وينصبون اليوم ، وذكر ابن عطية أن هذه قراءة علي بن أبي طالب كرم الله
 وجهه والحسن ويحيى بن يعمر ، وقرأ مالك بالنصب الاعمش ايضاً وابن
 السمييع وعثمان بن ابى سلمان وعبدالملك قاضى الهند . وذكر ابن عطية أنها
 قراءة عمر بن عبدالعزيز وابى صالح السمان ، وروى ابن عاصم عن اليماني
 مالكا بالنصب والتثنين ، وقرأ مالك برفع الكاف والتثنين . وروى عن
 خلف وابن هشام وابى عبيد وابى حاتم بنصب اليوم . وقرأ مالك يوم بالرفع
 والاضافة أبو هريرة وأبو حية وعمر بن عبدالعزيز بخلاف عنهم ، ونسبها
 صاحب اللوامع الى شداد العقيلي البصري . وقرأ مليك كفيع أبو هريرة
 فى رواية وأبو رجاء والطاردي وقرأ مالك بالالمالة البليغة يحيى بن يعمر
 وأيوب السختياني ٠٠٠ والمتواترة منها قراءة مالك وملك فهما نيرا سواريهما
 وقطب فلك داريهما) ٢٤ (.

وقال موضحاً الجواب النحوية المتصلة بقوله تعالى (يا أيها الناس
 اعبدوا ربكم) : (ا) حرف لا اسم فعل على الصحيح ، وضع لنداء البعيد ،
 وقيل لمطلق النداء أو مشتركة بين أقسامه . وعلى الاول ينادي بها القريب
 لتزييه منزلة غيره ، اما لعله مرتبة المنادى أو المنادى ، وقد ينزل غفلة السامع
 وسوء فهمه منزلة بعده . وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعو له ، والبحث
 عليه لأن نداء البعيد وتکليفه الحضور لامر يقتضي الاعتناء والبحث ، فاستعمل
 في لازم معناه على انه مجاز مرسل أو استعارة تبعية في الحرف أو مكينة

وتخييلية • وهو مع المنادى المنصوب لفظاً أو تقديراً لنيابته عن نحو ناديت
الإنساني أو بناديت اللازم الاضمار لظهور معناه مع قصد الإنشاء كلام يحسن
السکوت عليه كما يحسن في نحو (لا ، ونعم) و (أي) لها معان شهيرة
والواقعة في النداء نكرة موضوعة لبعض من كل ، ثم تعرف بالنداء وتوصل
بها لنداء ما فيه (أي) لأن (يا) لا يدخل عليها في غير الله الا شذوذًا لتعذر
الجمع بين حرف التعریف ، فانهما كمثيلين وهما لا يجتمعان الا فيما شذ
من نحو

فلا والله لا يلفي لما بي ولا لما بهم ابدا دواء
وأعطيت حكم المنادى وجعل المقصود بالنداء وصفا لها والتزم فيه هذه
الحركة الخاصة المسماة بالضمة خلافا للمازني ، فإنه أجاز نصبه ، وليس
له في ذلك سلف ولا خلف لمخالفته للمسموع ، وإنما التزم ذلك اشعاراً بأنه
المقصود بالنداء ولا ينافي هذا كون الوصف تابعاً غير مقصود بالنسبة لمتبوعه ،
لأن ذلك بحسب الوضع الأصلي حيث لم يطرأ عليه ما يجعله مقصوداً في حد
ذاته ككونه مفسراً لمبهم • ومن هنا لم يسترطوا في هذا الوصف الاستيقاق
مع ان التحويين الا النذر كابن الحاجب اشترطوا ذلك في النوع على ما بين
في محله • و (هـ) التنبيهية زائدة لازمة للتاكيد والتعويض عما تستحق من
المضاف اليه أو ما في حكمه من التقوين كما في (أي ما تدعوه) وإن لم يستعمل
هذا مضافاً أصلاً وكثير النداء في الكتاب المجيد على هذه الطريقة لما فيها من
التاكيد الذي كثيراً ما يقتضيه المقام يتكرر الذكر والإيضاح بعد الإبهام والتاكيد
بحرف التنبيه واجتماع التعریفية • هذا ما ذهب إليه الجمهور وقطع الاخفش
- لضعف نظره - بان اي الواقعه في النداء موصولة حذف صدر صلتها وجوباً
لمناسبة التخفيف للمنادى وأيد بكترة وقوعها في كلامهم موصولة ، وندرة
وقوعها موصوفة ، واعذر عن عدم نصبها حينئذ مع انها مضارعة للمضاف بأنه
اذا حذف صدر صلتها كان الاغلب فيها البناء على الضم • فحرف النداء على

هذا يكون داخلا على مبني على الضم ولم يغيره ، وان كان مضارعا للمضاف ،
ويؤيد الاول عدم الاحتياج الى الحذف وصدق تعريف النعت والموافقة مع
هذا وانها لو كانت موصولة لجاز ان توصل بجملة فعلية او ظرفية الى غير
ذلك مما يقطع المنصف معه بارجحية مذهب الجمهور ^(٢٥) .

وقال مفصلا جوابا بلاغية في الآية الكريمة (على هدى) استعارة
تمثيلية تتبع حيث شبهت حال اولئك وهي تسكنهم من الهدى واستقرارهم
عليه وتمسكم به بحال من اعلى الشيء وركبه ثم استعير للحال التي هي
المشبه المتروك كلمة الاستعلاء المستعملة في المشبه به والى ذلك ذهب السعد
وأنكر السيد اجتماع التمثيلية والتبعية لأن كونها تتبعية يقتضي كون كل من
الطرفين معنى مفردا لأن المعاني الحرافية مفردة ، وكونها تمثيلية يستدعي
انتزاعها من امور متعددة وهو يستلزم تركه وابدى قدس سره في الآية ثلاثة
أوجه : الاول انها استعارة تتبعية مفردة بان شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء
الراكب على مركوبه في تتبعية مفردة بان شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء
الراكب على مركوبه في التمسك والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع
للاستعلاء . الثاني أن يشبه هيئة متزرعة من التقى والهدى وتمسكه به بالهيئة
المترنزة من الراكب والمركب واعتلاقه عليه فيكون هناك استعارة تمثيلية
تركت كل من طريقها ، لكن لم يصرح من الالفاظ التي بازاء المشبه به الا
بكلمة (على) فان مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وما عداه تابع له ، ملاحظ
في ضمن الالفاظ منوية وان لم تقدر في نظم الكلام فليس في (على) استعارة
أصلا بل هي على حالها قبل الاستعارة كما اذا صرحت بتلك الالفاظ كلها .
الثالث أن يشبه الهدى بالمركب على طريق الاستعارة بالكتابية وتجعل كلمة
(على) قرينة لها على عكس الوجه الاول . وهذا الخلاف بين الشيختين في هذه
المسألة مما سارت به الركبان ، وعقدت له المجالس ، وصنفت فيه

وقال مينا نكاح المتعة في قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) : وقيل . الآية في المتعة ؟ وهي النكاح الى اجل معلوم من يوم أو أكثر ، والمراد (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من استئناف عقد آخر بعد انقضاء الاجل المضروب في عقد المتعة بان يزيد الرجل في الاجر وتزييده المرأة في المدة والى ذلك ذهبت الامامية والآية أحد ادلةهم على جواز المتعة . وأيدوا استدلالهم بها بانها في حرف ابي (فما استمتعتم به منهن) الى اجل مسمى ، وكذلك قراؤن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم ، والكلام في ذلك شهير ولا تزاع عندنا في انها حلت ثم حرمت وذكر القاضي عياض في ذلك كلاما طويلا . والصواب المختار أن التحرير والاباحة كانا مرتين . وكانت حلالا قبل يوم خير ثم حرمت يوم خير ، ثم ابيحت يوم فتح مكة وهو يوم أو طاس لاتصالهما ثم حرمت يومئذ بعد ثلاث تحريرها مؤبدا إلى يوم القيمة ، واستمر التحرير ، ولا يجوز أن يقال ان الاباحة مختصة بما قبل خير والتحرير يوم خير للتاكيد ، وان الذي كان يوم الفتح مجرد توكييد للتحرير من غير تقدم اباحة يوم الفتح اذ الاحاديث الصحيحة تأبى ذلك وفي صحيح مسلم ما فيه مقنع) وبعد أن ساق بعض الروايات المأثورة قال (وهذه لا تدل على الحل والقول بانها نزلت في المتعة غلط ، وتفسير البعض لها بذلك غير مقبول ؟ لأن نظم القرآن الكريم يأبه حيث بين سبحانه اولا المحرمات ثم قال عز شأنه (وأحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم وفيه شرط بحسب المعنى فيبطل تحليل الفرج واعتارته ، وقد قال بهما الشيعة . ثم قال جل وعلا (محصنين غير مسافحين) وفيه اشارة الى النهي عن كون القصد مجرد قضاء الشهوة ، وصب الماء واستفراغ أوعية النبي . فبطلت المتعة بهذا القيد لانه مقصود المتعة الا ذاك دون التأهل والاستيلاء وحماية الدمار والعرض .

ولذا تجد المتمع بها في كل شهر تحت صاحب وفي كل سنة بحجر ملاعب ، فالا حصان غير حاصل في امرأة المتعة اصلاً . ولهذا قالت الشيعة ان المتمع الغير الناكح اذا زنى لا رجم عليه ، ثم فرع سبحانه على حال النكاح قوله عز من قائل (فإذا استمتعتم) وهو يدل على أن المراد بالاستمتاع هو الوطء والدخول لا الاستمتاع بمعنى المتعة التي يقول بها الشيعة . والقراءة التي ينقولونها عنمن تقدم من الصحابة شاذة . وما دل على التحرير كآية (الا على أزواجهم أو مالكت أيمانهم) قطعي فلا تعارضه على أن الدليلين اذا تساوايا في القوة وتعارضا في الحل والحرمة قدم دليل الحرمة منها . وليس للشيعة أن يقولوا ان المرأة المتعة بها مملوكة لبداهة بطلازنه أو زوجة لاتفاق جميع لوازم الزوجية كالميراث والعدة والطلاق والنفقة فيها ، وقد صرخ بذلك علماؤهم . وروى ابو نصیر منهم في صحيحه عن الصادق رضي الله تعالى عنه أنه سُئل عن امرأة المتعة أهي من الاربع قال لا ولا من السبعين ، وهو صريح في أنها ليست زوجة والا لكان محسوبة في الاربع ، وبالجملة الاستدلال بهذه الآية على حل المتعة ليس بشيء كما لا يخفى ^(٢٧) .

وقال شارحا مسألة الصفات وهي من المواضيع الكلامية (ثم أعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات التقليدية من الاستواء واليد والقدم والنزول الى السماء الدنيا والضحك والتعجب وأمثالها من المتشابه ومذهب السلف والاسعري رحمه الله تعالى من اعيانهم - كما ابانت عن حالة الابانه - أنها صفات ثابتة وراء العقل ما كلفنا الا اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه لثلا يضاد النقل العقل ، وذهب الخلف الى تأويلها وتعيين مراد الله تعالى منها فيقولون الاستواء مثلا بمعنى الاستيلاء والغلبة ، وذلك أثر من آثار بعض الصفات الثمانية التي ليس لله تعالى عندهم وراءها صفة ، حتى ادعى السكوتى - وليته سكت - أن ما وراء ذلك ممتنع اذ لا يلزم من نفيه محال ،

وكل ما لا يلزم من نفيه محال لا يكون واجباً • والله تعالى لا يتصرف إلا
بواجب وذكر الشعراي في الدرر المنشورة أن مذهب السلف أسلم وأحكم
اذ المؤل انتقل عن شرح الاستواء الجسماني على العرش المكاني بالتنزيه عنه
التشبيه السلطاني الحادث وهو الاستيلاء على المكان ، فهو انتقال عن التشبيه
بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر ، فما بلغ عقله في التنزيه مبلغ الشرع
فيه قوله تعالى (ليس كمثله شيء) ألا ترى أنه استشهد في التنزيه العقلي
في الاستواء • يقول شاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير حرب ودم مهراق (٢٨)

وقال وهو يخوض موضوعاً فلكياً عند تفسيره لقوله تعالى (وهو الذي
مد الأرض) : واستدل بالآية على أنها مسطحة غير كريه ، والفلاسفة
مختلفون في ذلك ، فذهب فريق منهم إلى أنها ليست كريه • وهؤلاء طائفتان
فواحدة تقول أنها محدبة من فوق مسطحة من أسفل فهي كدح كب على
وجه الماء • و أخرى تقول بعكس ذلك ، وذهب الأكثرون منهم إلى أنها كريه
في الطول فلان البلاد المتوقفة في العرض أو التي لا عرض لها كلما كانت
أقرب إلى الغرب كان طلوع الشمس وسائل الكواكب عليها متاخراً بنسبة
واحدة ، ولا يعقل ذلك إلا في الكرة وأما في العرض فلان السالك في
الشمال كلما أوغل فيه ازداد القطب ارتفاعاً عليه بحسب ايجاله فيه على نسبة
واحدة بحيث يراه قريباً من سمت رأسه ، وكذلك تظهر له الكواكب
الشمالية وتحفى عنه الكواكب الجنوبية والسايك الواغل في الجنوب بعكس
من ذلك ، وأما فيما بينهما فلتراكب الامرین ، وأورد عليهم الاختلاف المشاهد
في سطحها ، فأجابوا عنه بان ذلك لا يقدح في أصل الكريه الحسية المعلومة
بما ذكر • فان نسبة ارتفاع أعظم الجبال على ما سبق عليه استقرارهم
وانتهت إليه اراؤهم ، وهو جبل دماوند فيما بين الري وطبرستان أو جبل

في سر نديب الى قطر الارض كنسبة سبع عرض شعيرة الى ذراع . واعتراض ذلك بأنه هب أن ما ذكرتم كذلك ، فما قولكم فيما هو مغمور في الماء ! فان قالوا : اذا كان الظاهر كريا فالباقي كذلك لأنها طبيعة واحدة . فلما فالمرجع حينئذ الى البساطة واقتضاؤها الكريمة الحقيقة ولا شك انه يمنعها التضاريس وان لم تظهر للحس تكونها في غاية الصغر . لكن انت تعلم ان أرباب التعليم يكتفون بالكريمة الحسية في السطح الظاهر فلا يتوجه عليهم السؤال عن المغمور ولا يليق بهم الجواب بالرجوع الى البساطة ، والحق الذي لا ينكره الا جاهل او متتجاهل ان ما ظهر منها كرى حسا . ولذلك كريمة الفلك تختلف اوقات الصلاة في البلاد ، فقد يكون الزوال بلد ولا يكون بلد آخر وهكذا الطلوع والغروب وغير ذلك وكريمة ما عدا ما ذكر لا يعلمه الا الله تعالى . نعم انها لعظم جرمها الظاهر يشاهد كل قطعة وقطر منها كأنه مسطح ، وهكذا كل دائرة عظيمة ، وبذلك يعلم انه لا تنافي بين المد وكونها كريمة ^(٢٩) .

وقال مفسرا آيات (المر) تفسيرات اشارية صوفية : (المر) أي الذات الاحدية واسم العليم واسمه الاعظم ومظهره الذي هو الرحمة (تلك آيات) علامات (الكتاب) الجامع الذي هو الوجود المطلق (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) أي بغير عمد مرئية بل بعدل غير مرئية . وجعل الشيخ الراحل قدس سره عمادها الانسان الكامل . ويقال النفس المجردة التي تحرر كها بواسطة النفس المنطبعة وهي قوة جسمانية سارية في جميع اجزاء الفلك ، لا يختص بها جزء دون جزء لبساطته وهي بمنزلة الخيال فيما فيه . ويقال رفع سموات الارواح بلا مادة تعميرها بل مجرد قاعدة بنفسها) ثم استوى على العرش (بالتأخير والتقويم ، ويقال عرش القلب بالتجلي (وسخر الشمس) شمس الروح بادراك المعارف الكلية واستشراف الانوار العالية (والقمر) قمر القلب بادراك ما في العالية

والاستمداد من فوق ومن تحت ، ثم قبول تجليات الصفات (كل يجري لاجل مسمى) وهو كماله بحسب الفطرة (يدبر الامر) في البداية بتهيئة الاستعداد وترتيب المبادئ (يفصل الآيات) في النهاية بترتيب الكلمات والمقامات (لعلكم بلقاء ربكم) عند مشاهدة آيات التجليات (توقيون) عين اليقين ^(٣٠) .

ان هذه النماذج المتوعة من تفسير الآلوسي لا تعطينا فكرة واضحة عن المنهج الجمحي في هذا التفسير ، الامر الذي يجعلنا ان نرفض وضعه تحت منهج معين كما فعل بعض الباحثين ، فالاستاذ محمد عبدالعظيم الزرقاني ادرج تفسير الآلوسي مع التفاسير الاشارية ^(٣١) . والاستاذ محمد حسين الذهبي ادرجه مع التفاسير بالرأي ^(٣٢) . وكلاهما في نظري مخطآن ، اذ انهما لم يستطعا ان يتبعا المنهج الحقيقي للآلوي في تفسيره ، لانهما لم يقرأوا التفسير بكامله كما تدل على ذلك الصفحة الواحدة التي كتبها الاول والصفحات العشر التي كتبها الثاني عن هذا التفسير . فالذي يقرأ تفسير الآلوسي يجد انه يفسر - الآيات كما قدمنا من خلال النماذج السابقة - تفسيرا جاما شاملا يشمل مذاهب التفسير كلها .

لقد وجد الآلوسي أنه من الصعوبة على الباحث او العالم ان يطلع على مختلف انواع التفاسير ، فقدم تفسيره هذا ليكون جاما او ليكون موسوعة تجد فيها الشيء الذي تريد . فنحن نجد في هذا التفسير مختصرا لتراث امة الاسلامية في التفسير والحديث واللغة وفروعها ، والعقائد والفلسفات وعلوم المنطق والكلام والفلك وغيرها من المعارف الانسانية .

لقد اتبع الآلوسي في تفسيره هذا الطريقة العلمية . فقد بدأ من حيث

(٣٠) المصدر السابق ١٣٥/١٣

(٣١) منهاج العرفان ٥٥٢

(٣٢) التفسير والمفسرون ١/٣٥٢

انتهى المفسرون السابقون ثم زاد عليه من نظراته الخاصة وآرائه في مختلف المسائل • وهو في تفسيره طالب للحق ، لا يتعصب لرأى ، ولا يميل مع الهوى • ولو انه يتظاهر احيانا بذلك وخاصة في مناصرته للحنفية المذهب الرسمي الذي كان يفتى به ، وهو لذلك يتراجع امام الحق • فهو يقرر فكرة في بداية تفسيره ، ثم يتراجع عنها في مكان آخر ، فمثلا يعتقد بامان ابي ابراهيم عليه الصلاة والسلام في سورة الانعام^(٣٣) ثم يتراجع عن هذا الخطأ في صورة المتحنة^(٣٤) • وينذهب الى ان ابا ابراهيم مات مشركا • ويكتدح السيد رشيد رضا موقفه هذا بقوله (وهذا هو الائق بعلمه واستقلاله في الفهم • وهذا شأن علماء السنة اذا قال احدهم قولا ثم ظهر له الدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة على خلافه فإنه يرجع عن قوله اليهما سواء كان الدليل من احدهما أو كليهما ، وهو من الخطأ الذي يغفره الله تعالى للمخلصين^(٣٥) •

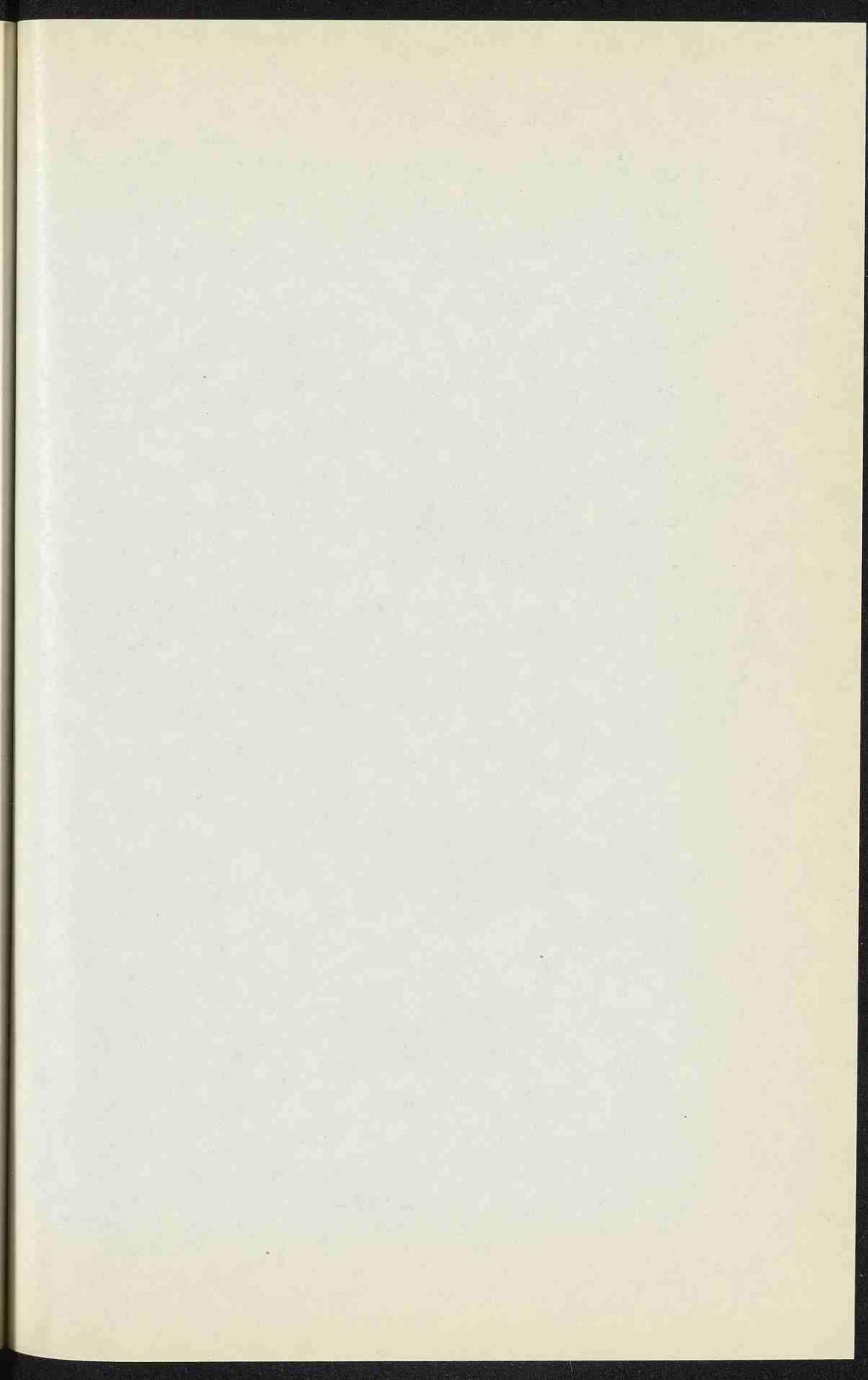
ومن سمات هذا التفسير انه يدل على مصادره ، فتحن خلال قراءتنا له نمر على مئات من الكتب • فالآلوي فيه يعزى كل رأى الى صاحبه • وقلما يذكر في تفسير آية دون ذكر صاحبه • والآلوي لم يصنع تفسيره للعوام وانما وضعه للعلماء الباحثين • ولذلك فان فهم هذا التفسير ومسائله يحتاج الى المعرفة الجيدة بمصطلحات العلوم المعروفة في زمانه • وهذا لا يعني أن عباراته مغلقة أو انه اصطنع الغموض في تفسيره • فالآلوي كان أدبيا كبيرا ، فكتاباته لتفسيره كانت باسلوب أدبي مشرق يضرب على أوتار القلوب ، ويحبب كتاب الله الى النفوس • يقول عند كلامه على بعض معتقدات الصوفية (وعن بعض السادة قدس الله تعالى اسرارهم أن القرآن المنزول على

• (٣٣) روح المعاني ١٩٥/٧

• (٣٤) المصدر السابق ٧٢/٢٨

• (٣٥) المنار ٥٥٣/٧

النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ذو صفتين ؟ صفة قهر وصفة لطف ، فمن تجلى له القرآن بصفة اللطف يزيد نور بصيرته بلطائف حكمته ، وحقائق أسراره ، ودقائق بيانه ، ويزيد بذلك نور ايمانه وتوحيده ، ويعرف بذلك ظاهر الخطاب وباطنه ، ومن يتجلى له بصفة القهر تزيد ظلمة طفانيه ، وينسى عليه باب غرفاته بحيث لا يدرك سر الخطاب فتشر عليه الشكوك والاوهام والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (هدى للمتقين) وقوله سبحانه (يصل به كثيراً وبهدى به كثيراً وما يصل به إلا الفاسقين) وشبه بعضهم بذلك بنور الشمس ، فإنه يستنقع به من يستنقع ، ويغدر به المخافش ونحوه . ومن ذلك كتب كثير من الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم ، فإنه قد هدى بها أرباب القلوب الصافية ، وضل بها الكثير حتى تركوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات وعطلاوا الشرائع ، واستحلوا المحرمات ، وزعموا والعياذ بالله تعالى أن ذلك هو الذي يقتضيه القول بوحدة الوجود التي هي معتقد القوم نفعنا الله تعالى بفتح حاتهم .



الفصل الثاني

مصادره ومنهجه

(١) مصادره

(٢) منهجه

مصادره:

ان مصادر تفسير الالوسي هي التراث الاسلامي كله ، فقد اتب
الرجل نفسه كثيرا في دراسة ذلك التراث ، وصب ما قرأ ووعى في تفسيره ،
بل ان حياة الالوسي العلمية هي حياة هذا التفسير . فقد كلفه اكثر من
اربعين سنة ، بضمنها المدة التي قضتها في كتابته . وسأذكر اولا التفاسير
التي اعتمد عليها اكثر من غيرها :

١ - ابن عباس : هو من كبار المفسرين في عصر الصحابة ، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يدعوه له فيقول (اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل) ويقول (اللهم آتة الحكمة) وسماه في رواية بترجمان القرآن . وكان الصحابة والتابعون يسمونه حبر الامة . والبحر لكثرة علمه ^(١) . ويسميه الألوسي في تفسيره رئيس المفسرين وإذا صح عنده ما نقل عنه فلا يعدل عنه ^(٢) .

استشهد به (٣٥٦٣) مرة في ظروف التنزيل وتأويل الآيات وشرح معاني الكلمات . وقد كثرت الروايات عن ابن عباس كثرة فائقة لأن تلامذته الذين سمعوا عنه ، والعلماء من الصحابة والتابعين الذين عاصروه ، نقلوا عنه ما سمعوه ، ونشروا علمه بين الناس .

كان ابن عباس رئيس مدرسة كبيرة في التفسير بمكة ، ضمت المفسرين الكبار أمثال مجاهد بن جبر وعكرمة البربرى وعطاء بن أبي رياح وطاوس بن اليمان وسعيد بن جبير^(٣) .

وهنالك طرق كثيرة نقلت عن ابن عباس ، انتقد العلماء منها طريق

• ١٨٧ / ٢ الاتقان (١)

١٣ / ١٢١ - روح المعاني (٢)

الاتقان ٢/١٨٩ (٣)

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . يقول السيوطي (وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فان انصم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب)^(٤) .

والتفسير المنسوب الى ابن عباس باسم (تنوير المقاييس من تفسير ابن عباس) من رواية محمد بن مروان السدي الصغير^(٥) . فهو اذن ليس لأبن عباس . ولا يعتمد الآلوسي على هذا الطريق ، ويرد الروايات الضعيفة عنه ، ويقدم عليها ما قال به أكثر المفسرين^(٦) . فمثلاً نقل عنه في تفسير الآية الكريمة (الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتناهم إلى حين) بأنهم اليوم أحياء سترهم الله عن أعين الناس ، وسيظهرون مع المهدى ويكونون من جملة انصاره ثم يموتون . ثم قال الآلوسي مقدماً (والكل مما لا صحة له)^(٧) .

وروى عن ابن عباس قال (كان لصاحب سليمان اثنا عشر الف قيل ، تحت يد كل قيل مائة الف ، وقيل كان تحت يدها اربعين مائة ملك كل ملك على كورة تحت كل ملك اربعين الف مقابل ولها ثلثمائة وزير ، يدبرون ملوكها ، ولها اثنا عشر الف قائد ، كل قائد تحت يده اثنا عشر الف مقابل) يقول الآلوسي (وهذه الاخبار الى الكذب اقرب منها الى الصدق ، ولعمري ان ارض اليمن لنكاد تضيق عن العدد الذي تضمنه الخبران الاخيران . وليت شعرى ما مقدار عدد رعيتها الباقيين الذين تحتاج الى العسكر والتسود والوزراء لسياستهم وضبط امورهم وتنظيم احوالهم)^(٨) .

(٤) المصدر السابق ١٨٩/٢ .

(٥) التفسير والمفسرون ٨٢/١ .

(٦) روح المعاني ١٨٠/٧ .

(٧) المصدر السابق ١٩٢/١١ .

(٨) المصدر السابق ١٩٧/١٩ ، ١٩٨ ، انظر ٥٣/١٢ و ٥٥-٥٣/١٣ حيث يرد روايات أخرى لابن عباس .

وينجحاً الآلوسي أحياناً بعد ذكر الروايات التي تسند إلى ابن عباس إلى عرض أقوال رجال الحديث فيها حتى يطلع القارئ على قيمتها العلمية^(٩) . والذى نلاحظه أن الآلوسى لم يقم تماماً بغربلة جميع هذه الروايات ولعله كان مقتضاً بما نعتبره الآن مخالف للحقيقة العلمية . اخرج ابن أبي حاتم وابو الشيخ في العضمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال (الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكها فإذا غربت جرت في الليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر^(١٠) . فهذا القول مرفوض علماً ولو صح أسناده إلى ابن عباس ، لأن مبلغ العلم بالنجوم في زمان ابن عباس لم يكن قد بلغ أكثر من هذا . فالآلوسى مخطئ في نظرى عندما يقول انه لا يعدل عما صح عن ابن عباس ، فليس هنالك دليل لا من الكتاب ولا من السنة يثبت ان ابن عباس هو حجة على المسلمين في المسائل الاجتهادية ، ودعاة الرسول صلى الله عليه وسلم له لا يقوم دليلاً أيضاً على عصمه من الخطأ .

ويكثر الآلوسى من اقتباس النواحي اللغوية في التفسير من ابن عباس ، لأنّه قد اشتهر بذلك ، وكان على اطلاع واسع على لغة العرب وأدبهم ، كثير الاستشهاد بالشعر ، ولذلك اعتبره جولدزيهير أول من ابدع الطريقة اللغوية في تفسير القرآن^(١١) . قال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) قال الآلوسى (المأثور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن المراد بالميّت الكافر الضال وبالحياء الهدى وبالنور القرآن وبالظلمات الكفر والضلال)^(١٢) . وينقل عنه أيضاً اسباب النزول ، ففي قوله تعالى (وجعلوا مما ذرأ من

(٩) المصدر السابق ٢١/١٦٩ .

(١٠) المصدر السابق ١٣/٢٤ و ٢٢٤/٢١ و ٨٨/٢١ .

(١١) مذاهب التفسير الإسلامي ٦٩ . التفسير والمفسرون ١/٧٤ ، ٧٥ .

(١٢) روح المعاني ٨/١٨ .

الحرث والانعام نصيبا) قال (اخرج ابن ابي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال في الآية : (انهم كانوا اذا احترعوا حرثاً او كانت لهم ثمرة جعلوا لله تعالى منه جزءاً وجزءاً للوشن فما كان من حرث او ثمرة او شيء من نصيب الاوثان حفظوه وأحصوه ، فان سقط شيء مما سمي للصادم ردوه الى ما جعلوه للوشن وان سبّهم الماء الذي جعلوه للوشن فسقى شيئاً مما جعلوه لله تعالى جعلوه للوشن وان سقط شيء من الحرث والثمرة الذي جعلوه لله تعالى فالخلط بالذي جعلوه للوشن قالوا هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوا لله وان سبّهم الماء الذي سموه لله تعالى فسقى ما سموا للوشن تركوه للوشن ، وكانوا يحرمون من انعامهم البحيرة والسبائبة والوصيلة والحامى ف يجعلونه للاوثان ويذعمون انهم يحرمون لله سبحانه ^(١٢))

ويأخذ الآلوسي بجانب ابن عباس عن عبد الله بن مسعود وعلي بن ابي طالب وابي بن كعب ومدارسهم التفسيرية في المدينة والكوفة التي ينتهي إليها أمثال علقة بن قيس ومسروق الأجدع واسود بن يزيد ومرة بن شراحيل وعامر بن شراحيل الشعبي والحسن البصري ورفيع بن مهران البريachi وقادة بن دعامة السدوسي ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم العدوبي [•]

وبذلك فان الآلوسي قد نقل لنا في تفسيره ما اثر عن الصحابة الكرام من المفسرين ، ولكنه لم يكن ناقلاً فقط وانما كان ناقداً ومرجحاً [•]

٢ - أبو حيان :

هو اثير الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف الاندلسي الغرناطي الجياني (ت ٦٥٤ هـ) [•] كان قارئاً وشاعراً ونحوياً من أعلام النحويين ، ولذلك فان الاتجاه النحوي طغا على تفسيره المسمي (البحر المحيط) الذي يقع في

[•] (١٢) المصدر السابق ١٨/٣١

استشهد الآلوسي به في تفسيره (٢٣٨٠) مرة اى ان اعتماده عليه يأتي
في الدرجة الثانية بعد ابن عباس . ومعظم ما أخذته عنه في مسائل النحو
والاعراب وسائل الخلاف بين علماء النحو والتخريجات النحوية . ففي
قوله تعالى مثلاً (شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان)
اختار وجهين في تحرير (شهادة) لأبي حيyan (الاول أن تكون شهادة
منصوبة على المصدر النائب مناب الفعل) و (اثنان) مرتفع به والتقدير
ليشهد بينكم اثنان فيكون من باب ضرباً زيداً الا ان الفاعل في ضرباً يستند
إلى ضمير المخاطب لأن معناه اضرب ، وهذا يستند إلى الظاهر لأن معناه
ما علمت ، والثاني أن تكون مصدرها لا بمعنى الامر ، بل خبراً ثاب مناب
ال فعل في الخبر وان كان ذلك قليلاً كقوله :

- وقوفاً بها صحيبي على " مطيّهم " - فارتفاع صحيبي وانتصار مطيّهم
بقوله وقوفاً فانه يدل من النون بالفعل في الخبر والتقدير ؟ وقف صحيبي
على مطيّهم ، والتقدير في الآية ؟ يشهد اذا حضر أحدكم الموت اثنان (١٥) .

وينقل عنه احياناً وجه مناسبة الآيات بعضها مع بعض ، ففي قوله تعالى
(وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خيراً) قال : ووجه مناسبتها
لما تقدم على ما في البحر أنه تعالى لما ذكر النساء والشوز والمصالحة ، عقبه
بالقيام لأداء الحقوق والشهادة حقوق (١٦) . وينقل رأيه في فصاحة بعض
الآيات ، ففي قوله تعالى (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان
يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائين ،

(١٤) التفسير والمفسرون ٣٢١-٣١٧/١ .

(١٥) روح المعاني ٤٧/٧ ، ٤٨ .

(١٦) المصدر السابق ١٦٩/٥ .

وان يكن منكم الف يغلبوا الفين بآذن الله) نقل قوله (انظر الى فصاحة هذا الكلام ، حيث اثبت قيدا في الجملة الاولى وهو صابرون وحذف نظيره من الجملة الثانية وأثبتت قيدا في الثانية وهو (من الذين كفروا) وحذفه من الاولى ، ولما كان الصبر شديد المطلوبية أثبتت في جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ؟ ثم ختم الآية بقوله سبحانه (والله مع الصابرين) مبالغة في شدة المطلوبية ولم يأت في جملتي التخفيف بقييد الكفر اكتفاءً بما قبله ^(١٧) .

والآلowi شديد التقدير لأبي حيان حتى انه ينزل نفسه تواعضا منزلا تلميذه فيقول (وتعقبه شيخنا ابو حيان) ^(١٨) .

ومع ذلك فانه ينافقه في مسائل كثيرة ، وي Ferdinand كلامه ، أو يرده غير معتمد عليه ، ففي قوله تعالى (هل هذا الا بشر مثلكم) رفض اعرابه لهل في كونه استفهاميا تعججا وأعربه بأنه بمعنى النفي ^(١٩) . وفي قوله تعالى (ولتجدنهم احرص الناس على حياة) يقول ابو حيان (ان كلمة (حياة) على تقدير مضارف أو صفة أو طول حياة أو حياة طويلة) والآلowi يرى ان الكلام لا يحتاج الى ذلك ^(٢٠) .

ويفسر ابو حيان الاجر العظيم في الآية الكريمة (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) بالخلود ، فرده الآلوسي وقال (التعيم اولى) ^(٢١) .
ويرفض توجيه أبي حيان لوجه ارتباط الآية الكريمة (قل لو انت تملكون خزائن ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا)

(١٧) المصدر السابق ٣٢/١٠ .

(١٨) المصدر السابق ٢١٩/١٢ .

(١٩) المصدر السابق ٨/١٧ .

(٢٠) روح المعاني ٣٢٩/١ .

(٢١) المصدر السابق ١٧٩/٥ .

بالآيات السابقة ابتداء من قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الذى يقول فيه (المناسب في وجه الارتباط أن يقال انه عليه الصلاة والسلام قد منحه الله تعالى ما لم يمنحه لأحد من النبوة والرسالة إلى الانس والجبن فهو صلى الله عليه وسلم أحقر الناس على ايصال الخير إليهم وانقاذهم من الضلال يثابر على ذلك ويختاطر بنفسه في دعائهم إلى الله تعالى ، ويعرض ذلك على القبائل واحياء العرب سمحا بذلك لا يطلب منهم اجراء ، وهؤلاء اقرباؤه لا يكاد يجيب منهم أحد الا الواحد بعد الواحد ، قد لجوا في عناده وبغضائه فلا يصل منهم إليه الا الادى ، فنبه تعالى شأنه بهذه الآية على سماحته عليه الصلاة والسلام وبذل ما آتاه الله تعالى وعلى امتناع هؤلاء ان يصل منهم شيء من الخير اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهذا قد جاءت مبينة تبيان ما بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من حرصه على نعمتهم وعدم ايصال شيء من الخير منهم اليه) بقوله (فالارتباط بين الآية ومجموع الآيات السابقة من حيث أنها تشعر بحرصه صلى الله عليه وسلم على هدایتهم ولعمرى ان هذا مما يأبه الذوق السليم والذهن المستقيم ، ويتحمل ان يكون وجہ الارتباط اشتمالها على ذمهم بالشح المفرط كما ان ما قبلها مشتمل على ذمهم بالكفر كذلك وهما صفتان ضرر احداهما قاصر وضرر الأخرى متعد ، فتأمل فلمسلك الذهن اتساع والله تعالى أعلم بمراده)^(٢٢) .

ويفند بعض ما يرويه أبو حيان بقوله (وحكاية أبي عنه (أى عن ابن عباس) أنه لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بتر محمد عليه الصلاة والسلام فأنزل الله تعالى (إن شائلك هو الأفتر) لا تكاد تصح ، لأن هلاك اللعين أى جهل على التحقيق قبل وفاته إبراهيم عليه السلام)^(٢٣) .

(٢٢) المصدر السابق ١٨٢/١٥ .

(٢٣) المصدر السابق ٢٤٨/٣٠ .

هو ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ، صاحب التفسير المشهور (الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل)^(٢٤) (ت ٥٢٨ هـ) وهو مفسر معترى ، يؤمن بالعقل وينبذ مذهبة ويهم بدراسة النواحي اللغوية والبيانية من القرآن الكريم^(٢٥) ، ولذلك جاء تفسيره فريداً في بابه ، معترفاً به من قبل العلماء الذين تلقوا بالقبول برغم ما فيه من الاعتراض^(٢٦) .

استشهد الآلوسي بالزمخشري في تفسيره (١٤٤٨) مرة ، وأكثر ما ينقل عنه التحريف في الآية الكريمة مثلاً (الا من ظلم) قال (وجوز الزمخشري أن يكون مرفوعاً بالابدال في فاعل يحب في (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) كأنه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا ظالم^(٢٧) .
وينقل عنه المعنى ، ففي قوله تعالى (أوفوا بالعقود) قال الآلوسي (واستظهير الزمخشري كون المراد بها عقود الله تعالى عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه)^(٢٨) .

ويترسم الآلوسي خطى الزمخشري أحياناً في بيان جمال النظم القرآني ، وإثارة بعض المسائل البلاغية ، ثم الجواب عنها . قال تعالى (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار بمصر) قال الآلوسي (فإن قيل لم يقل جعل لكم الليل ساكناً ليكون فيه المبالغة المذكورة ، وتصرج القراءتان مخرجاً واحداً في المبالغة قلت : اجيب عن ذلك بان نعمة النهار أتم وأعظم من نعمة

(٢٤) التفسير والمفسرون ٤٢٩/١

(٢٥) منهاج الزمخشري في تفسير القرآن ٢٧٦

(٢٦) التفسير والمفسرون ٤٣٣/١

(٢٧) روح المعاني ٢/٦

(٢٨) المصدر السابق ٤٨/٦

الليل ، فسلك مسلك المبالغة فيها ، وتركت الاخرى على الظاهر تبنيها على ذلك^(٢٩) ومن المعلوم أن اسلوب قيل وقت من خصائص اسلوب الزمخشرى في اثارة المسائل^(٣٠) واللوسى متاثر باسلوب الزمخشرى في نواحى الاعجاز ، فبمقارنة نصين من تفسير الزمخشرى وتفسير الآلوسى يتبين هذا التأثر . قال الزمخشرى في تفسير قوله تعالى (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها ، فكأنها في ذاتها حياة ، والحيوان مصدر حي وقياسه حیان ، فقلبت الياء الثانية واواً كما قالوا : حياة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة ، قالوا اشترا من الموتان ولا اشترا من الحيوان . وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة ، وهى ما في فعلان من معنى الحركة والا ضطراب كالنزوان والغصان واللهمان وما اشبه ذلك . والحياة حركة كما ان الموت سكون ، فمجئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة^(٣١) وقال الآلوسى (وان الدار الآخرة لھى الحيوان) أى لھى الدار الحقيقة ، اذ لا يعرض الموت والفناء لمن فيها ، او هي ذاتها حياة للمبالغة و(الحيوان) مصدر حي ، سمي به ذو الحياة في غير هذا المحل وأصله حیان ، فقلبت الياء الثانية واواً على خلاف القياس فلامه ياء ، والى ذلك ذهب سيبويه ٠٠٠ وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من معنى الحركة والا ضطراب اللازم للحياة ، ولذلك اختير عليها في هذا المقام المقتضى للمبالغة ، وقد علمتها في وصف الحياة الدنيا المقابلة للدار الآخرة^(٣٢) وعلى الرغم من الاختلاف الطفيف في الاسلوبين يظهر لنا ان الآلوسى نقل

(٢٩) المصدر السابق ٨٢/٢٤ ٠

(٣٠) راجع على سبيل المثال ٣/١ ، ١٠ من الكشاف ٠

(٣١) الكشاف ٣٦٤/٣ ، ٣٦٥ ٠

(٣٢) روح المعاني ١٣/٢١ ٠

مثال اخر : قال تعالى (وما تدرى نفس باى أرض تموت) قال .
 الزمخشرى (وجعل العلم لله والدراءة للعبد لما في الدراءة من معنى الخل
 والحيلة) ^(٣٣) وقال الآلوسى (وفي العدول عن لفظ العلم الى لفظ الدراءة
 لما فيها من معنى الخل والحيلة) ^(٣٤) وبجانب ذلك فان الآلوسى يدخل فى
 مناقشات حادة مع الزمخشرى في قضية الاعتراض ففي قوله تعالى (من يشاً الله
 يضللها ، ومن يشاً يجعله على صراط مستقيم) قال والزمخشرى لما رأى
 تخرق عقيدته الفاسدة ، رام رقعها كما هو دأبه فقال معنى (يضللها) يخذه
 ولم يلطف به (ويجعله) يلطف به ^(٣٥) . وكثيراً ما ينكر عليه تأويله للآيات
 فيقول (وليس هذا اول خوض من الزمخشرى في تأويل الآيات بل ذلك
 دأبه) ^(٣٦) ففي قوله تعالى (فلا تلومونى ولو مروا انفسكم) قال (وفي الكشاف
 أن في هذه الآية دليلاً على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة والسعادة
 ويحصلهما لنفسه وليس من الله تعالى الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين
 ولو كان الامر كما تزعم المجيرة لقال : فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله
 تعالى قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه ثم رد عليه فقال (الجواب ان اهل
 الحق لا ينكرون توجيه اللائمة عليهم وان الله تعالى مقدس عن ذلك) ، وحيث
 البالغة وقضاؤه سبحانه الحق ، حيث اثبتوا للعبد القدرة الكاسبة التي يدور
 عليها فلك التكليف وجعلوا لها مدخلاً في ذلك ، فإنه سبحانه انما يخافق
 افعاله حسبما يختاره ، وسلبهم التأثير الذاتي عن قدرته لا ينفي اللوم عنهم
 كما بين في محله) ^(٣٧) .

• ٣٩٩/٣) الكشاف (٣٣)

• ١١٠/٢١) روح المعاني (٣٤)

• ١٤٨/٧) المصدر السابق (٣٥)

• ١٤٨/٧) المصدر السابق (٣٦)

• ١٨٤/٧) المصدر السابق (٣٧)

وعلى الرغم من خصومة الآلوسي للاعتزال ؟ وهجماته الشديدة على الزمخشري في كثير من المواطن ، فإنه يوافقه عندما يعتقد في موافقته الحق ، ففي الآية الكريمة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهدى لهم ربهم بآيمانهم) وافق الزمخشري في أن المقصود بهذا الایمان هو المشفوع بالعمل الصالح ^(٣٨) . ويعرف له الآلوسي اذا احسن التأويل والتفسير والتوجيه . فلقد قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى (وانك لتدعوهם الى صراط مستقيم) ما نصه (قد الز مهمن الحاجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله ، مخبرو سره وعلنه ، خليق بان يجتبي مثله للرسالة من بين ظهرايهم وانه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة باطل ، ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستطعاء اموالهم ، ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم ، مع ابراز المكنون من أدواتهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان ، وتعللهم بانه محبوون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة ، وكراهتهم للحق ، واعراضهم عما فيهم حظهم من الذكر ، يتحمل ان هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمّنون بالآخرة (لناكبون) أى عادلون عن هذا الصراط المستقيم) يقول الآلوسي (وهو من المحسن بمكان) ^(٣٩) وردود الآلوسي على الزمخشري لا تقف عند حد الاعتزال بل تتعداه الى علم القراءات ايضا ، فكثيرا ما نجده يرد عليه متهمها ايام بالجهل في القراءات . ففي قوله تعالى (وكذلك زين لكتير من المشركين قتل اولادهم) فقد رفض الزمخشري قراءة ابن عامر بناء (زين) للمفعول الذي هو القتل ، ونصب الأولاد وجر الشركاء باضافته القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقال : انه شيء لو كان في مكان الضرورات وهو

(٣٨) المصدر السابق ١١/٧٣ ، ٧٤ .

(٣٩) روح المعاني ١٨/٥٤ ، ١٥٤/٣ ، ١٥٥ .

الشعر لكان سمجاً مردوداً ◦ قال الألوسي (وقد ركب في هذا الكلام عمياء و تاه في تيهاد ، فقد تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا نقاولاً و سمعاً كما ذهب إليه بعض الجهلة) ، فلذلك غلط ابن عامر قراءته هذه وأخذ يبين منشأ غلطه ، وهذا غلط صريح يخشى منه الكفر والعياذ بالله تعالى ◦ فان القراءات السبعة متواترة جملة و تفصيلاً عن افصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم ، فتغليظ شيء منها في معنى تغليظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تغليظ لله عز وجل نعوذ بالله سبحانه ^(٤٠) ◦

٤ - ابن جرير الطبرى :

هو مؤلف التفسير الكبير المسمى بـ (جامع البيان في تفسير القرآن) الذي يقع في ثلاثة مجلداً (ت ٣١٠ هـ) وهذا التفسير هو أقدم التفاسير ، حفظ لنا فيه أقوال المفسرين الذين تقدموه عليه من مدرسة ابن عباس ومدرسة ابن مسعود ومدرسة علي بن أبي طالب ومدرسة أبي بن كعب والذين جاءوا بعدهم من أهل التفسير المأثور ◦ ومن هنا كان هذا التفسير اعظم مرجع مدون للتفسير بالرواية ^(٤١) ولذلك فإنه من مصادر تفسير الألوسي المهمة في هذا الباب ◦ فقد استشهد به (١١٣٠) مرة في نقل الروايات المختلفة في اسباب النزول ومعنى الالفاظ والقراءات المتنوعة والآراء والترجيحات الشخصية ◦ ففي قوله تعالى (والمحضات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) قال (واخرج ابن جرير عن الحسن أنه سئل أتزوج الرجل المرأة من أهل الكتاب ؟ فقال ما له وأهل الكتاب ، وقد أكثر الله تعالى المسلمين فإن كان لابد فاعلاً فليعد إليها أحساناً غير مسافحة) ◦ قال الرجل وما المسافحة ؟ قال : هي التي اذا نسخ

(٤٠) المصدر السابق ٨/٢٣ .

(٤١) المصدر السابق ١/٢٢٢ . التفسير والمفسرون ١/٢٠٧ .

الرجل اليها بعينه اتبعته^(٤٢) . وفي قوله تعالى (ونزعن ما في صدورهم من غل) اخرج ابن حرير عن السدي قال (ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوها وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان ، فيشربون من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل ، فهو الشراب الطهور) ، ويغسلون من الاخرى ، فتجرى عليهم نصرة النعيم ، فلن يشعروا ولن يشجعوا بعدهما ابدا^(٤٣) . ونقل رواية ابن حرير عن ابن حريج أن رفع الصوت بالدعاء من الاعتداء المشار اليه بقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين)^(٤٤) ويستبعد الآلوسي بعض ما رواه عن مجاهد ، ففي قوله تعالى (ومياثقه الذي وافقكم به) اخرج ابن حرير عن مجاهد قال (هو الميثاق الذي وافق به بنى آدم حين اخرجهم من صلب ابيهم عليه السلام) قال الآلوسي وفيه بعد^(٤٥) .

ويرفض روایات اسرائیلية رواها ابن حریر . ومنها ما اخرجه عن مجاهد أن النقباء لما دخلوا على الجبارين وجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم ، ولا يحمل عنقود عنهم الا خمس أنفس بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمان اذا نزع فيها خمس انفس او اربع^(٤٦) .

ويرفض احيانا توجيهاته لبعض الآيات ، ففي قوله تعالى (واقموا الصلاة وآتوا الأكمة) قال : وقول الطبرى انهم امرؤا هنا بالصلاحة والزكاة ليحيط ما تقدم من ميلهم الى قول اليهود (راعنا) منحط عن درجة الاعتار^(٤٧) .

(٤٢) روح المعاني ٦/٦

(٤٣) المصدر السابق ٨/١٢٠

(٤٤) المصدر السابق ٩/١٣٩

(٤٥) المصدر السابق ٦/٨٢

(٤٦) المصدر السابق ٦/٨٦

(٤٧) المصدر السابق ١/٣٥٨

ومن الجدير بالذكر انتى لاحظت ان الآلوسى يذكر (ابن جرير) اذا كان ما ينقله عنه رواية عن السلف كما أسلفنا ° ويدرك (الطبرى) اذا كان ينقل عنه رأيا خاصا به او ترجيحا بين الروايات ° ففي قوله تعالى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) قال (قال الطبرى في الآية الكريمة ان الجملة الثانية توكيد للأولى من حيث المعنى لانه يقال انزلته فنزل وانزلته فلم ينزل اذا عرض له مانع من النزول) فجاءت الجملة الثانية مزيلة لهذا الاحتمال ^(٤٨) °

٥ - الرازى :

هو ابو عبدالله محمد بن عمر التميمي البكري الطبرستانى الرازى الملقب بفخر الدين (ت ٦٠٦) ° وهو صاحب التفسير المشهور باسم (مفاتيح الغيب) المشهور بكثرة الاستطراد الى العلوم الرياضية والطبيعية والمناقشات الفلسفية والكلامية ، والاهتمام بعلم الهيئة ^(٤٩) °

استشهد الآلوسى بالرازى (٨٣٦) مرة ° واكثر هذه الاستشهادات فى الأمور الفلكية والكلامية والطبيعية ، وينقل احيانا عنه مسائل فقهية ومعانى الآيات ووجوه القراءات والتتصوف ° ففي قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الآلوسى (قيل ولا يمكن أن يراد به الزكاة المفروضة لأنها فرضت بالمدينة والسورة مكية ، واجب الامام - الرازى - عن ذلك بانا لا نسلم أن الزكاة ما كانت واجبة في مكة ، وكون أيتها مدينة لا يدل على ذلك على أنه قد قيل ان هذه الآية مدينة ايضا) ^(٥٠) وفي قوله تعالى (وان هم لا يحرضون) نقل قول الرازى (المراد ان هؤلاء الكفار الذين ينزعونك فى

• (٤٨) المصدر السابق ١٥/١٨٧

• (٤٩) التفسير والمفسرون ١/٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥

• (٥٠) روح المعاني ٨/٣٨

دينك ومذهبك غير قاطعين بصححة مذاهبهم ، بل لا يتبعون الا الفتن وهـم خرافيون كاذبون في ادعاء القطع^(٥١) . وفي قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) نقل عنه في القراءة قوله (وجه القراءة ابن عامر انه الحق الفعل عالمة التأيـث ، لما كان الفاعل مؤثـا في اللـفـظ ، وجـه القراءة ابن كـثير ان (ميـتـة) اسـم (يـكـنـ) وخبرـه مضمـر اي ان يـكـنـ لهم او هـنـاكـ مـيـتـة ، لـانـ مـيـتـةـ في معـنىـ المـيـتـ)^(٥٢) .

اما في التصوف فنقل عنه الآلوسي مثلا مـايـلى (وقد صـرـحـ الـامـامـ فـىـ شـرـحـ الاـشـارـةـ عنـ ذـكـرـ مـقـامـاتـ الـعـارـفـينـ أـنـ النـاسـ فـىـ العبـادـةـ ثـلـاثـ طـبـقـاتـ فـالـأـولـىـ فـىـ الـكـمالـ وـالـشـرـفـ الـذـيـنـ يـعـدـوـنـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ لـذـاتـهـ لـاشـئـةـ آـخـرـ وـالـثـانـيـةـ وـهـىـ الـتـىـ تـلـىـ الـأـولـىـ فـىـ الـكـمالـ الـذـيـنـ يـعـدـوـنـهـ لـصـفـةـ مـنـ صـفـاتـهـ ، وـهـىـ كـوـنـهـ تـعـالـىـ مـسـتـحـقاـ لـلـعـبـادـةـ ، وـالـثـالـثـةـ وـهـىـ آـخـرـ درـجـاتـ الـمـحـقـقـيـنـ الـذـيـنـ يـعـدـوـنـهـ لـتـكـمـلـ نـفـوسـهـمـ فـىـ الـاتـسـابـ الـيـهـ)^(٥٣) .

وينقل عنه احيانا بعض التعليلات (وذكر الامام في اصل عادة الاصنام أن الناس رأوا تغيرات احوال هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فزعموا ارتباط السعادة والنجoscـةـ بكـيفـيـةـ وـقـوعـهاـ فـيـ الطـوـالـعـ ، ثم غـلبـ علىـ ظـنـ اـكـثـرـ الـخـلـقـ أـنـ مـبـدـأـ حدـوثـ الـحوـادـثـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ هـوـ الـاتـصـالـاتـ الـفـلـكـيـةـ وـالـمـنـاسـبـاتـ الـكـوـكـبـيـةـ فـيـ بـالـغـوـاـ فـيـ تـعـظـيمـ الـكـوـكـبـ .ـ ثـمـ مـنـهـمـ مـنـ اـعـتـقـدـ انـهاـ وـاجـبـ الـوـجـودـ لـذـاتـهاـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ اـعـتـقـدـ حدـوثـهاـ وـكـوـنـهاـ مـخـلـوقـةـ لـلـلـهـ الـاـكـبـرـ الاـ انـهـمـ قـالـواـ انـهـاـ مـعـ ذـكـرـ هـىـ الـمـدـبـرـةـ لـاحـوالـ الـعـالـمـ وـعـلـىـ كـلـ الـقـدـيرـينـ اـشـغـلـوـاـ بـعـادـتـهاـ .ـ وـلـاـ رـأـوـهـاـ قـدـ تـغـيـبـ عـنـ الـابـصـارـ ،ـ اـتـخـذـوـاـ لـكـلـ كـوـكـبـ صـنـمـاـ مـنـ الـجـوـهـرـ الـمـسـوـبـ الـيـهـ بـزـعـمـهـمـ ،ـ وـاقـبـلـوـاـ عـلـىـ عـبـادـتـهـ ،ـ وـغـرـضـهـمـ مـنـ

• (٥١) المصدر السابق ٨/١٢ .

• (٥٢) المصدر السابق ٨/٣٦ .

• (٥٣) المصدر السابق ٧/٧٨ .

ويعجب الآلوسي بعض توجيهات الرازى للآية فينقلها ويطيل احياناً في النقل . ففى قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ۰ ۰ ۰ الآيات) نقل عنه (انه تعالى ذكر في المثل الأول شجرة موصوفة باربع صفات ثم شبه الكلمة الطيبة بها ۰ الصفة الأولى كونها (طيبة) وذلك يحتمل كونها طيبة المنظر وكونها طيبة الرائحة وكونها طيبة الشمرة بمعنى كونها لذيدة مستطابة وكونها طيبة الشمرة بمعنى كثرة الانتفاع بها ، ويجب ارادة الجميع اذ به يحصل كمال الطيب ۰ والثانية كون (اصلها ثابتة) وهو صفة كمال لها لأن الشيء الطيب اذا كان في معرض الزوال فهو وإن كان يحصل الفرح بوجوده الا انه يعظم الحزن بالخوف من زواله وأما اذا لم يكن كذلك فإنه يعظم السرور به من غير ما ينفعه ذلك ۰ والثالثة كون (فرعها في السماء) وهو ايضاً صفة كمال لها لأنها متى كانت مرتفعة كانت بعيدة عن عفونة الأرض وقاذورات الابنية فكانت ثمرتها نقية صالحة عن جميع الشوائب والرابعة كونها (دائمة الشمر) لا ان ثمرها حاضر في بعض الاوقات دون بعض وهو صفة كمال ايضاً اذ الانتفاع بها غير منقطع حيث ذكر تعالى في المثل الثاني شجرة ايضاً الا انه تعالى وصفها بثلاث وصفات ۰ الصفة الاولى كونها خبيثة وذلك يحتمل ان يكون بحسب الرائحة ، وإن يكون بحسب الطعم وإن يكون بحسب الصورة وإن يكون بحسب اشتتمالها على المضار الكثيرة ، ولا حاجة الى القول بأنها شجرة كذا او كذا فان الشجرة الجامعية لتلك الصفات وإن لم تكن موجودة الا انها اذا كانت معلومة الصفة كان التشبيه نافعاً في المطلوب والثانية (اجتنابها من فوق الأرض) وهذه في مقابلة اصلها ثابت في الاولى والثالثة ، نفي ان يكون لها قرار ، وهذه كالمتمنمة

(٥٤) مفاتيح الغيب ٨٢/٧ روح المعاني ١١/٢٣ وما بعده .

للحصة الثانية ، والمراد بالكلمة المشبهة بذلك الجهل بالله تعالى والاشراك به سبحانه فانه اول الافات وعنوان المخالفات ورأس الشقاوات . فجنبه اظهر من ان يخفى وليس له حجة ولا ثبات ولا قوة بل هو داحض غير ثابت) قال الآلوسي وهو كلام حسن ، لكنه فيه مخالفة لظواهر كثير من الآثار فتأمل (*) .

والآلوسي لا يقييد بما في تفسير الرازى من ابحاث علم الهيئة ، وانما يتسع فيذكر اقوال السلف الصالح والمرويات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراء اهل الفلك بعد الرازى . فقد نقل في تفسير الآية الكريمة (والشمس تجري لمستقر لها الآيات) ما اخرجه احمد والبخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ابى حاتم وابو الشيخ وابن مردوية والسيهقى عن ابى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال مستقرها تحت العرش (٥٥) .

وقال ايضا (وايضا يجوز ان تكون السيارات اكثر من سبع فيحتاج الى ازيد من سبع سمات) ويقرب هذا ظفر اهل الارصاد الجديد بكوكب سيار غير السبع سمات باسم ظفر به وادركه وهو هرشل) وبالجملة لا قاطع فيما قالوه (٥٦) .

وهناك خطأ كبير علق بعض الادهان ، وورد في بعض الكتب نتيجة لجهل عظيم بتفسير الآلوسي ، ألا وهو أن تفسير الآلوسي مختصر تفسير الرازى أو ان الآلوسي متاثر بالرازى تأثرا كبيرا . يقول الشيخ قاسم القيسى في كتابه تاريخ التفسير (وقد اصاب هذا التفسير الجليل - يعني روح المعانى - من جانب صاحب التعليم والارشاد السيد بدرب الدين الحلبي بعض القدر اذ

(*) روح المعانى ١١/٢٣ وما بعده .

(٥٥) روح المعانى ١٢/٢٣ .

(٥٦) المصدر السابق ٢٥/٢٣ .

قال : وجاء الآلوسي من متّخري اهل العراق فأخذ تفسيره من تفسير الامام فخر الدين الرازى الا انه حنف منه كثيراً من الزوائد واضاف اليه واحسن غاية الاحسان شيئاً من اقوال المفسرين)^{٥٧} .

وابدأ في ازالة هذه الشبهة التي لا تستند على أساس من الدراسة

والعلم ، فاقول :

١ - ان الآلوسي لم يستشهد بتفسير الرازى الا (٨٣٦) مرة ضمن استشهاده الوف المرات بعشرات التفاسير ؛ فكيف يمكن ان يقال بعدئذ ان تفسير الآلوسي مأخوذ من تفسير الرازى ؟

٢ - أن الآلوسي يدخل في مناقشات طويلة مع الرازى مفتدا اقواله ، متهماً اياه بالتساهل في نقل الاخبار . فنحن لا نكاد ندخل في تفسير البسمة حتى نرى الآلوسي وجهاً لوجه أمام الرازى يريد قوله ان البسمة آية من الفاتحة ، فيأتي بادلته الستة عشر فيردها دليلاً ، فيضعف الاحاديث التي يوردها . ويؤول البعض الآخر ، ويتخذ من بعض ادلة الرازى ادلة له . كل ذلك لانه يريد ان يثبت ان البسمة آية من القرآن وليس آية من الفاتحة مناصراً بذلك رأى الامام ابي حنيفة^(٥٨) .

ويرفض الآلوسي كثيراً من اقوال الرازى فيقول (وزعم الامام اجماع المسلمين على المعاد بجمع الاجزائية بعد افتراها ، وليس بذلك لما سمعت من الخلاف في كيفية ، وهو مذكور في المواقف وغيره)^(٥٩) .

لقد ذكر الرازى ادلة العلماء الذين يقولون بتأثير الكواكب في الحياة الإنسانية ثم عقب عليه الآلوسي قائلاً (ولعمري لقد زئر الكثافة ، ونفع

^{٥٧} ص ١٤٦

^{٥٨} روح المعاني ١/٤٠-٤٦

^{٥٩} المصدر السابق ٢٣/٦١

الجعة ، واستفرغ الوسع ، وبذل الجهد ، وروج وبهرج ، وقعق وفرقع ،
ومن غير طحن جمعجع ، وجمع ما يعلم بالضرورة انه خطأ في تأويل كلام الله
تعالى ومعرفة مراده سبحانه . ولا يروج ما ذكره الا على مفرط في الجهل
او مقلد لأهل الباطل من المنجمين ^(٦٠) ثم ذكر الآلوسي بحثا قيما في الرد
على هذه المزاعم ، استعمل فيه الا أدلة العقلية والنقلية والشواهد التاريخية
والتجارب الرصدية للعلماء المسلمين واهل الفلك المحدثين في اوربا .
وهذا البحث يمكن ان يقوم رسالة كاملة في هذا الموضوع . ولقد نبه
الآلوسي نفسه الى خطورة بحثه هذا فقال (وقد جمعت لك مالم اعلم انه
جمع في تفسير) ^(٦١) .

وستطيع أن تنظر ايضا في مناقشات الآلوسي للرازي في تفسيره قوله
تعالى (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) ^(٦٢) .

ويسحب الآلوسي ثقته من الرازي الى درجة أنه يعتبره اماما في نقل
مala يعول عليه من الاخبار عن أئمة الحديث ، ويحذر الاقداء به في هذا
المجال ^(٦٣) .

ان الباحث في تفسير الآلوسي يستطيع بسهولة ان يقول ان الآلوسي
حطم الرازي في كثير من المسائل على الرغم من احترامه له باعتباره من
كبار علماء الاسلام من اهل السنة والجماعة .

ان الآلوسي أراد ان يكون تفسيره منتدى الآراء ، والرازي باعتباره
من المفسرين الكبار اقتبس منه ، فإذا كان قد أيده في شيء فقد عارضه في
أشياء ، وتأتي مكانة تفسير الرازي عند الآلوسي من حيث الاقتباس في الدرجة .

(٦٠) روح المعاني ٢٣/١٠٩ .

(٦١) المصدر السابق ١٠٩/٢٣-١٢٣ .

(٦٢) المصدر السابق ٢٣/٢٣-١٩٥-١٩٧ .

(٦٣) المصدر السابق ٣٠/٢٢٨ .

الخامسة ° أبعد هذا كله يمكن لانسان ان يقول ان تفسير الالوسي هو
تفسير الرازى مع حذف واضافة (٦٤) °

هذا وعلى القارئ ان يلاحظ ان الالوسي عندما يستشهد بالأمام
الرازى يقول غالبا : قال (الأمام) ويمكن ان يختلط هذا بالغة (الأمام)
الذى يطلقه الالوسي على الامام ابى حنيفة ، وخاصة فى المسائل الفقهية ،
ولكن الانتباه الى سياق العبارة يحدد قصده °

٦ - ابو السعود :

هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ، صاحب التفسير الشهير
بـ (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) (ت ٩٨٢هـ) واتجاهه
فى تفسيره هو كشف جمال العبارة القرآنية واسرارها البلاغية ، بما لم
يسبقه أحد إليه (٦٥) °

يعظم الالوسي صاحب هذا التفسير فيسميه احيانا بـ (شيخ الاسلام)
واحيانا بـ (مفتى الديار الرومية) ويستعمل كلمة (مولانا) كثيرا ، وقد
يسميه باسمه °

استشهد به (٥٥٩) مرة ° وأكثر ما يأخذ عنه النواحى البينية وما
يتعلق باللغة ، ولا يناقشه الا قليلا ، لأن الموضوعات التى يطرقها ابو السعود
لا تثير مناقشات فكرية مهمة ، فهى موضوعات لغوية وبلاغية ، فلكل مفسر
وجهة نظر معينة فى بيان جمال النظم القرآنى فى حدود قواعد اللغة
العربية ° وقد فعل الالوسي ذلك مع الزمخشرى حيث ينصب أكثر مناقشاته
معه على نواحى الاعتزال °

(٦٤) أرجو ان يوفقني الله تعالى الى العودة الى الموضوع فى بحث آخر
لاعرضه بالتفصيل معتمدا على مقارنات أكثر من التفسيرين °

(٦٥) التفسير والمفسرون ١ / ٣٤٥ ، ٣٤٧ -

يأخذ الالوسى عنه تحديد معاني بعض الكلمات . ففي الآية الكريمة
 (جعل الظلمات والنور) قال : والجعل كما قال شيخ الاسلام الانشاء
 والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني ^(٦٦) .

ويأخذ عنه الربط البلاغي بين الآيات ففي قوله تعالى (عفا الله عنكم)
 بعد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألو) ^{٠٠٠} قال (والذى ذهب اليه
 شيخ الاسلام عليه الرحمة هو الاستئناف لا غير) ^(٦٧) . وفي قوله تعالى
 (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا يبدل لكلماته وهو السميع العليم ، وان
 تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) قال (و قال شيخ الاسلام :
 انه لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يجب ذلك من ازوال
 الكتاب الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه ، وكمال عدله في
 أحكامه ، وامتاع وجود من يبدل شيئا منها ، واستبداده سبحانه بالاحاطة
 التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان أن الكفر متصرفون
 بمقتضى تلك الكلمات من الناقض التي تقود إلى الضلال والاضلال وابتاع
 الغنون الفاسدة الناشيء من الجهل والكذب على الله تعالى ابانة لكمال مبادنة
 حاليهم لما يرمونه ، وتحذيرًا عن الركون اليهم والعمل بأرائهم فقال سبحانه
 ما قال ^(٦٨) .

وينقل عنه تحليله لبعض الآيات بلاغيا . ففي قوله تعالى (أو من كان ميتا
 فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج
 منها) قال (مثل اريد به من بقى في الضلال بحيث لا يفارقهها أصلا ، كما
 ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات
 اليتات الى طريق الحق ، يسلكه كيف شاء ، لكن لا على ان يدل على كل

^(٦٦) روح المعاني ٧/٨١ .

^(٦٧) المصدر السابق ٧/٤٠ .

^(٦٨) المصدر السابق ٨/١١ .

واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة
تشبيهه بما يناسبه من معانٍها فـان الفاظ المثل باقية على معانٍها الأصلية ، بل
على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانب المثلين
هيـة على حدة ، فـتشبهـت بهما الاـدلتـان وـنزلـتـا مـنزـلـتـهـما ، فـاستـعـملـ فـيـهـما ماـيـدـلـ
ـعـلـىـ الـاخـيرـتـينـ بـضـرـبـ مـنـ التـجـوزـ)^(٦٩) .

ويرفض الآلوسي أحياناً بعض آقواله . فقد نقل أن ابا السعوـد حـمـلـ
ـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ فـيـ (ـوـاـنـ يـرـواـ كـلـ آـيـةـ)ـ عـلـىـ الآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ .ـ أـىـ وـاـنـ يـرـواـ
ـشـيـئـاـ مـنـ ذـلـكـ بـاـنـ يـشـاهـدـوـ بـسـمـاعـهـ لـاـ يـؤـمـنـوـ بـهـ .ـ فـيـرـدـ هـذـاـ بـقـولـهـ (ـوـلـعـلـ
ـمـاـ قـدـمـنـاهـ أـحـلـىـ لـدـىـ الـذـوقـ السـلـيمـ)ـ .ـ وـلـقـدـ سـبـقـ لـهـ اـنـ حـمـلـ آـيـةـ عـلـىـ
ـالـعـيـزـاتـ الدـالـةـ عـلـىـ صـدـقـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـاـنـشـقـاقـ الـقـمـرـ وـبـعـ
ـالـمـاءـ مـنـ بـيـنـ أـصـابـعـ الشـرـيفـةـ ،ـ وـتـكـثـيرـ الـقـلـيلـ مـنـ الطـعـامـ)^(٧٠)ـ .ـ وـفـيـ آـيـةـ
ـالـكـرـيمـةـ (ـوـمـاـ يـكـوـنـ لـنـاـ أـنـ نـعـودـ فـيـهـ إـلـاـ أـنـ يـشـاءـ اللهـ رـبـنـاـ ،ـ وـسـعـ رـبـنـاـ كـلـ
ـشـيـءـ عـلـمـاـ ،ـ عـلـىـ اللهـ تـوـكـلـنـاـ)ـ قـالـ الآـلوـسـيـ (ـوـفـيـ آـيـةـ دـلـالـةـ عـلـىـ اـنـ اللهـ تـعـالـىـ
ـأـنـ يـشـاءـ الـكـفـرـ)ـ وـادـعـيـ شـيـخـ الـاسـلـامـ اـبـوـ السـعـوـدـ أـنـ الـمـرـادـ اـسـتـحـالـةـ وـقـوـعـ
ـذـلـكـ كـأـنـهـ قـيـلـ :ـ وـمـاـ كـانـ لـنـاـ أـنـ نـعـودـ فـيـهـ إـلـاـ أـنـ يـشـاءـ اللهـ تـعـالـىـ الـعـوـدـ هـيـهـاتـ
ـذـلـكـ ،ـ وـلـاـ يـكـادـ يـكـونـ كـمـاـ يـنـبـيـ عنـهـ التـعـرـضـ لـغـوـانـ الـرـبـوـيـةـ ،ـ وـقـولـهـمـ
ـ(ـبـعـدـ اـذـ نـجـانـاـ اللهـ)ـ فـاـنـ تـنـجـيـتـهـ تـعـالـىـ اـيـاهـ مـنـهـاـ مـنـ دـلـائـلـ عـدـمـ مـشـيـئـتـهـ سـبـحـانـهـ
ـلـعـوـدـهـمـ فـيـهـاـ .ـ وـفـرـعـ عـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (ـوـسـعـ)ـ اـلـخـ بـعـدـ اـنـ فـسـرـهـ بـمـاـ فـسـرـهـ
ـمـحـالـيـةـ مـشـيـئـتـهـ الـعـوـدـ لـكـنـ لـطـفـاـ .ـ قـالـ الآـلوـسـيـ :ـ وـلـعـلـ مـاـ ذـهـبـتـ اـلـيـهـ اوـلـىـ)^(٧١)ـ .

٧ - النـزـاجـاجـ :

هو اـبـوـ اـسـحـاقـ اـبـرـاهـيمـ بـنـ السـرـيـ بـنـ سـهـلـ ،ـ الـعـالـمـ النـحـوـيـ الـلغـوـيـ

(٦٩) معجم الـادـبـاءـ ١٥١/١ .ـ قـامـوسـ الـاعـلامـ ٣٣/١ .

(٧٠) روحـ المـعـانـيـ ١٨/٨ .

(٧١) المـصـدـرـ السـابـقـ ١٢٥/٧ ، ١٢٦ .

صاحب كتاب (معاني القرآن) في التفسير اللغوي والاعراب •
٣١١ هـ (٧٢) •

استشهد الألوسي بالزجاج (٥٥٦) مرة • وأكثر ما يقتبسه منه هو اللغة والاعراب • ففي قوله تعالى (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) نقل زعم الاخفش أن (ثم) هنا بمعنى الواو ، ثم ذكر تعقب الزجاج عليه بأنه خطأ لا يحيزه التخليل وسيوحيه ولا من يوثق بعلمه لأن ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غيره ، وإنما المعنى إننا ابتدأنا خلق آدم عليه السلام من تراب ثم صورناه أي هذا أصل خلقكم ثم بعد الفراغ من أصلكم قلنا ٠٠ الخ (٧٣) •
وفي قوله تعالى (فسجدوا الا ابليس) نقل قول الزجاج (الباء الافتادة مسارعتهم في الامتثال وعدم تبطّهم فيه ، و (ابليس) اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وزنه فعليل) (٧٤) • وفي قوله تعالى (وبعثنا منهن إثنى عشر نقيبا) قال الزجاج : وأصله من النسب وهو الثقب الواسع والطريق في الجبل (٧٥) •

وقليلاً ما يأخذ عنه شرح مفهوم معين • ففي قوله تعالى (فثبتوا الذين آمنوا) نقل قوله (كان باشيء يلقونها في قلوبهم ، تصح بها عزائمهم ويتأكد جدهم ، وللملك قوة الخير في القلب ويقال لها الهم كما ان للشيطان قوة القاء الشر ويقال له وسوسه) (٧٦) •

وكذلك تعلياته للقراءات • ففي قوله تعالى (ا لا ان تكونا ملكين) قرأ ابن عباس ويحيى بن كثير (ملكين) بكسر اللام • قال الزجاج : ويشهد

(٧٢) المصدر السابق ٩/٤ •

(٧٣) المصدر السابق ٨/٨ •

(٧٤) المصدر السابق ١/٢٢٩ •

(٧٥) المصدر السابق ٦/٨٥ •

(٧٦) روح المعاني ٩/١٧٧ •

لهذه القراءة قوله تعالى حكاية عن اللعين (هل أدلّك على شجرة الخلد وملك
لا يبلی)^(٧٧) .

٨ - السيوطي :-

هو الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبدالرحمن (ت ٩١١ هـ) وصاحب
التفسیر الشهير بـ (بالدر المنشور في التفسير المأثور) الذي سرد فيه الروايات
عن السلف في التفسير دون نقد لها أو تجريح^(٧٨) .

استشهد الألوسي بالسيوطى (٣٣٨) مرة ، واعتماده بالدرجة الاولى عليه
في الربط بين السور^(٧٩) ففي وجه المناسبة بين سورة الانعام وسورة المائدة
نقل قوله (انه تعالى لما ذكر في آخر المائدة (لله ملك السموات والارض وما
فيهن) على سبيل الاجمال افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله
فبدأ سبحانه بذكر السموات والارض ، وضممه تعالى اليه أنه جعل الفلك من
والنور ، وهو بعض ما تضمنه ما فيهن ، ثم ذكر عز اسمه أنه خلق النوع
الانسانى ، ومضى له اجلًا وجعل له أجيلاً آخر للبعث ، وانه جل جلاله منشأ
القرون قرناً بعد قرن . ثم قال تعالى (قل لمن ما في السموات) الخ . فابتدا
له ملك جميع المظروفات بظرف المكان . ثم قال عز من قائل (وله ما سكن
في الليل والنهار) فابتدا أنه جل وعلا ملك جميع المظروفات لظرف الزمان .
ثم ذكر سبحانه خلق سائر الحيوان من الدواب والطير . ثم خلق النسوم
والبيضة والموت . ثم أكثر عز وجل في أثناء السورة من الانشاء والخلق لما
فيهن من النيرين والنجوم . وخلق الاصباح وخلق الحب والنوى ، وانزال
الماء وخارج النبات والثمار بانواعها وانشاء جنات معروشات وغير معروشات

(٧٧) المصدر السابق . ٩٩/٨

(٧٨) التفسير والمفسرون ٢٥١/١ ، ٢٥٤ .

(٧٩) روح المعاني ٧٤/٨ .

إلى غير ذلك مما فيه تفصيل ما فيهن (٨٠) .

ويرفض الآلوسي بعض آقواله في هذا المجال على عادته في الاستقلال بالرأي وعدم التقليد . فقد قال السيوطي أن ذكر سورة الانفال بعد الاعراف ليس بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كما هو المرجح فيسائر السور ، بل باجتهاد من عثمان رضي الله تعالى عنه . فرد عليه الآلوسي بقوله (ثم ما ذكره من عدم التوقيف في هذا الوضع في غاية البعد كما يفهم مما قدمناه في المقدمات) (٨١) .

ولا يقتصر استشهاد الآلوسي بالسيوطى على تفسيره ، وإنما ينقل من كتبه الأخرى ففي تفسير لقوله تعالى (فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) قال (وقد ذكر الجلال السيوطى عليه الرحمة في جمع الجوابع - بعد أن بين أن اذا الظرفية قد يحذف جزء الجملة التي اضيفت هي إليها أو كلها فيعوض عنه التنوين وتكسر للساكنين لا للاعراب خلافاً للإخفش وقد تفتح - أن شيخه الكافيجي الحق بها (اذن) ثم قال في شرحه هم المهامع : وقد أشرت بقولي : والحق شيئاً بها في ذلك (اذن) إلى مسألة غريبة قل من تعرض لها ؟ وذلك اني سمعت شيئاً على الرحمة يقول في قوله تعالى (ولئن أطعم بشرًا مثلكم انكم اذاً لخاسرون) ليست (اذن هذه الكلمة المعهودة وإنما هي اذا الشرطية حذفت جملتها التي يضاف إليها وعوض عنها التنوين كما في يومئذ وكانت استحسن هذا جداً وأظن ان الشيخ لا سلف في ذلك ، حتى رأيت بعض المؤاخرين جنح إلى ما جنح إليه الشيخ ، وقد أوسع الكلام في ذلك في حاشية المغني) (٨٢) .

(٨٠) المصدر السابق ٧٦/٧ .

(٨١) روح المعاني ١٥٨/٩ ، ١٥٩ .

(٨٢) المصدر السابق ١١/١٩٩ .

٩ - الطبرسي :-

هو ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المشهدي ، صاحب التفسير الشيعي المعتمد المشهور بـ (مجمع البيان لعلوم القرآن)
ت ٥٣٨ هـ (٨٣) .

استشهد به الآلوسي (٢٦٥) مرة . فهو ينقل عنه أحيانا القراءات ففي قوله تعالى (قال الله اني منز لها عليكم) قال (وقرأ الباقيون كما قال الطبرسي (منزلها) بالتحقيق وجعل الانزال والتزييل بمعنى واحد) (٨٤) .

وينقل عنه وجه اتصال بعض الآيات . ففي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألو عن أشياء ان تبد لكم تسوؤكم وان تسألو عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) قال (وذكر الطبرسي في ذلك ثلاثة أوجه الاولى انها متصلة بقوله تعالى (لعلكم تفلحون) لأن من الفلاح ترك السؤال بما لا خير فيه . والثاني انها متصلة بقوله سبحانه (ما على الرسول الا البلاغ) أي فانه بلغ ما فيه المصلحة فلا تسألهو عما لا يعنيكم . والثالث انها متصلة بقوله جل وعلا (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي فلا تسألو عن تلك الاشياء فتفاهم سرائركم) (٨٥) .

وينقل عنه ايضا معاني الكلمات . ففي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) قال (وفرق الطبرسي بين العقد والعهد ، بان العقد فيه معنى الاستيفاق والشدة ، ولا يكون الا بين اثنين ، والعهد قد ينفرد به واحد) (٨٦) .

والآلوسي يرد الطبرسي كلما حاول تفسير الآيات على اسس مذهبة

(٨٣) التفسير والمفسرون ٢/٩٩ .

(٨٤) روح المعاني ٧/٦٢ .

(٨٥) المصدر السابق ٧/٤٠ .

(٨٦) روح المعاني ٦/٤٨ .

(الإمامية) ويعتبره حاطب ليل يجمع الغث والسمين^(٨٧) ، وكثيراً ما يفند روايات له فيقول (وقول الطبرسي انه المروى عن أبي عبدالله رضي الله تعالى عنه كذب لا أصل له)^(٨٨) .

١٠ - البيضاوي :-

هو عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) وصاحب «التفصير المتداول بين العلماء (أنوار التنزيل واسرار التأويل)^(٨٩) » الذي هو في الحقيقة مختصر لتفسيري الرازي والزمخنثري^(٩٠) .

استشهد به الآلوسي (٢٠٧) مرة ، وأكثر ما يستقى منه النواحي الكلامية والبلاغية . ففي الآية الكريمة (ونادي أصحاب الجنة) قال الآلوسي : ففي الآية الكريمة استعارة تبعية كما يفهمه كلام العلامة البيضاوي^(٩١) .

ويرد الآلوسي في بعض الموضوعات البيضاوي رداً قوياً على نحو ما نرى في الآية الكريمة (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) حيث يقول (وقول العلامة البيضاوي بعد تعريف الجن في سورتهم بما عرف فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعواها فأخبر الله تعالى بذلك ناشيء عن عدم الاطلاع على الأحاديث الصحيحة الكثيرة المصرحة برؤيته صلى الله عليه وسلم وقراءته عليهم وسؤالهم منه الزاد لهم ولدوا بهم على كيفيات مختلفة ، وعندي انه

(٨٧) المصدر السابق ١٤٣/٩

(٨٨) المصدر السابق ٤٢/٨

(٨٩) التفسير والمفسرون ٢٩٦/١

(٩٠) المصدر السابق ٢٩٧/١

(٩١) روح المعاني ٨٤/١

لَا مانع من رؤيته صلى الله عليه وسلم للجن على صورهم التي خلقوا عليها فقد رأى جبريل عليه السلام بصورة الاصيلة مرتين ، وليس رؤيتم ورؤيتك كل موجود عندنا في حيز الامكان^(٩٢) .

١١ - ابن عربي :

هو شيخ الصوفية الراكي ، وصاحب نصوص الحكم والفتواه المكية ، أبو بكر محبي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الاندلسي (ت ٦٣٨ هـ)^(٩٣) .

استشهد الآلوسي في تفسيره بابن عربي في تفسيراته الصوفية والاشارية ، وهو يؤول له ، ويدافع في أكثر الأحيان ، ويدعو إلى حسن الظن به . ففي تفسير سورة الفاتحة مثلاً ينقل عنه (فإذا وقع الجدار وانهدم الصور ، وامتزجت الانهار ، والتقوى البحran ، وعدم البرزخ ، صار العذاب نعيمًا ، وجهنم جنة ، ولا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة العيان) ثم يقول (وهذا وأمثاله محمول على معنى صحيح ، يعرفه أهل الذوق ، ولا ينافي ما وردت به القواطع ، واياك أن تقول بظاهره مع ما أنت عليه ، وكلما وجدت مثل هذا لأحد من أهل الله تعالى فسلمه لهم بالمعنى الذي أرادوه ، مما لا تعلمه أنت ولا أنا ، لا بالمعنى الذي ينقدح في عقلك المشوب بالأوهام ، فلامر والله وراء ذلك)^(٩٤) .

ويذكر الآلوسي أن آراء ابن عربي بمعزل عن آراء المحدثين ، نقلة الدين^(٩٥) . وهو أن ناقشه فمناقشة برفق وحضر شديدين مراعيا ظروف

(٩٢) المصدر السابق ١٠٥/٨ .

(٩٣) التفسير والمفسرون ٧٣/٣ .

(٩٤) روح المعاني ١٤٢/١ .

(٩٥) المصدر السابق ٢٢/١٤ .

زمانه ° ففي تفسيره لقوله تعالى (فال يوم ننجيك بيدك تكون لمن خلفك آية)
 نقل رأي ابن عربى الذى ينص على ان فرعون مات على الايمان ، ثم أخذ
 يرد على هذا الرأى الخطير المخالف للكتاب والسنن واجماع الامة ° ومنه
 قوله (وما ذكره الشيخ الاكبر قدس سره فى توجيه آية (حتى اذا ادركه
 الغرق ٠٠ الخ) خارج عن ذوق الكلام العربى وتجشمش تكلف لا معنى له)
 ثم أردد به قوله (على انه لو لم يكن الا القول بقبول ايمانه لا يلزمه اتباعه
 فى ذلك ، والأخذ به لمخالفته ما دل عليه الكتاب والسنن ، وشهدت به أئمة
 الصحابة وتابعين فمن بعدهم من المجتهدين ، وجلالة قائله لا توجب القبول ،
 فقد قال مالك وغيره : ما من أحد الا مأخوذ عنه من قوله ومردود عليه الا
 صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ^(٩٦) °

وعدا هؤلاء فإن الآلوسي يستشهد بغيرهم من المفسرين على اختلاف
 مناهجهم فمنهم :

- ١ - داود الظاهري الاصبهاني (ت ٢٧٠ هـ) °
- ٢ - سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ) °
- ٣ - ابو علي الجيائي (ت ٣٠٣ هـ) °
- ٤ - ابو هاشم بن علي الجيائي (ت ٣٢١ هـ) °
- ٥ - ابو مسلم الاصفهاني (ت ٣٢٢ هـ) °
- ٦ - احمد بن علي الرازى المعروف بالجصاص (ت ٣٧٠ هـ) °
- ٧ - ابو الليث السمرقندى (ت ٣٧٣ هـ) °
- ٨ - علي بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) °
- ٩ - محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) °
- ١٠ - ابو اسحق احمد بن ابراهيم الشعبي النسابوري (ت ٤٢٧ هـ) °

- ١١ - السيد الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) .
- ١٢ - علي بن احمد الواحدى (ت ٤٦٨ هـ) .
- ١٣ - الراغب الاصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) .
- ١٤ - عماد الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بـ (الكيا
الهراسى) (ت ٥٠٤ هـ) .
- ١٥ - الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هـ) ويدكره الآلوسي على
الأكثر بـ (محى السنّة) .
- ١٦ - القاضى ابو محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى الاندلسى
المالكى (ت ٥٤٣ هـ) .
- ١٧ - عبدالحق بن غالب بن عطية الاندلسى (ت ٥٤٦ هـ) ويكثر
استشهاده به بعد النصف الاخير من القرآن الحكيم .
- ١٨ - ابو عبدالله محمد بن احمد الانصارى الاندلسى القرطبي
(ت ٦٧١ هـ) .
- ١٩ - عبدالله بن احمد بن محمود النسفي (ت ٧٠١ هـ) .
- ٢٠ - نظام الدين الحسن بن الحسين الخراسانى النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)
- ٢١ - علي بن محمد بن ابراهيم المخازن (ت ٧٤١ هـ) .
- ٢٢ - ابن كثير اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) .
- ٢٣ - اسماعيل حقي (ت ١١٢٧ هـ) .

ويعتمد الآلوسي في الشروح والردود المشهورة على التفاسير ،
على سرّح شهاب بن احمد بن محمد بن عمر الخفاجي على البيضاوى
(ت ١٠٦٩ هـ) وقد استشهد به (٤٩٦) مرة وعلى شرح ورد العلامة
الحسين بن محمد الطيبى على الكشاف (٧٤٣ هـ) وعلى شرح ورد ابن
منير الاسكندرى ، قاضى الاسكندرية وخطيبها على الكشاف (ت ١٠٦٩ هـ) .
ويقينى أن علاقة الآلوسي بهذه التفاسير لم تكن نتاجة دراسات

عرضية ، ومراجعات سريعة ، وإنما كانت حصيلة دراسات عميقة ، وقراءات متخصصة لثات المجلدات منها .

والآلوسي لم يعش في الماضي فقط ، وإنما التفت إلى عصره . فنقل لنا في تفسيره آراء أساتذته وكبار العلماء من معاصريه ، فمن هؤلاء شيخ مشايخه العلامة صبغة الله الحيدري (ت ١١٨٧ هـ) وشيخه علاء الدين الموصلي ، ومعاصره العلامة محمد فيضي الزهاوي^(٩٧) .

ومن الغريب أنني لم اقع في تفسير الآلوسي على التفسير القيم الذي الفه العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني المسمى (فتح القدير) حيث لم يورد اسمه ولم يستشهد به . وهو معاصره توفي سنة (ت ١٢٥٠ هـ) أي قبل وفاة الآلوسي بحوالي عشرين عاماً .

واستطيع أن أؤكد أن الآلوسي لم يعرف هذا التفسير لأنه لم يصل إليه ، ولا لاستشهاد به واعتمد عليه ، وخاصة أنه مثله يناصر مذهب السلف في العقيدة .

(١) منهجه :-

يقوم منهج الآلوسي في تناول الآيات القرآنية على الأسس التالية :

- ١ - تفسير القرآن بالقرآن : وهذه قاعدة جليلة في التفسير ، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، ففي قوله تعالى (اهدنا) قال الآلوسي : أى نبتنا على الدين . واستشهد لهذا بقوله تعالى (ربنا لا تروع قلوبنا بعد اذ هديتنا)^(٩٨) و (الضلال) قال : الهلاك واستشهاد له بقوله تعالى (أنذا ضللنا في الأرض)^(٩٩) . و (يقيمون) قال : من الاقامة ، يقال أقمت

٩٧) روح المعانى ١٨/٢٠ ، ٣٦/١٩ .

٩٨) روح المعانى ١/٩٣ .

٩٩) المصدر السابق ١/٩٦ .

الشيء اقامة اذا وفيت حقه ٠ قال تعالى (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) أي توفوا حقهما بالعمل^(١) ٠ و (قال الذين لا يعلمون) قال الموصول هو جهلة المشركين ، واستدل عليه بالآيات (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) و قال (لو لا تأينا آية كما ارسل الاولون) و (لو لا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا)^(٢) ٠ وفي تفسيره بكلمة (الحجارة) أيد الرأى الذى يقول المقصود بها (الاصنام) بقوله تعالى (انكم وما تبعدون من دون الله حصب جهنم)^(٣) ٠ وفي تفسيره لقوله تعالى (فلا يكن فى صدرك حرج منه) قال وجوز أن يكون باقيا على حقيقته لكن فى الكلام مضاد مقدر كخوف عدم القبول والتكذيب فانه صلى الله عليه وسلم كان يخاف قومه وتکذبهم واعتراضهم عنه ، واذا هم له ٠ قال ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك ان يقولوا لو لا انزل عليه كنز او جاء معه ملك)^(٤) ٠ وفي تفسيره لقوله تعالى (ما منعك ألا تسجد) قال المشهوران (لا) مزيدة بدليل قوله سبحانه في آية أخرى (ما منعك أن تسجد) وقد جاءت كذلك في قوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم^(٥) ٠ وفي تفسيره لقوله تعالى (ان ربى قريب) أي قريب الرحمة لقوله سبحانه وتعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)^(٦) ٠ وفي تفسيره لقوله تعالى (وبث فيها) قال اي اوجد واظهر ٠ واصل البث الاثارة والتفريق ٠ ومنه قوله تعالى (فكانت هباء منبها) و (كالفراش المبثوث)^(٧) ٠

(١) المصدر السابق ١١٥/١ ٠

(٢) المصدر السابق ١ ٣٦٩/١ ٠

(٣) المصدر السابق ١٩٨/١ ٠

(٤) المصدر السابق ٧٥/٨ ٠

(٥) المصدر السابق ٨٨/٨ ٠

(٦) المصدر السابق ٨٩/١٢ ٠

(٧) المصدر السابق ٨٢/٢١ ٠

٢ - تفسير القرآن بالحديث : وهذه القاعدة يجب اتباعها فيما اذا كان المفسر عالما بال الحديث يميز صحيحه من سقيميه . ففي معنى الرزق . وانه يشمل الحرام والحلال ، استدل الآلوسي بالحديث الشريف (جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله قد كتب على الشقة ، فلا أراني ارزق الا من دفع بكفى ، فاذن لي في الغنى من غير فاحشة فقال لا اذن لك . وكرامة ولا نعمة كذبت أى عدو الله ، لقد رزقك الله تعالى رزقا حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله تعالى من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله)^(٧) واستشهد الآلوسي للتفریق بين القضاء والقدر بقوله صلى الله عليه وسلم (ان النبي صلى الله عليه وسلم من بكھف مائل للسقوط فاسرع في المشي حتى جاوزه فقيل له : اتفر من قضاء الله تعالى ؟ فقال ، افر من قضايائه الى قدره)^(٨) . وهكذا في تفسير جميع الآيات .

ويحشد الآلوسي في معنى آية من الآيات جميع الاحاديث الواردة في الباب ، وقد تكون متعارضة ، فطريقة الآلوسي فيها البحث عن حال تلك الاحاديث قوة وضعفا ، فمتي ظهرت قوة احدهما على الاخرى عول على الاقوى^(٩) . وينشغل الآلوسي بالرد على مذهب من المذاهب في توجيه الآية الكريمة بايراد الاحاديث المروية على طريقة ذلك المذهب ، ويترك روایة احاديث كثيرة في الموضوع نفسه المروية على طريقة مذهبية هو ، ويكتفى بان يشير اليها مجملا . والقاعدة العامة التي يمشي عليها الآلوسي في تفسيره أنه اذا صح الحديث فهو مذهب لا يلتفت الى اي قول^(١٠) . ولذلك فإنه يهمه كثيرا ان يتوصل الى صحة الاحاديث

(٧) روح المعانى ١/١٧٧ .

(٨) المصدر السابق ١/٣٦٨ .

(٩) المصدر السابق ١١/٢٠ ، ١١/٢١ .

(١٠) المصدر السابق ٦/٧٧ .

الواردة لكي يستند عليها في تفسير آية أو انبات رأى ، ثم يلتفت الى أحاديث أخرى استند عليها آخرون في رأى رأوه في حين ما في بعضها من الاضطراب في السنن ، وما في بعضها الآخر من عدم دلالتها على رأى خصمه . ففي الآية الكريمة (قل الانفال لله والرسول واتقو الله) يناقش الآلوسي شيخ الاسلام ابا السعود في انكاره وقوع التغليف في معركة بدر ثم يستند في وقوعه على حديث ابن عباس وعبادة ابن الصامت ثم يقول (ولعل في الباب غير هذه الروايات ، فكان على الشيخ حيث انكر وقوع التغليف ان يطعن فيها بضعف ونحوه ليتم له الغرض)^(١١) .

ويليجاً الآلوسي عند ذكر كثير من الاحاديث الى قاعدة الجرح والتعديل ، وبين رأى العلماء في تضييف رجالها . فقد روى الفقيه ابو الليث السمرقندى في تفسيره عن محمد بن الفضل وابي القاسم السباعي عن فارس بن مردويه عن محمد بن الفضل بن العابد عن يحيى بن عيسى عن ابي مطیع عن حماد بن سلمة عن ابی المهزم عن ابی هریرة رضی الله عنه قال (جاء وقد ثقیف الى رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالوا يا رسول الله الايمان بزید وینقص ؟ فقال : لا الايمان مکمل في القلب زیادته ونقصانه کفر) قال الآلوسي (اما الحجۃ الثانية أى هذا الحديث) التي ذكرها ابو الليث فمما لا يعول عليها عند الحفاظ اصلاً ، لأن رجال السنن الى ابی مطیع كلهم مجھولون لا يعرفون في شيء من كتب التواریخ المشهورة . واما ابو مطیع وهو الحکم بن عبدالله بن مسلم البخاري فقد ضعفه احمد بن حنبل ويحیی بن معین وعمرو بن الفلاس والبخاری وابو داود والنسمانی وحاتم الرازی وابو حاتم محمد بن حبان البستی والعقیلی وابن عدی والدارقطنی وغيرهم واما ابو المهزم وقد تصحیح اسمه على الكتاب

• ١٤٣/٩ المصدّر السابق (١١)

واسمه يزيد بن سفيان ، فقد ضعفه ايضاً غير واحد ، وتركه شعبه بن الحجاج وقال النسائي متزوك ، وقد اتهمه شعبة بالوضع حيث قال : لو اعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثاً ومن مارس الاحاديث النبوية لا يشك في ان ذلك اللفظ ليس منها في شيء^(١٢) .

وفي حديث رد الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روتته اسماء بنت عميس قال الآلوسي (وهذا الخبر في صحته خلاف) فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك وفي سنه احمد بن داود ، وهو متزوك الحديث كذاب كما قال الدارقطني ، وقال ابن حيان : كان يضع الحديث ٠٠٠ وقد افرد ابن تيمية تصنيفاً في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وانه موضوع ، وقال الامام احمد لا اقبل له . وصححه الطحاوي والقاضي عياض ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ ابن العراقي في شرح التقريب عن اسماء ايضاً لكن بلفظ آخر ، ورواه ابن مردويه عن ابي هريرة ، وكان احمد بن صالح يقول : لا ينبغي لمن سهله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء ، لانه من علامات النبوة^(١٣) .

ان الآلوسي كان محدثاً بارعاً عارفاً بالحديث وعلمه ، فهو يرفض احاديث كثيرة ، ولا يكتفى بآراء علماء الحديث وحدهم ، وانما ينزل الى الميدان بجرأة مدققاً فاحضاً ، فيأخذ ما يأخذ عن تحقيق ، ويندر ما يذر عن تدقيق . فلقد أورد مثلاً احاديث في فضل بلاد الشام ثم شك فيها وعلق عليها بقوله (والاحاديث في فضل الشام كثيرة ، وقد جمعها غير واحد ، الا أن في الكثير منها مقالاً ، وسبب الوضع كان قوياً)^(١٤) .

(١٢) روح المعانى ٩/٦٦ .

(١٣) المصدر السابق ٢٣/٢٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(١٤) المصدر السابق ٦/٥١ ، ١٩٥ .

واورد ايضاً حديث (المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء) فقال :
لا يصح رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من كلام الحارث
بن كلدة طبيب العرب ^(١٥) .

ويناقش الآلوسي المحدثين ولا يقبل حديثاً مخالف لما وصل اليه
يقينه عن طريق آثار وروايات أخرى ، كحديث مسلم عن أبي هريرة قال
(أخذ رسول الله صلى الله وسلم بيدي فقال) (خلق الله تعالى التربة يوم
السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق فيها الدواب يوم
الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر
ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل) قال الآلوسي : ولا يخفى
أن الخبر مخالف للأية (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام) فهو اما غير صحيح او مؤول ، ويحدد الآلوسي من اول يوم
في الخلق (وانا ارى أن اول يوم وقع فيه الخلق يقال له الاحد) ^(١٦) .
وكثير ما نراه يحدد موقفه من بعض المحدثين بقوله (لكن تصحيح
الحاكم كتضعيف ابن الجوزي لا يقول عليه) ^(١٧) .

اما موقفه العام من اكثر المحدثين فيحدد بمناسبة الكلام على حديث
الغدير فيقول (وقد اعنيتني بحديث الغدیر ابو جعفر بن جریر الطبری ،
فجمع فيه مجلدين أورد فيما سائر طرقه والفاظه ، وساق الغث والسمين ،
والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة كثير من المحدثين فانهم يوردون
ما وقع لهم في الباب من غير تمييز بين صحيح وضعيف) ^(١٨) .

(١٥) المصدر السابق ١١٠/٨ .

(١٦) روح المعانی ١٣٣/٨ .

(١٧) المصدر السابق ١٢٣/١٢ .

(١٨) المصدر السابق ١٩٥/٦ .

وبالرغم من اهتمام الآلوسي بالاحاديث التى يرويها فى تفسيره . فان سند بعض هذه الاحاديث يفوتها احيانا ولا يذكره ، وهذه ثغرة كان جديراً به أن يسدتها ، وظنني أن خوفه من الاطالة هو الذى حل بينه وبين ذلك (١٩) .

ان علم الآلوسى بالحديث قد عصمه من الاستسلام للروايات الضعيفة والمنكراة والموضوعة فهو اذا ساقها دل عليها ، وهذه ميزة كبيرة تعطى لتفسيره مكانة بارزة بين كتب التفسير القيمة ، وقلما سلم المفسرون القدماء من الوقوع فى حشد الاحاديث الضعيفة والقوية دون تنبئه عليها او تميز لها .
ان الانسان يكاد يقياس قوة اى تفسير ببروزه فى هذه الناحية، لأن الحديث له مكانة كبيرة فى تفسير القرآن الكريم ، ف fasade بالاحاديث غير الصحيحة انما هو افساد لتفسير ، وتوجيه له وجهة خاطئة بل مدمرة . ومن الحق ان نقول ان تفسير الآلوسى قد راعى هذه الناحية مراعاة جيدة ، ولذلك فللمقارنة ان يقرأ تفسير الآلوسى وهو مطمئن منه تماماً .

٣ - التفسير باللغة : يهتم الآلوسى بالتحقيقات اللغوية كثيراً فى تفسيره ، لأنها تفتح امام الانسان اوسع المجالات لفهم الآيات الكريمة ، فالقرآن نزل بها ، والوصول الى الحقيقة اللغوية هو الطريق الطبيعي للوصول الى التفسير الصحيح .

يدرك الآلوسى فى تفسير الآية معاني الكلمة ، ففي كلمة الرب ذكر التربية والخلق والسيد والملك والنعم والمصلح والمعبود والصاحب ، ففضل التربية لأنها تحمل على الحقيقة والباقي إنما تحمل على المجاز ، ومع

(١٩) المصدر السابق ٧/٨٠٩ . بعد كتابتى لرسالتى وجدت فى كتاب (تاريخ التفسير) للعلامة الشیخ قاسم القيسی ما يلى (وان الآلوسى من الرجال المتقدرين للروايات غير انه لا يطول بذكر الطرق والاسانيد الكثيرة) ص ١٤٧ .

ذلك فان معنى التربية يوجد في جميع هذه المعاني^(٢٠) . وينقل الاختلاف حول معاني كلمة ثم يردها بالقائلين بها مع ترجيح أحد الآراء ، ففى تفسيره لكلمة (الحجارة) فى قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) نقل انها جمع كثرة لحجر ، ثم نقل أن المراد بها الاصنام التي كانوا ينحثونها ثم ذكر رأيا دون ذينك الرأيين وهو الذهب والفضة ، ثم صحق الاول وهو رأى المحدثين^(٢١) .

ويدخل الآلوسي الى مباحث فقه اللغة ففي الآية الكريمة (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) أطال فى مراتب عمر الانسان وتسمية كل مرتبة من جنين ووليد ورضيع وفطيم ودارج وخمساً ومثبور ومثغر ومتزعزع وجزور^(٢٢) . وفي الآية الكريمة (أن يأتىهم بأنسنا ضحى) قال أي ضحوة النهار وهو فى الاصل ارتفاع الشمس أو شروفها ثم استعمل للوقت الواقع فيه ذلك وهو أحدي ساعات النهار عندهم وهي الذرور والبزوع والضحى والغزاله والهاجرة والزوال والدلوك والعصر والاصيل والصنوت والحدور والغروب . قال وبعضهم يسمىها البكور والشروع والاشراق والراد والضحى والمنعوان والهاجرة والاصيل والعصر والحدور والغروب^(٢٣) .

ولا يكتفى الآلوسي فى معنى الالفاظ بالنقل وانما يراجع الكتب اللغوية التي فى متداول يده فيثبت ما حققه فى تفسيره سلباً وايجاباً ، ويكتفى ان نشير الى الفور فى الآية الكريمة (ويأتوكم من فورهم هذا) فلقد نقل عن ابن عباس انه بمعنى السفر . ويقول بعد بحث وتدقيق (ثم ان تفسير الفور

(٢٠) روح المعانى ١/٧٧ .

(٢١) المصدر السابق ١٩٨/١ ، ١٩٩ .

(٢٢) المصدر السابق ٣/٦٣ .

(٢٣) المصدر السابق ٤/٤٣ ، ٩/١٢ .

بالسفر مما لم نظرف به فيما بين ايدينا من الكتب اللغوية)^(٢٤) . وفي قوله تعالى (اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) نقل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وهو العنق ، وشك الآلوسي في ثبوته فراجع القاموس وغيره من كتب اللغة فلم يجده بهذا المعنى)^(٢٥) .

ويناقش الآلوسي اللغويين فيما وقعوا فيه من الاخطاء في رأيه ففي الآية الكريمة (وان كل ما جمیع لدینا محضرون) قال الآلوسي : ولما بمعنى إلا ومجئها بهذا المعنى ثابت في لسان العرب بنقل الثقات ، فلا يلتفت الى زعم الكسائي انه لا يعرف ذلك)^(٢٦) ويعرض على المبرد في قوله ان العين في العزم قلت حاما في الحزم بقوله (وليس شيء لاطراد تصاريف كل من اللقطين ، فليس احدهما اصلا للآخر)^(٢٧) . واما في تفسيره لقوله تعالى (نفر من الجن) فقد رد على الحريري الذي قل ان النفر انما يقع على الثلاثة من الرجال الى العشرة بقوله فقد وهم في ذلك ، فقد يطلق على ما فوق العشرة في الفصيح وذكره غير واحد من أهل اللغة)^(٢٨) .

والآلوسي في نظري يتبع قاعدة لغوية صحيحة عندما يفهم الالفاظ القرآنية بمعزل عن التكليف في حملها أكثر مما تطيق ففي تفسيره لقوله تعالى (يقطعون ما أمر الله به أن يصل) نقل اختلافا في معنى (ما) فقيل انه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل ايصال القول بالعمل ، وقيل التصديق بالانباء ، وقيل الرحمن والقرابة ، وقيل الامر الشامل ، وهذا هو الوجه عنده ، لأن فيه حمل اللفظ على مدلوله من العموم ، ولا دليل واضح على

(٢٤) المصدر السابق ٤٥/٤

(٢٥) المصدر السابق ١٩٠/٢٣

(٢٦) روح المعانى ٢١٢/٧

(٢٧) المصدر السابق ٩٠/٢١

(٢٨) المصدر السابق ٨٢/٢٩

الخصوص^(٢٩) . و كثيراً ما يرد الآلوسي أقوال المفسرين الذين يقدرون
دوماً ما ايجاب للتقدير أو يتمسكون بالقواعد الشاذة في الاستدلالات ، فان
قرأت تفسيره فستصادف كثيراً مثل قوله (وليس بشيء) أو (وهو بعيد)
أو (ليس في الكلام ما يدل على ذلك التقدير) أو (لا يخفى ان أكثر هذه
التقديرات غير مناسبة للمقام) أو (لا يخفى عليك الغث والسمين من هذه
الاقوال^(٣٠)) ويحاول ايضاً ان يفهم الالفاظ كما كانت تفهمها العرب أثناء
نزوتها ، لا المعاني الاصطلاحية التي اضفت الى الالفاظ نتيجة لاختلاط
الحضارات ، وامتزاج الثقافات^(٣١) . يقول في توضيح هذا الاتجاه
(والعجيب من استشكل هذا المقام كيف لم ينظر في مدلولات الالفاظ
الآلية بحسب القواعد القرآنية واللغوية فاحتاج في حلها الى تكفلات امور
خفية ، وارتكاب توجيهات غير مرضية^(٣٢) .

ويكثر الآلوسي من الشواهد الشعرية في مباحثه اللغوية ففي قوله
تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) قال (و كثيراً ما أجري استفعل مجرى
أفعال كاستخلاص بمعنى أخلص وأستوقد بمعنى أوقد ثم استشهد بقول
الغوي :

وداع دعا يا من يحب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجتب
وأما اعتماده الاساس في شرح معاني المفردات فعل مفردات القرآن
للراغب والقاموس المحيط للفيروز آبادي والضاح للجوهرى^(٣٣) .

(٢٩) المصدر السابق ٢١٢/١

(٣٠) المصدر السابق ٣٥٥/١٥

(٣١) المصدر السابق ١٠٩/٢٤

(٣٢) المصدر السابق ١٤١/٧ . الذي يقوله الآلوسي اعتبره امين
الخولي اساساً في التفسير الأدبي للقرآن الكريم الذي دعا اليه . انظر
دائرة المعارف الإسلامية م ٥ ع ٣٧١/١٠ .

(٣٣) المصدر السابق ٢/٦

٤ - التفسير بال نحو : من أبرز ما يصادفنا في تفسير الآلوسي اهتمامه الكبير بال نحو و مسائله ، و اعراب الآيات و مناقشة المشاكل النحوية ، و نقل اختلافات العلماء والمدارس حتى تنسى أحياناً انتا نقرأ تفسيراً ، وانما نجد انفسنا امام كتاب نحوي من المطولات ، لأن وقوفات الآلوسي تطول في كثير من مسائله^(٣٤) . فعند تفسيره لقوله تعالى (ماذا أراد الله بهذا مثلا) بين أن ماذا لها ستة اوجه :

- الاول : ما استفهامية في محل رفع مبتدأ وذا معنى الذي خبره .
- الثاني : أن تكون ماذا كلها استفهاماً مفعولاً لاراد ، واعتبر الوجهين السابقيين صحيحين .
- الثالث : ان يجعل ما استفهامية وذا صلة لا اشاره ولا موصولة .
- الرابع : ان يجعلها موصولاً .
- الخامس : ان يجعلها نكرة موصوفة .
- السادس : أن تكون ما استفهامية واسم الاشارة خبر له^(٣٥) .

وأما في (كأين) فقد نقل المخالف في تركيها وذكر موافقتها ومخالفتها لكم وكذا ، ثم انتقل الى هيئاتها باعتبار الملفظ واستغرق بحثه هذا حوالي صفحة ونصف صفحة من تفسيره^(٣٦) .

وينقل الآلوسي آراء علماء النحو في مسألة نحوية ، ففي قوله تعالى (و اذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) قال والكاف في موضع نصب . وأكثر النحاة يجعلونها نعتاً لمصدر محذوف أي ايماناً ايماناً كما آمن الناس ، وسيبويه لا يجوز حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه في هذا الموضع ويجعلها منصوبة

(٣٤) روح المعانى ٨١/٤ - ٨٢ .

(٣٥) المصدر السابق ٢٠٨/١ .

(٣٦) المصدر السابق ٨١/٤ ، ٨٢ .

على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل^(٣٧) .

وفي قوله تعالى (فَهِيَ كَالْحَجَرَةِ) قال فالكاف للتشبيه وهي حرف عند سبويه وجمهور النحويين ، واسم عند الاحقش ، وهي متعلقة هنا بمحذوف أي كائنة كالحجارة وخالف هذا ابن عصفور ، اذ زعم أن كاف التشبيه لا تتعلق بشيء^(٣٨) .

ومن مرونة الآلوسي في مسائل اللغة والنحو انه يعتقد أن لسان العرب ليس مقصورا على مرواه البصريون بل انه يأخذ ما رواه الكوفيون ايضا . ومن هنا يتجلی مذهبہ في الاعتماد على الروایات المختلفة ، دون تعصب لأحدى المدرستین ، ففي تفسيره لقوله تعالى (لَوْ يَعْمَرُ الْفَسْنَةَ) نقل خلافا حول (لو) فالبصريون على أن لو هنا شرطية وجوابه محذوف أي (لسر بذلك) وحذف دلالة يود عليه . وذهب الكوفيون الى أن (لو) مصدرية بمعنى (أن) فلا يكون لها جواب ، فيترک منه مصدر يكون مفعولا (يود) كأنه قال يود أحدهم تعمیر ألف سنة^(٣٩) . ورد الآلوسي أقوال بعض النحويين بأقوال نحوين آخرين ، فقد قال ابن مالك في الآية الكريمة (ثم بدلنا مكان السیئة الحسنة حتى عفوا) أن حتى جارة غائبة وأن مضمرة بعدها على تأويل المصدر فغاظه فيه ابو حیان ، وتبعه ابن هشام فقال : لا أعرف له في ذلك سلفا ، وفيه تکلف أضمار من غير ضرورة^(٤٠) .

وهو لا ينقل الآراء فقط وإنما يرجح الرأي الذي يقتضي بوجاهته . ففي تفسيره لقوله تعالى (هَا أَتَمْ أَوْلَاءِ تَحْبُونَهُمْ) نقل ضمن ما نقل قول البصريين في انهم يعرّبون اولاء في محل النصب على الحالیة ، أي

(٣٧) المصدر السابق ١/١٥٤ .

(٣٨) المصدر السابق ١/٢٩٥ .

(٣٩) المصدر السابق ١/٣٣٠ .

(٤٠) روح المعانی ٩/٩ .

ها أنت ذا قائلا ، والحال ه هنا لازمة لأن الفائدة معقودة بها وبها تم ، والعامل فيها حرف التبيه أو اسم الاشارة ، فرجح هذا القول بقوله (ولا يخفى أن ما قاله البصريون هو الظاهر من كلام العرب ، لأنهم قالوا ها أنت ذا قائما فصرحوا بالحالية)^(٤١) وفي تفسيره لقوله تعالى (بسم الله ۰۰۰) ذكر رأي البيضاوي الذي يقول ان الباء للاستعانة والزمخشري الذي يقول انه للمساجبة ، ثم رجح الاول ورد الثاني وابطل ادلة كونه للمساجبة^(٤٢) .

ويتناول الآلوسي المشاكل النحوية التي أثيرت حول آية كريمة ، ومن أبرز هذه المسائل التي صادقتها والتي نقل حولها جدلا مفصلا في الآية الكريمة (إن رحمة الله قريب من المحسنين) فلقد كثر الكلام في توجيه تذكير (قريب) مع انه صفة مخبر بها المؤنث . وقد نقل كلاما طويلا لابن هشام عرض فيه لجمع الوجوه منها كونه خبرا عن الاسم الاعظم ورحمة زباد على قاعدة ان العرب قد تزيد المضاف خلافا لعلماء البصرة ، ومنها على حذف مضاف أي مكان رحمة الله قريب ، ومنها حذف الموصوف أي شيء قريب ومنها ان الفعل بمعنى اسم المفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث كرجل جريح وامرأة جريح ومنها فعل بمعنى فاعل ولكنه يشبه بفعل بمعنى مفعول فيمنع من التاء في المؤنث والآخره . ثم عرج الآلوسي على آراء علماء آخرين ، ونبه أنه جرى بحث طويل على هذه الآية بين ابن مالك والروزراوري وميله واضح الى اعتباره بمعنى اسم المفعول^(٤٣) .

ومع النحو يعالج الآلوسي المسائل الصرفية ففي تفسيره لقوله تعالى (ثم لنحضرنهم حول جهنم جنيا) قال : واصله جنو وباوين فاستقل اجتماعهما

(٤١) المصدر السابق ٤/٣٩ .

(٤٢) المصدر السابق ١/٤٧ .

(٤٣) المصدر السابق ٨/٤٠ - ٤٤ .

بعد ضمتيين فكسرت التاء للتحقيق فانتقلت الواو الأولى ياء لسكنها وانكسار ما قبلهما فاجتمعت الواو وياء وسبقت أحدهما بالسكون فقلبت الواو ياء فادعمت الياء في الياء فكسرت ^(٤٤) .

وأعتقد أن الآلوسي قد بالغ كثيراً في بسط مسائل النحو في تفسيره ، وذكر ما لا يحتاج القاريء إليه أصلاً . ولا يخطر بالله ، وقد يحجبه عن تفهم الجمال القرآني ، فالغوص في مسائل النحو واللغة والصرف يبعده عن تتبع الآيات ، وينقله إلى عالم واسع من جفاف العلوم المذكورة . أنا لا أظن أن الآلوسي لم يشعر بهذا ، ولكنه كما قررنا سابقاً أراد أن يجعل من تفسيره معرضًا للأراء وملتقي لجميع المذاهب التفسيرية ، وهذا التفسير في الحقيقة موضوع للخاصة من العلماء وليس لل العامة .

٥ - بيان المسائل البلاغية :- ويتناول الآلوسي الآيات من النواحي البلاغية ، فيبين ما فيها من تشبيه أو استعارة أو كتابة . ويتطرق إلى ما يتعلق بالبيان والبداع فيها ، ويرد تركيبيها ، ويقارن بين الآيات من حيث الزيادة والنقص . وسيمر بنا عند معالجتنا القضية الاعجاز القرآني في تفسيره كيف انه اتبع أساليب علماء البلاغة في تفسيره للقرآن الكريم . واضيف إلى ما قيل هنالك استخراجه لأمور بلاغية معينة ، ففي قوله تعالى (يريدون ان يطفؤوا نور الله) قال (وايا ما كان فالنور استعارة اصلية تصريحية لما ذكر واضافته الى الله قرينة والمراد من الاطفاء الرد والتکذیب أي يريد أهل الكتاب ان يردوا ما دل على توحيد الله وتزريبه) ^(٤٥) وفي قوله تعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) قال كحال من جمع بين العمى والصم ومن جمع بين البصر والسمع فهناك تشبيهان ، الاول تشبيه حال الكفرا

(٤٤) المصدر السابق ١٦/١١٨ .

(٤٥) روح المعانى ١٠/٨٥ .

الموصوفين بالتعامي والتصام عن آيات الله تعالى بحال من خلق أعمى أصم لا تنفعه عبارة ولا اشارة ؛ الثاني تشبيه حال الذين آمنوا وعملوا الصالحين فاتتفعوا بأسمائهم وأبصارهم اهتداء الى الجنة وانكفاءاً عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة بحال من هو بصير سميع يستضيء بالأنوار في الظلام ويستفيء بمعانيم الانذار والابشار فوزا بالمرام^(٤٦) وأما في قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح) قال (وايا كان فاطلاق (الروح) على ذلك بطريق الاستعارة المصرحة المحققة ، ووجه الشبه أن الوحي يحيي القلوب الميتة بدأ الجهل والضلال أو انه يكون به قوام الدين كما أن بالروح يكون قوام البدن ، ويلزم ذلك استعارة مكنية وتخيلية ، وهي تشبيه الجهل والضلال بالموت وضد ذلك بالحياة أو تشبيه الدين بanson ذي جسد وروح)^(٤٧) .

٦ - بيان أسباب النزول : - ذكر أسباب النزول في تفسير الآية مهم جدا ، لأن القاريء يستطيع ان يفهم كلام الله في ضوئها ، وكأنه يعيش في المجتمع الذي نزلت فيه تلکم الآيات الكريمة . وانطلاقا من هذه القاعدة فان الألوسي تناول في تفسيره القرآن الكريم أسباب النزول تناولا جيدا ، فيه كثير من التحقيق العلمي ، والاختيار الموفق المناسب للجو القرآني العام . يقول في تفسيره لقوله تعالى (ان الله لا يستحب أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) عن ابن عباس نزلت في اليهود لما ضرب الله تعالى الامثال في كتابه بالعنكبوت والذباب وغير ذلك مما يستحرق ، قالوا ان الله أعز وأعظم من أن يضرب الأمثال بمثل هذه المحرقات فرد الله تعالى عليهم بهذه الآية^(٤٨) . ويدرك كل ما روى في سبب النزول في الآية الكريمة (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) نقل ان الآية نزلت في صهيوب الرومي عندما

٤٦) المصدر السابق ١٢/٣٤ .

٤٧) المصدر السابق ١٤/٩٣ .

٤٨) روح المعانى ١/٢٠٦ .

هاجر من مكة الى المدينة ، ونقل انها نزلت في الزبير ومقداد عندما اظهرا استعدادهما لانزال خبيب من على الخشبة التي صلبها عليها أهل مكة ، ونقل قول الامامية وبعض الحنفية انها نزلت في علي عندما قام على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ^(٤٩) .

ويختار الأوسي رواية معينة في سبب النزول ، ويرفض روايات أخرى كما فعل ذلك مثلا في قوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قال نزلت في أخبار اليهود الذين خافوا أن تذهب رياستهم بابقاء صفة النبي صلى الله عليه وسلم على حالها فغيروها ^(٥٠) .

وببروي أحيانا سبب النزول وينص بعد ذلك على ضعفه ، ويعلم بكلونه غير مذكور في كتب الحديث والتفاسير المعتبرة ^(٥١) . ويدرك أحيانا الذين رفضوه . فقد ذكر ان سبب نزول الآية الكريمة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) هو مرثد بن ابي مرثد الذي أراد أن يتزوج مشركة من مكة كانت خليلته في الجاهلية ، وذكر ان السيوطي انكر ان يكون هذا سبب نزول الآية ، وإنما هو سبب نزول آية سورة النور (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة) ^(٥٢) . ويقارن بين أسباب النزول ، ويرجح رواية على رواية ، ففي قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن اتنا من فضله لنصدقن ولنكون من الصالحين) فذكر ان سبب النزول هو ثعلبة بن حاطب وساق رواية طويلة في ذلك من طريقين ، ثم نقل رواية أخرى في ان سبب النزول هو (حاطب بن ابي بلتعة) فقال : الاولأشهر وهو الصحيح في سبب

(٤٩) المصدر السابق ٩٧/٢ .

(٥٠) المصدر السابق ٣٠٣/١ .

(٥١) المصدر السابق ٣٩٩/١ .

(٥٢) المصدر السابق ١١٨/٢ .

ويفسر الآلوسي الآية الكريمة بما صحت لديه من أسباب النزول
فيقول في الآية الكريمة (كلوا و اشربوا ولا تسرفوا) قال الكلبي : كان
أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلى قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم ،
يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك فأنزل
الله تعالى الآية . قال الآلوسي (ومنه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا
(ولا تسرفوا) بتحريم الحال كما هو المناسب لسبب النزول) (٥٤) .

والآلوسي يرى أن لا مانع من تعدد أسباب النزول في آية واحدة ، فقد
تعدد الأسباب في مشكلة واحدة ، فيأتي القرآن باعطاء الحكم فيها جمیعاً (٥٥) .

ويطول سبب النزول حتى يكون تاريخاً كاملاً لواقعة معينة ، ففي
تفسيره لقوله تعالى (وإذا غدوات من أهلك تبويء المؤمنين مقاعد للقتال)
عرض لنا مقدمات واضحة في معركة أحد التي جرت بين المسلمين والمرشدين
في السنة الثالثة من الهجرة (٥٦) .

ولا ينسى الآلوسي أن يتبه على الأحاديث الموضوعة في أسباب
النزول (٥٧) .

٧ - التفسير بالاشارة : يفسر الآلوسي مجموعة من الآيات تفسيراً ظاهرياً
على المبادئ التي عرضناها ثم يطبقها على ما في الانفس والأفاق أو ما سماه
العلماء بالتفسير الاشاري (٥٨) . وهو عبارة عن فهم امور معينة هي غير

٥٣) المصدر السابق ١٤٤/١٠ .

٥٤) المصدر السابق ١١٠/٨ .

٥٥) المصدر السابق ٢٠٤/٣ .

٥٦) روح المعانى ٤١/٤ ، ٤٢ ، راجع مثلاً ٤٤-٤٢/١١ .

٥٧) المصدر السابق ١٧٨/٤ .

٥٨) التفسير والمفسرون ١٨/٣ .

ظاهر الآيات ، مع الاعتقاد ان الظاهر هو المقصود الاول ٠ وهو في الحقيقة نوع من أنواع التفاسير الباطنية الا ان الباطنيين يقولون ان الظاهر غير المقصود ، والباطن هو المقصود ٠ ولندع الآلوسي يشرح هذا النوع من التفسير بقوله (وليس ما نحن فيه من هذا القبيل - أى من قبيل التفاسير الباطنية - كما يزعمه المحجوبون لأن ذلك إنما يكون بانكار أن يكون الظاهر مراد الله تعالى ، وقصر مراده سبحانه على هذه التأويلات ٠ ونحن نبرأ إلى الله عز وجل من ذلك فإنه كفر صريح وإنما قول المراد هو الظاهر ، وبه نعبد الله تعالى ، لكن فيه إشارة إلى أشياء أخرى لا يكاد يحيط بها نطاق الحصر ، يوشك أن يكون ما ذكر بعضها منها)^(٥٩) .

ونقل الآلوسي القول الذي يقول الرعد صعقات الملائكة ، والبرق زفرات افتدتهم ، والمطر بكاؤهم ، ثم ذكر أن الزمخشرى جعل هذا من بدعة المتصوفة ٠ ثم قال (وكأنى بك تقول ان أكثر ما ذكر في باب الإشارة من هذا الكتاب من هذا القبيل ٠ والجواب أنا لا ندعى إلا الإشارة وإنما ذلك مدلول اللفظ أو مراد الله تعالى فمعاذ الله تعالى من إن يمس بفكري وأعتقد ذلك هو الضلال البعيد والجهل الذي ليس عليه مزيد ، وقد نص الحقوقون من الصوفية على أن معتقد ذلك كافر والعياذ بالله تعالى ولعلك تقول كان الأولى مع هذا ترك ذلك ، فتقول قد ذكر مثله من هو خير مما)^(٦٠) .

وبالنسبة لمن يدخل في مناقشة هذا النوع من التفسير نقدم نماذج منه ، ففي قوله تعالى (واد نحيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون ابناءكم ، ويستحiron نساءكم ، ذلك بلاء من ربكم عظيم) اعتبر

• (٥٩) روح المعانى ١٤٧/٦

• (٦٠) المصدر السابق ١٣٧/١٣

و (اذ نجيناكم) من قوى فرعون ، النفس الامارة و (يذبحون ابناءكم)
 أى القوى الروحانية من القوى النظرية التي هي العين اليمنى للقلب
 و (يستحيون) قواكم الطبيعية ليستخدموها و يمنعوها من افعالها اللائقة
 بها ^(٦١) . وفي قوله تعالى (واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل
 فرعون واتم تنتظرون) اعتبر (البحر) هو الدنيا و ماء شهواتها ولذتها
 و موسى هو القلب . و قومه صفات القلب ، و فرعون هو النفس الامارة و قومه
 صفات هذه النفس ^(٦٢) . وفي قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تذبحوا
 بقرة) أول البقرة بالنفس الحيوانية ، و ذبحها قمع هواها ومنها عن افعالها
 الخاصة ^(٦٣) . وفي قوله تعالى (والله المشرق والمغرب) قال (ان المشرق
 عبارة عن عالم النور والظهور ، وهو جنة النصارى و قبلتهم بالحقيقة باطنها ،
 والمغرب عالم الاسرار والخفاء ، وهو جنة اليهود و قبلتهم بالحقيقة باطنها ،
 أو المشرق عبارة عن اشرافه سبحانه و تعالى على القلوب بظهور انواره فيها
 والتجلی لها بصفة جماله حالة الشهود ، والمغرب عبارة عن الغروب بستره
 واحتتجابه و اختفائه ^(٦٤) . وفي قوله تعالى (ان في خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار والulk التى تجري في البحر بما ينفع الناس وما
 انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل
 دابة و تصریف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات القوم يعقلون)
 قال : ان في ايجاد سموات الارواح وارض النقوش واختلاف النور والظلمة
 بينهما ، و فلت البدن التي تجري في بحر الاستعداد بما ينفع الناس في كسب
 كمالاتهم و تکمیل نشأتهم ، وما أنزل الله من سماء الارواح من ماء العلم

• ٢٥٤/١ (٦١) المصدر السابق

• ٢٥٦/١ (٦٢) روح المعانى

• ٢٩٤/١ (٦٣) المصدر السابق

• ٣٦٦/١ (٦٤) المصدر السابق

فاحيا به أرض النفوس بعد موتها بالجهل وبث فيها القوى الحيوانية وفرق
 في افلاكها سيارات عوالم الملائكة ، وتصريف رياح الفتحات المحرّكة
 لاغصان اشجار الشوق في رياض القلوب وسحاب التجليات المسخن بين
 سماء الروح وارض النفس ليسيطر قطرات الخطاب على نيران الالباب ،
 لتسكن ساعة من الاحتراق بالتهاب نار الوجود لآيات ودلائل (لقوم يعقلون)
 بالعقل المنور بالأنوار القدسية لمجرد عن شوائب الوهم^(٦٥) . وفي قوله
 تعالى (واد قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى) قال موتي القلوب
 بداء الجهل ، وفي (فخذ اربعة من الطير) قال اشارة الى طيور الباطن التي
 في فنص الجسم وهي اربعة من اطياف الغيب ، العقل ، والقلب ، والنفس ،
 والروح^(٦٦) . وفي قوله تعالى (تواج الليل بالنهار) تدخل ظلمة النفس
 في نور القلب فيظلم (وتواج النهار في الليل) وتدخل نور القلب في ظلمة
 النفس فتستير^(٦٧) . وفي قوله تعالى (واسألهم عن القرية) أى اهل قرية
 الجسد وهم الروح والقلب والنفس الامارة وتوابعها (التي كانت حاضرة
 البحر) أى مشرقة على شاطئ بحر البشرية^(٦٨) . وفي قوله تعالى (ألم
 غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سينغلبون) قال : ففى الآية
 اشارة الى ان حال اهل الطلب يتغير بتغير الاوقات فيغلب فارس النفس روم
 القلب تارة ، ويغلب روم القلب فارس النفس بتأيد الله تعالى ونصره
 سبحانه قارة اخرى^(٦٩) .

ان الالوسي يفترض ان يكون لكل آية تفسيرا اشاريا من هذا النوع ،

(٦٥) المصدر السابق ٣٧/٢ .

(٦٦) المصدر السابق ٣١/٣ .

(٦٧) المصدر السابق ١١٩/٣ .

(٦٨) المصدر السابق ١٠٩/٩ .

(٦٩) المصدر السابق ٦٣/٢١ .

فالآيات التي لا يستطيع توجيهها الى المعاني الاشارية التي درج عليها في جميع الآيات يقول ان الله عبادا يعرفونه على التحقيق وهو لا يعرفه^(٧٠) .

انه يريد بنقل تفسيراته الاشارية أن يسجل بامانة آراء المتصوفين^٠ والظاهر انه كان حريصا على أن يكون تفسيره هذا جاما للآراء كما أسلفنا^٠ وهو ينقل عن شيوخ التصوف وخاصة ابن عربي ، ولا يخفى اعجابه بما ذهب اليه ، و تستغرق هذه التقولات احيانا عدة صفحات^(٧١) .

اننا نقرأ هذه التفاسير الاشارية الغريبة في تفسير الالوسي ، ثم نتساءل ترى ما علاقتها بالقرآن الكريم ؟ اذا لم يكن هذا خيالا فائي شيء يكون الخيال ؟ ما دليلنا الشرعي والعلقى على صحة هذه التوجيهات ؟ التي سميت تفسيرا اشاريا تخلصا من ملاحة العلماء ووقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه كما يقول ابن عربي^(٧٢) .

ان كلام ابن عربي - وهو شيخهم الاكبر - يدل دلالة قاطعة على ان الصوفية لم يريدوا الا هذا التفسير ولا يؤمدون الا به لانه نتيجة لمكتشف والاهام الربانى^(٧٣) . قالوا ان دليлем في هذا النوع من التفسير ما اثر عن الرسول وعن بعض الصحابة أنهم قالوا ان للقرآن ظهرا وبطنا . و اختلف العلماء في معنى الباطن^(٧٤) . واقرب الاقوال إلى حقائق الاشياء ، ومنطق الحياة ان يكون الظاهر نص الآية والباطن التأويل الذي له علاقة حقيقة أو مجازية معها^٠ .

نحن نفهم أن يقرأ عالم الآية الكريمة (قال انى انكحك احدى ابنتي

(٧٠) روح المعانى ١٣/٥

(٧١) المصدر السابق ٩/٦ - ٩٤

(٧٢) التفسير والمفسرون ٣٦/٣

(٧٣) المصدر السابق ٣٧/٣

(٧٤) المصدر السابق ٢٠ - ١٩/٣

هاتين) ثم يقول ان في الآية اشارة الى ان للاب ان يعرض ابنته على انسان يرى فيه القوة والامانة ٠ ولكننا لا يمكن ان نفهم التفسيرات الاشارية التي ذكرناها لأن حقائق الدين فيها تقلب وتفسد ، وقوانين الحياة بموجبها تحرف وتتحطم ، وتنقلب الآيات الواضحة التي نزلت بعريمة مينة الى فرضيات وخيالات لا يسندها العقل الصريح ولا النقل الصحيح ٠

عجباً للآلويسي وهو صاحب تلك العقلية الكبيرة ، كيف غابت عنـه حقائق الاشياء في هذه النقطة الخطيرة التي جلست على المجتمع الاسلامي اكبر الويلاـت ٠ لقد كانت للباطنية طرق كثيرة للنيل من القرآن الكريم وتحريف آياته عن مواضعها ومعانيها عن حقائقها ٠

ان الآلوysi يعترف فيقول (واما ذلك مدلول المفظ او مراد الله تعالى فمعاذ الله ان يمر بفكري واعتقاد ذلك هو الضلال البعيد) فإذا لم تكن تلکم التفاسير التي تقلها تمشى على حسب مدلولات الالفاظ في اللغة العربية التي فسر هو القرآن بموجبها ، وإذا لم تكن مراد الله تعالى ، فاذن لماذا اخذها وسجلها ؟ وما الدليل على ان تلك المعانـي صحيحة ؟ وما الدليل على ان القائلين بها قد اخذوها فيضا من الله ؟ كما اشار الى ذلك ابن عربـي ٠

اجل بدون دليل من الكتاب والسنة وقوانين الحياة ، ومنطق التفسير ، تستخرج الصوفية من القرآن الكريم الوفـا من النماذج الاشارية التي قدمـناها ، ثم يقولون ان هذه المعانـي ليست معانـي باطنـية لانـا نقول بظاهر القرآن الكريم ٠

ان هذا التفسير في اعتقادـي وجهـ من وجوه الباطـنية ، وتلـاعـب صـريحـ معـانـي القرآنـ الـكـرـيمـ ، واخـراجـ واـضـحـ لـآـيـاتـهـ عنـ مقـاصـدـهاـ الحـقـيقـيـةـ ، وـقـدـ اعـتـرـفـ بـهـذـاـ ابنـ عـربـيـ فـىـ مـقـالـتـهـ عـنـ التـفـاسـيرـ الـاشـارـيـ (فـكـلـ آـيـةـ مـنـزـلـةـ لـهـاـ وـجـهـانـ : وـجـهـ يـرـونـهـ فـىـ نـفـوسـهـمـ وـوـجـهـ آـخـرـ يـرـونـهـ فـيـمـاـ خـرـجـ عـنـهـ)

فيسمون ما يرونـه في نقوشـهم اشارـة ، ليأسـ الفقيـة صاحـب الرسـوم إلى ذلك ، ولا يقولـونـ في ذلك انه تفسـير ، وقاـية لشرـهم وتشـيـعـهم في ذلك بالـكـفر عـلـيـه ؟ وذلك لجهـاـهم بـمـوـاقـع خـطـابـ الـحـقـ (٧٥) .

ولعل القارئ يتساءـل فـيـقولـ اذن فـهلـ الـأـلوـسـيـ باـطـنـيـ ؟ أـقولـ كـلاـ !
فقد كان رـحـمـهـ اللـهـ من اـشـدـاءـ اـعـدـاءـ الـبـاطـنـيـةـ ، كـفـرـهـ ، وـقـالـ بالـحـادـهـمـ
وـخـرـوجـهـمـ عـلـىـ الـاسـلامـ (٧٦) .

اذن فـماـ سـبـبـ نـقـلـهـ لـتـلـكـ التـفـاسـيرـ ؟ انـ المـسـالـةـ وـاضـحةـ جـداـ ، فـلـقـدـ
كـانـ عـنـهـ روـاـبـصـ صـوـفـيـةـ - كـمـاـ سـنـقـرـ - وـجـهـهـ فـيـ بـعـضـ كـتـابـاتـهـ
وـافـكارـهـ ، وـهـوـ رـأـيـ اـنـ المعـانـيـ الاـسـارـيـةـ قـالـ بـهـاـ كـبـارـ رـجـالـاتـ الصـوـفـيـةـ ،
فـتـبـعـهـمـ فـيـ ذـلـكـ ، وـأـوـلـ كـلـامـهـمـ ، وـدـافـعـ عـنـهـمـ ؟ ثـمـ اـنـهـ أـرـادـ اـنـ لاـ يـخلـوـ
تـفـاسـيرـهـ المـوـسـوعـيـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ التـفـاسـيرـ الـذـيـ كـانـ يـعـقـدـ رـحـمـهـ اللـهـ اـنـهـ
لـاـ يـضـرـ مـعـ الـاـيمـانـ بـالـظـاهـرـ وـالـعـملـ بـهـ .

٨ - أمـورـ أـخـرىـ : وهـنـالـكـ خـصـائـصـ وـأـمـورـ أـخـرىـ يـتـنـاوـلـهـ الـأـلوـسـيـ
نـرـتـبـهـ كـمـاـ يـلـيـ :

آ - يـذـكـرـ الـأـلوـسـيـ فـيـ نـهـاـيـةـ تـفـاسـيرـهـ بـعـضـ الـآـيـاتـ ، فـضـلـ الـآـيـةـ
وـتـلـاوـتـهـ وـالـتـعـبـدـ بـهـاـ ، وـيـسـوـقـ آـثـارـاـ مـرـوـيـةـ فـيـ ذـلـكـ عنـ رـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ
الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ (٧٧) . كـمـاـ وـيـذـكـرـ فـضـائلـ السـوـرـ بـعـدـ الـاـتـهـمـاءـ مـنـ
تـفـاسـيرـهـ (٧٨) . وـيـذـكـرـ فـيـ بـدـاـيـةـ تـفـاسـيرـهـ كـلـ سـوـرـ اـسـمـهـاـ وـمـكـانـ نـزـولـهـاـ
وـعـدـدـ آـيـاتـهـاـ . وـيـلـخـصـ اـحـيـاناـ اـسـسـ وـالـمـخـطـوـطـ الـعـامـةـ اـتـىـ اـشـتـملـتـ

(٧٥) التـفـاسـيرـ وـالمـفـسـرـونـ ٣٧/٣ .

(٧٦) الـاجـوـبةـ الـعـرـاقـيـةـ عـلـىـ الـاـسـئـلـةـ الـلـاهـوـرـيـةـ ٣٦ .

(٧٧) رـوـحـ الـمعـانـيـ ٣/٧٢ .

(٧٨) المـصـدـرـ السـابـقـ ١/٩٨ .

عليها^(٧٩) . ويرى الآلوسي أن التشابه بين موضوع نهاية سورة وبين موضوع بداية سورة أخرى من أكبر الأسباب على ترتيبها^(٨٠) . قال مثلاً في وجه اتصال سورة الاحقاف بما قبلها (ووجه اتصالها أنه تعالى لما حتم السورة التي قبلها بذكر التوحيد وذم أهل الشرك والوعيد افتح هذه بالتوحيد ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبد)^(٨١) . وكثيراً ما يستعين الآلوسي بالسيوطى في هذا الموضوع^(٨٢) .

ويتحدد الآلوسى كثيراً فى التناقض بين ترتيب الآيات . ففى قوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) قال : لما بين سبحانة فرق المكلفين وقسمهم إلى مؤمنين وكفار ومذبذبين وقال فى الطائفة الأولى (الذين يؤمنون) وفي الثانية (سواء عليهم) وفي الثالثة (يخادعون الله) وشرع ما ترجع إليه أحوالهم ديناً وآخرى فقال سبحانة في الأولى (أو لئك على هدى من ربهم) وأولئك هم المفاحرون وفي الثانية (ختم على قلوبهم) (ولهم عذاب عظيم) وفي الثالثة (في قلوبهم مرض) (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) أقبل عز شأنه عليهم بالخطاب على نهج الانتفات هزا لهم إلى الاصفاء وتوجيهها لقلوبهم نحو التقى وجرأ لما في العبادة من الكلفة بلذذ المخاطبة^(٨٣) . ولا ينسى الكلام حول السور من حيث مكيتها ومدنتها وينقل اختلاف العلماء في ذلك مع ايراد ادلةهم بعضهم ضد بعض^(٨٤) .

ب - يشير الآلوسى المشاكل التي اثيرت حول بعض الآيات ، ثم ي بيان جواب العلماء في رد ذلك الاشكال ففي قوله تعالى (الا ان يكون ميتة او

(٧٩) المصدر السابق ٦٣/٢٣ .

(٨٠) المصدر السابق ١٧٨/٤ .

(٨١) المصدر السابق ٢٦/ص ٤ .

(٨٢) روح المعانى ٤٨/٦ و ٦٧/٣٠ .

(٨٣) المصدر السابق ١/١٨١ .

(٨٤) المصدر السابق ١٧٨/٤ و ٧٦/٧ ، ١٨١/١ .

دما مسفوها أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا اهل لغير الله) واشكت هذه الآية بانها حصرت المحرمات من المطعومات في اربعة ؟ الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير والفسق الذى اهل لغير الله به ، ولاشك انها اكثر من ذلك واجيب بان المعنى لا أجد محظيا مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب كما أشرنا اليه . وحيثند يكون استثناء الاربعة منه منقطعا اي لا أجد ما حرمه لكن أجد الاربعة محرمة ، وهذا لا دلالة فيه على الحصر . والاستثناء المنقطع ليس كالمتصل في الحصر كما نبهوا عليه وهو مما ينبغي التنبه له^(٨٥) .

وفي الآية الكريمة (ولو أن اهل القرى آمنوا واقروا لفتحنا عليهم برکات من السماء والارض) قال : وفي على ما قيل اشكال ، وهو انه يفهم بحسب الظاهر منها أنه لم يفتح عليهم برکات من السماء والارض ، وفي الانعام (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) وهو يدل على انه فتح عليهم برکات من السماء والارض ، وانت خبير بان اراده آمنوا في اول الامر الى آخره غير ظاهرة ، بل الظاهر انهم لو آمنوا بعد ان ابتلوا ليسروا عليهم ما يسرنا مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء ، كامطار الحجارة ، وبعضها من الارض كالرجفة ، وبهذا ينحل الاشكال لأن آية الانعام لا تدل على انه فتح لهم هذا الفتح كما هو ظاهر لتاليها^(٨٦) .

ج - يختار الألوسي ابياتا جميلة في معنى الآية التي يفسرها ، ففي رده للاستعanaة بغير الله استشهد يقول الشاعر :

اليك والا لا تشد الركائب . ومنك والا فالمؤمل خائب

(٨٥) المصدر السابق ٤٥/٨ .

(٨٦) المصدر السابق ١١/٩ .

وفيك والا فالغرام مضيع

وعنك والا فالمحدث كاذب ^(٨٧)

وفي تفسير الآية الكريمة (وجرين بهم بريح طيبة) استشهد بقول

الشاعر :

تقربت منا زاد نشرك طيبا

فأعطيتك رياها فجئت طيبا ^(٨٨)

لا يا نسيم الريح مالك كلما

اطن سليمى خبرت بسقامها

وفي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوها واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون) قال وذكره جل شأنه في مثل الموطن من اقوى ادلة
محبته جل شأنه ألا ترى من احب مخلوقا مثله كيف يقول :-

ولقد ذكرتكم والرماح نواهل

مني وبضم الهنـد تشرب من دمي ^(٨٩)

فوددت تقبيل السيف لانها

برقت كبارق شفرك المتسم

وهكذا نجد في تفسير الآلوسي مئات من الآيات تترى على هذه
الشكلة ، فتعطى للمعنى التي يطرّقها توضيحا . وتبين عليها كثيرا من
العواطف الجياشة .

ء - لا يفرغ الآلوسي كل ما عنده في آية واحدة ، وإنما يدلّو فيها
 بشيء ثم يصرح أن تتمة الكلام في آية كذا ، فإذا أراد الباحث أن يطلع على
 كل ما كتبه في قضية أفعال العباد على سبيل المثال ، فعليه أن يراجع تفسير
 جميع الآيات في هذا الموضوع حتى يكون على علم بكل ما كتبه في هذا
 الباب .

ه - وكثيرا ما يقدم الآلوسي خلاصة لمعنى الآية بعد استطراداته
 النحوية والبلاغية ، ففي الآية الكريمة (وما تأثيـم من ذكر من ربـهم مـحدث)

٨٧) المصدر السابق ٩١/١

٨٨) المصدر السابق ١٢٣/١١

٨٩) روح المعانـى ١٣/١٠

قدم اليها حاصل المعنى بقوله (وحاصل المعنى على الاول ما تنزل اليهم آية من الآيات القرآنية الجليلة الشأن التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى شأنه المنبهة عن جريان احكام الوهية على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال العباد واعمالهم الموجبة للاقبال والایمان بها)^(٩٠) .

و - لا يخضع الآلوسي في تفسيره للآيات الادلة القرآنية للترتيب الذي وضعه المنطقويون • استمع اليه يقول (وانت تعلم ان ادلة القرآن لا يلزم فيها الترتيب الذي وضعه المنطقويون ، فذلك صناعة اغنى الله تعالى العرب عنها)^(٩١) .

ز - يتطرق الآلوسي في تفسيره الى مسائل تاريخية تتصل بالآية التي يفسرها ففي قوله تعالى (والذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) اشارة الىأخذ ابى ذر رضي الله تعالى عنه بظاهر الآية وايجابه اتفاق المال كله الفاضل عن الحاجة ، وذكرها بينه وبين معاوية ثم مناقشة كعب الاخبار له ، وضرره اياه ، وموقف الصحابة المعارض من رأيه متمسكين بأية الميراث^(٩٢) .

ح - ان تفسير الآلوسي للآية ينقلب احيانا الى ابحاث مهمة ، ومواضيع ممتعة ، يجمع شتاتها بمهارة ، مبينا فيها آراء العلماء ، ومذاهب المحققين ، فهو يريد الا يترك القارئ الا ويعطيه ملخصا عمما كتب في الموضوع • ففي الآية الكريمة (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كتب بحثا ممتعا في اكثر من اربع صفحات حول الولاية ومعنى

(٩٠) المصدر السابق ٧/٩٢ .

(٩١) المصدر السابق ٢٠/٦٦ .

(٩٢) المصدر السابق ١٠/٨٧ .

الولى وصفات الاولى ومقامهم عند الله وقضية الجمع بين الولاية والنبوة^(٩٣) . وهنالك مباحث اخرى كبحثه في علم الكيمياء بالمعنى القديم حيث حشد فيه طائفة كبيرة من آراء الفلسفه والحكماء والمتكلمين مؤيدين ومفندين^(٩٤) .

ط - الآلوسي في تفسيره للآيات القرآنية يستعمل عقله في النفي والابيات والترجح ويصل الاستكثار به للرأي الغريب الى ان يقول (وهو قول هابط الى تخوم الارض) سخرية اذا سمع من يقول ان البقرة التي أمر بو اسرائيل بذبحها نزلت من السماء^(٩٥) .

ي - بعد عرض جميع الوجوه الممكنة يدعو الآلوسي القارئ الى الانصاف والتروى في الحكم واختيار الرأي الاصوب دون التعصب ، وكثيرا ما نقرأ له (فعلتك بالتأمل التام فيما ذكره المفسرون ، ولا تك للانصاف مجانيا وللتعصب مصاحبا)^(٩٦) .

ث - وللآلوي في تفسيره للآيات قلم سيال ، يجتمع له فيه ذوق ادبى اصيل مع قوة في التركيب ، وتمكن من اللغة . اقرأ ان شئت تفسيره للآلية الكريمة (ومن يطع الله والرسول) المبلغ ما اوحى الله منه باتباع شريعته ، والرضا بحكمه ، والكلام مستأنفا فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها بيان أن نتيجتها اقصى ما تنتهي اليه هم الامم ، وارفع ما تبتعد اليه اعناق آماناتهم وتشرّب اليه عزائمهم من مجاورة اعظم الخلق مقدارا وارفعهم منارا^(٩٧) .

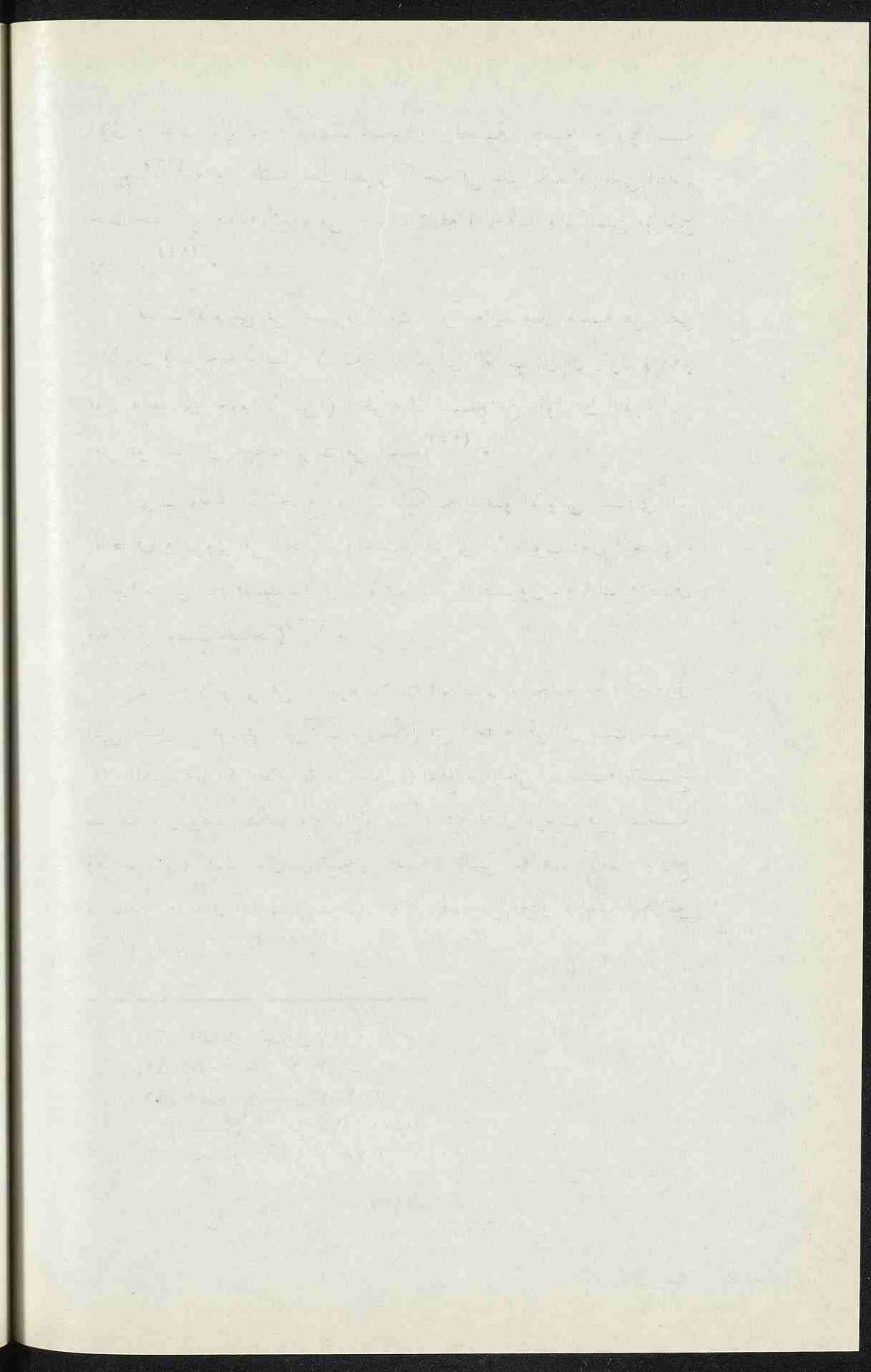
(٩٣) المصدر السابق ١١/١٥٠ .

(٩٤) روح المعانى ٩/١١٣-١٢٠ .

(٩٥) المصدر السابق ١/٢٩٢ .

(٩٦) المصدر السابق ٢٤/١٠٩ .

(٩٧) المصدر السابق ٥/٧٥ .



الفصل الثالث

موقفه من آراء القدماء

أ - موافقاته ومخالفاته :

- ١ - موقفه من حروف الهجاء في أوائل السور .
 - ٢ - موقفه من القسم .
 - ٣ - موقفه من الفواصل .
 - ٤ - موقفه من المتشابه .
 - ٥ - موقفه من النسخ .
 - ٦ - موقفه من الاعجاز .
 - ٧ - موقفه من القراءات .
 - ٨ - موقفه من الاسرائيليات .
 - ٩ - موقفه من المسائل الاعتقادية .
 - ١٠ - موقفه من المسائل الفقهية .
 - ١١ - موقفه من التصوف .
 - ١٢ - موقفه من المسائل الكونية .
 - ١٣ - موقفه من أهل الفرق والملل .
- ب - الآراء التي انفرد بها .

1875

Aug 11th

Wet weather

١ - موقفه من حروف الهجاء في أوائل السور : -

قال الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى في أول سورة البقرة (ألم) :
هي وسائل اللفاظ التي يتهجى بها (كبا تا ثا) أسماء مسمياتها الحروف
المبسوتة التي ركبت منها الكلمة لصدق حد الاسم المتفق عليه واعتبار
خواصه المجمع عليها وعلى كل منها ويحكي عن الخليل أنه سُئل أصحابه
كيف تتطقون في الباء من ضرب والكاف من لك فقالوا - باء كاف - فقال
انما جثتم بالاسم لا الحرف ° وانا اقول - به كه °^(١) °

ثم نقل الآلوسي رأيين مشهورين في هذه الحروف بما :-

الاول : ان هذه الحروف أسماء للسور ، وسميت بها اشعاراً بانها
كلمات معروفة التركيب ، فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تساقط مقدرتهم
دون معارضتها وذلك كما سموا بلام والد حراته بن لام الطائي وبصاد
النحاس وبقاف الجبل ، واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها
كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ، ولم يكن القرآن باسره بيانا
وهدى ° وهذا هو مذهب سيبويه وغيره من المقدمين ° وعليه الاكثر °

الثاني : انها أسماء الحروف المقطعة ، وهذا أقرب في رأيهم إلى
التحقيق لظهوره وعدم التجوز فيه وسلامته مما يرد على غيره ولأنه الامر
المحقق وأوفق للطائف التنزيل لدلالته على الاعجاز قصداً ، ووقوع الاشتراك
في الاعلام من واضح واحد ، فإنه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية
وكلام سيبويه وغيره ليس نصاً فيها لاحتمال أنهم أرادوا أنها جارية مجرها
كما يقولون قرأت (بانت سعاد) و (قل هو الله أحد) أي ما أوله ذلك °
فلما غلب جريانها على الاسننة صارت بمنزلة الاعلام الغالية فذكرت في باب

(١) روح المعانى ٩٨/١ ° الاتقان ٩/٢ °

العلم واثبتت لها احكامه^(٢) .

وهذا الرأي الاخير هو الذى اختاره الطبرى بعد ان عرض جميع الروايات الواردہ عن السلف فى تفسیر هذه الحروف^(٣) .

ويعتقد الالوسي أن جهل أمثالنا بالمراد منها لا يضر للأسباب الآتية :

آ - ان من الافعال التي كلفنا بها ما لا نعرف وجه الحكمه فيه ، كرمي الجمرات والسعى بين الصفا والمروة •

ب - ان الطاعة مع عدم معرفة الحكمه أدل على كمال الانقياد ونهاية التسلیم •

ج - ان الانسان اذا عرف المعنى وأحاط به ، سقطت هيته عن القلب ، وان لم يقف على المقصود منه على القطع بان المتكلم به حكيم ، فانه يبقى قلبه متعلقا اليه ابدا ، وفي بقاء العبد ملتفت الذهن ، مشتعل الخاطر بذلك مصلحة عظيمة^(٤) .

ويعتقد الالوسي أن هذه الحروف تشتمل على بحر من المعانى لا ساحل له ، فكل ما ذكره المفسرون انما هو رشفة منه ، ويضيف انه يمكن القول بان هذه الحروف تشتمل على :

آ - كل حرف منها يشير الى اسم من اسمائه تعالى •

ب - أتى بها هكذا تكون كلاميا وقريع العصا لمن تحدى بالقرآن •

ج - جاءت كذلك ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز •

(٢) المصدر السابق ٩٩/١ - ١٠٠ .

(٣) الطبرى ٩٣٣/١ .

(٤) روح المعانى ١٠١/١ .

د - فيها جلبة لاصناع الادهان والجام كل من يلغو من الكفار عند نزول القرآن لأنهم اذا سمعوا ما لم يفهموه من هذا النمط العجيب تركوا اللفظ ، وتوفرت دواعيهم للنظر في الامر المناسب بين حروف الهجاء التي جاءت مقطعة وبين ما يجاورها من الكلم رجاء انه ربما جاء كلام يفسر ذلك المسمى ويوضح ذلك المشكل ٠

ه - ان بعض مرکباتها بالمعنى الذي يفهمه أهل الله تعالى منها يصح اطلاقه عليه سبحانه ، فيجري ما روی عن علي كرم الله وجهه أنه قال يا كهيعص ويا حمسق على ظاهره^(٥) ٠

ويتبين لنا من هذا العرض أن الألوسي لا يرجح رأيا معينا كما فعل الطبرى وكما فعل الزمخشري عند تفسيره لهذه الحروف بقوله (الوجه الثاني) : ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالا يقاط وقرع العصا من تحدى بالقرآن وبغراية نظمه ؟ وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا أن لم تساقط مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة ، وهم امراء الكلام ، وزعماء الحوار ، وهم الحراس على التساحل في اقتضاب الخطب ، والمتهاكون على الافتتان في القصيد والرجز ، ولم يبلغ من الجزلة وحسن النظم المبلغ التي بزت بلاغة كل ناطق ، وشققت غبار كل سابق ، ولم يتتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء ، الا لانه ليس بكلام البشر ، وانه كلام خالق القوى والقدر ٠ وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل^(٦) ٠

(٥) المصدر السابق ١٠٣/١ ٠

(٦) الكشاف ٢٢/١ ٠

وفي تبرير عدم اختيار رأي معين يقول الآلوسي (والذى يغلب على الطن أن تحقيق ذلك علم مستور ، وسر محجوب ، عجزت العلماء كما قال ابن عباس عن ادراكه وقصرت خيول الخيال عن لحاقه ، ولهذا قال الصديق رضي الله تعالى عنه : لكل كتاب سر ، وسر القرآن أوائل السور . وقال الشعبي (ت ١٠٣ هـ) سر الله تعالى فلا تطلبوه ويصرح الآلوسي انه لا يعرفه بعد رسول الله الا الاولياء الورثة . ويسوق كلاما لا بن عربي يزعم أنه مبني على الكشف والالهام محتواه أن هذه الحروف رموز الى امور وارقام وحوادث تخيلها دون الاستناد الى معقول أو منقول^(٧) .

ان جمع الآلوسي لهذه الآراء ، وعدم اختياره لرأي معين يتفق فى نظري مع وجهته الجامحة فى تفسيره ، ويسجم مع الطريقة العلمية الموضوعية فى عدم اختيار رأي بعينه الا اذا كانت الادلة القوية تنسنه ، وهذه غير متوفرة بالنسبة لهذه الآراء .

وبعد انتهاء الآلوسي من تفسير هذه الحروف حسب القواعد المقررة لدى العلماء ، بدأ بتفسيرها تفسيرات اشارية بما يلي :

آ - أشار سبحانه بمفتاح سورة الفاتحة الى اسمه الظاهر ، وبهذه الحروف الى اسمه الباطن . ونستنتج من هذا أن الظاهر مقدم على الباطن لأن عليه عموم البعثة .

ب - في الاول اشارة الى مقام الجمع وفي الثاني رمز الى الفرق بعد الجمع .

ج - افتتاح هذه السورة بالمهنم ثم تعقيبه بالواضح فيه أتم مناسبة لقصة البقرة (واذا قتلتم نفسا فدارأتكم فيها والله مخرج ما كتم تكتمون) .

(٧) ابن كثير ١/٣٨

د - في هذه الحروف رمز الى ثلاثة اشياء ، فالالف الى الشريعة واللام
الى الطريقة والميم الى الحقيقة .

ه - الالف من أقصى المحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط
المخارج والميم من الشفة وهو آخرها فيشير بها الى ان اول ذكر العبد
ووسطه وآخره لا ينبغي الا لله عز وجل .

و - فيه اشار الى سر التشیث فالالف يشير الى الله تعالى واللام الى
جبريل والميم الى محمد صلى الله عليه وسلم^(٨) .

ولعل سائلا يقول : هل عدل الالوسي عن التفسيرات السابقة الى هذه
التفسيرات الاشارية ؟ أقول : لا . لم يعدل ، ولكن اسلوبه في تفسيره - كما
مرّ بنا عند الكلام عن تفسيراته الاشارية - هو ان يفسر اولاً بالظاهر ثم
يفسر بالاشارة والاول عنده هو المراد الحقيقي ؛ والثاني هو تطبيق أهل
الذوق من أرباب التصوف - كما يقولون - لهذه الآيات على ما في الانفس
والآفاق . وبمعنى آخر ان الالوسي يعتقد ان لنا ان نقول ان هذه الحروف
قد تعني الامور الاشارية التي ذكرها اضافة الى التفسيرات التي ذكرها
المفسرون . ودليلنا على ذلك قوله (فاعلم أن كل ما ذكره الناس فيها رشبة
من بخار معانها ومن ادعى قصرها أو زعم أنه أتى بكثير فمن
قلة نوره . والعارف يقول باندماج جميع ما ذكروه في صدف فرائدها ،
وامتزاج سائر ما سطروه في طمطم قوائدها)^(٩) .

٣ - موقفه من القسم :

القسم هو تحقيق الخبر وتوكيده . وهو موجود في اللغة العربية
والقرآن الكريم الذي نزل بها ورد فيه القسم .

(٨) روح المعانى ١/١٠٤ .

(٩) روح المعانى ١/١٠٣ .

قال أبو القاسم القشيري (ان الله ذكر القسم لكمال الحجة و تأكيداً لها)
وذلك أن الحكم يفصل باثنين أما بالشهادة وأما بالقسم ، فذكر تعالى في كتابه
النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو
العلم ، وقال أي ربى انه الحق) ٠

والقسم على أنواع في القرآن الكريم :

ـ آ - أقسام الله تعالى بنفسه مثل (فوربك لنسئلهم أجمعين) لانه ليس
ـ أحد فوقه ٠

ـ ب - أقسام الله بنبيه مثل (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) لتعرف
ـ الناس عظمته عند الله ٠

ـ ج - أقسام الله بمخلوقاته كقوله تعالى (والتين والزيتون) لانها تدل
ـ على الصانع ٠

والقسم اما ظاهر كالأيات السابقة واما مضمر وهو قسمان دلت
ـ عليه اللام نحو (تبليون في أموالكم) وقسم دل عليه المعنى نحو وان منكم
ـ الا واردها وتقديره (والله) ١٠ ٠

والألوسي يشير الى الأقسام في القرآن الكريم ، فعند تفسيره لقوله
ـ تعالى (قل أي ربى انه الحق وما انت بمعجزين) أشار القسم بالذات
ـ الآلهية في هذه الآية ١١ وفي قوله تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم
ـ يعمهون) قال (قسم من الله بعمر نبينا صلى الله عليه وسلم على ما عليه جمهور
ـ المفسرين) ١٢ ٠ وفي قوله تعالى (والصفات صفا) قال (أقسام من الله
ـ تعالى بملائكته عليهم السلام كما روى عن ابن عباس وابن مسعود ومسروق
ـ ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابي مسلم) ١٣ ٠ وينفي أن يكون هنالك

١٠) الاتقان ١٣٣/٢ - ١٣٤ ٠

١١) روح المعانى ١١/١٣٦ ٠

١٢) المصدر السابق ٧٢/١٤ ٠

١٣) المصدر السابق ٦٤/٢٣ ٠

حذف هو المقسم به ، لأن القسم بتلك الجماعات انفسها ، ولا حجر على الله عز وجل ، فله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء فلا حاجة إلى القول بان الكلام على حذف مضاد أي (ورب الصافات)^(١٤) .

ويحلل بعض الاقسام ويرد ما فيه كقوله تعالى (والتجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى) بقوله : وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البدعة ، وحسن الموضع ما لا غاية وراءه^(١٥) .

ويبين السبب في اتيان المقسم به ، ففي تفسيره لقوله تعالى (ن والقلم) قال : ثم ان استحقاق القلم للاعظام بالاقسام به ، اذا اريد به قلم الملوح الذي جاء في الاخبار انه أول شيء خلقه الله تعالى أو قلم الكرام الكاتبين ظاهر ، وأما استحقاق ما في أيدي الناس اذا اريد به الجنس لذلك فلكثرة منافعه ، ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكونه فضلاً موجباً لتعظيمه^(١٦) .

ويبحث عن الحكمة وراء القسم ، ففي قوله تعالى (لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الانسان في كبد) قال : وفي تأكيد كون الانسان في كبد بالقسم تثبتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث على أن يطمأن نفسه الكريمة على احتماله فان ذلك قدر محتوم^(١٧) .

والقاعدة العامة التي تكاد تسري في معالجاته كلها للقسم هي أن

• (١٤) المصدر السابق ٦٧/٢٣

• (١٥) روح المعانى ٤٥/٢٧

• (١٦) المصدر السابق ٢٤/٢٩

• (١٧) المصدر السابق ١٣٣/٣٠

الاقسام بالشيء هو اعظم له^(١٨)

وتفسیر الالوسي لظاهرة القسم في الكتاب الكريم يتفق تماماً مع ما ذهب اليه علماء الاسلام وكبار المفسرين . يقول الطبرى عند تفسيره لقوله تعالى (والسماء ذات البروج) أقسم الله جل ثناؤه بالسماء ذات البروج^(١٩) . ويقول الزمخشري (والصفات صفا) أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات اقدمها في الصلاة^(٢٠) ويقول القرطبي (لا أقسم بهذا البلد) أي أقسم لانه قال بهذا ، وقد أقسم به قوله (وهذا البلد الامين)^(٢١) . ويقول الطبرسي (والشمس وضحاها) قد تقدم ان الله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه تبعها على عظيم قدره ، وكرة الارتفاع به ، ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلع الشمس وغروبها أقسم الله سبحانه بها وبضحاها^(٢٢) .

٣ - موقفه من الفوائل :

قال الزركشي عن الفاصلة انها كملة آخر الآية كافية للشعر ، وقرينة السجع ، ثم ذكر أن الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي ي بيان بها القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فوائل ، لانه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل

(١٨) المصدر السابق ١٤٢/٣٠

(١٩) تفسير الطبرى ١٢٧/٣٠ . انظر كذلك ١٤٠/٣٠ ، ١٦٨/٣٠ . ١٩٣/٣٠

(٢٠) الكشاف ٢٥/٤ . انظر ايضاً ٥٨٦/٤ ، ٥٩٥/٤ ، ٦٠١/٤ . ٦١٦/٤

(٢١) تفسير القرطبي ٥٩/٢٠ . انظر ايضاً ٧٢/٢٠ ، ٩٠/٢٠ . ١١٠/٢٠

(٢٢) جامع البيان ٤٩٨/١٠ . انظر ايضاً ٥٠١/١٠ ، ٥٠٤/١٠ . ٥١٠/١٠

بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها سجاعا ، لأن السجع يقصد في نفسه ثم يميل المعنى عليه . والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة فيها^(٢٣) .

قال السيوطي (وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال : الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يمكن رؤوس آية وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، قال ولاجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سبويه في تمثيل القوافي يوم يأت وما كنا نبغ وليسا رأس آية باجتماع مع اذا يسر وهو رأس آية باتفاق^(٢٤) .

واختلفوا في تسمية الفاصلة سجعا . قال الرمانى في اعجاز القرآن ذهب الاشعرية إلى امتناع ان يقال في القرآن سجع . وفرقوا بان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها . وأيده القاضي ابو بكر الباقياني وقال (ولو كان في القرآن سجعا لكن غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ، ولو بجاز ان يقال سجع معجز لجاز ان يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب وفيه من القرآن أجدر وذهب كثير من غير الاشاعرة إلى اثبات السجع في القرآن وزعموا ان ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة كالجنس والالتفات ونحوهما ، وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على ان موسى أفضل من هرون لمكان السجع قيل في موضع هرون وموسى ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قبل موسى وهرон قالوا ان ما جاء من السجع في القرآن كثير لا يصح ان يتافق غير مقصود

(٢٣) البرهان ١/٥٣ ، ٥٤ .

(٢٤) الاتقان ٢/٩٦ ، ٩٧ .

يقول الحفاجي : وأظن الذى دعاهم الى تسمية جل ما فى القرآن
فواصل ولم يسموا ما تمثلت حروفه سجعاً رغبتهم فى تنزيه القرآن عن
الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم) ثم قال
(والتحرير ان الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل)^(٢٦) .

ولقد راعى الآلوسي هذه الناحية ، واعطى الفاصلة حقها من الكلام ،
وتفسيره شاهد على انه يقول بوجود الفاصلة فى القرآن والتزامها لغاية
بلاغية مقصودة .

ويشير الآلوسي الى أن أكثر الفواصل فى القرآن الكريم فى الموعظة
مثل (أَفَلَا تَتَقَوْنَ) (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)^(٢٧) وبين أن الفواصل قد تختلف
باختلاف المعانى وترقيتها من معنى الى معنى كقوله (حم تزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم ، ان في السموات والارض آيات للمؤمنين ، وفي خلقكم وما
يبيث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من
السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها ، وتصريف الرياح آيات لقوم
يعقلون) . ويدرك أن الفواصل قد تجري مجرد القوافي كقوله تعالى
(الفتنونا ، الرسولا)^(٢٩) .

ويعرض الآلوسى نماذج كثيرة فى التزام الفاصلة ، ففي الآية الكريمة
(والرکح السجود) خالف بين وزني تكسيرهما للتنويع مع المخالفة في
المهيات ، وكان آخرهما على فعول لأجل كونه فاصلة^(٣٠) . وفي الآية

(٢٥) المصدر السابق ٩٧/٢ ، ٩٨ .

(٢٦) المصدر السابق ٩٨/٢ .

(٢٧) روح المعانى ٥٧/٩ .

(٢٨) المصدر السابق ١٣٨/٢٥ .

(٢٩) روح المعانى ٧٨/٣٠ .

(٣٠) المصدر السابق ٣٨١/١ .

الكريمة (ولا تكفرون) حذف ياء المتكلّم تخفيفاً لتناسب الفواصل^(٣١) وفي الآية الكريمة (اوئلَك هُمُ الْمُتَّقُونَ) اتى بخبر اوئلَك الاولى موصولاً بفعل ماض ايذاناً بتحقق اتصافهم ، وان ذلك قد وقع منهم واستقر ، وغاير في خبر الثانية ليدل على ان ذلك ليس بمتجدد بل صار كالسجدة لهم ، وايضاً لو اتى به على طبلٍ سابقٍ لما حسن وقوعه فاصلة^(٣٢) ، وفي الآية الكريمة (رب موسى وهارون) قسم هنا موسى وأخر هارون لأجل الفاصلة ، واما في مكان آخر فقد قدم هارون لأجل الفاصلة^(٣٣) وبذلك يخالف الآلوسي الباقاني الذي قال (واما ما ذكر من تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام فيليس بصحيح بل القاعدة فيه اعادة القصة الواحدة بالفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً^(٣٤))

أما في الآية الكريمة (حين تريحون وحين تسرحون) حذف المفعول وهو الماشية لرعاية الفاصلة^(٣٥) ، وفي الآية الكريمة (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقطنون) عبر بالمضارع في (اذا هم يقطنون) لرعاية الفاصلة^(٣٦) ويقول الآلوسي ان (ال ياسين) لغة في الياس واختاره في الآية الكريمة (سلام على ال ياسين) لرعاية الفاصلة^(٣٧) . وتحذف كلمة احياناً رعاية لها ، ففي قوله تعالى (متکئن فيها يدعون فيها بفاکهة كثيرة وشراب) قال : ويمكن ان يقال – والله تعالى اعلم – التقدير وشراب كثير ، لكن حذف الكثير لدلالة ما قبل ورعاية للفاصلة^(٣٨) ، وفي الآية الكريمة

(٣١) المصدر السابق ١٩/٢

(٣٢) المصدر السابق ٤٨/٢

(٣٣) المصدر السابق ٢٦/٩

(٣٤) الاتقان ٩٨/٢

(٣٥) المصدر السابق ١٩/١٤

(٣٦) المصدر السابق ٤٣/٢١

(٣٧) المصدر السابق ١٤١/٢٤

(٣٨) المصدر السابق ٢١٣/٢٣

(فاخذتهم فكيف كان عقاب) اكتفى بالكسرة عن ياء الاضافة في عقاب لانه فاصلة ^(٣٩) . وفي الآية الكريمة (ورسلنا لديهم يكتبون) لديهم حال قدم للفاصلة ^(٤٠) . وفي الآية الكريمة (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) ورد الكفور بصيغة المبالغة مراعاة للفاصلة ^(٤١) . وفي الآية الكريمة (والليل اذا يسر) حذف الباء لمراعاة الفاصلة ^(٤٢) .

وواضح من هذا العرض أن الآلوسي في الفواصل يذهب مذهب المخاجي وكثير من غير الاشارة في التزام الفاصلة كضرورة بلاغية مقصودة .

٤ - موقفه من المتشابه :

نقل السيوطي عن النسابوري في المحكم والمتشابه ثلاثة أقوال أحدها أن القرآن كله محكم لقوله تعالى (احکمت آیاته) والثاني كله متشابه لقوله تعالى (كتاباً متشابهاً مثانياً) والثالث - قال وهو الصحيح - انقسامه إلى محكم ومتشابه لقوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أُم الكتاب وأخر متشابهات) ^(٤٣) .

وقد اختلف في المحكم والمتشابه فقال الحنفية (المحكم الواضح الدلالة الظاهر الذي لا يتحمل النسخ ، والمتشابه الخفي الذي لا يدرك معناه عقلاً ولا نقالاً ، وهو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل سور) . وقيل : المحكم ما لا يتحمل من التأويل إلا وجهاً واحداً والمتشابه ما احتمل أوجهها . وقيل المحكم الفرائض والوعد والوعيد

(٣٩) المصدر السابق ٤٤/٢٤ .

(٤٠) المصدر السابق ٢٥/١٠٤ .

(٤١) المصدر السابق ٢٩/١٥٣ .

(٤٢) المصدر السابق ٣٠/١٢١ .

(٤٣) الاتقان ٢/٢ .

والمتشابه القصص والامثال ٠ قال ابن عباس (المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه وحدوده وفرازضه ، و المتشابهات ما يؤمن به ولا يعمل به) وقال مجاهد (المحكمات ما فيه حلال وحرام وما سوى ذلك متشابه) الى غير ذلك من الاقوال (٤٤) ٠

يعرض الآلوسي خلال تفسيره لقوله تعالى (لا يعلم تأويلاه الا الله والراسخون في العلم) لرأي الشافعية الذين يقولون بالوقف على (الراسخون) ثم يسوق أدلةم في إثبات ذلك ، وكلها أدلة عقلية ليس فيها إلا دليل نقل عن واحد ، يتمسكون به وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ٠ ثم ذكر رأي الحنفية الذين يقولون بالوقوف على (الا الله) لأن الله استأثر لنفسه مما لا يعلمه أحد من عباده ٠ والراسخون يؤمنون به دون إثارة اي اعتراض ، وهذا هو مذهب الأكثريه من الصحابة والتابعين واتباعهم ٠ وهو أصح الروايات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ٠ ويميل الآلوسي إلى هذا الرأي ، ويعلن أن يد الله مع الجماعة ٠ ثم يبدأ بإثبات هذا الرأي بأحاديث يسوقها ، ويدرك رد الحنفية لأدلة الشافعية وهو رد الدليل العقلي بالعقلي ، وإثبات ان الأحاديث التي يعتمدون عليها أقوى مما استند عليه الشافعية ٠

والحكمة في استئثار الله لهذا العلم في رأيه هو الابتلاء كما ابتلى الله تعالى عباده بعبادات لم يعرفوا حقيقة السر فيها ، والسر في هذا الابتلاء في رأيه أيضاً قصص جناح العقل ، وكسر سورة الفكر ، واذهاب عجب طاوس النفس ، ليتوجه القلب بشراشره تجاه كعبه العبودية ، ويخضع تحت سرادقات الربوبية ، ويعرف بالقصور ، ويقر بالعجز عن الوصول إلى هاتيك القصور (٤٥) ٠

(٤٤) الاتقان ٢/٣٠٢ ٠ روح المعاني ١/٨٢ ٠

(٤٥) روح المعاني ٣/٨٤-٨٦ ٠

(٤٦) روح المعاني ٣/٨٤ ٠

ويشير الآلوسي في تفسيره على رأى السلف ، ففي الآية الكريمة
 (إن الله لا يستحيي) لم يقول الاستحياء ، بل انه وكل أمره وحقيقة الى
 عالم الغيب والشهادة^(٤٦) . وفي تعين حقيقة الجنة ومكانها عرض آراء
 أهل العلم والكلام ثم قرر أن الأحوط عدم تعينها لأن الأدلة متعارضة والكل
 ممكن^(٤٧) . وفي قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونوا من الظالمين)
 نقل اختلافاً كبيراً حول نوعية هذه الشجرة ، ثم قال : الأولى عدم القطع
 والتعين ، لأنها ليس في تعينها فائدة^(٤٨) .

اذن فالآلوي يفوض علم ما جاء من المتشابهات اليه عز شأنه ، ومع
 ذلك يقول بما يليق بحالته ذاته تعالى كقوله في تفسير الآية الكريمة
 (فأتأتم الله) قال : أى أمره سبحانه وتعالي وقدره^(٤٩) .

أما عن المتشابه من الصفات كالاستواء واليد والقدم والنزول إلى السماء
 الدنيا ، فهو كذلك مع السلف في أنها صفات ثابتة وراء العقل ما كلفنا إلا
 اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه ، خلافاً للمخالف الذين ذهبوا
 إلى تأويلها وتعيين مراد الله منها فالاستواء عندهم بمعنى الاستيلاء . ويقول
 الآلوسي أن الأمر يحتاج في نهاية الأمر إلى القول بأن المراد استيلاً يليق
 بشأن الرحمن جل شأنه ، فليقل من أول الأمر قبل تحمل مؤونة هذا
 التأويل استواءً يليق بشأن من عز شأنه^(٥٠) .

وبجانب ذلك فالآلوي متأثراً بنزعته الصوفية يزعم أن الأولياء
 يعلمون سر المتشابه وفي سبيل اثبات ذلك نقل تفسيراً باطنينا لابن عربي

(٤٦) روح المعاني ١/٢٠٦ .

(٤٧) المصدر السابق ١/٢٣٣ .

(٤٨) المصدر السابق ١/٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٤٩) المصدر السابق ٧/١١٦ ، ٩/٤٥ ، ٢٨/٤٠ .

(٥٠) المصدر السابق ٣/٨٧ ، ٣/٨٨ .

للمحروف المقطعة في أوائل السور ، ثم نقل الكلام المنسوب إلى علي رضي الله تعالى عنه في استخراج وقعة معاوية من (حممسق) قال الآلوسي (وايضا في الحروف رمز إلى ثلاثة أشياء فاللاف للشريعة واللام للطريقة والميم إلى الحقيقة ، فهناك يكون العبد كالدائرة نهايتها عين بدايتها وهو مقام القناء في الله تعالى بالكلية) وقال (وايضا في ذلك اشارة إلى سر التسلية فاللاف مشير إلى الله تعالى واللام إلى جبرائيل والميم إلى محمد صلى الله عليه وسلم)^(٥١) .

وينقل الآلوسي رواية الشعراوي عن شيخه علي الخواص الذي زعم أن الله تعالى أطلعه على معانٍ سورة الفاتحة ، فأخرج منها أكثر من مائة ألف علم^(٥٢) .

إن النقل والعقل ليسا بجانب الآلوسي في آرائه هذه ، وليس له اي دليل على صحة ما يقول هؤلاء . اني أتساءل على اي شئ استند ابن عربي في تفسيراته الباطنية ؟ انه لا يستند الا على أوهام وتخيلات . والا فلماذا لا يأتينا بدليل من الكتاب والسنة ؟ قد يقال : انه كان ملهما ، ولكن ما الدليل على انه كان ملهما ؟ وهل يقوم ادعاء الالهام دليلا يقيناً أو مقياسا ثابتا في تقرير حقيقة من الحقائق ؟ هب انه الهم ، ولكن ما الدليل على ان كل ما صدر عنه الهم ؟ وما المقياس في هذا وذاك ؟ ان مثل هذه التفاسير والتخيلات الباطنية او هن من بيت العنكبوت ، كمزاعم على الخواص التي ترفضها العقول الراسخة ، والآثار الصحيحة كل الرفض .

ان من اقبح الاقوال أن يقال ان (الم) اشارة الى سر التسلية كما مر .^{٥٣}
انت اذا أعطينا المجال للتأنيل والقينا الجبل على الغارب ، لجأ شخص فزع
أن التسلية الذي يدعوه النصارى موجود حتى في القرآن الكريم ، فاللاف
هو الله ، واللام جبريل ، والميم المسيح ، هكذا بلا ضابط ولا قياس .

(٥١) المصدر السابق ١/١٠٣-١٠٠

(٥٢) المصدر السابق ٣/٨٧

ان جميع الآثار الصحيحة التي بين أيدينا ثبت انه لا يعلم الغيب الا الله ، ولذلك فانه لا يعلم حقيقة تلك الآيات المشابهات الا الله ٠ ولا يعلم تأويلاها الا الله ٠

الحق ان بقية رواسب صوفية لم تزل تتحرك في أغوار لا شعور الآلوسي في التصديق بمثل هذه المزاعم التي ثبتت في الكتب باسم الكشف والالهام ٠

٥ - موقفه من النسخ :

يرد النسخ بمعنى الازالة في قوله تعالى (فيسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم آياته) ويرد بمعنى التبديل كقوله تعالى (و اذا بدلنا آية مكان آية) وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث ، وبمعنى النقل من موضع الى موضع ، ومنه نسخت الكتاب^(٥٣) ٠

قال السيوطي (والنسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير) وقد أجمع المسلمون على جوازه) ثم نقل اختلاف العلماء فقال بعضهم لا ينسخ القرآن الا بالقرآن لقوله تعالى (ما ننسخ من آية او ننسها نأت بغير منها او مثيلها) ، وقال آخرون بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها ايضا من عند الله ٠ قال تعالى (وما ينطق عن الهوى) وقال الشافعي (حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها) ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ، ليتبين توافق القرآن والسنة^(٥٤) ٠

نقل الآلوسي في معرض كلامه عن النسخ ان اهل الشرائع اتفقوا على جواز النسخ ووقوعه ونقل رأى أبي مسلم الاصفهاني الذي ينص على انه وان جاز النسخ عقلا ، لكنه لم يقع^(٥٥) ٠

^(٥٣) الاتقان ٢١/٢

^(٥٤) المصدر السابق ٢١/٢

^(٥٥) روح المعانى ١/٣٥١ ، ٣٥٢

وعرض الآلوسي لحكمة النسخ بقوله (اذ الاحكام انما شرعت ، والآيات انما نزلت لمصالح العباد ، وتكثيل نفوسهم ، فضلا منه تعالى ورحمة ، وذلك يختلف باختلاف الاعصار والأشخاص)^(٥٦) .

وأيمان الآلوسي بالنسخ يظهر من تفسيره للآلية الكريمة (ما ننسخ من آية أو ننسها) فهو يؤمن به بمعنى بيان انتهاء التعبد بقراءتها كآلية (الشيخ والشيخة اذا زينا فارجموهما نكلا من الله ، والله عزيز حكيم) . وقد وقع انساء الآية بعد نسخها ، حيث ان بعض الصحابة أراد قراءة بعض ما حفظه فلم يجده في صدره ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال (نسخ البارحة من الصدور) ويعتمد الآلوسي في وقوع هذا النسخ على ما رواه مسلم عن أبي موسى (انا كنا نقرأ سورة نسبها في الطول والشدة ببراءة ، فانسنتها غير اني حفظت منها (لو كان ابن آدم واديان من مال لا ينفي واديا ثالثا . وما يملأ جوف ابن آدم الا التراب)^(٥٧) .

والغريب ان الآلوسي يفتد خبرا مشابها لهذا أخرجه الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصححه عن أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه الصلاة والسلام (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) فقرأ فيها ، ولو ان ابن آدم سأله واديا من مال فاعطيه يسأل ثالثا ، ولو سأله ثانية فاعطيه يسأل ثالثا . ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتباهي الله على من تاب . وان الدين عند الله الحنيفة غير الشركية ولا اليهودية ولا النصرانية . ومن يفعل ذلك فلن يكفره) فيقول (وهو مخالف لما صح عنه ، فلا يعول عليه ، كما لا يخفى على العارف بعلم الحديث)^(٥٨) .

(٥٦) المصدر السابق ٣٥٣/١

(٥٧) روح المعاني ٣٥٢ ، ٣٥١/١

(٥٨) المصدر السابق ٢٠٧/٣٠ ، ٢٠٨

ولعله أراد فقط نفي استناد هذا المفهوم إلى أبي لانكار المعنى الذي انتهت حديث آخر .

وأشار الألوسي في تفسيره إلى الآيات المنسوخة بالتفصيل مع نقل من قال ذلك وآرائهم فقد نقل عن قتادة والسدى وابن عباس أن آية (فاغفروا) منسوخة بأية السيف^(٥٩) ويشير كذلك في كل مناسبة تأتى إلى نسخ الآية ان كان قد قيل فيها ذلك^(٦٠) . ويدرك أحيانا الآيات المنسوخة في بداية تفسير السورة . وينقل الأقوال فيها ثم يفصل القول في كل آية في أماكنها الخاصة^(٦١) . وإذا كان في الآية قولان ذكرهما ، ففي قوله تعالى (الا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح) اشار الى أنها نسخت بقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) ثم نقل ما روى عن قتادة وعن الجبائي أنها منسوخة بقوله تعالى (واما تخافن من قوم خيانة فاذند اليهم على سواء)^(٦٢) .

ولا يقول الالوسي بالنسخ في جميع الآيات • ففي قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال : وعن السدي أن هذا أمر بالكف عن القتال ، ثم نسخ بأيته • ولا ضرورة الى دعوى النسخ في الآية كما لا يخفى على المتذمّر^(٦٣) •

ويذكر أحياناً رأياً يقول بأن الآية الفلانية منسوخة بآية كذا • ولا ينسى أن يأتي بالرأي المضاد الذي يقول بأنها قد نسخت بالعكس • ففي آية القراءة (ولا تنكحوا المشرّكات) ذهب الإمامية والزيدية وأخرون ان هذه

^{٥٩}) المُصْدَرُ السَّابِقُ ١/٣٥٧ .

^{٦٠} المصدر السابق ١٨٢/٧ ، ١٤ / ٢٣١-٢٣٢ .

(٦١) المُصْدَرُ السَّابِقُ ٤٧/٦

^{٦١}) المصدر السابق ٤٧/٦ .

٦٢) المصدر السابق ٩٠/٦

^{٦٣}) المصدر السابق ١٤٧/٩

- ۲۰۸ -

الآلية منسوخة بآية المائدة (والمحضنات من الذين اوتوا الكتاب) وذكر بعد ذلك ان المشهور الذى عليه العمل ان آية البقرة نسخت ما فى المائدة ، وهو الذى ذهب اليه الحنفية والشافعية الذين يقولون بالتحصيص دون النسخ ، ويميل الى القول الاخير كما هو الظاهر من كلامه^(٦٤) .

ويؤى من الآلوسى بجواز نسخ القرآن بالسنة . ففي تفسيره لقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بغير منها أو مثلها) قال (ثم لا يخفى أن ما تقدم من التعميم مبني على جواز النسخ بلا بدل ، وجواز نسخ الكتاب بالسنة . وهو المذهب المنصور) . واعتبروا على هذا بأن الناسخ هو المتأتى به بدلاً وهو خير أو مثل ، ويكون الآتي به هو الله تعالى والسنة ليست خبراً ولا مثل القرآن ولا مما أتى به سبحانه وتعالى . والآلوجي لا يسلم حصر الناسخ بما ذكر اذ يجوز أن يعرف الناسخ بغير المتأتى به ، فإن مضمون الآية ليس إلا أن نسخ الآية يستلزم الاتيان بما هو خير منها أو مثل لها . ولا يلزم منه أن يكون ذلك هو الناسخ فيجوز أن يكون أمراً مغايراً يحصل بعد حصول النسخ ، وإذا جاز ذلك فيجوز أن يكون الناسخ سنة ، والمتأتى به الذى هو خير أو مثل آية أخرى . وأيضاً السنة مما أتى به الله سبحانه وتعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وليس المراد بـالخيرية والمماثلة فى اللفظ حتى لا تكون السنة كذلك ، بل فى الفرع والثواب ، فيجوز أن يكون ما استعملت السنة خيراً من ذلك^(٦٥) .

ولقد تطرق الآلوسى الى هذه المسألة مرة اخرى عند تفسيره لقوله تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين) فقال (اخراج احمد وعبد بن حميد والترمذى وصححه النسائي

(٦٤) روح المعانى ١١٨/٢

(٦٥) المصدر السابق ٣٥٣/١

وابن ماجة عن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبهم على راحته فقال (ان الله قد قسم لكل انسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصية) و (اخرج احمد والبيهقي في سننه عن ابى امامۃ الباهلي سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حجۃ الوداع في خطبته يقول (ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) واخرج عبد بن حميد عن الحسن نحو ذلك ۰ ثم قال الآلوسي (وهذه الاحاديث لتلقى الامة لها بالقبول انتظمت في سلك المتواتر في صحة النسخ بها عند ائمتنا قدس الله اسرارهم بل قال البعض انها من التواتر وان التواتر قد يكون بنقل من لا يتصور تواظفهم على الكذب ، وقد يكون بفعلهم بأن يكونوا عملوا به من غير تكير منهم على ان النسخ في الحقيقة بأية المواريث ، والاحاديث مبنية لجهة نسخها) ^(٦٦) ۰

والآلوسي في هذه المسألة يذهب مذهب الجمهور القائلين بجواز نسخ الكتاب بالسنة ونسخ السنة بالكتاب ، مخالفًا بذلك الامام الشافعی الذي منع ذلك ^(٦٧) ۰

٦ - موقفه من الاعجاز :

تحدى القرآن الكريم العرب الذين نزل فيهم ، وهم اصحاب البلاغة ، وأساطير البيان بقوله تعالى (ام يقولون افتراء قل فاتوا عشر سور مثله مفتريات) ^(٦٨) و قوله (وان كتم في ريب مما نزلنا على عبادنا فاتوا بسترة من مثله) ^(٦٩) ۰ فلم يقدروا ، وحق عليهم الاعجاز بقوله تعالى (قل لئن اجتمع الناس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان

^(٦٦) المصدر السابق ٥٣/٢ ، ٥٤ ۰

^(٦٧) علي حسب الله - اصول التشريع الاسلامي ص ٣٢٠ ۰

^(٦٨) هود ١٣ ۰

^(٦٩) البقرة ٢٣ ۰

بعضهم بعض ظهيرا)^(٧٠) .

ولم تك دولة بني العباس ترسى قواعدها و لم تك مطاعن اعداء الاسلام توجه الى الكتاب الكريم حتى بدأ العلماء في محاولة ادراك سر هذا الاعجاز ، واستبطاط قواعده وأسسها ، وابراز البلاغة القرآنية في صورة رائعة موحية .

ولعل أول من ولج هذا الميدان هو لسان المعتزلة ابو اسحق النظم (ت ٢٣١ هـ) الذي حصر معجزة القرآن الكريم في صرف العرب عن معارضته ، وما فيه من الاخبار بكل غيب مضى وكل غيب سيأتي^(٧١) . ثم جاء تلميذه الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فألف كتابه (نظم القرآن) الذي لم يصل اليانا والذى قال عنه في كتابه الحيوان (ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن لتعرف بها ما بين الايجاز والمحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز والجمع للمعنى الكثيرة بالالفاظ القليلة ، فمنها قوله حين وصف خمر اهل الجنة (لا يصدعون عنها ولا يتزرون) وهاتان الكلمتان جمعتا جميع عيوب خمر اهل الدنيا وقوله عزو جل حين ذكر فاكهة اهل الجنة (لا مقطوعة ولا ممنوعة) جمع بها تين الكلمتين جميع تلك المعاني)^(٧٢) فالجاحظ يرى وجهين للاعجاز احدهما أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه والثانى أن الله صرف الناس عن أن يعارضوا هذا الاعجاز القرآنى . وهو يرد على النظام ومن تبعه في رأيه بأن القرآن ليس معجزا بنظمه وإن للعرب القدرة على مثل نظم القرآن لو لا صرفة الله^(٧٣) .

• (٧٠) الاسراء ٨٨ .

(٧١) الاشعري - مقالات الاسلاميين ١/٢٢٥-٢٢٦ . انظر مالك بن بنى - الظاهرة القرآنية - المقدمة بقلم محمد محمود شاكر ص ٣٩ .

(٧٢) مباحث في علوم القرآن ٣١٤ .

(٧٣) منهج الزمخشري ٢٠٦ .

أما على بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٦هـ) فقد حصر اعجاز القرآن فى ترك المعارضة مع توافر الدواعى وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفية والبلاغة والأخبار الصادقة عن الامور المستقبلة ، ونقض العادة وقياس القرآن بكل معجزة ^(٧٤) .

ورأى الخطابى (ت ٣٨٥هـ) أن الوجه الاول فى الاعجاز القرأنى هو الاحاطة الآلهية بسرار اللغة حتى جاء القرآن معجزا لفظا ومعنى ونظما والوجه الثاني عنده ، هو ما للقرآن من اثر نفسي ^(٧٥) .

ووسط كثرة المناقشات بين هذه الفئات ممن عرفوا باسم المتكلمين ابرى الامام ابو بكر الباقلانى (ت ٤٠٣هـ) يرد قول النظم والرمانى ان العرب صرقوها عن معارضته ، لأن ذلك يقتضى أن معارضة القرآن ممكنة ^(٧٦) وبين أن الاعجاز هو فى :

آ - تضمنه الأخبار عن الغيوب وما فيه من القصص الدينى وسير الانبياء مما روتنه الكتب السماوية مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب .

ب - انه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه فى البلاغة الى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه .

ويحاول الباقلانى تفسير نظرته ، فيتحدث عن نظم القرآن ويقول انه مخالف للمأثور من كلام العرب ، وله اسلوب يتميز به بيان فى الكلام الموزون والمتisor بضربيه من السجع والترسل ، وهو اسلوب فريد ، تطرد فيه البلاغة اطراضا يشمل جميع آياته دون اى تفاوت ^(٧٧) .

(٧٤) شوقي ضيف - البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٩ .

(٧٥) منهج الزمخشري ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٧٦) البلاغة تطور وتاريخ ١٠٨ . انظر بدوى طبانه - البيان العربي

٤٣ .

(٧٧) المصدر السابق ١٠٩ . انظر منهج الزمخشري ٢٠٧ .

أما عبدالقادر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فهو يرد اعتذار القرآن في النظم والتأليف إلى خصائص في اسلوبه وراء جمال اللفظ ، وجمال المعنى أو بعبارة أخرى إلى خصائص في نظمه تطرد في جميع آياته^(٧٨) . فالاعجاز لا يرجع إلى وجود الاستعارات والتشبيهات والكتابيات وارسال المثل والجنايس والتورية وكل أنواع الصناعة اللغافية لأن معنى هذا إن الآية التي ليس فيها أحد هذه النكت البلاغية لا تكون معجزة . فغاية الجرجاني هو صرف الاهتمام إلى جانب المعنى فهو يقول (فاللفالاظ لا تتفاصل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ، وإنما ثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى الكلمة للمعنى التي تليها أو ما اشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ^(٧٩)) . فاللفظ إذن هو خادم طبيعي للمعنى (إنك اذا فرغت من ترتيب المعنى من نفسك لم تحتاج الى ان تستأنف فكرك في ترتيب الالفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعنى وتابعة لها ولا حقة بها ، وإن العلم بمواعظ المعنى في النفس علم بمواعظ الالفاظ الدالة عليها في النطق)^(٨٠) .

ان النظرية التي دعى إليها الجرجاني انمرت ثمرتها عند الزمخشرى ، فهو يشير إليها ويجعلها عمدة تفسيره ، ويؤمن انه لن ينهض لتفسير القرآن الكريم الا الذي أخذ حظه من علمين مختصين بالقرآن ، يكشفان عن جمال معانيه ومزيتها ، وهما علما المعنى والبيان^(٨١) .

ومجمل رأى الزمخشرى في اعتذار القرآن هو ؟ انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعتذار نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيب^(٨٢) .

(٧٨) المصدر السابق ١٦٦ .

(٧٩) دلائل الاعجاز ٣٨ .

(٨٠) المصدر السابق ٤٤ .

(٨١) منهاج الزمخشرى ٢١٥ .

(٨٢) المصدر السابق ٢١٦ .

أما الرازي فقد رفض تفسير اعجاز القرآن بالصرفه وان اسلوبه يخالف اسلوب الشعر والخطب والرسائل وخاصة في مقاطع الآيات ومذهب من قالوا بأنه ليس فيه اختلاف وتناقض بينما يشيعان في كلام العرب حتى لا يوجد لهم شعر ولا نثر يخلو منها ومذهب من رجعوا الاعجاز إلى اشتمال القرآن على الغيوب .

والصحيح في رأيه هو تعليل اعجازه بفصاحته ، وهي عنده يرجع إلى الالفاظ والمعاني (٨٣) .

أما السكاكي (ت ٦٦٢هـ) فيقول ان اعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن والملاحظة وطيب النغم ولا يدرك تفصيله لغير ذوي الفطر السليمة الا باتقان علمي المعانى والبيان والتمن فيهما (٨٤) .

وقيل اعجازه كونه مع طوله وامتداده غير متناقض ولا مختلف ، وقيل هي موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى . وقيل اعجازه قدمه . وقيل الروعة التي تلحق قلوب سامعيه ، وانه لا يمل تاليه (٨٥) .

ويتكلم الآلوسي في الاعجاز فيقول انه (المرتبة التي يعجز البشر عن الاتيان بمثلها ولا تدخل على قدرته قطعاً) وهي تشتمل على شيئين الأول الطرف الاعلى من البلاغة أعني ما ينتهي اليه البلاغة ولا يتصور تجاوزها اياه والثاني ما يقرب من ذلك الطرف أعني المراتب العلية التي تتضخم القوى البشرية عن الاتيان بمثلها سواء أكانت من القسم الاول أو الثاني (٨٦) . ويريد الآلوسي ان يقول - كما يدل عليه ظاهر كلامه - ان من آيات القرآن ما ينطبق عليها النوع الاول ومنها ما ينطبق عليها النوع الثاني .

(٨٣) البلاغة تطور وتاريخ ٢٧٦ .

(٨٤) الاتقان ٢/١٢٠ .

(٨٥) المصدر السابق ١١٩/٢ . انظر روح المعانى ١/٢٧-٣١ .

(٨٦) روح المعانى ١٢/٦٣ .

ويأتي الى جميع هذه الاقوال فیناقشها قولًا قولًا ، ويدرك ردود العلماء بعضهم على بعض في اختياراتها ، ثم يلخص رأيه هو بقوله (والقرآن بجملته وباعراضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنظر الى نظمه وبلاغته واخباره عن الغيب وموافقتها لقضية العقل ، ودقيق المعنى ، وقد يظهر كلها في آية وقد يستر البعض كالاخبار عن الغيب) ^(٨٧) .

وعلى هذا فقد ذهب الآلوسي مذهب القاضي عيساص (ت ٥٤٤ هـ) والزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في الجمع بين الآراء مع نبذ بعضها كالقول بأن اعجازه قدمه أو ان الذين نزل عليهم سلبو العلوم التي لا بد منها في المعارضة أو انهم صرفوا عنها) ^(٨٨) .

ويفصل الآلوسي الوجوه الاربعة التي اختارها في اعجاز القرآن

بما يلي :

آ - ان القرآن جامع لمحاسن مراتب تأليف الكلام وهذه هي : الاول ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض ، فتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف والثاني تأليف هذه الكلمات بعضها الى بعض فتحصل الجملة المفيدة . والثالثة ضم ذلك الى بعض فيما له مباد ومقطاع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم والرابع ان يعتبر في اواخر الكلام مع ذلك تسبيح ويقال له المسبيح والخامس ان يحصل له مع ذلك وزن ويقال له ان قصد الشعر والنظموم اما محاورة ويقال له الخطابة واما مكتبة ويقال له الرسالة . ولكل ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع بنظم مكتس ابهى حل ، ومتعر عن كل خلل . ويريد ذلك انه لا يصح ان يقال له رسالة او خطابة ، او سجع كما يصح ان يقال هو كلام . والبلية اذا قرع سمعه فصل

(٨٧) المصدر السابق ٣١/١

(٨٨) المصدر السابق ٣١/١ . انظر الاتقان ١٢١/٢

بينه وبين ما عده من النظم عرف الفرق الواضح بينهما ، ولذلك قال الوليد بن المغيرة عندما سمع شيئاً من الآيات (فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا برجره ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا) ووالله ان لقوله الذي يقوله حلاوة ، وان عليه لطلاوة وانه لمصر اعلاه ، ومدقق اسفله ، وانه ليعلوا ولا يعلى ، وانه ليحطم ما تجده ^(٨٩) .

ب - أما في البلاغة فيؤمن الألوسي ان اجناس الكلام مختلفة ومراتبها في البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل . ومنها الفصحى القريب السهل ومنها الجارى الطلق الرسل . وهذه اقسام الكلام الفاصل محمود ، فالاول اعلاها والثانى اوسطها والثالث ادنىها واقربها ، وقد حازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الاقسام اوفر حصة ، وأخذت من كل نوع اعظم شعبه ، فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفة الفخامة والعدوبة ، وهما كالمتضادين ، فكان اجتماع الامرین فيه مع نبو كل منهما عن الآخر فضيلة ومنزلة جليلة ، وقد خص بذلك القرآن الكريم ^(٩٠) .

ج - اما بيان اشتتماله على الاخبار بالغيب ، فلانه تضمن ما يحكم العرف بكثرةه من اخبار القرون الماضية والامم البدائية والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من اخبار اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك وتتبعه ، فيورده القرآن على وجهه ، ويأتى به على نصه . ومن المعلوم ان من يأتى به امی لا يقرأ ولا يكتب مع الاعلام بما فى ضمائير كثيرين من غير ان يظهر ذلك منهم كقوله تعالى (اذ همت طائفتان ان تقضلا ^(٩١)) .

(٨٩) روح المعاني ٢٩/١ ، ٣١ .

(٩٠) المصدر السابق ٣١/١ ، ٣٢ .

(٩١) المصدر السابق ٣٢/١ .

د - واما موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى ، فلأنه اشتمل على توحيد الله وتزييه والدعاء له الى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم د - واما موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى ، فلأنه اشتمل على توحيد الله وتزييه والدعاء له الى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم وواعظ وتعليم وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وإشارة الى محسن. الاخلاق ، وجزر عن مساوتها واصفا كل شيء منها بوصفه الذي لا يرى اولى منه ، ولا اليق ، ولا يتصور اخرى من ذلك ولا اخلق ، جامعا بين المحجة والمحتاج له ، والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك او كد للزوم ما دعا اليه ، وامثال ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ^(٩٢) .

وعند تفسيره لقوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قَلْ فَاتَّوَا بِسُورَةِ مَثَّا) .
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) يقول : وفي هذه الآية دليل على اعجاز القرآن ، لأنها عليه الصلاة والسلام تحدى مصاقع العرب بسورة ما منه ، فلم يأتوا بذلك والا لنقل اليها لتوفر الدواعي الى نقله . وهذه نقطة اخرى اضافها اللوسي الى ما قرره من وجوه الاعجاز . فعدم اتيان القوم بمثله هو في نظره احد ادلة الاعجاز كما قاله جمع من العلماء قبله ^(٩٣) .

ويعتقد اللوسي أن كل ما ورد في القرآن الكريم وراءه حكمة ، واختلاف الأسلوب إنما هو لاختلاف المعنى ، واستعمال الأدوات المختلفة في مواطن متعددة بالنسبة لكلام واحد إنما هو لغاية معينة . وعليه فهو يرد قول من قال أن القرآن بهذا الاستعمال أو ذاك أراد جواز الوجهين بقوله . (ولم يعلم عافاه الله تعالى أن القرآن الكريم لم ينزل معلما للعربية مبينا

(٩٢) روح المعاني / ١ - ٣٢

(٩٣) المصدر السابق ١١٩ / ١١

لقواعدها ، وشارحا لما يجوز ، بل نزول معجزا بفضحه وبلاغته وما تضمنه
الاسرار اقواما كل منهم في ذلك الشأن الجذيل المحك والمذيق
المرجب^(٩٤) .

وبعد عرض الآلوسي هذه النظريات والنظارات المختلفة ، يقدم في
تفسيره نماذج عملية متنوعة تقوم دليلا على بلاغة القرآن واعجازه . فهو
مثلا يعقد المقارنة بين آية معينة وجملة جاهلية كانت تستعمل في نفس الغاية .
فعند تفسيره لقوله تعالى (ولهم في القصاص حياة) جاء بجملة (القتل انفي
للقتل) . فعقد بحثا مقارنا في بلاغة الآية وتفوتها في نواحي التعبير على ذلك
القول في اطراها وقلة حروفها المحنوفة ، والتعظيم الموجود في تسويق
(حياة) والطابق الموجود في القصاص والحياة . والنصل على ما هو المطلوب
بالذات وهو الحياة . والغرابة من حيث جعل الشيء فيه حاصلا في ضده
والخلو عن التكرار وعدوبة اللفظ وسلامته وعدم الاحتياج الى الحيثية
وتعریف القصاص بلام الجنس حيث دل على الشمول وخلوه من افعى الموهם
أن في الترك نفيا للقتل ايضا واشتماله على ما يصلح للقتل وهو الحياة وخلوه
عما يوهمه ظاهر قولهم من كون الشيء سببا لانتقاء نفسه^(٩٥) .

ويعلن الآلوسي استعمال كلمة مكان الكلمة اخرى . ففي قوله تعالى
(وارسلنا السماء عليهم مدرارا . وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) قال :
ولم يقل سبحانه أجرينا الانهار كما قال عز شأنه (ارسلنا السماء) لابد ان
يكونها مسخرة مستمرة لا لأن النهر لا يكون إلا جاريا ، فلا يفيد الكلام ،
لان النظم حينئذ ناظر الى كونه من تحتهم فالفائدة ظاهرة ولو كان ما ذكر
صحيحا لما ورد في النظم الكريم لقوله تعالى (تجري من تحتها الانهار)

• (٩٤) المصدر السابق ١٣٢/١١

• « (٩٥) المصدر السابق ٥١/٢

واستظهر كون الجمل بمعنى الائتمان والإيجاد ، وهو مخصوص به تعالى
ولذلك غير الأسلوب (٩٦) .

ويجره سياق الآية أحياناً على اختيار صيغة معينة . ففي قوله تعالى (لم
تعظون قوماً الله مهلكهم أو معدتهم عذاباً شديداً) قال : واختار صيغة اسم
الفاعل في الشقين للدلالة على تحقق كل من الاحلاك والتعذيب وتقريرهما
لأنهما واقعان (٩٧) .

ويتبين على أن الجملة الاسمية قد تقع مكان الجمل الفعلية لغرض بلاغي
قوله تعالى (سواء عليكم أدعوتموه أم انت صامتون) فالظاهر الآتيان
بالفعل فيما بعد (أم) لأن ما في خبر همزة التسوية مؤول بالمصدر لكنه
عدل ذلك للياذن بان احداث الدعوة مقابل باستمرار الصمات وفيه من
المبالغة ما يتحقق (٩٨) .

ويتبين سبب مجيء لفظين متقاربين في المعنى في مكان واحد . ففي
قوله تعالى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) قال : وفي جمع وصف الكتابية
والقرآنية من تضخيم شأن القرآن ما فيه حيث اشير بالأول إلى اشتماله على
صفات كمال جنس الكتب الإلهية ، فكانه كلها ، وبالثانية كونه ممتازاً عن
غيره ، نسيج وحده بديعاً في بابه ، خارجاً عن دائرة البيان ، قرآنًا غير ذى
عوج (٩٩) .

ولا يهمل الكلام عن موطن الكلمة ودلائلها في الجملة . استمع إليه
معللاً (ولعل في العدول) عن هامدون إلى خامدون رمزاً خفياً إلى البعث بعد
الموت (١٠٠) .

(٩٦) روح المعاني ٧/٩٥ .

(٩٧) المصدر السابق ٩/٩١ .

(٩٨) المصدر السابق ٩/١٤٣ .

(٩٩) المصدر السابق ١٤/٢ .

(١٠٠) المصدر السابق ٧/٢٠٩ .

ويعرض لما ورد في بعض الآيات الاكتفاء بشيء عن شيء آخر . ففي قوله تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لا تذركم به) قال : واكتفى بذلك الإنذار عن ذكر البشرة لانه المناسب للمقام ^(١) .

ويتحدث عن اظهار المعانى بمظهر القوة والسرعة كقوله تعالى (فإذا هي ثعبان مبين) بقوله اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا ، فهو اشارة الى ان الصيرونة حقيقة لا تخيلية وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب ، وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها في الأصل كذلك ^(٢) .

يستثير الآلوسى في القارئ الذوق والجمال بلفت نظره الى لطائف القرآن الكريم فيقول في الآية الكريمة (ولا يدخلوا الجنة حتى يلتحم العمل في سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ، ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظاللين) ولا يخفى على المتأمل في لطائف القرآن العظيم ما في اعداد المهد والغواش لهؤلاء المستكبرين عن الآيات ومنهم من العروج الى الملوك وتقييد عدم دخولهم الجنة بدخول البعير بخرق الاية فليتأمل ^(٣) .

وفي جمال التعبير في الآية الكريمة (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما راحت وضاقت عليهم انفسهم) يقول : اي قلوبهم وعبر عنها بذلك مجازا لأن قيام الذوات بها . ومعنى ضيقها غمها وحزنها كأنها لا تسع السرور لضيقها وفي هذا ترق من ضيق الارض عليهم الى ضيقهم في انفسهم وهو في غاية البلاغة ^(٤) .

ويقف امام الآيات وقفات بلاغية تحليلية . فهو يبين مثلا سر الاطنان

(١) المصدر السابق ١١٨/٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٠/٩ .

(٣) المصدر السابق ١١٩/٨ .

(٤) روح المعانى ٤٢/١١ .

فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ) بِقَوْلِهِ : ذَمِ الْأَوَّلِينَ بِاسْتِمْتَاعِهِمْ بِحَظْوَنِهِمُ الْخَسِيْسَةَ مِنَ الشَّهْوَاتِ الْفَانِيَةِ وَالْتَّهَائِمُ فِيهَا عَنِ النَّظَرِ فِي الْعَاقِبَةِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِ الْمَذَانِدِ الْحَقِيقِيَّةِ تَمَهِيدًا لِذَمِ الْمَخَاطِبِينَ بِمُشَابِهِتِهِمْ وَاقْتِنَاءِ أَثْرِهِمْ وَلَذِكَ اخْتِيَرَ الْأَطْنَابَ بِزِيَادَةِ (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ) وَهَذَا كَمَا تَرِيدُ أَنْ تَبْنِي بَعْضُ الظُّلْمَةِ عَلَى سَماحةِ فَعْلِهِ فَتَقُولُ أَنْتَ مُثْلُ فَرْعَوْنَ ، كَانَ يُقْتَلُ بِغَيْرِ جَرْمٍ وَيَعْذَبُ وَيَعْسُفُ وَأَنْتَ تَفْعُلُ مُثْلَهُ^(٥) . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى الْبَصِيرُ وَلَا الظُّلْمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُلُ وَلَا الْحَرَوْرُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مِنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ) يَقُولُ الْأَلْوَسِيُّ (وَمَا الطَّفُ نَظَمَ هَذِهِ التَّمَثِيلَاتِ) فَقَدْ شَبَهَ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ أَوْلَى بِالْبَحْرِيْنِ وَفَضْلُ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ عَلَى الْكَافِرِ لِخَلْوَهُ مِنَ النَّفْعِ ثُمَّ بِالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ مُسْتَبِعًا بِالظُّلْمَاتِ وَالنُّورِ وَالظُّلُلِ وَالْحَرَوْرِ ، فَلَمْ يَكْتُفِ بِفَقْدَانِ نُورِ الْبَصَرِ فِيمَا ضَمَّ إِلَيْهِ فَقْدَانِ مَا يَمْدُهُ مِنَ النُّورِ الْخَارِجِيِّ ، وَقَرْنَ إِلَيْهِ تِيَّجَةَ ذَلِكَ الْأَعْمَى وَالْفَقْدَانِ ، فَكَانَ فِيهِ تَرْقَى مِنَ التَّشْيِيَّهِ الْأَوَّلِ إِلَيْهِ ثُمَّ بِالْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ تَرْقَى ثَانِيَاً وَارْدَفَ قَوْلَهُ سَبْحَانَهُ (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ)^(٦) .

وَيُرِبِطُ الْآيَاتُ الْمُتَشَبِّهَةُ أَوِ الْمُكَرَّرَةُ ثُمَّ يَبْيَنُ الْفَرْوَقُ الْبَلَاغِيَّةُ بِيَنْهَا فَيَقُولُ مُثَلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (أَفَمَنِ اهْلُ الْقَرَى) انْكَارُ بَعْدِ انْكَارِ لِلْمَبَالَغَةِ وَالْتَّشْدِيدِ ، وَلَمْ يَقْصُدْ التَّرْتِيبَ بَيْنَهُمَا ، فَلَذَا لَمْ يَؤْتُ بِالْفَاءَ ثُمَّ نَبَهَ فِي الآيَةِ التَّالِيَّةِ (أَفَمُنُوا مَكْرُ اللَّهِ) تَكْرِيرُ لِمَجْمُوعِ الْانْكَارِيْنِ السَّابِقِيْنِ جَمِيعًا بَيْنَ التَّفْرِيقِ قَصْدًا إِلَى زِيَارَةِ التَّحْذِيرِ وَالْانْكَارِ^(٧) .

(٥) المُصْدَرُ السَّابِقُ ١٣٤/١٠ .

(٦) المُصْدَرُ السَّابِقُ ١٨٦/٢٢ .

(٧) المُصْدَرُ السَّابِقُ ١٢ ، ١١/٩ .

ويبين مثلا السر في استعمال الحروف في الآيات المتشابهة المكررة
ففي قوله تعالى (وكلوا منها حيث شئتم) يقول : وجئ باللواه هنا وبالفاء في
البقرة لأنه قيل هناك ادخلوا فحسن ذكر التعقيب معه ، وهذا اسكنوا والسكنى
أمر ممتد والاكل معه لا بعده ^(٨) .

ان غرض الآلوسي في تبرير التركيب القرآني • وبيان جمال التعبير
وببلغتها هو ان هذا القرآن بهذا الوضع كامل معجز لا نقص فيه ولا خلل ،
لا في شكله ولا في مضمونه ، يمثل الدرجة القصوى للبيان العربي ، وهو
متأثر في طريقته بعلماء المدرسة البيانية ، وخاصة المعتزلة وعلى رأسهم
الزمخشري الذي سلك في تفسيره هذا المسلك في اثبات اعجاز القرآن •
وقد سبق لنا ان قررنا عند الكلام عما اخذه من الزمخشري أنه احيانا ينقل
حتى عباراته وتعليقاته البلاغية • ولكن الذي تقرره هنا ان الآلوسي ليس ناقلا
فحسب ، وإنما ذواقة للعبارة القرآنية ، يعمل فكره في استخراج العلل ،
واستباط النواحي الجمالية ، ووضع القارئ على مكامن الاعجاز القرآني •

٧ - موقفه من القراءات :

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سمعي
لقراء ، وفي الاصطلاح مذهب يذهب إليه أمام من أئمة القراء مخالفًا به غيره
في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء كانت هذه
المختلفة في نطق الحروف ونطق هيئاتها ^(٩) .

والسبب في هذا الاختلاف ، ان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم
قد اختلفوا في اخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من أخذ
القرآن عنه بحرف واحد ، ومنهم من أخذ عنه بحرفين ومنهم من زاد •
ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال ؟ فأختلف بسبب ذلك أخذ التابعين

(٨) المصدر السابق ٩/٨٨ .

(٩) منهال العرفان ٤٠٥ .

عنهم وأخذ تابع التابعين عن التابعين ، حتى وصل الامر على هذا النحو الى الآئمة الشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضيّطونها ، ويعنون بنشرها . وهذا الاختلاف في حدود السبعة الاحرف التي نزل عليها القرآن كلها من عند الله لا من عند الرسول ولا أحد من القراء أو غيرهم (١٠) .

قال ابن الجزري (كل قراءة وافتقت العربية ولو بوجه ووافتقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها) فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الآئمة السبعة المشهورين أم عن العشرة أم عن غيرهم من الآئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الاركان الثلاثة ، اطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عنهم هو اكبر منهم (١١) .

والقراءة الصحيحة فى كلام ابن الجزري هي التي تعنى القراءة المتواترة وهي ما رواها جمع عن جمجم يستحيل تواظؤهم على الكذب والقراءة المشهورة وهي ما صح سندها بان رواها العدل الصابط عن مثله (١٢) .

يهم الآلوسي بالقراءات اهتماماً واضحاً ، فهو ينقل عقب تفسيره للكلمة أو الآية ، القراءة أو القراءات التي وردت فيها . وينبه على نوعية القراءة من حيث تواترها وفصاحتها وشذوذها . ومن حيث ارجاعها الى احدى اللغات المعروفة عند العرب . فهو يقول مثلاً في (قطعنام) : يقرأ مشدداً ومحففاً والاول هو المتواتر . ويقول في (اثني عشر اساطرا) وقرأ الاعمش (ت ١٤٨هـ) وغيره (عشرة) بكسر الشين وروى عنه فتحها ايضاً والكسر لغة تميم والسكنون لغة الحججاز (١٣) . وما في الآية الكريمة (يكاد البرق

(١٠) المصدر السابق ٤٠٦ .

(١١) النشر في القراءات العشر ٩/١ .

(١٢) المصدر السابق ١٤/١ .

(١٣) روح المعاني ٨٧/٩ .

يخطف ابصارهم) نقل أن مجاهد وعلي بن الحسين (ت ٦١ هـ) ويحيى بن وثاب (ت ١٠٤ هـ) قرأوا (يخطف) بكسر الطاء، ولكن الفتح أفصح^(١٤) . ويشير الآلوسي إلى القراءة من حيث وجهة نظر المدارس النحوية . ففي قوله تعالى (أَوْ كَصِيبَ) قال : وزنه عند البصرىين (فِعِيلٌ) بكسر العين ، أما فتح العين فعند البغداديين وأما عند الكوفيين فأصله على (فِعِيلٌ) تطويل فقلب وقراءة كصائب . ثم قرر أن (صِيبَ) أبلغ منه^(١٥) .

ويطيل أحاجانا في عرض القراءات المتواترة والشاذة ، ويقللها على وجوهها المختلفة^(١٦) بحيث تصل في الكلمة الواحدة إلى تسع قراءات . فقد عرض في (مالك يوم الدين) مثلاً إلى القراءات الواردة في مالك تفصيلاً ، فمنهم من قرأ (ملكاً) بالخفض ومنهم بالرفع والنصب ، وقرأ (ملك) على وزن سهل وقرأ ملكي باشباع كسرة الكاف ، وقرأ (ملك) على وزن عجل وقرأ فعلاً ماضياً ، وقرأ (مالك) بالنصب . وقرأ بالنصب والتثنين وقرأ بفتح الكاف والتثنين ، وقرأ (مالك) بالرفع والاضافة ، وقرأ (ملك) لفيعيل . وقرأ (مالك) بالأملة البليغة . ورد على الزمخشري في تفضيله الملك على المالك^(١٧) .

ويختار قراءة معينة فهو مثلاً اختار قراءة الرفع في (الحمد لله) لدلالة الجملة الاسمية على الثبوت والدوام^(١٨) . وفي قراءة زيد بن علي (ت ١٢٢ هـ) لكلمة (مطهرة) مطهرات في آية (ولهم فيها أزواجاً مطهرة) قال : إن هذه القراءة أولى استعمالاً رغم أن الكل صحيح^(١٩) .

(١٤) المصدر السابق ١٧٥/١

(١٥) المصدر السابق ١٧١/١

(١٦) المصدر السابق ١٧٦/٦ ، ١٧٧

(١٧) المصدر السابق ٨٣/١

(١٨) المصدر السابق ٧٥/١

(١٩) المصدر السابق ٢٠٥/١

ويفضل لغة قريش في التابوت على لغة الانصار (تابوه) . وهو
الذى أمر عثمان رضي الله عنه بكتابته (٢٠) .

ويفضل أحياناً قراءة على قراءة ، لأنها أوفق بفواصل الآيات ، فقد قرأ
أبو رجاء (ت ٣٣٥ هـ) (رشداً) بضم الراء واسكان الشين ، والذى عليه
الجمهور فتح الراء والشين . وهو المختار عنده لأنها أوفق بالفواصل السابقة
مثل عجب (٢١) .

ولا يلتزم الألوسي برأي جمهور السبعة دائمًا . ففي قوله تعالى (الله
يعلم حيث يجعل رسالته) قرأ أكثر السبعة (رسالته) بالجمع ولكنه مشى
على قراءة (رسالته) (٢٢) وفي قوله تعالى (فعميت عليكم) قرأ الجمهور
بفتح العين وتحقيق الميم أي مبنياً للفاعل ، ولكنه فضل قراءة الشدة أي
(فعميّت) بضم العين وكسر الميم المشددة أي مبنياً للمجهول (٢٣) وكذلك في
قراءة وأما الذين سعدوا ففي الجنة خاذلين فيها) فقد قرأ حمزة والكسائي
وحفص (سعدوا) بالبناء للمجهول فاختارها على رأي الجمهور الذي قرأ
بالبناء للفاعل (٢٤) . وكذلك خالف الجمهور في قراءة تساقط عليك
رطباً جنباً) حيث قرأوا (تساقط) بفتح التاء من فوق وشد السين (٢٥) .

ويعلل الألوسي قراءات معينة تعليلاً نحوية وصرفية . ففي قوله
تعالى (أخرج مذعوماً) قال : وقرأ الزهري (ت ١٢٤ هـ) مذوماً بذال
مضمومة وواو ساكنة وفي احتمالات الاول ان يكون مخففاً من المهموز بنقل

(٢٠) المصدر السابق ١٦٨/٢ .

(٢١) المصدر السابق ٢١١/١٥ .

(٢٢) روح المعانى ٢٢/٨ .

(٢٣) المصدر السابق ٣٩/١٢ .

(٢٤) المصدر السابق ١٤٥/١٢ .

(٢٥) المصدر السابق ٨٥/١٦ .

حركة الهمزة الى الساكن ثم حذفها والثاني ان يكون من ذام بالالف كتاب
وكان قياسه على هذا مذيم كمبيع الا انه ابدلت الواو من الياء على حد قولهم
(مكول) في مكيل^(٢٦) .

وهو في معالجته لمختلف شؤون القراءات يمشي على قاعدة واحدة ،
وهي انه اذا اصطدمت كتابة الخط في المصحف الامام مع قواعد اللغة يرجح
ما في الامام على سيل التزوم^(٢٧) .

ويعتبر القراءة حتى لو لم ترد فيه قاعدة ، اذ القراءة هي التي تقوم
بقاعدة ما دامت قد وصلت اليها عن طريق التواتر ولذلك فانه شن على
الزمخشري هجوماً قوياً ، لانه أخضع القراءة لقواعد النحوية ورفض كل
قراءة خالفة^(٢٨) . ويقول الآلوسي ان النقل بالتواتر اثبات علمي ، بينما
قول النحاة نفي ظني ، ولو سلم عدم التواتر فأقل الامر ان ثبتت لغة بنقل
العدول ، وترجح بكونه اثباتاً ، فادعám الراء في اللام الذي يرفضه الزمخشري
روى عن أبي عمرو ومن رواه عنه أبو محمد البزيدي وهو امام في النحو
امام في اللغة امام في القراءات ، وأجازه الكوفيون ايضاً ، وهؤلاء ليسوا بأقل
من البصريين^(٢٩) .

ويدافع الآلوسي دفاعاً شديداً عن القراءات ، ويحشد الادلة على
صحتها ، ويرمي المنكري من النحاة بالجهل والغفلة . فقد قرأ يحيى بن
وثاب والاعشن وحمزة (بمصرخي) بكسر الياء على الاصل في التخلص
من القاء اساكين . فانكر هذه القراءة كثير من النحاة منهم الفراء
وابو عيد والاحفشن والزجاج والزمخشري ، فرداً الآلوسي هذا الانكار

٢٦) المصدر السابق ٩٦/٨ .

٢٧) المصدر السابق ١٣٤/٤ .

٢٨) الكشف ١/٢٥٣ . ٠ منهج الزمخشري ١٧٧-١٧٩ .

٢٩) روح المعاني ٣/٦٦ .

بقوله (وقد قلد هؤلاء الطاغين جماعة) ثم نقل أقوال العلماء عن هذه القراءة المتواترة عن السلف وأشار أن ذلك لغة أهل الموصى ، وكثير من الناس إلى اليوم . ثم قال (وبالجملة لا ريب في صحة تلك القراءة ، وهي لغة فصيحة ، وقد روى أنه تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث بدء الوحي ، وشرح حاله عليه الصلاة والسلام لورقة بن نوفل رضي الله تعالى عنه فانكارها محض جهالة) ^(٣٠) .

ويدخل الآلوسي في مناقشات عنيفة قوية مع غير هؤلاء من التحويلين ، فهذا البرد (ت ٢٨٦ هـ) يشنع على حمزة وهو أحد القراء السبعة في قراءته (والأرحام) بالجر . فيرد الآلوسي بقوله (لم يقل حمزة هذا من نفسه ، فلقد أخذ ذلك بل جميع القرآن عن سليمان بن مهران الاعمش والأمام بن أعين ومحمد بن أبي ليلى (ت ١٤٨ هـ) وجعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨ هـ) . وكان حمزة هذا صالحًا ثقة في الحديث) ثم نقل عن أبي حنيفة وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) ويحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ) أقوالهم في حمزة ، وهي غلبة حمزة الناس في القراءة والفرائض ، وأخذ جماعة من العلماء عنه ، وتتلذذهم عليه . ثم قال إن حمزة لم ينفرد بهذه القراءة ، بلقرأ به ابن مسعود وابن عباس وابراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ) والحسن البصري وقتادة ومجاحد كما نقله ابن يعيش . وبعد تثبيت هذه القراءة من ناحية الرواية انتقل الآلوسي إلى الناحية النحوية فيها ، وذكر أن زعم امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين ولا يجب تبعده ، ونقل رأي أبي حيان الذي أكد أن مذهب البصريين غير صحيح بل الصواب مذهب الكوفيين . اذ ورد ذلك في لسان العرب نسرا ونظموا إلى ذلك ذهب ابن مالك ثم ذكر تخریج ابن جنی في هذه القراءة ونقل ذکر الزمخشری لذلك في احاجیه ^(٣١) .

(٣٠) روح المعاني ١٣ / ٢١٠ .

(٣١) المصدر السابق ٨ / ٣٣ .

وكذلك رد الآلوسي الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) عندما قال ان قراءة حمزة والاعمش ويحيى بن وثاب (ولايتهما) بالكسر في الآية الكريمة (ما لكم من ولایتهم من شيء) خطأ . بقوله (وهو المخطئ فقد تواترت القراءة بذلك ، وجاء في اللغة الولاية مصدرها بالفتح والكسر وهم لقنان فيه بمعنى واحد ، وهو القرب الحسي والمعنوي كما قيل ، وقيل بينهما فرق فالفتح ولاية مولى النسب ونحوه ، والكسر ولاية السلطان ونسبة ذلك الى ابى عبيد وابى الحسن . وقال الزجاج هي بالفتح النصرة والنسبة وبالكسر الاмарة^(٣٢) .

وفي معرض دفاعه الحار عن القراءات ، وكونها نقلت اليانا عن طريق التواتر يرفض رواية طالما استشهد بها الطاغون في القراءات للوصول الى آرائهم . فقد أخرج ابو عبيدة في فضائل القرآن عن هشام بن عروة عن أبيه قال (سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن لحن القرآن في قوله تعالى (إن هذان لساحران) وفي قوله تعالى (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) وفي قوله تعالى (والذين هادوا والصابئون) فقلت (يا أبا أخي هذا عمل الكتاب اخطؤ الكتاب)^(٣٣) .

قال الآلوسي : فهذا الخبر ظاهرة طعن صريح في هذه القراءات ، ولذلك وجه بعض العلماء بأن قولها : اخطؤ على معنى اخطؤ في اختيار الاولى من الاحرف السبعة لجمع الناس عليه . لا ان الذى كتبوا ذلك خطأ لا يجوز^(٣٤) .

وأراد الآلوسي ان يهدم هذا الخبر من أساسه فمهد له اولا بقوله -

(٣٢) المصدر السابق ٣٨/١٠ .

(٣٣) المصدر السابق ٢٢١/١٦ .

(٣٤) روح المعاني ٢٢٣/١٦ .

(وهذا مشكل جدا ، اذ كيف يظن الصحابة اولا انهم يلحوظون في الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء اللد ، ثم كيف يظن بهم ثانيا الغلط في القرآن الذي تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم كما انزل ، ولم يأْلوا جهدا في حفظه وضبطه واتقانه ، ثم كيف يظن بهم ثالثا اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته ، ثم كيف يظن بهم رابعا عدم تبديهم ورجوعهم عنه ، ثم كيف يظن بهم خامسا الاستمرار على الخطأ وهو مروي بالتواتر خلفا عن سلف ولو ساع ذلك لارتفاع الوثوق بالقرآن ^(٣٥) . ثم يخلص الآلوسي بعد عرض آراء النحويين في اعراب الآية إلى رأيه الخاص فيقول (والذى اجنب إليه والعاصم هو الله تعالى - تضييف جميع ما ورد فيما فيه طعن بالتواتر ولم يقبل تأويلا ينشرح له الصدر ، ويقبله الذوق وان صححه من صحيحه ، والطعن في الرواية أهون بكثير من الطعن بالاتمة الذين تلقوا القرآن العظيم الذي وصل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأْلوا جهدا في اتقانه وحفظه) ثم يقدم ممسكه في رفض هذه الرواية بقوله (وقد ذكر أهل المصطلح أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال الراوى كأن يكون مناقضا لنص القرآن أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعي أو صريح العقل حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل ، أو لم يتحمل سقوط شيء فيه يزول به المحذور ، فلو قال قائل بوضع بعض هاتيك الاخبار لم يبعد ، والله تعالى أعلم) ^(٣٦) .

والحق ان الآلوسي قوي الحجة في مناقشة منكري بعض القراءات ، وسبب ذلك ، سيطرته التامة على وجوه القراءات ، فهو عندما يريد عليهم بما يقول ، يأتي بالحجج النقلية والعقلية متابعة ، ويسد كل باب على الرأي

^(٣٥) المصدر السابق ٢٢١/١٦ .

^(٣٦) المصدر السابق ٤٦/١٠ .

المقابل ، ويقنع القاريء بوجهة نظره . واطلاع الآلوسي الواسع على علم الرواية وطرقها ، ومعرفته الجيدة بالجرح والتعديل على طريقة المحدثين ، مكنته من رد كافة الروايات الضئيفة التي يتشبت بها المنكرون ، وهو جرى في ذلك ايمما جرأة ، والمثال الذى مرّ بنا قبل قليل يمثله اجل تمثيل فى هذه الناحية . انه لا يكتفى بالرد على المنكرين فقط ، وانما يرميهم بالجهل وعدم الالام بالموضوع الذى يعالجونه ، ويأتى بالادلة على ذلك ، فهو كثيرا ما يشير ان أمثال الزمخشري والبرد ليسوا من فرسان حلة القراءات ، وتوثيق وتجريح الرجال ، ولا جله فمن الخطأ في المنهج ان يعتمد الانسان على اقوالهم ويبنى عليها آراء خطيرة .

ان مرونة الآلوسي اللغوية وال نحوية ، وأخذه من جميع المدارس الت نحوية ، على الرغم من ميله الى الكوفيين ، جعله لا يتعصب لرأي معين وانما ينظر الى القضية كطالب حق . ولذلك فإنه يأخذ من الكوفيين والبصريين وغيرهم .

ان عددا من النحوين رفضوا قراءات معينة لأنها تخالف قواعد البصريين مثلا في الت نحو ، وهذا خطأ في نظره اذ ان البصريين لا يمثلون وحدتهم اللغة العربية .

ثم انه منطقي جدا عندما يقول ان القرآن لا يمكن ان يقاس على القواعد التي وضعها النحاة ، او جماعة منهم ، وانما هذه القواعد هي التي يجب ان تقاس على القرآن .

انه من الغريب ان يضع الت نحو قاعدة معينة على قول انتقل اليه سماعا ، ثم يرفض قراءة معينة انتقلت اليها عن طريق علماء ثقات مختصين بفن الرواية في القراءة علماء عدول شهد لهم الآخرون بالعلم والضبط . فكيف نرفض قراءاتهم لمجرد مخالفتها لقاعدة نحوية بنيت ايضا على رواية سمعانية قد تكون أضعف بكثير من الرواية الاولى .

ومع تمسك الآلوسي الشديد بكل ما روى من القراءات نراه يرفض أحياناً بعض القراءات ، ففي قوله تعالى (أَنَّ اللَّهَ بِرِّيٌّ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) قال : وعن الحسن انه قرأ بالجر على أن الواو للقسم وهو كالقسم بعمره صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه (لِعُمْرِكَ) وقيل يجوز كون الجر على الجوار وليس بشيء . وهذه القراءة لعمري موهمة جداً وهي في غاية الشذوذ ، والظاهر انها لم تصح ^(٣٧) .

ويرد الآلوسي بعض الروايات المروية عن الشيعة . فقد حكى الطبرسي عن الباقر أنه قرأ الآية (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) جاهد الكفار بالمنافقين قال (وَأَظُنُّ ذَلِكَ مِنْ كَذْبِ الْإِمَامَيْةِ، عَامِلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعْدَهُ) ^(٣٨) . ومن تمام الآلوسي في القراءات انه يقارب ان يقرب بينها دائماً ، ففي قوله تعالى (إِنَّ لَنَا لِأَجْرٍ) قال ويحتمل أن يكون الكلام على حذف اداة الاستفهام وهو مطرد ، ويؤيد ذلك أنه قرأ ابن عامر وغيره (أئن) بابيات الهمزة وتوافق القراءتين اولى من تخالفهما ^(٣٩) .

ويفسر قراءة بقراءة اخرى ، ففي قوله تعالى (فَلَوْلَا كَانَتْ) قال لولا هنا تحضيرية فيها معنى التوبخ ، ويشهد لذلك قراءة أبي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهمما (فهلا) ^(٤٠) .

ونظرًا لاحاطة الآلوسي بالقراءات ، وحسن عرضه لها ، ومناقشة المنكريين لبعضها مناقشة علمية رصينة قوية ، اعتمد عليه الباحثون في نقل القراءات عنه ^٠

(٣٧) روح المعاني ٢٨/٢٦٢ .

(٣٨) المصدر السابق ٩/٢٤ .

(٣٩) المصدر السابق ١١/١٩١ .

(٤٠) مذاهب التفسير الإسلامي ١١ . العاشية . انظر . (عبدالقادر المغربي) تفسير جزء تبارك ٧٤ ، ١٢١ .

٨ - موقفه من الاسرائيليات :

الاسرائيليات اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الاسلام على القصص والاخبار اليهودية والنصرانية التي تسررت الى المجتمع الاسلامي بعد دخول جمع من اليهود والنصارى الى الاسلام أو ظواهراً لهم بالدخول فيه . وهذا اللون من ثقافة هؤلاء دخلت الى الكتب التي لا تشتد في التحقيق والرواية ، وم معظم هذه القصص تمثل الجانب الخرافى من تلك الثقافة المخالفة لقواعد المنطق ، وقوانين الحياة (٤١) .

ويعلل العلامة ابن خلدون دخول هذه الاخبار والقصص بقوله (والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلت عليهم البداعة والأمية ، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء مما تشوقوا إليه التفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبده الخلقة وأسرار الوجود ، فانما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم . ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يؤمّنون بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرّفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية . فلما اسلمو بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، مثل اخبار بدء الخلقة ، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم ، وأمثال ذلك . وهؤلاء مثل كعب الاحبار ، ووهد بن منيه ، وعبد الله بن سلام وأمثالهم . فامتلاّت التفاسير من المقولات عنهم وفي أمثال هذه الأغراض اخباراً موقوفة عليهم . وليس مما يرجع إلى الأحكام فتحري فيها الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤا الكتب بهذه المقولات (٤٢) .

(٤١) التفسير والمفسرون ١٦٥/١

(٤٢) مقدمة ابن خلدون ٩٩٧

ويسمى الآلوسي أصحاب الاسرائيليات د (أرباب الاخبار) ولا ينقـ.
 بهؤلاء الاخباريين (٤٣)، ويرفض رفضاً باتاً قبول روایاتهم، ويتنـى لو لم
 ترد في كتب المسلمين وذلك في معرض عرضه لما أخرجه ابن جرير وابن
 أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في قصة المرأة التي جاءت إلى عائشة
 (ر) بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فائلة أن زوجها غاب عنها، فدخلت
 على عجوز فشكـت إليها، فقالـت إن فعلـت ما أمرـك أجعلـه يأتيك، فلما كان
 الليل جاءـتها بكلـين أسودـين فركـبت أحدهـما وركـبت هي الآخر، فلم يكن
 كشيء حتى وقـنا بـبابـل، فإذا بـرجلـين معلـقـين بـأرجـلـهما فـقالـا: ما جاءـ بكـ
 فقالـت: أتعلـم السـحر فـقالـا إنـما نـحن فـتنـة فلا تـكـفـري وارجـعـي فـابتـ وقالـت لاـ
 قالـا فـاذـهـبـي إـلـى ذـلـكـ التـنـورـ فـبـولـيـ فـيهـ فـذـهـبـتـ فـبـالتـ فـيـهـ، فـرـأـتـ فـارـساـ
 مـقـنـعاـ بـحـدـيدـ خـرـجـ مـنـهـ حتـىـ ذـهـبـ إـلـىـ السـمـاءـ، وـغـابـ عـنـهـ حتـىـ مـاـ رـأـيـهـ،
 فـجـاءـهـماـ وـذـكـرـتـ لـهـماـ فـقـالـاـ صـدـقـتـ ذـلـكـ اـيمـانـكـ خـرـجـ مـنـهـ) ويـقـولـ الآـلوـسـيـ
 إنـ اـتهـامـ الـمـرـأـةـ أـوـلـىـ مـنـ اـتـهـامـ الـعـقـلـ فـقـولـ هـذـهـ الـحـكـيـةـ الـتـيـ لـمـ يـصـحـ فـيـهـاـ
 شيءـ عنـ رـسـولـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ (٤٤).

وفي سـبـيلـ توـضـيـحـ عـداـوةـ الآـلوـسـيـ لـلـاخـبـارـ وـالـاسـرـائـيلـياتـ نـقـلـ نـمـاذـجـ
 منـ معـالـجـتـهـ لـهـذاـ المـوـضـوعـ الـخـطـيرـ الذـىـ أـفـسـدـ عـدـدـاـ مـنـ كـتـبـ التـقـسـيرـ فـهوـ
 يـنـكـرـ الـرـوـاـيـاتـ الـتـيـ ذـكـرـهـ الـاخـبـارـيـونـ فـيـ مـاهـيـةـ الـبـيـتـ وـقـدـمـهـ وـحدـوـثـهـ،
 وـمـنـ أـيـ شـيـءـ كـانـ بـأـيـهـ، وـكـمـ مـرـةـ حـجـةـ آـدـمـ، وـمـنـ أـيـ شـيـءـ بـنـاهـ إـبـراهـيمـ
 وـمـنـ سـاعـدـهـ عـلـىـ بـنـائـهـ، وـمـنـ أـيـنـ أـتـىـ الـحـجـرـ فـوـبـيـنـ إـنـ هـذـهـ الـاخـبـارـ لـيـسـ
 لـهـ سـنـدـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـلـاـ السـنـةـ الـنـبـوـيـةـ فـضـلـاـ عـنـ تـنـاقـصـهـ فـيـ ذـاتـهـاـ (٤ـ٥ـ).
 وـهـوـ يـحـاطـ كـثـيرـاـ فـيـ الـاعـتمـادـ عـلـىـ الـاخـبـارـ الـتـيـ تـرـوـيـ عـنـ تـعـدـ الـأـوـادـمـ قـبـلـ.

(٤٣) روح المعاني ٢/١٦٨، ١٦٨/١٢.

(٤٤) المصدر السابق ١/٣٤٣.

(٤٥) روح المعاني ١/٣٨٤.

آدم وزمنه والمدة بينه وبينبعثة النبوية وعمر العالم الذي قدره بعضهم بسبعين
آلف سنة (٤٦) .

ويرد بعض هذه الاخبار من الناحية اللغوية ، كما جاء أن آدم قال
شعرًا في رثاء هابيل فلم يزل ينتقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان ، وكان
يتكلم العربية والسريانية ، فنظر فيه قدم وأخر وجعله شعراً عربياً . وهذا
يشك الآلوسي في هذا ويقول من الأولى إلا ينسب إلى يعرب لما فيه من
الركاكة الظاهرة (٤٧) .

وفي رواية أن الملائكة مرت على موسى بعد أن خر صعقاً على الجبل ،
فلكزوه بأرجلهم وقالوا يا ابن النساء الحسين اطمعت في رؤية رب العزة .
قال الآلوسي : وهو كلام ساقط لا يعول عليه بوجهه (٤٨) .

ولا يكتفي الآلوسي بالأخبار التي يوردها وإنما ينبه إلى اختراع
الأخباريين لكتير من الأسئلة والأجوبة التي دارت بين موسى ورب العالمين
ـ فيقول (وللقصاص أخبار كثيرة موضوعة في أسئلة موسى عليه السلام ربه
ـ وأجوبته جل شأنه له ، لا ينبغي لسلم التصديق بها) (٤٩) .

وأخرج ابن حجر وغيرة عن ابن حريج أنه قال : بلغني أنبني
ـ إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا ، وكانوا أنبي عشر سبطاً ، تبرأ سبط منهم
ـ مما صنعوا ، واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ، ففتح الله تعالى
ـ لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك
ـ حنفاء يستقبلون حنفاء . وروى أبو الشيخ أن الله تعالى أجرى معهم نهرًا ،
ـ وجعل لهم مصباحاً من نور بين أيديهم . وإن أرضهم التي خرجوا إليها

(٤٦) المصدر السابق ١٨١/٤ .

(٤٧) المصدر السابق ١١٥/٦ .

(٤٨) المصدر السابق ٤٦/٩ .

(٤٩) المصدر السابق ٥٦/٩ .

تجمع فيه الهوام والبهائم والسباع مختلطين ، وان النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم ليلة المراج · ومعه جبريل عليه السلام وأمنوا به وعلمهم الصلاة · قال الآلوسي (ولا أظنك تجد لها سندًا يعول عليه ، ولو ابغيت نفقا في الأرض أو سلما في السماء)^(٥٠) ·

ويسوق الآلوسي الروايات الاسرائيلية مفصلا ، وكأنه يريد ان يطلع على ما ورد فيها من الاكاذيب التي لا يمكن ان يصدقها عقل سليم ، ثم ينقل أقوال العلماء في تفنيدها · فلقد نقل فيما يسمى (عوج بن عنق) تفنيدا لابن القيم ، اثنا فيه ان تكون هذه الروايات صحيحة ، ونص على انها من وضع زنادقة اليهود ، واستنكر على بعض أهل العلم ادخالها في كتبهم^(٥١) ·

ومن هذا الباب ايضا رفضه لمن تكلم بالارقام عن عمر الكون والارض وما مضى منها وما بقي ، ومبدأ النشأة الانسانية ومدة بقائها في هذا العالم · وقدر زمان لبثها في البرزخ ، ويقول كل ذلك من الغيبات التي لا يعلمه إلا الله ، وان جميع ما ورد فيها أمور ظنية ، لا سند يعول عليه لاكثرها^(٥٢) · ومنه ايضا رفضه لكثير من الروايات المروية عن كيفية موت سليمان التي يعتبر غير صحيحة · وحديث خرافه^(٥٣) ·

والعجب ان الآلوسي يأتى الى بعض القصص الاسرائيلية فينكر ظاهرها ثم يفسرها تفسيرا باطينا بعيدا كل البعد عن الحق وروح الاسلام ففى الآية الكريمة (وما انزل على الملائكة) نقل قصة اسرائيلية انكرها علماء المسلمين تنص على ان الملائكة تعجبت من مخالفةبني آدم وقالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك فقال اختاروا ملائكة من الارض فاختاروه مما فهبطوا الى

(٥٠) المصدر السابق ٨٤/٩ ، ٨٥ ·

(٥١) روح المعاني ٦/٨٦ ·

(٥٢) المصدر السابق ٩/١٣٥ ·

(٥٣) المصدر السابق ٢٢/١٢٣ ، ١٢٤ ·

الارض ومثلا بشرين فحكما بين الناس فافتتا بأمرأة يقال لها زهرة فطلباها فامتنعت الا ان يبعدا صنما او يشربا خمرا او يقتلوا نفسها ففعلا ، ثم تعلمت منهما ما صعدت به الى السماء فصعدت ومسحت هذا النجم وأرادا العروج فلم يمكنهما ، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما الان يعذبان فيها .

وعلى الرغم من انكار الآلوسي على بعض العلماء لأخذهم بظاهر القصة اعتبرها هو من الرموز والاسارات . فقال : يراد من الملوكين العقل العملي والعقل النظري اللذان هما من عالم القدس ، ومن المرأة المسماة بالزهرة ، النفس الناطقة ، ومن تعرفهما لها تعليمها لها ما يسعدها . ومن حملها اياهما على المعاصي تحريفهما اياهما بحكم الطبيعة المزاجية الى الميل الى السفليات المدنسة لجوهريهما ومن صعودهما الى السماء بما تعلمت منهما عروجها الى الملا الاعلى ومخالطتهما مع القديسين ، بسبب اتصاحها لنصحهما ومن بقائهما مشغولين بتدبير الجسد . وحرمانهما عن العروج الى سماء الحضرة^(٤) .

ولا ادرى سامحه الله كيف اعطي هذه القصة مدلولا رمزا وهي خرافية . وهو نفسه انكر ظاهرها .

عجب الآلوسي اذا كانت القصة موجودة فكيف ينكر ظاهرها ؟ وان لم تكن موجودة فكيف اعطتها ذلك المدلول ؟ والحق ان رواسب الصوفية عند الآلوسي - كما اشرنا اليها سابقا او قطته في مثل هذه الغلطة الكبيرة . ومع رفض الآلوسي الشديد للسراويليات والقصص والاخبار الخرافية ، يفوته احيانا خبر اسرائيلي ففي تفسيره لعصا موسى نقل بأن المشهور انها آس من الجنة طولها عشرة اذرع طول موسى عليه السلام ،

(٤) المصدر السابق ١/٣٤٠ ، ٣٤١ .

لها شعبان تقدان في الظلمة توأرثها صاغرا عن كابر حتى وصلت إلى شعيب ومنه إلى موسى عليه السلام . ونقل أيضا أن عددهم أثناء انتشاره كان ستمائة ألف ما عدا دوابهم ، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا^(٥٥) . ولقد استغرب السيد رشيد رضا كيف فات الآلوسي وهو القادة الكبير مثل هذه الاخبار حتى لجأ إلى تأويل بعضها لصالح كعب الاخبار^(٥٦) .

٩ - موقفه من المسائل الاعتقادية :-

يتبَعُ الآلوسي في مسائل العقيدة السلف من الصحابة والتابعين ، فهو يجري في تفسيره الآيات المتعلقة بهذين الموضوعين على ظواهرها بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، والتأكيد أن الله ليس كمثله شيء ، وإن صفاته تعالى ليست كصفات البشر وإنما تليق بذاته الكريمة^(٥٧) . وهو عند تعرضه للغيبيات ينقل الآراء حولها ، ويتحفظ في قبولها ، ويكل الأمر في حقيقتها إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتبَعُ في ذلك مذهب السلف وهو التسليم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم^(٥٨) .

انه يحذر دائما من التأويل بمثل قوله (وانت تعلم أن الاسلام ترك التأويل ، فانه قول على الله تعالى من غير علم . ولا نؤول الا ما اوله السلف)، وتبعهم فيما كانوا عليه ، فان اولوا اولنا وان فوضوا فوضنا ، ولا نأخذ تأويلهم لشيء سلما لتأويل غيره^(٥٩) .

(٥٥) روح المعاني ١/٢٧٠ .

(٥٦) المثار ٩/١٨٤ ، ١٨٥ .

(٥٧) روح المعاني ١/٦٠ ، ٦١ .

(٥٨) المصدر السابق ١/٢٠٠ .

(٥٩) المصدر السابق ٢٧/١٦٨ .

ولا بد لنا لتوضيح وجهته هذه ان نضرب بعض الامثلة من تفسيره •
 فهو يرفض تأويل صفة الغضب ، ويرجع ذلك الى ما كان يؤمن به سلف
 الامة من ان هذه الصفة لائقة بجلال ذاته لا تعلم حقيقتها وكيفيتها وهى
 صفة لله سبحانه وتعالى (٦٠) • وفي قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده)
 حمل الآية على الفوقيه ، وحشد لذلك آثارا كثيرة مروية عن السلف ، ثم
 اتبعه بعض الادلة العقلية كالقول بأن الله تعالى لما خلق الخلق لم يخلقهم
 في ذاته المقدسة تعالى عن ذلك ، فانه الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ،
 فتعين انه خلقهم خارجا عن ذاته ، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات مع
 انه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفًا بضد ذلك (٦١) • وفي قوله
 تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيمهم الله في ظلل من الغمام) قال : بالمعنى اللاقى
 به جل شأنه منها عن مشابهة المحدثات والتقييد بصفات المكبات (٦٢) • وفي
 قوله تعالى (فلما تجلى للجبل) قال (أي ظهر له الوجه اللاقى بجنابه تعالى
 مدركا) (٦٣) •

وفي مسألة وجود الله في السماء أورد أن الرازى رد القائلين أن الله
 تعالى في السماء ، ورد احتجاجهم بما اشعرت به الآية على ذلك وسماتهم
 المشبهة ثم قال : والبحث في ذلك طويل المجال والحق مع السلف عليهم
 رحمة الملك المتعال وحاشاهم ثم حاشاهم من التشبيه (٦٤) •

ويناقش الآلوسي مذهب الخلف القائم على التأويل لآيات الذات
 واصفات مناقضة منطقية طريقة فيقول في ختام كلامه عن الآية الكريمة

(٦٠) المصدر السابق ٩٥/١

(٦١) المصدر السابق ١١٥/٧

(٦٢) المصدر السابق ٩٨/٢

(٦٣) المصدر السابق ٤٥/٩

(٦٤) روح المعاني ٧٠/٢٤

(ثم استوى على العرش) وأنت تعلم أن المشهور من مذهب السلف في مثل ذلك تقويض المراد إلى الله تعالى ، ففهم يقولون استوى على العرش ، على الوجه الذي عنده سبحانه منزها عن الاستقرار والتمكن ، وأن تفسير الاستواء بالاستيلاء تفسير مرذول ، إذ القائل به لا يسعه أن يقول كاستيلاثا بل لا بد أن يقول هو استيلاء لائق به عز وجل ، فلليل من أول الأمر هو اس تواء لائق به جل وعلا^(٦٥) .

وبالرغم من انه يذهب مذهب السلف في منع التأويل فانه يبيح المجاز اذا اتفق واساليب العرب في الكلام . وهو يصرح في كل مناسبة بان التأويل القريب الى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا يأس به عنده كقوله تعالى (وسائل القرية التي كنا فيها) قال وسؤال القرية عبارة عن سؤال اهلها^(٦٦) .

ويدخل الآلوسي في معارك شديدة مع المعتزلة والخوارج والمدارس الكلامية التي لا يؤمن بأرائهم في مسائل العقيدة . وهو اشد ما يكون خصومة مع الاولين اذ يدخل معهم في جدال عنيف مفتدا آراءهم في كل مناسبة كرأيهم في فعل العباد وارادة الله والذات والصفات والحسن والقبح العقليين . ففي تفسيره لقوله تعالى (ما كانوا ليؤمنوا) يتطرق الى مسألة مهمة كثرا حولها الجدال بين المذاهب الكلامية ، وهو فعل العبد خالقه هو ام الله سبحانه وتعالى ، فالمعتزلة على أن قدرة العبد مؤثرة باذن الله تعالى استقلالا ، أي ان العبد خالق لافعاله ، والأشعرى على انهما غير مؤثرة ، ولا تأثير لاختياره ولا يلزم الجبر ، والجبرية نفوا الارادة بالكلية . والآلوسي على ان العبد له استعدادات ذاتية غير مجعلة في الأزل^(٦٧) .

(٦٥) المصدر السابق ١٣٤/٨

(٦٦) المصدر السابق ١١٦/٧ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ٣٨/١٣

(٦٧) المجعل هو صورها الوجودية الحادثة

فمنها ما تقتضى اختيار اليمان ومنها ما يقتضى اختيار الكفر ، فالعلم الآلهي متعلق بها كاشف لها على ما هي عليه في انفسها من اختلاف استعداداتها ، فإذا تعلق العلم الآلهي بما اختاره العبد بمقتضى استعداده ، فيصير على ذلك مراد العباد بعد تعلق الارادة الآلهية مراد الله تعالى . اذن فالعبد مساق الى ان يفعل ما يصدر عنه باختياره لا بالجبر والاكراء . ان ارادة الله عزوجل شأنه لم تتعلق بما صدر عنها من الافعال الا لكونهم اختاروها اولاً بمقتضى استعدادهم فاختارها تعالى مراعاة للحكمة . والعباد على هذا كاسبون بالله تعالى ، اذ لا كسب الا بقوه ، ولا قوه الا بالله العلي العظيم . ويقول الآلوسي ان غرضه هو ان يتحقق ان عدم ايمان الكفار انما هو لسوء استعدادهم الأزلي الغير المجعل المتبع للعلم المتبع للارادة^(٦٨) . وقد رد بنفس هذا المعنى في آية (لا مبدل لكلماته) على الرازى الذى قال ان هذا أحد الاصول القوية في اثبات الجبر^(٦٩) .

ويتبع الآلوسي في مسألة الأجل ايضا جمهور أهل السنة ففي قوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) عرض الرأى بالأجل الواحد وبالاجلين ، وذكر من قال بالأول ومن ذهب إلى الثاني ، ثم رجح الأول بقوله (والحق ان ما في العلم الأزلى المتعلق بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر لا يتغير ويجب ان يقع كما علم والا يلزم الانقلاب ، وما يتبادر منه خلاف ذلك اذا صحي مؤول وخبر الصدقة تزيد في العمر قيل انه خبر آحاد فلا يعارض القطعيات^(٧٠) .

ويشغل الآلوسي بالرد على المعتزلة ، وبيان ما ذهبو اليه ، وعلى الاخص

(٦٨) روح المعاني ٤-٢/٨ .

(٦٩) المصدر السابق ١١/٨ .

(٧٠) المصدر السابق ١٧٨/٢٢ .

في تفسير الآيات التي ينم ظاهر بعضها على الجبر وبعضها على الاختيار ، ويتجاوز احيانا حدود الدائرة العلمية في جرح شخصياتهم ويتهمهم بالضلاله^(٧١) .

ويتطرق بمناسبة تفسيره لقوله تعالى (من استطاع اليه سبيلا) الى القدرة . وهي الاستطاعة التي تكون مع الفعل والتي يكون بها الفعل ، فينقل لنا رأى الاشعري الذي ينص على ان القدرة مع الفعل بمعنى انها توجد حال حدوثه . وتعلق به في هذا الحال ، ولا توجد قبله فضلا عن تعلقها به قبل حدوثه . ويقول الآلوسي : الحق عندي في هذه المسألة ان شرط التكليف هو القوة التي تصير مؤثرة باذن الله تعالى عند اضمام الارادة التابعة لارادة الله تعالى لقوله سبحانه (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وهذه قبل الفعل والقدرة هي مع الفعل وهي القدرة المستجمعة لشراط التأثير التي من جملتها اضمام الارادة^(٧٢) .

وفي تفسيره لقوله تعالى (قال رب ارني انظر اليك قال لن تسراى) نقل لنا كلاما مفصلا عن رأي أهل السنة في الرؤية ، فالآلية في رأيهم تدل على امكانها . ورأى المترنلة ان الرؤية مستحيلة ، ثم اورد ادلة كلا الفريقين التقليدية والعقلية ، والمناقشات التي دارت بين جهابذتهم في التاريخ . ويدهب الآلوسي مذهب اهل السنة في جواز الرؤية في الدنيا بوضع غير هذا الوضع المادى الذي عليه الانسان ، ومطلق جوازه في الآخرة ، ويقول انه هو نفسه رأى ربه في منامه ثلاث مرات . ثم يبين ان الحق الذي لا يحيص عنه ان موسى عليه السلام لم يحصل له ما سأله ربه في هذا الميلقات ، قال والذي اقطع به انه نال مقام قرب النوافل والفرائض الذي يذكره الصوفية بالمعنى

(٧١) المصدر السابق ٨/١٠٨ ، ١٠٩ ، ٩٧ ، ٢٥/٩ . انظر ايضا ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ٢٢٣/١٤٠ .

(٧٢) المصدر السابق ٤/٤-٨ ، ١٠-

الذى يذكرونہ كيما كان (٧٣) .

واما قول المعتزلة فى ايجاب عدم صدور القبح من الله سبحانه وتعالى ، فالآلوسى يستنكره . ففى تفسيره لقوله تعالى (لو أردنا ان نتخذ لهوا الاتخذناه من لدننا ان كنا فاعلين) يقول : والحق عندي ان العبث لكونه تقاصا مستحيل فى حقه تعالى فتركه واجب عنه سبحانه ، ونحن وان لم نقل بالوجوب عليه تعالى لكننا قائلون بالوجوب عنه عزوجل . وهذا مذهب الماتريدية ويرفض الآلوسى ايضا ما يقوله المعتزلة فى ان مغفرة الله مشروطة بالتوبة ، فمن لم يتبرأ لا يجوز ان يغفر له اصلا . ويقول ان مغفرة الله وتعذيبه غير مقيدتين بشيء فهو المالك له ان يفعل ما يشاء . ولو كانت مغفرته مقيدة بالتوبة وتعذيبه بالظلم لم يكن فاعلا لما يشاء بل لما تستدعيه التوبة أو الظلم . وهذا هو مذهب الجماعة الذى يتحمس له (٧٤) .

ويذهب الآلوسى مع الجمهور الى ان الصفات زائدة على الذات خلافا للمعتزلة (٧٥) . ويوافق مذهبهم ايضا فى ان الله يعلم الاشياء قبل وجودها الخارجى . وهو يخالف بذلك المعتزلة الذين قالوا ان الله تعالى يعلم الاشياء بعد حدوثها (٧٦) .

وسلفية الآلوسى فى العقيدة تظهر واضحة فى تفسيره لقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) فهو يؤكّد أن التوسل بمعنى الدعاء لاشك في جوازه ان كان المطلوب حيا ، ولا يجوز ذلك ان كان ميتا لانه لم يردد عن السلف الصالح ذلك .

(٧٣) المصدر السابق ٤٦/٩ - ٥٤ .

(٧٤) روح المعاني ٥١/٤ ، ٥٢ .

(٧٥) المصدر السابق ١١٢/٤ .

(٧٦) المصدر السابق ٢١٢/١١ .

ويذهب الآلوسي مع ابن تيمية الى منع التوسل بالذات والقسم على الله تعالى بأحد من خلقه فإذا وجد ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاد ، ومع ذلك فإن الأقسام به عليه السلام على ربه غر شأنه حيا أو ميتا مما لم يقم النص عليه .

وينكر الآلوسي اشد الانكار على بعض المسلمين دعوتهم لمن لا يضر ولا ينفع ، وطلبهم من اهل القبور من نحو شفاء المريض واغماء الفقير ورد الصالحة وتيسير كل ميسر ويكتب كل ما استند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول في تفسير قوله تعالى (حتى اذا كتم فى الغلك وجرى بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم احيط بهم دعوه الله مخلصين له الدين) وانت خبير بان الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع فمنهم من يدعوا الخضر والياس ومنهم من ينادي آبا الخميس والعباس ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة . ومنهم من يصرع الى شيخ من شيوخ الامة ولا ترى فيهم احدا يخص مولاه بتضرعه ودعاه ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الاهوال (٧٧) .

ويستقل الآلوسي بتفكيره في طائفة من المسائل . ففي تفسيره لقوله تعالى (وانزل من السماء ماء فاخراج به من الشمرات رزقا لكم) نقل رأى الاشاعرة الذين يقولون ان (به) سببية عادية . فلا تأثير في الحقيقة للماء في الارجاع وإنما المخرج هو الله ، وبنوا على هذا أن الذي يعتقد بان الله اودع قوة البرى في الماء فقد فسق . ورفض الآلوسي هذا الرأى بشدة لمصادمته لمبدأ الاسباب والمسبيات . فانكار الاسباب في رأيه جحود للضروريات وقدح في العقول والفتراء . فإذا كان الله خالق السبب والمسبب ،

وهما طوع مشيئته فاي قدح يوجب ذلك في التوحيد ، وأى شرك يترب
عليه . ولو لم تكن في النار قوة الاحراق ما احرقت ، ولايهم الآلوسي ان
يتقد ما قرره مع رأى خصومه المعتزلة . فالحق كما يقول احق ان يتبع ،
والحكمة ضالة المؤمن (٧٨) .

وعلى الرغم من تقليده للحنفية منذ توليه الافتاء ، نراه يعارضها في بعض المسائل الكلامية ، ففي قوله تعالى (و اذا تلیت عليهم آياته زادتهم ایمانا) قال وهذا احد ادلة من ذهب الى ان الايمان يقبل الزيادة والنقص ، وهو مذهب الجم الغیر من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، وبه أقول لکثرة الطواهر الدالة على ذلك من الكتاب والسنة من غير معارض لها عقلا . ومذهب ابی حنفیة أن الايمان لا يزيد ولا ينقص .

ومجمل القول ان الالوسي سلفى العقيدة ، يتبع مذهب جمهور اهل السنة فى مسائل الكلام التفريعية مع الاستقلال فى الرأي ، واتباع الحق ان اقتضى ذلك منه رد رأيه الخاص . وهو خصم عينه ، ومجادل بارع للمعتزلة ، يفتد آراءهم ، ويزيف عقائدهم . ولو جمعنا مناقشاته وردوده على المعتزلة فقط من تفسيره لكان كتابا مستقلا .

١٠ - موقفه من المسائل الفقهية :-

يذكر الالوسي في تفسيره المسائل المتعلقة بالفقه واصوله ومذاهبه بالتفصيل . وهو عند معالجته لموضوع معين . يعرض ادلة العلماء والمذاهب ثم يضع نفسه حكما يفند ويرجح ويختار . فمثلا عند تفسيره للآلية الكريمة (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) . ذكر رأي ابى حنيفة في الساحر وانه لا تقبل توبته . ويقتل اذا علم انه ساحر حقيقة ،

ودليله في ذلك أن جارية لأم المؤمنين حفصة سحرتها فأخذوها فاعترفت بذلك فأمر عبد الرحمن بن زيد فقتلها وما روى عن عمر انه قال اقتلوا كل ساحر وساحرة ، فقتلوا ثلاث سواخر ٠ وأما الشافعية فقالوا انه لا يقتل ولديهم ان الرسول ما قتل اليهودي الذي سحره والظاهر ان الآلوسي لا يميل الى قتله ان تاب ، اذا لم تترتب عليه نتيجة كأهلak نفس ٠ ثم يدخل في نقاش مع الرازي الذي يقول (اتفق المحققون على ان العلم بالسحر ليس بقيح ولا محظوظ لأن العلم لذاته شريف ، ولو لم يعلم السحر لما امكن الفرق بينه وبين المعجزة) ونقل الرازي عن بعضهم ان الفتى عليه ان يتعلم السحر حتى يعلم ما يقتل به وما لا يقتل به ، فيقتني به في وجوب القصاص ، والحق عند الآلوسي في هذه المسألة التحرير تبعاً لرأي الجمهور ، فيرد على الرازي بقوله :

آ - ان السحر ليس قبيحاً لذاته بل لما يترتب عليه ، فتحريم من

باب سد الذرائع ٠

ب - ان توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع ، واكثر العلماء عرفوا بينه وبين المعجزة دون العلم به ، فلو كان تعليماً لرأينا أعلم الناس به الصدر الاول ٠ وليس الأمر كذلك ٠

ج - ان الفتى لا يحتاج في القصاص إلى معرفة السحر ، لأن شهود

شاهدان عدلين على ما ذكره العلامة ابن حجر كاف لذلك ^(٧٩) ٠

ويتطرق الآلوسي إلى آراء مذاهب متعددة في أكثر الأحيان ٠ فقد نقل مثلاً اختلافاً فقهياً في المسافر هل يصوم أم يفطر ٠ فذكر أن أبا حنيفة ومالكاً على أن الصوم واجب ، والشافعي وأحمد والأوزاعي الفطر واجب ،

(٧٩) روح المعاني ١/٣٣٩ ، ٣٤٠ ٠ راجع أيضاً على سبيل المثال ١٥٦/٢ ، ١٥٧ ، ٥/٥ ٠

ومذهب الظاهيرية والامامية وجوب الافطار ، وعدم صحة الصوم ، ونسب هذا الرأى الى ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وجماعة من الصحابة^(٨٠) .
وفي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) قال والحاصل أن الامام الاعظم يقول بالمنع عن الحج والعمرة ، ويحمل النهي عليه ، ولا يمنعون من دخول المسجد الحرام وسائل المساجد عنده ، ومذهب الشافعى واحمد ومالك رضى الله تعالى عنهم كما قيل فى الخازن انه لا يجوز للكافر ذميا كان أو مستائما أن يدخل المسجد الحرام بحال من الاحوال فلو جاء الرسول من دار الكفر والامام فيه ، لم يأذن له فى دخوله بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارجه^(٨١) .

ويعرض الآلوسى فى خلال عرضه للآراء الفقهية رأيا منسوبا الى احد الفقهاء ، ثم يبين ان هذا الرأى هو مخالف لمشهور ما روى عنه . فقد حكى الطحاوى والحاكم والخطيب ان الشافعى لما سئل فى اثنان الرجل فى دبر المرأة فقال ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فى تحليله ولا فى تحريمه شيء ، والقياس انه خلال . هنا يبين ان هذا خلاف ما نعرف عن مذهب الشافعى ، فان رواية التحريم عنه مشهورة ، فلعله كان يقول بذلك فى القديم ورجع عنه فى الجديد لما صح عنده من الاخبار أو ظهر له من (فاتوا حرثكم أنى شتم)^(٨٢) .

ويذهب الآلوسى مذهب ابى حنيفة فى مسائل كثيرة . ففي تفسيره لقوله تعالى (فلا جناح عليه ان يطوف بهما) نقل الاختلاف حول مشروعية

(٨٠) المصدر السابق ٥٨/٢ .

(٨١) المصدر السابق ٧٧/١٠ .

(٨٢) روح المعانى ١٢٥/٢ .

السعي بين الصفا والمروة حيث يقول احمد بانه سنة • والشافعی ومالك على
 انه رکن وأبو حنيفة قال انه واجب لأن الرکنية لا تثبت الا بالدليل المقطوع ،
 وذهب الآلوسي الى الاخير • وهو يدافع عن رأي الحنفية ، ويبطل ما قاله
 المخالفون له في مسائل فقيه تفسيره لقوله تعالى (واتموا الحج و العمره)
 قال (والحق ان الآية لا تصلح دليلا للشافعية ومن وافقهم كالمامیة علينا •
 وليس فيها عند التحقيق أكثر من بيان وجوب اتمام افعالهما عند التصدی
 لادائهما ، وارشاد الناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك
 من الاصصار ونحوه من غير تعرض لحالهما من الوجوب وعدمه • وبعد
 قليل دافع عن رأي الحنفية ايضا من أن (أحصرتكم) عام لما يعم كل من من
 عدو ومرض وغيرهما وساق الاحاديث لذلك ، ودفع القول المروي عن ابن
 عباس (لا حصر الا حصر العدو) بما رواه ابن جریر وابن المنذر عنه في
 تفسير الآية انه قال (من أحرم بحج أو عمرة أو حبس عن البيت بمرض
 يجهده ، أو عدو يحبسه ، فعليه ذبح ما استيسر من الهدي) وقال الآلوسي
 ان ابن عباس كما خصص في الآية الاولى عم في هذه الآية ، وهو أعلم
 بموقع التزيل ^(٨٣) • وفي مسألة الطلاق الثلاث أقر رأي الامام ابي حنيفة
 الذي يقول بوجوب ايقاع الطلاق الثلاث اذا جمع بلفظ واحد الا واحدة ،
 واحتيجوا بآية (الطلاق مرتان فامساك بمعرفه أو تسريح باحسان) وقياسا
 على شهادات اللعن ورمي الجمرات وتمسكا بما أخرجه مسلم وأبو داود
 والنسائي والحاکم والیمیقی عن ابن عباس رضی الله تعالی منهما قال (كان
 الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلی الله عليه وسلم وأبی بکر وستین من
 خلافة عمر واحدة فقال عمر (إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيها
 آنة فلو أمضيتم عليهم فامضوا) ^(٨٤) وفي تفسيره لقوله تعالى (اذا قرئ

• ٨١) المصدر السابق ٢/٨٠ ،

• ١٣٩) المصدر السابق ٢/

القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلمكم ترحمون) يذهب مع ابى حنيفة فى عدم القراءة خلف الامام خلافاً للشافعى الذى قال بوجوب قراءة الفاتحة ، والامام مالك الذى قال بعدم القراءة عند الجهر وبها عند الاسرار ^(٨٥) .

ويتعصب الآلوسي لابى حنيفة حتى يؤدى به الامر الى ان يصف الفقيه الاندلسي ابن حزم بالضال لانه عارض ابا حنيفة بشدة فى بعض ما ذهب اليه ^(٨٦) .

ومع ان الآلوسي يقول صراحة ان مذهبة هو الحنفية ويدافع عنه ، يستكرر التعصب الى المذهب ومعاداة المذاهب الاخرى ^(٨٧) . ويرى انه لا يأس على من قلد غير مذهبة ، وان لم يكن هناك أمر ماس ما لم يحصل بذلك تلقيق ^(٨٨) . ويقول فى تفسيره بصراحة (وما على) اذا خالفت فى بعض المسائل مذهب الامام ابى حنيفة رضي الله تعالى عنه للادلة التي لا تکاد تتحقق ، فالحق أحق بالاتباع ، والتقليد فى مثل هذه المسائل من سنن العوام ^(٨٩) .

وفي مخالفة أحد فقهاء مذهبة الذى ذهب الى جواز نسخ ما ثبت بالكتاب بالاجماع بناء على ان الاجماع حجة قطعية قال (وليس بصحيح من المذهب) ^(٩٠) . اورد ذلك فى وجه سقوط المؤلفة قلوبهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وانطلاقاً من هذه القاعدة فانه يدافع عن الامام الشافعى دفاعاً عظيماً فى موضع عدة ففي مسألة تحليمة متروك التسمية من الذبائح نقل

(٨٥) المصدر السابق ١٥٣ ، ١٥٠ / ٩ .

(٨٦) المصدر السابق ٢٠٧ / ٤ .

(٨٧) شهي النغم ٣٥ .

(٨٨) نشوة الشموخ ٨٧ .

(٨٩) روح المعانى ١١٧ / ٩ .

(٩٠) المصدر السابق ١٢٢ ، ٥٠ / ١٠ .

قول جمع من العلماء الذى نص على انه مخالف للجماع ثم قال (والحق عندي أن المسألة اجتهادية ، وثبتت الاجماع غير مسلم ولو كان ما كان خرقه الامام الشافعى واستدلاله على مدعاه على ما سمعت لا يخلو من مтанة وقول الاصفهانى كما فى المستضفى ، أفحش الشافعى حيث خالف سبع آيات من القرآن ثلاث منها في سورة الانعام الاولى (فَكُلُوا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) والثانية (وَمَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) والثالثة (وَلَا تَأْكُلُوا مَا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وثلاث في سورة الحج الاولى (لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْاَنْعَامِ) والثانية (وَلَكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كَا لَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوْافِ) وآية في المائدة (فَكُلُوا مَا امْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) من الفحش فى حق هذا الامام القرشى ، ومثاره عدم الوقوف على فضله ، وسعة علمه ، ودقته نظره)^(٩١) .

وهنالك مسائل عده يذهب فيها الآلوسي بمذهب الامام الشافعى ففي تفسيره لقوله تعالى (ولا يضر بن بارجلون اعلم ما يخفين من زيتهمن) قال (والمذكور في معتبرات كتب الشافعية ، واليه أميل ان صوتهم ليس بعوره فلا يحرم سماعه الا ان خشى منه فتنة)^(٩٢) . وفي مسألة العدة يذهب مع الامام الشافعى الى ان العدة تكون بالاطهار مخالفًا للامام ابي حنيفة الذى يجعله في الحيض^(٩٣) . ونرى احيانا انه يزيين بعض أقوال الامام الشافعى ، ويعرض أدلةه بالتفصيل بما يشعر انه يميل اليه^(٩٤) .

والدلائل تشير الى ان الآلوسي كان معجبًا بمذهب الامام الشافعى ،

(٩١) المصدر السابق ١٥/٨ - ١٧

(٩٢) المصدر السابق ١٨/١٤٦ - ١٠١/٢٤

(٩٣) المصدر السابق ٢٨/١٢٩

(٩٤) المصدر السابق ٢٦/٤١

فكلما اتصل الامر بمسألة من مسائل فقهه وتابعه من العلماء ، بسط أدلةهم ،
وعظم قائلها ، واعترف بقوة تلك الادلة^(٩٥) .

وللآلوي نظرات محكمة في مسائل الفقه والاصول ، فهو يعتقد انه
لا يشترط في الاجماع اتفاق كل الامة منذبعث الرسول صلى الله عليه وسلم
إلى قيام الساعة ، ولا عبرة بمخالفة الشذوذ والمبتدعين ^{هـ} في شرح الآية
الكريمة (فانكحوا ما طاب لكم من النساء متنى وثلاث ورابع) اعتبر الاجماع
قائما على الحصر في الاربع على الرغم من ذهاب أحد من الناس على جواز
الاطلاق^(٩٦) . ويرد على الذين استبدلوا الآية الكريمة (واطيعوا الله
واطعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله) على
انكار القياس بقوله (والحق ان الآية دليل على اثبات القياس بل هي متضمنة
لجميع الادلة الشرعية ، فان المراد باطاعة الله العمل بالكتاب وباطاعة الرسول
العمل بالسنة وبالرد اليهما القياس . لان رد المختلف فيه الغير معلوم في
النفس الى المتصوّص عليه انه يكون بالتمثيل والبناء عليه . وليس القياس
شيئاً وراء ذلك)^(٩٧) . وفي آية تحريم الخمر عرض للخمر وأنواعه وبين
آراء الفقهاء لابي حنيفة وابي يوسف ومحمد والشافعي والوزاعي
والمعزلة ، وفي النيد وفيما طبخ نصفه أو ثلثاه فهم مختلفون في ذلك ، ثم
بين رأيه فيما ذكر فقال (وعندی أن الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ان
الشراب المتخد مما عدا العنب كيف كان وبأي اسم سمي متى كان بحيث
يسكر من لم يتعوده حرام – وقليله كثيرون – ويحد شاربه ويقع طلاقه
ونجاسته غليظة) ثم ساق احاديث تؤيد وجهة نظره^(٩٨) .

(٩٥) الاجوبة العراقية على الاستئلة الايرانية ١٦١ ، ١٦٣ .

(٩٦) روح المعاني ١٩٢/٤ .

(٩٧) المصدر السابق ٦٧ ، ٦٦/٥ .

(٩٨) المصدر السابق ١١٣ ، ١١٢/٢ .

وللآلوي معالجات قوية لمشاكل تشرعية وقانونية برزت الى الوجود في زمانه ، وهي احلال القوانين الاوربية محل الشرعية الاسلامية ، ورأيه ان ما يرجح من هذه القوانين الى ما يتعلق بسوق الجنوس وتعبيتهم وتعليمهم ما يلزم في الحرب ، وما يتعلق باحكام المدن والقلاع ، ونحو ذلك لا بأس به في أكثره ، وكذا ما يتعلق بجزاء ذوى الجنايات التي لم يرد فيها عن الشارع حد مخصوص بل فوض التأديب عليها الى رأي الامام كأنواع التعازير . واما ما يتعلق بالحدود الالهية كقطع يد السارق ورجم الزاني المحض وما فصل في حق قطاع الطرق من قطع الابيدي والارجل من خلاف وغيره مما فصل في آيتهم الى غير ذلك ، فظاهر أمره دخوله في حكم المحاربة لله ورسوله . واما ما يتعلق بالمعاملات والعقود فان كان موافقا لما ورد عن الشارع يسميه شرعا ولا يسميه قوانين واصولا ، وان لم يكن موافقا لذلك كالحكم في اعطاء الربا لزعم أنه تعطل مصالح الناس لو لم يحكم بذلك ، فهو حكم بغير ما انزل الله . ومحمل رأى الآلوسي ان ما كان موافقا لعمل الرسول وخلفائه الراشدين فذاك وما كان مخالفا لعمل الخلفاء الصادر منهم باجتهاد . فان كانت مخالفته الى ما هو اسهل واففع للناس نظرا الى زمانهم فهو مما لا يأس فيه . وان كانت مخالفته الى ما هو اشق فيه بأس . ولا يتردد في ختام بحثه في تكفير الذين يفضلون القوانين الجديدة في زمانه على الشرعية^(٩٩) .

وقد يسأل القارئ عن هذا التناقض الظاهري بين ادعاء الآلوسي انه حنفي المذهب وبين مناصرته للشافعي ودفاعه عنه ، وتقليله له في عدد غير قليل من المسائل . والجواب ان الذى يقرأ تفسير الآلوسي يوقن انه لم يكن حنفيا ولا كان شافعيا ولا متبعا لمذهب معين ، وانما كان مستقل الرأى

والتفكير يتبع أقوى الأدلة عنده ، ولا يتعصب قط في الحقيقة لذهب بкамله
وانما قد يتعصب للرأى الذى ظهرت صحته عنده من ذلك المذهب . ولذلك
فانه يدافع مرة بحرارة عن رأى للحنفية ، ومرة أخرى يدافع عن رأى
للشافعية وهكذا .

أما ظاهره باتباع الحنفية فيعود إلى أنه كان مفتى الحنفية . مذهب
الدولة الرسمى ، فلم ير - تبعاً لعدم ايمانه بالتعصب لمذهب معين - بأسا
في ذلك .

والحق أن الآلوسي لم يخف اتجاهه الحقيقى فى تفسيره كونه مفتيا
حنفيا .

ان ظروف زمانه لم تسمح له باعلان تحرره من المذاهب المشهورة ،
وانما ترك ذلك لفطنة القراء . وبناء على هذا فالذى يقرأ فقط الاجزاء الاولى
من تفسيره يحكم بأنه حنفى المذهب نظراً لظهوره بذلك ، وكانت عند قراءتي
لتلك الاجزاء قد حكمت عليه بهذا وظننت انه كان حنفياً حقيقة ، ولكنني
كلما تقدمت في قراءة تفسيره ظهرت لي الحقيقة وانكشفت امامي اجواء
جديدة من اتجاهات هذه العقلية الناضجة ، فتراجعت عن الرأى الذى
كونته لنفسى على الاجزاء الاولى ، وبدأت اعتقد تماماً ان رأىي السابق كان
خطأً ، وان الصحيح هو ان الآلوسي كان متبعاً للحق ، باحثاً عنه ، لا يهمه
ان وقع عليه في هذا المذهب أو ذاك .

ان الآلوسي في تفسيره غامض بعض الشيء لمن لا يمعن النظر في
ربط اجزاء التفسير بعضها بعض . فهو يعرض الحق والباطل ، ولكن
الباحث يستطيع الحكم بقليل من النظر المتخصص انه كان مع الحق ، يحبه ،
ولكنه لا يستطيع اظهاره في كل حين ، مع انه يزينه للمتأمل بصورة
واضحة .

ان الذين تصدوا الى مذهب الآلوسي لم يصبووا الهدف تماما ، لأنهم لم يقرؤوا تفسيره كله ، وهذا هو الخطأ في النهج الذي اوقعهم في خطأ آخر ، وهو انه كان شافعي المذهب اولا ثم تعصب للحنفية^(١٠٠) .

ان دراسة الآلوسي القوية ، للاحاديث النبوية الشريفة من حيث الرواية والجرح والتعديل هي التي كونت عنده هذا الاتجاه ، ووضعت يده على مواضع الضعف والقوة في آراء الفقهاء ، فأخذ ما أخذ عن اقتناع ، ورفض ما رفض عن بينة .

ان الآلوسي لو تأخر ظهوره ، وعاش في ظروف غير الظروف التي عاش فيها لكان صريحا في كل شيء . ولكننا نستطيع بسهولة أن نقول انه كان سلفي الاتجاه في كل مسألة من مسائل الدين ، ولكن هذا الاتجاه عنده قد غلبه باسلوب معين منسجما مع ظروف زمانه ، واحوال مجتمعه .

١١ - موقفه من التصوف :

سبق أن أشرنا الى ان الآلوسي كان متصلا بالنقشبندية ، ودرس التصوف على شيخها خالد النقشبendi . ولذلك فإنه في تفسيره يتطرق في مناسبات كثيرة الى التصوف ، وينقل عن كبار المتصوفين آرائهم في مختلف نواحي الحياة الروحية وغيرها كالشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ ابن عربي والشيخ عبد الكريم الجيلي والامام الغزالى والجنيد البغدادى وشيخه خالد النقشبendi^(١) .

(١٠٠) المنار ١/٩٠ وعلى الرغم من هذا فإن صاحب المنار لا يسعه إلا أن يعترف بأن الآلوسي كان نزاعا إلى استقلال الفكر في كثير من مسائل الدين . انظر ١/٩٢ .

(١) روح المعاني ١/٨١ ، ١٧٠ ، ١٥٥/٤ ، ١٥٦ ، ١٠٧/٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٠١/٢٢ .

والجدير بالذكر انه قد درس نتاج هؤلاء بعمق ، فهو يلخص اقوالهم فيعرضها باسلوب ينم على انه هضمها حتى ان القارئ قد يظن انها له وإنما هي لهم تصرف فيها بمهارة^(٢) .

والآلوي يؤمن بالكشف طریقا من طرق المعرفة ، وهو من المعتقدين ان شیوخ التصوف وفي مقدمتهم الذين ذكرناهم ، لهم اقوال ومقامات تتکشف لهم فيها اسرار لا نستطيع انكارها . فقول ابن عربي ومن حذا حذوه من الصوفية بعدم الخلود في رأى الآلوسي بنى على تجل لم ينکشف له . لأن الكثرين منهم يبنون كلامهم على اصطلاحات ورموز واسارات قد حال بيننا وبين فهمها العوائق الدنيوية والعالائق النفسانية ، وعلى الرغم من انه يعتقد بأن ادعاء عدم الخلود قد يؤدي الى نفي الاحکام الشرعية ، وتعطيل النبوت ، الا انه لا يطعن في اقوال من قال به من أهل التصوف ، لأن طريقتهم في فهم حقائق الوجود في نظره صحيحة . وكلما وجدنا لهؤلاء شيئا يجب ان نسلمه لهم بالمعنى الذي أرادوه مما لا نعلم نحن^(٣) .

ان الآلوسي يناقش المفكرين على من تحل في رأيه بالصفات الالهية فيقول (اذا سمعوا شيئا من اهل الله تعالى مخالف لما عليه مجتهدوهم ردوه وقالوا زيف وضلال واعتمدوا في ذلك على مجرد تلك المخالفة ظنا منهم ان الحق منحصر فيما جاء به احد اولئك المجتهدين) ويضيف أن المجتهد له شروط معلومة تهيئة لاستنباط الاحکام كذلك هنالك مجتهد آخر شرطه تصفية النفس وتزكيتها وتخليقها بالخلق الرباني وتهيئها واستعدادها لقبول العلم من الله تعالى^(٤) .

(٢) المصدر السابق ٧٥/٥ ، ٧٧ .

(٣) المصدر السابق ١٤٢/١ ، ١٤٣ .

(٤) المصدر السابق ١١/١٧٧ .

وهو جريحا مع الصوفية يؤمن بما يسمونه الاقطاب والاوتد والابدال والنقباء والنجباء^(٥) وهو يؤمن بكرامة الاولياء ولا يشترط في الولي صدور الكرامة منه كما يشترط في الرسول صدور المعجزة ويكتفي الاستقامة كرامة ، والولي عنده هو المتبع للشرعية الغراء وسلوك المحاجة البيضاء فمن خرج عنها قيد شبر بعد عن الولاية بمراحل ، فلا ينبغي ان يطلق عليه اسم الولي ولو اتى بألف ألف خارق^(٦) . وهو يؤمن ايضا ان ما وقع للانبياء يقع للاولياء الكمال فتشكل الملائكة الذي وقع للرسول صلى الله عليه وسلم يقع مثله للاولياء على الرغم من كونه وراء العقل^(٧) .

ويتكلم الآلوسي في بعض المباحث عن نظرية وحدة الوجود ، فهي في نظره ما وراء طور العقل ومن الاسرار الالهية التي حفظت عن رسول الله ، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم اخفى شيئاً مما لا يتعلّق به مصالح العباد في رأي الصوفية^(٨) . وهذه النظرية لا تقتضي ترك الصلاة واتباع الشهوات وتعطيل الشرائع واستحلال المحرمات . والذين قالوا بذلك لم يفهموا مرام ما جاء في كتب كبار الصوفية^(٩) .

وعلى الرغم من هذا فإنه ينبغي على خطر القول بوحدة الوجود من حيث تناقضه ، فهو يقول (وهذه الوحدة هي التي حارت فيها الانفاس وخرجت لعدم تحقيق امرها رقاب من ربقة الاسلام)^(١٠) . وفي معرض استشهاده بيضى ابن عربى :

(٥) المصدر السابق ١١/١٧٨ .

(٦) المصدر السابق ١١/١٧٩ .

(٧) المصدر السابق ١/٢٩٠ .

(٨) روح المعانى ٦/١٩٠ .

(٩) المصدر السابق ٧/٧ .

(١٠) المصدر السابق ٢٥/٨ .

ما آدم في الكون ما ابليس
ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل اشارة وانت المعنى يا من هو لقلوب مغناطيس (١١)
يقول (واكثر كلامه قدس سره من هذا القبيل بل هو أم وحدة
الوجود وابوها وابنها وأخوها وأياك أن تقول كما قال ذلك الأجل حتى
تصل بتوفيق الله إلى ما إليه وصل) (١٢) .

وقد نجد شيئاً من التناقض في أقوال الآلوسي بشأن وحدة الوجود ،
في هذه العبارة مثلاً ينم ظاهرها على استئثاره الشديد لتلك النظرية (نسأل الله
تعالى أن يمن علينا ب الصحيح الشهود) ويحفظنا بجوده عما علق بأذهان
الملاحدة من وحدة الوجود) (١٣) .

ويدافع الآلوسي عن الصوفية ، ويرد على الذين قالوا ان مصطلحات
الصوفية تحوم حول كلمات النصارى بقوله (ان هؤلاء لا اطلاع لهم على
تحقيق كلامهم ولا ذوق لهم في مشاربهم) وينكر ان الصوفية قالوا
بالتجمسيم . ويقول بأن هنالك فرقاً بين الحلول عند النصارى والمجل له أو
المظهر له عند الصوفية . واما ما وقع في كلامهم من الحلول فانه يرجعه الى
ان للقوم مقامات واحوالاً لا تصل اليه افهمانا) (١٤) .

وأيمان الآلوسي بالحقيقة المحمدية والتعين الأول واضح في تفسيره
لـ (الله) (١٥) . وظاهر كلامه انه من المؤمنين على ان لحرروف كلمة (الله)
اسراراً ورموزاً لا يعرفها الا الصوفية الذين هم على حد زعمه أعرف منا
بمثل هذه المعاني . وقد أعجب الآلوسي ايما اعجاب بيان ابن عربي لأسرار

(١١) في البيتين خروج واضح على الوزن العروضي .

(١٢) المصدر السابق ٢٥/١٠ .

(١٣) المصدر السابق ٢٥/٨ .

(١٤) المصدر السابق ١٧/٦٩ ، ٧٠ .

(١٥) المصدر السابق ١/٥٢ .

هذه الحروف في كتابه (الفتوحات المكية) ^(١٦) .

هذا هو رأي الآلوسي في بعض النواحي النظرية من التفكير الصوفي ،
أما من الناحية العملية فإنه يشن حملة شديدة ضد طرق التصوف في زمانه
ففي تفسيره لقوله تعالى (ويقولون سيعذر لنا) قال (وهذا هو حال كثير من
متصوفة زماننا فانهم يتهاقرون على الشهوات تهاافت الفراش على النار ويقولون
ان ذلك لا يضرنا لأننا واصلون ^(١٧) .

ويقول الآلوسي (وذكروا أن في الدنيا موازين أيضاً وأعظم موازينها
الشريعة وكفالة الكتاب والسنة ، ولعمري لقد عطل هذا الميزان متصوفة
هذا الزمان اعاذنا الله تعالى وال المسلمين مما هم عليه من الضلال أنه عزوجل
المفضل بأنواع الأفضال ^(١٨) . ويهاجم أحياناً أصحاب طريقة معينة كما
فعل في المتنسين إلى الشيخ احمد الرفاعي ووصفهم بالفسق الذين كادوا
لكثرة فسقهم أن يكونوا كفاراً ، وإنكر عليهم ما يأتون به من دخول النار
والضرب بالسلاح ^(١٩))

وكذلك يهاجمهم في استعمالهم لبعض المصطلحات التي يعتبرها سوء
أدب مع الله تعالى فيقول (واشنع من ذلك ما يفعله أبناء المتصوفة ومردتهم
أنهم قبحهم الله تعالى اذا اعرضوا عليهم بما اشتمل عليه نشيدهم من الباطل
يقولون يعني بالخمر المحبة الالهية وبالسكر غلبتها وبمية وليلي وسعدى
مثلاً المحبوب الاعظم وهو الله عزوجل ، وفي ذلك من سوء الادب ما فيه
(والله الاسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في اسمائهم) ^(٢٠)

(١٦) المصدر السابق ٥٨/١ .

(١٧) المصدر السابق ١١٠/٩ .

(١٨) روح المعانى ٥٧/١٧ .

(١٩) المصدر السابق ٦٩/١٧ ، ٧٠ .

(٢٠) المصدر السابق ٧٣/٢١ .

ويرد الآلوسي أقوال بعض الصوفية الذين قالوا ينبغي على الصوفي ان يكون ملبيه خشنا وطعامه لطيفا بانه خلاف المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار اصحابه رضي الله عنهم ^(٢١) .

ويوضح الآلوسي الذين يدعون الولاية بقوله (ولا اعني بالآولياء الكاملين سوى من تحقق لدى المنصرين موافقتهم للشرع فيما يأتون ويدررون دون الذين يزعمون اتقامهم في سلوكهم وهم اولياء الشيطان ، وحزبهم ، حزبه ، كبعض متصوفة هذا الزمان ، فإن الزنادقة بالنسبة اليهم انتقاميون موحدون كما لا يخفى من سير احوالهم) ^(٢٢) .

وي Kend كذلك قول الصوفية بان هؤلاء يتصرفون في الموجودات تصرف الذكور في الاناث بقوله (كلام بشع تنبض منه كثيرة من كلام المتصوفة قلوب المقتفين للسلف الصالح) ^(٢٣) .

والحق ان الباحث عن موقف الآلوسي من التصوف يجد شيئا من العسر في تحديد موقفه هذا تحديدا دقيقا لانه خلط في هذا الموضوع بين الحق والباطل ، فتارة يعظم ابن عربي وتارة يهاجمه ، ويؤمن ببعض آرائهم وب Kend ببعضها الآخر . ونحن في سبيل تحديد هذا الموقف نحاول ان نفترض الافتراضات الآتية ثم نرجح الذي تقوم الأدلة على ترجيحه :

١ - قد يقرأ انسان بعض نتائج الآلوسي ثم تقع عينه على احترامه الكبير لكبار مشايخ الصوفية ، وايمانه ببعض آرائهم ، وتأويلاته لبعضها الآخر ، فيقول ان الآلوسي كان صوفيا . وهذا الرأي مرفوض عندي تماما بعد أن قرأت تراث الآلوسي كله ، لأن الآلوسي يرفض كثيرا من آراء متقدمي

(٢١) المصدر السابق ٢٦٠/١٥ .

(٢٢) المصدر السابق ١٤/٥٤ .

(٢٣) المصدر السابق ٢٢/١٠١ .

الصوفية كابن عربي وابن الفارض وغيرهما ، ويدعو الى عدم الخوض فيها ، ويشير ان أن تراجحها كانت سيئة على المجتمع الاسلامي . ثم انه يشن حملات شديدة على متصوفة زمانه ، ويرميهم بالكفر والفسق والصلالة ، ويستذكر التوسل بغير الله وزيارة القبور كما تبين لنا ذلك في موقف الآلوسي من مسائل الاعتقاد ومسائل التصوف .

٢ - أن نفترض أن الآلوسي لم يكن صوفيا اصلا ، ولم يكن يؤمن بشيء من آرائهم ، ولكنه ظاهر باحترام شيوخهم والتأنويل البعض آرائهم كي يشن عن طريقة أقوى الحملات ضد الصوفية ومقاومتها والقضاء عليها ، وابراز محاسن مذهب السلف عقيدة وشريعة ، وهذا الرأي على وجاهته لا أقول به ، لأن هذا افتراض فقط ولا يسنه دليل مادي ، لأن تأييد الآلوسي لبعض افكار المتصوفين واضح وصريح ، فلا يحق لنا في رأيي ان نحرف كلامه عن مدلوله .

٣ - ان نفترض ان الآلوسي كان سلفيا ومتبعا للكتاب والسنة ، الا انه نظرا لدراسته التصوف ، وانضمامه الى الطريقة النقشبندية ، تأثر ببعض آراء المتصوفين تأثرا شعوريا قويا في بادئ الامر ، ولا شعوريا ضعيفا فيما بعد . ولذلك فإنه نظر في آرائهم فوجد أن بعضها قابل للتأنويل وبعضها لا يخالف الشريعة في رأيه فقبلها ووجد أن أكثر ما يؤمن به الصوفية من آراء في زمانه مخالف للشريعة مخالفة صريحة فحاربه واشتد في تقيده ورده . وهذا ما اميل إليه ، لأن حياته الأولى وتربيته تؤدي إليه . ولأنه متفق مع استقلاله الفكري الذي لاحظناه ، ومنسجم مع طلبه الحق . فهو لم يتمذهب في نضوجه بمذهب معين لا في العقيدة ولا في الشريعة ولا في التصوف ولا في الهيئة كما سنرى ، وإنما كان يأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت ، ويرفض كل ما يعتقد انه مخالف للكتاب والسنة .

ان ما قدمناه من موقف الآلوسي الايجابي والسلبي من آراء الصوفية ،

يقوم دليلاً على ما نذهب إليه هنا ، لانه يماشي منطق الألفاظ والمصطلحات
التي نجدها في كتابات الآلوسي جميعها ٠

١٢ - موقفه من المسائل الكونية :

يعالج الآلوسي في تفسيره كثيراً من المسائل العلمية والكونية عند
تفسيره للآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى
(هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً) ينقل أقوال أهل الهيئة في
معنى الضوء والنور وبعض الظواهر الملحقة بهما كالكسوف والخسوف ٠
وهو لا يجزم بصحة هذه الأقوال ، وعندئذ ان القول به لا يضر بالدين لأن
غالب الاخبار في ذلك لم تصل إلى درجة الصحة ، ومع هذا فهي قابلة للتأويل
بما لا ينافي كلام الفلاسفة ^(٤) ٠ وفي قوله تعالى (فاللهم اصحاب) ذكر
كلاماً طويلاً حول معنى الاصباح وتقسيم الصبح إلى صادق وكاذب ، وعرض
آراء أهل الهيئة في تفسير ذلك علیماً حاصلاً أن الصبح والشفق استنارة
في كرة البخار لتقارب الشمس من أفق المشرق وتباعدها عن أفق المغرب ،
ونقل رأي الإمام الرازى وهو انكار كون الصبح الكاذب من أثر قرص
الشمس ولا من جنس نوره ، وإنما هو بتأليل الله تعالى ابتداء ، ثم ذكر
كلاماً مفصلاً له في شرح وجهة نظره ، وردوده على ابن الهيثم في كيفية
انتشار الضوء على سطح الأرض وقت الاصباح ٠ وانتقل الآلوسي إلى عرض
آراء الفقهاء وبعض السلف في هذه المسألة كقولهم بأن الصبح الكاذب شعاع
يخرج من طباق بجبل قاف ، ولقد اعتبروا أن وراء أرضنا بحراً محيطاً ثم
جبلاً يقال له قاف ثم أرضًا ثم بحراً ثم جبلاً وهكذا حتى عدد سبعاً ٠

ومن الواضح أن الآلوسي في تقريره هذه الأمور الكونية يعتمد على
أهل الهيئة ، فالخبر عن السلف بذلك أن صحة فله حكم المرفوع مما ينبغي

٤) روح المعنى ١١/١٧ ، ٦٩ .

تاویله • استمع اليه يقول (فَانْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَدْ قَطَعُوا دَائِرَةَ الْأَرْضِ عَلَى
مَدَارِ السُّرْطَانِ مَرَارًا وَلَمْ يَجِدُوا أَثْرًا لِهَذَا الْجَبَلِ الْمُحِيطِ الشَّامِلِ) ثُمَّ قَالَ
(وَالَّذِي تَمِيلُ إِلَيْهِ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الصِّبْحِ مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ
الْهَيَّةِ) ^(٢٥) .

وَإِذَا اصْطَدَمَتْ مَقْرَرَاتُ عُلَمَاءِ الْهَيَّةِ مَعَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ رَفِضُوهَا ،
فَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ تَنْصُّ علىَ أَنَّ احْدَى عَلَامَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ طَلَوْعُ الشَّمْسِ مِنَ
الْمَغْرِبِ فَرَفِضُوهَا اَصْحَابُ الْهَيَّةِ ، فَلَمْ يَقْبِلْ مَا قَالُوا لِتَبُوتِ تَلْكُ الْأَحَادِيثِ عَنْهُ
فَهُوَ يَقُولُ فِي هَذَا (وَأَهْلُ الْهَيَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ طَلَوْعَ الشَّمْسِ مِنَ
الْمَغْرِبِ مُحَالٌ ، وَيَقُولُونَ أَنَّ الشَّمْسَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْفَلَكِيَّاتِ بِسَيِّطَةٍ لَا تَخْتَلِفُ
مَقْتَضَيَّاهُ جَهَةً وَحْرَكَةً وَغَيْرَ ذَلِكَ وَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا تَغْيِيرٌ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ
بَنَوْا ذَلِكَ عَلَى مِثْلِ شَفَاعَ جَرْفِ هَارِ) ^(٢٦) .

وَبِرَفْضِ الْآلَوْسِيِّ تَأْثِيرِ الْكَوَافِكِ وَالنَّجُومِ وَالْفَلَوَاهِرِ الْكُوُنِيَّةِ فِي حَيَاةِ
الْإِنْسَانِ خَيْرَهَا وَشَرِّهَا وَصَلَاحَهَا وَفَسَادَهَا وَمَدَةِ لِبَثِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ امْهِ
وَخَرُوجُهِ إِلَى الدُّنْيَا وَعُمْرِهِ وَرِزْقُهِ وَشَقاوَتِهِ وَحَسْنَهِ وَقَبْحِهِ ، وَأَخْلَاقِهِ وَحَذْقَهِ
وَبِلَادَتِهِ وَجَهْلِهِ وَعِلْمِهِ ، وَأَنْقَاسِ الْحَيَّوانِ إِلَى الطَّيْرِ وَأَصْنَافِهِ ، وَإِلَى الْحَيَّوانِ
الْبَحْرِيِّ ، وَأَنْوَاعِهِ ، وَالْبَرِيِّ وَأَقْسَامِهِ ، وَاحْتِلَافُ صُورِ الْحَيَّوانَاتِ فَيَقُولُ
(وَهُوَ مَا لَا يَكَادُ يَصْحُ لَآنَ طَرِيقَ صَحَّتِهِ أَمَّا الْخَبَرُ الصَّادِقُ أَوْ الْحَسْنُ الَّذِي
يُشَتَّرِكُ فِيهِ النَّاسُ أَوْ ضَرُورَةُ الْعُقْلِ أَوْ نَظَرِهِ • وَشَيْءٌ مِنْ هَذَا كَلَمٌ غَيْرُ
مُوْجُودٍ) ثُمَّ يَتَقَلَّ إِلَى عَرْضِ كَثِيرٍ مِنَ الْحَوَادِثِ التَّارِيْخِيَّةِ لِنَقْضِ هَذَا
الرَّأْيِ ^(٢٧) .

وَلَمْ يَكُنْ الْآلَوْسِيُّ يَعِيشُ بِمَعْزَلٍ عَمَّا يَجْرِي مِنْ تَحْقيقِ النَّظَرِيَّاتِ الْعَلْمِيَّةِ

• (٢٥) رُوحُ الْمَعْانِي ٧/٢٢٨ ، ٢٣٢ .

• (٢٦) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٨/٦٣ .

• (٢٧) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٢٣/١٠٥ .

في الغرب ، فقد كان مطلعا على كثير من جوانب علم الفلك الحديث ، ففي تفسيره لقوله تعالى (لا تفتح لهم أبواب السماء) يقول : وظاهر كلام أهل الهيئة الجديدة جواز الخرق والالشام على الأفلاك ^(٢٨) . وفي تفسيره لقوله تعالى (كل في فلك يسبحون) عرض لنظريات القدماء ، ثم قال (وقد ذهب إلى خلافه أهل لندن وغيرهم من أصحاب الارصاد اليوم) ^(٢٩) . وفي تفسيره لقوله تعالى (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) قال (وقد تكلم في ذلك أهل الهيئة الجديدة المداولة اليوم في بلاد الروم وما قرب منها ، فقالوا في كيفية انفجار الصاعقة ، من المعلوم ان انطلاق الكهربائية التي في السحاب وهي قوة مخصوصة في الاجسام نحو قوة الكهرباء التي بها تجذب التبنية ونحوها إليها إنما يحصل باتحاد كهربائية الاجسام مع بعضها فإذا قرب السحاب من الاجسام الارضية طلت الكهربائية السحابية انتخذ بالكهرباءية الارضية فتبجس بينهما شرارة كهربائية فتصعق الاجسام ، وتتفاوت قوة الصاعقة باختلاف الاستحالة البخارية ، فليست في جميع البلاد والفصول واحدة واوضحوا ذلك بكلام طويل من اراده فليرجع إليه في كتبهم ^(٣٠) .

ويتحدث الآلوسي في تفسيره لبعض الآيات عن قوانين الجاذبية وغيرها ^(٣١) . وكان يرصد النجوم بنفسه عن طريق بعض الآلات . فعند كلامه عن مجموعة من النجوم يقول انه رأى منها ما يزيد على ثلاثة كوكبا ^(٣٢) .

وهو يقف امام النظريات العلمية الحديثة موقفا ينم عن قوة شخصيته

• ١١٨/٨ (٢٨) المصدر السابق

• ٤٣/١٧ (٢٩) المصدر السابق

• ١١٤/٢٤ (٣٠) روح المعانى

• ٧/٢٩ (٣١) المصدر السابق

• ١٧/٢٣ (٣٢) المصدر السابق

العلمية ، وعمق تفكيره ، فهو يسلم ببعضهما ويرفض بعضها الآخر (٣٣) كدأبه في كل ما يعالج من الآراء قديمها وحديثها . ولذلك فإنه يرفض قاعدة تطبيق الآيات القرآنية على النظريات العلمية لأن هذه النظريات لا تقوم على الأدلة القطعية (٣٤) .

١٣ - موقفه من أهل الفرق والملل :

يوضح الآلوسي موقفه من أهل الفرق والملل عند تعرضه لآرائهم ومناقشته لها ، وردوده عليها ، وتأني الشيعة في مقدمة من يرد عليهم الآلوسي عقيدة وشريعة وتاريخا . ولو انا جمعنا ردود الآلوسي هذه على الشيعة لحصلنا على مجلد كبير معالجة موضوعية مركزة ، بعيدة عن الاسراف والتعصب ، ففي قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) استدل بعض الشيعة بها على نفي امامية الصديق واصحبيه رضي الله تعالى عنهم ، حيث انهم عاشوا مدة مديدة على الشرك (ان الشرك لظلم عظيم) والظالم بنص الآية لا تزاله الامامة . قال الآلوسي (غاية ما يلزم أنظالم في حال الظلم لا تزاله ، والامامة إنما تالتهم رضي الله تعالى عنهم في وقت كمال إيمانهم وغاية عدالتهم ، انهم اتصفوا بالتوبة الصادقة ، والعدالة المطلقة والإيمان الراسخ ، والامام لا بد ان يكون وقت الامامة كذلك . ومن كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح ان يطلق عليه انه كافر أو ظالم في لغة وعرف وشرع) (٣٥) .

ورد الآلوسي عليهم في استدلالهم بواقعة الغدير التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (من كنت مولاه فهذا علي مولا) فرجع الى أقوال المحدثين ونقل الواقعه بطريق متعددة ثم بين ان الشيعة أضافوا اليها أشياء نثرا وشعرا مما لم يثبت اصلا . وفصل القول في كلمة (مولى) وانها بمعنى المحبة

(٣٣) المصدر السابق ٩٥/١٥ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧١/١١

(٣٤) المصدر السابق ٨/٢٩

(٣٥) المصدر السابق ٢٧٧/١

وليست بمعنى (الأولى) كما زعمت الشيعة ، واستند على بعض أقوال الحسن المشي بن السبط في أن الرسول لم ينص على خلافة علي ، ولو نصه لقاله صريحاً^(٣٦) . ورد لهم أيضاً في استدلالهم بالأية الكريمة (إنما انت منذر ولكل قوم هاد) على أن المقصود به (هاد) علي كرم الله وجهه^(٣٧) . ومن هذه الردود رده عليهم في قولهم بالتقية ، وزعمهم أن علياً وبنيه كانوا يتلون بما جاء من أقوال وروايات في كتبهم كما يأتي :

- ١ - قال علي في نهج البلاغة (علامة الإيمان اشترك الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك)
- ٢ - هنالك روايات تاريخية تقول أن علياً رفع صوته على عمر وعارضه

٣ - نقل عن الكليني الشيعي أن الله عز وجل أنزل على نبيه كتاباً مع جبريل وصية للنجاء ، وهم علي وبنوه ، أمر فيه بعضهم أن يخرجوا بقومهم إلى الشهادة وآخرين بأن يحدثوا الناس ويقتلوهم وينشروا علوم أهل البيت ، ويصدقوا أباءهم الصالحين ، ولا يخافوا أحداً إلا الله . ويقول أن هذه الرواية عنهم واضحة أن هؤلاء ليس دينهم التقية كما تزعم الشيعة .

٤ - لو كان علي ينتقي لما توقف عن بيعة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ستة أشهر . وأما بالنسبة للأنبياء فيرد عليهم قوله تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسوباً) وقوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس) .

ومن ردوده القوية عليهم فيما زعموا في فهم الآية (يوصيكم الله في

(٣٦) روح المعانى ١٩٢/٦ ، ١٩٦ .

(٣٧) المصدر السابق ١٣/١٠٨ .

أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) العموم وعدم الاستثناء ، وطعنوا على ذلك
أبا بكر الصديق في عدم توريثه فاطمة لقوله صلى الله عليه وسلم (نحن
معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة) بوجهين :-

١ - الحديث لم يروه غيره ، وبتسليم انه رواه غيره فهو من الآحاد ،
ولا يجوز تخصيص الكتاب بخبر الآحاد .

٢ - ان مما يدل على كذب الخبر قوله تعالى (وورث سليمان داود)
وقوله سبحانه حكاية عن زكريا عليه السلام (هب لي من لدنك ولilya يرثني
ويرث من آل يعقوب) قال ذلك نص صحيح في أن الانبياء يرثون ويورثون .

أجاب الالوسي عن الاعترضين بما يلي :

١ - ان الخبر المذكور رواه حذيفة والزبير وأبو الدرداء وأبو هريرة
والعباس وعلي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ونقل
البخاري ان عمر أشهد أكثر هؤلاء على الحديث في جماعة فشهادوا .

٢ - ان في كتب الشيعة ما يؤيده فقد روى الكليني في الكافي عن
جعفر الصادق انه قال (ان العلماء ورثة الانبياء وذلك ان الانبياء لم يورثوا
درهما ولا دينارا وانما ورثوا أحاديث فمن أخذ شيء منها فقد أخذ بحظ
وافر) وكلمة انما مفيدة للحصر قطعا باعتراف الشيعة فيعلم ان الانبياء
لا يورثون غير العلم والاحاديث .

٣ - ثبت الاجماع على ان جماعة من المعصومين عند الشيعة كعلي
والحسن والحسين وعلي بن الحسين بن الحسن رضي الله تعالى عنهم عملوا
بموجبه ، فان تركة النبي لما وقعت في ايديهم لم يعطوا منها العباس ولا بنيه
ولا ازواج الطاهرات شيئا ولو كان الميراث جاريا في تلك التركة لشاركونهم
فيها قطعا . وهذه الامور تدل على التواتر .

٤ - ولو افترضنا ان الخبر بقى احدا ، فإنه في هذه الحالة يخصص

العموم وعليه الأئمة الاربعة ، والشيعة انفسهم خصصوا عمومات في القرآن
باخبار أحد تفردوا ببروايتها مع ان عموم الآيات بخلاف ذلك كعدم وراثة
الزوجة من العقار وتحصيص اكبر ابناء الميت من تركته بالسيف والمصحف
والخطام واللباس بدون بدل ٠

٥ - ان ما زعموه من دلالة الآيتين على كذب الخبر في غاية الوهن
لان الوراثة فيما وراثة العلم والكتاب والكلمات النفسانية ٠ وأطال الألوسي
في هذه النقطة كثيرا ، وردتهم بادلة عقلية وتاريخية ثبتت استحالة ارادة
وراثة المال بين هؤلاء الانبياء ٠

٦ - اجمع أهل الاصول من أهل السنة والشيعة على ان تقسيم الخبر
إلى المتواتر وغيره بالنسبة الى من لم يشاهدو النبي صلى الله عليه وسلم ٠
وسمعوا الخبر بواسطة الرواية ، لا في حق من شاهد النبي وسمع منه بلا
واسطة ، فخبر (نحن معاشر الانبياء لا نورث) عند ابي بكر قطعي ، لانه
في حقه متواتر بل أعلى كعبا منه ، والقطعي يخصص القطعي اتفاقا (٣٨) ٠

ويدخل الألوسي في مناقشات حامية مع الشيعة الإمامية في مسائل
فقهية مختلفة عليها بينهم وبين أهل السنة ، وخاصة في قضية المسح على
الارجل في آية الوضوء ٠ فلقد ذكر اولا القراءتين المتواترتين النصب والجر
في قوله تعالى (وأرجلكم الى الكعین) ثم نقل آراء العلماء في توجيه قراءة
الجر ، فهي قد جاءت اما على المجاورة كقوله تعالى (عالיהם ثياب سندس
حضر واستبرق) أو قول العرب (جحر ضب خرب) ٠ ثم استشهد بالسنة
المروية عن طريق أهل السنة ان المراد الغسل لا المسح ، ثم فصل الاستشهاد
بما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة عن طريق الشيعة
انفسهم بأسانيد صحيحة بحيث لا يمكن تضليلها ولا الحمل على التقية لأن

المخاطب بذلك شيعي خاص . وانتقل الآلوسي الى تفنيد نسبة الجواز والتمييز بين الامرين لابى العالية وعكرمة الشعبي والحسن البصري والطبرى ، وأكيد ان رواة الشيعة هم الذين نشروا هذه الاكاذيب المختلفة فلتلقفها منهم بعض أهل السنة منمن لم يميزوا بين الصحيح من السقيم من الاخبار بلا تحقق ولا سند . ثم قال لعل محمد بن جرير القائل بالتخير هو محمد بن جرير بن رستم الشيعي لا أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى لأن المذكور فى تفسيره هو الغسل فقط لا المسيح ولا الجمع والا التخير . ويستغل الآلوسي مثل هذه المناسبة ليؤكى ان من وقف على أحوال رواتهم لم يعول على خبر من أخبارهم . فأخبار الشيعة عن أهل البيت أو هن من بيت الغنائب وهم بيت الكذب على حد تعبيره (٣٩) .

اما ردوده على الصوفية فكثيرة ، فهو مثلا يرد قولهم بتقديم اولياء هذه الامة على الانبياء مجتمعين بما روى عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني (يا معاشر الانبياء الفرق بيتنا وبينكم بالألقاب وأوتينا ما لم تؤته) وببعض عبارات ابن عربي التي تنطق بذلك يقول الآلوسي (ان التزام هذا القول خرق لاجماع المسلمين ، ومصادم للادلة القطعية على افضلية الانبياء على سائر الخلق اجمعين ، ويوشك القول به ان يكون كفرا) ويقول ان ما روی عن الشيخ الجيلاني لم يثبت نقله عنه في كتاب يعول عليه ، وما يعزى الى الشيخ ابن عربي تعارضه عبارات له آخر . ويضيف انه حتى لو صحت هذه العبارات عنهم يجب ان يحمل على انها قيلت في أثناء فناء هؤلاء الذوات في الحقيقة المحمدية ، فالقول حينئذ قولهما (٤٠) .

ولا يخفى ما في قول الآلوسي من مجانبة للحق ، وحمل الكلام على

(٣٩) روح المعانى ٦/٧٣ - ٧٨ . . . ٣٣/١٦ . . ٢٤١/١٦ . اذا أردت الاطلاع على ردوده الأخرى عليهم فراجع ٥/٩-٦/٢٤٤-٢٤٥ . . ١٠/٤ .

(٤٠) المصدر السابق ٣/٢٨ .

ما لا يطيق ، وذهب مع ما ذهب اليه هؤلاء المتصوفة من أوهام وخيالات سموها
الفناء في الحقيقة الحمدية التي دخلت كفالة إلى المجتمع الإسلامي من
الام التي اهت انباءها ورسلها^(٤١) .

ثم لا أدرى لم لا يرفض هذه الأقوال أصلاً ، اذ ليست لقائلتها صفة
العصمة والقداسة الدينية ، من يقول ان كل ما صدر عن هؤلاء صحيح ،
عجباً للآلوي يرفض بعض أقوال ابن عربى ثم يحاول ان يوجه كلامه هنا
توجيهاً غير مقبول عقلاً ونقلأً .

وعند تفسيره لقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال (وايا ما
كان فليس المراد به ما زعمه بعض المحدثين مما يسمونه بالكشف والشهود
وقالوا ان العبد متى حصل له ذلك سقط عنه التكليف بالعبادة وهي ليست
الا للمحظوظين ، ولقد مرقوا بذلك من الدين وخرجوا من ربة الاسلام
وجماعة المسلمين)^(٤٢) .

والآلوي حريص على رد زنادقة الصوفية في كل مجال ففي تفسيره
لقوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) قال :
والآية دليل على أن النبوة عطائية ، كما هو المذهب الحق ، ويرد بها ايضاً
على بعض المتصوفة القائلين بأنه لا حاجة للخلق إلى ارسال الرسول عليهم
السلام قالوا الرسل سوى الله تعالى ، وكل ما سواه سبحانه حجب عنهم
جل شأنه ، فالرسل حجاب عنه تعالى وكل ما هو حجاب لا حاجة للخلق
إليه ، فالرسل لا حاجة إليهم ، وهذا جهل ظاهر ، ولعمري انه زنادقة والحاد
وفساده مثل كونه زنادقة في الظهور ، ويكتفى في ذلك من الكبri القائلة
بان كل ما سواه سبحانه الخ فإن الرسل وسيلة إلى الله تعالى والوصول إليه

(٤١) هذه هي الصوفية ٧٤ .

(٤٢) روح المعانى ٨٧/١٤ .

عز وجل لا حجاب وهل يقبل ذو عقل أن نائب السلطان في بلاده حجاب عنه؟ وهب هذا القائل امكنته الوصول إليه سبحانه بلا واسطة بقوة الرياضة والاستعداد والقابلية ، فالسود الأعظم الذين لا يمكنهم ما امكنته كيف يصنعون) ثم انتقل الآلوسي إلى بيان عقيدة البراهمة في إنكار النبوة فكانه يشير ضمناً إلى أن هؤلاءأخذوا عقيدتهم هذه منهم (٤٣) .

اما المعتزلة فإن الآلوسي ينافسهم ويرد عليهم في كثير من المواطن ، فهو عند تفسيره للآيات يذكر ما قاله مفسرو المعتزلة وفي مقدمتهم الزمخشري في توجيه الآيات أو ما استدلوا بها على رأي من آرائهم ثم يعقب عليها بالرفض والتفتيض ، ويشير إلى أن هؤلاء ما دعاهم إلى القول بهاتيك المعاني إلا اعترضوا لهم (٤٤) . وقد مررت بنا من قبل نماذج متعددة في هذا الموضوع عند معالجتنا لموقفه من المسائل الاعتقادية .

وله ردود أخرى على الجهمية مثلاً في قولهم إن الجنة والنار ستفيان مستدين بالأية الكريمة (هو الأول والآخر) فالأول السابق لجميع الأشياء والآخر الباقى بعد فناء هذه الأشياء ، بان الأول يعني لا ابتداء له ، والآخر لا انتهاء له من ذاته (٤٥) . وكذلك رد على أقوال اطلقها بعض المفسرين مثل انكار أبي مسلم خلق حواء من ضلع آدم لأنه تعالى قادر على خلقها من تراب ، فاي فائدة في خلقها ذلك ورد عليه الآلوسي (ان فائدة ذلك سوى الحكمة التي خففت علينا اظهار أنه سبحانه قادر على أن يخلق حيا من حي لا على سهل التوالي ، كما انه قادر على أن يخلق حيا من جماد كذلك) (٤٦) .

(٤٣) روح المعانى ٩٤/١٤ .

(٤٤) المصدر السابق ٨٩/٦ . انظر أيضاً ٤٩/٣ ، ٢٠٥/٣ .

٢٥٢/٧

(٤٥) المصدر السابق ٢٠٥/١ .

(٤٦) المصدر السابق ١٨٢/٤ .

ويرد الآلوسي على الطبيعين في انكارهم ان يخرج ماء كثير من الحجر المشار اليه في قوله تعالى (فَاضْرِبْ بِعَصَابَ الْحَجَرِ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عِيْنًا) بقوله : ان هؤلاء غاب عنهم ان في الطبيعة اسرارا منها ان حجر المغناطيس يجذب الحديد ، والحجر الحلاق يلحق الشعر والحجر الباغض للخل ينفر منه . فاذا لم يكن مثل ذلك منكرا عندهم ، فليس يمتنع ان يخلق الله في حجر آخر قوة في جذب الماء من تحت الارض ، ويكون خلق تلك عن ضرب العصا او يتحمل ان يقلب الله تعالى بواسطة قوة اودعها الحجر الهواء ماء بعد ازالة الميواة عن اجزائه ، وخلق الرطوبة فيها . والله تعالى على كل شيء قادر ^(٤٧) .

وردود الآلوسي على النصارى ردود في غاية الموضوعية والروعة ، فهو في محاججته لهم لا يستند الا على كتبهم وأقوالهم ^{هـ} يرتكز عليها في في تفنيد عقائدهم . ففي قضية الصلب أورد أدلة من الانجيل الموجودة اختار منها دليلا واحدا ليكون نموذجا لكيفية رده ومناقشته فقال (ان ما يدعونه من الصلب اما ان تكون عن طريق رواية الآحاد او التواتر ، فان قالوا بالآحاد لم يتم بذلك حجة ، اذ الآحاد لم يؤمن عليهم الغفلة والتواطؤ على الكذب . فان قالوا بالتواتر كذبوا الانجيل التي بين ايديهم لأنها تنص على أن بطرس وحده تبع المسيح حيث أخذوه الى مجلس الكهنة فعرفته فسأله فحلف انه لا يعرف المسيح فتركتوه فذهب ، اذن فتلامذته لم يشهدوا صلبه بشهادة الانجيل . واما اليهود فكذبوا احادا ويمكن تواطؤهم على الكذب فيما زعموا من قتل المسيح ليصلوا الى أغراضهم ، فالمخربون اذن لم يبلغوا درجة التواتر ^(٤٨) .

(٤٧) المصدر السابق ٢٧٣/١

(٤٨) روح المعانى ١٧٩/٣ ، ١٨٠

وفي الآية الكريمة (ولا تقولوا ثلاثة) استعرض الآلوسي آراء الفرق المسيحية واختلافهم في طبيعة المسيح وامه كالمكانية والنسطورية واليعقوبية ثم رد أقوالهم قولاً ، داخلاً معهم في مناقشات لاهوتية حامية ، ورداً عليهم ردوداً منطقية قوية ، فهو ينافسهم في الأقانيم الثلاثة وماهياتها ، وبين تناقضهم في مزاعمهم واضطرباتهم في مقالاتهم وتناقضهم في توجيهاتهم ، وهو أيضاً ينافسهم في القديم والحديث والجواهر والعرض واختلاف النسوات باللاهوت وبيان فساد رأيهم وبطلان أقوالهم ، ثم يتقل إلى أقوال بعضهم بأنه الله من الله ، ويحاججهم على سقوط ذلك بالأدلة الفلسفية والمنطقية وانقل هنا نموذجين من هذه الردود يدلان على قدرة الآلوسي في المحاججة .

واطلاعه الواسع على مقالاتهم وهضمها للاهوتهم ، واتقاده لمباحث الفلسفة واستعمال قوانين المنطق قال في الاول (واما قول بعض اليعقوبية ان الكلمة انقلبت لحما ودما وصار الله هو المسيح ، فهو اظهر بطلاناً مما تقدم وبيانه من وجهين ؟ الاول انه لو جاز انقلاب الاقنوم لحما ودما مع اختلاف حقيقتيهما لجاز انقلاب المستحيل ممكناً والممكן مستحيلاً والواجب ممكناً أو ممتنعاً والممكناً أو الممتنع واجباً ولم يبق لأحد وثيق بشيء من القضايا البديهية ، ولجاز انقلاب الجوهر عرضاً والعرض جوهراً واللحم والدم اقنوماً والاقنوم ذاتاً والذات اقونماً والقديم حادثاً والحادث قديماً ولم يقل به أحد من العقلاء . والثاني انه لو انقلب الاقنوم لحما ودما فاما أن يكون هو عين الدم واللحم الذي كان للمسيح أو زائداً منضماً إليه ، والاول ظاهر الفساد والثاني لم يقولوا به^(٤٩) . ويقول بعد مناقشات لهم (واما قولهم ان اللاهوت حل بالناسوت فصار هو هو ، فاما أن يريدوا به ان اللاهوت صار عين الناسوت كما يصرح به قولهم هو هو ، فيرجع الى تجويف انقلاب الحقائق وهو محال كما علمت ، واما أن يريدوا به ان اللاهوت اتصف

• ٦/٣٠ (٤٩) المصدر السابق

بالناسوت فهو ايضا محل لما ثبت من امتناع حلول الحادث بالقديم او ان الناسوت اتصف باللاهوت وهو ايضا محل لامتناع حلول القديم بالحادث^(٥٠) . كما ويرد الآلوسي على النصارى في بعض مطاعنهم في الرسول صل الله عليه وسلم كثرة زواجه . وبين جهتهم بمراتب الكمال الانسانية ، وحكمة زواجه صلى الله عليه وسلم باكثر من واحدة^(٥١) .

وفى اعتقادى ان ردود الآلوسي على النصارى نفيسة جدا ، ينبغي الرجوع إليها عند التعرض لمناقشة عقائد النصارى من قبل الباحثين المختصين .

ب - الآراء التي انفرد بها :

المتأمل في تفسير الآلوسي يجد شخصيته فيه واضحة ، فهو يعرض توجيهاته الخاصة ، وأرائه الذاتية ، كلما حشد الآراء ودخل في مناقشات مع أصحابها ، أو كلما تألق بريق فكرة الثاقب ، وهو يفسر آية من الآيات ، وسنعرض هنا مجموعة من آرائه في مختلف الموضوعات يمكن أن تثير طرقنا في معرفة عقليته ، وشخصيته العلمية ، وتحدد لنا مكانته بين المفسرين . وثبتت لنا أن الآلوسي لم يكن جاماً للآراء وإنما كان مفسراً كبيراً آتاه الله موهبة في الاستنباط ، وذوقاً في فهم المعاني .

١ - في قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء تسأله المفسرون عن سبب تأخير إنزال الماء من السماء عن الفلك التي تجري في البحر مع كونه أعمّ منها نفعاً . وقيل إن المقصود الاستدلال بالبحر وليس الفلك والكلام في الحقيقة على العجائب التي في البحر ، فذكر الفلك ذكر لجميعها ، فقد دعوه

(٥٠) المصدر السابق ٦/٣١ .

(٥١) المصدر السابق ٢٢/٦٤ .

على المطر والسحب لأنه منشأ لهما . وهذا التفسير عند الآلوسي هو قلب للنظم القرآني بغير داع اليه ، اذ التسجية تؤول الى تقدير (والبحر الذي تجري فيه الفلك بما ينفع الناس) ووجه الترتيب في رأي الآلوسي شيئاً او لهما انه سبحانه وتعالى ذكر اولا خلق امررين علوي وسفلي ، واختلاف شيئاً بمدخلية امررين سماوي وارضي . وثانيهما أن الليل والنهار كل هنما سابق في لجة الفلك الدوار المسخر بالجريان فيه ذهاباً واياباً ، والفلك تجري في البحر وتسبح بين امواجه سائرة على قانون كثافة الماء والتعقب بعد ذلك بما يشترك فيه العالم العلوي والعالم السفلي وفي ذلك النفع العام ^(٥٢) .

٢ - قال تعالى (وانزل التوراة والأنجيل من قبل) قالوا والتصريح به مع ظهور الأمر للبالغة في البيان . اما الآلوسي فيقول : وأنا أقول التتصريح به للمرمن الى ان انزالهما متضمن للارهاص لبعثته صلى الله عليه وسلم حيث قيد الانزال المقيد بمن قبل قوله تعالى (هدى للناس) أى هداية لهم الى الحق ومن جملته الایمان به صلى الله عليه وسلم ^(٥٣) .

٣ - قال تعالى (فمستقر ومستودع) قال الآلوسي بعد أن عرض رأي المفسرين (وأنا أقول لعل حمل المستودع على الصلب باعتبار ان الله تعالى بعد أن اخرج من بني آدم عليه السلام من ظهورهم ذريتهم يوم الميثاق وشهادتهم على انفسهم وكان ما كان ردتهم الى ما اخرجتهم منه فكان لهم وديعة هناك تخرج حين يشاء الله تعالى ذلك ^(٥٤) .

٤ - قال تعالى على لسان موسى (أتلهكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فأغفر لنا وأرحمنا

^(٥٢) روح المعانى ٢ / ٣١-٣٢ .

^(٥٣) المصدر السابق ٣ / ٧٧ .

^(٥٤) المصدر السابق ٧ / ٢٣٦ .

وأنت خير الراحمين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا
إليك قال عذابي أصيب بها من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكبها للذين
يتقون حويتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) المفسرون على ان الله تعالى
لم يستجب لموسى سؤاله في قومه ، وانه علق الرحمة بشياتهم على الإيمان
وعدم دوامهم على ما هم عليه من ذميم الأفعال ، وان عذاب الله تابع لمشيئة
فإنهم عرضوا أنفسهم لهذه المشيئة لم يفعم دعاؤه ، ويقول الألوسي
(ولا يفهم من كلامه انه طلب للقوم كيف كانوا وفي أي حالة وجدوا وعلى
أى طريقة سلكوا فان ذلك مما لا يكاد يقع ممن له ادنى معرفة بربه ، فضلاً
عن مثله عليه السلام ، وانما هذا الطلب من حيث انهم تائدون راجعون اليه
عز شأنه . ولا يبعد ان يقال باستجابة دعائهم ، بل هو أمر مقطوع بالنسبة
إليه صلى الله عليه وسلم ، وكيف يشك في انه غفر له ورحمه وأوتى خير
الدارين وهو هو ، واما بالنسبة الى قومه فالظاهر أن التائب منهم أوتي خير
الآخرة ، لأن هذه التوبة ان كانت هي التوبة بالقتل فقد جاء عن الزهرى
ان الله تعالى اوحى الى موسى بعد أن كان ما كان ما يحزنك ؟ اما من قتل
منكم فحي يرزق عندي واما من بقى فقد قيلت توبته فسر بذلك موسى وبنو
اسرائيل ، وان كانت غيرها فمن المعلوم أن التوبة قبل بمقتضى الوعد
المحتوم ، وخير من قبلت توبته في الآخرة كثير ، واما حاضر الدنيا فقد
نقطت الآيات بأن القوم غرقى فيه ، ويكفي في ذلك قوله تعالى (يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتم على العالمين) وبعد
ذلك قال الألوسي (وحينئذ يمكن أن يقال في توجيه الجواب أنه سبحانه له
وتعالى أجاب طلبه بأسلوب عجيب وطريق بديع غريب فقال سبحانه له
(عذابي) أى الذي تخشى أن تصيب بعض نباله التي أرميها بي جلالى عن
قسي ارادتى من دعوت له اصيب به من أشاء فلا يتغير قومك الذين تخشى
عليهم ما تخشى لأن يكون غرضنا له بعد أن تابوا من الذنب وتركوا فعله

(ورحمتي وسعت كل شيء) انساناً كان أو غيره مطيناً كان أو غيره ، فما من شيء إلا وهو داخل فيها سابح في تيارها أو سابح في فيافيها بل ما من معدب إلا ويرسخ عليه ما يرشح منها ولا أقل من أنني لم أعد به بأشد مما هو فيه مع قدرتي عليه ، فطب نفساً وقر عيناً فدخول قومك في رحمة وسعت كل شيء ولم تضيق عن شيء أمر لا شئ فيه ولا شبهة تغريه كيف وهادوا إلى ووفدوا على ، أفترى أنني أضيق الواسع عليهم ، وأوجه نبال الخيبة إليهم ، وأردهم بخفي حنين ، فيرجع كل منهم صفر الكفين ، لا أراني أفعل بل أنني سأرّحهم وأذهب عنهم ما اهتمهم واكتب الحظ الأوفر من رحمتي لخلافهم الذين يأتون آخر الزمان ويتصفون بما يرضيني ويقدمون باعثاء ما يراد منهم وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى (فَسَأَكْتُبُهَا لِلذِّينَ يَتَقَوَّنُ) وهو أتباعهم الرسول الامي الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ^(٥٥) .

٥ - قال تعالى (أ ولم يروا من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله) العلماء لهم كلام طويل في افراد اليمين وجمع الشمائيل ، فلقد ذكر بعضهم ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن احدهما بلفظ المفرد كقوله تعالى (جعل الظلمات والنور) وقيل اذا فسرنا اليمين بالشرق كان النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة ، واما الشمائيل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الأظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع وقيل اليمين مفرد لفظاً لكنه جمع معنى فيطابق الشمائيل من حيث المعنى ، وقيل جمع الشمال لأن غالبية المعمورة شمالي الى غير ذلك من الاقوال ^(٥٦) . وبعد عرض هذه الآراء قال « ويختصر لي وجه آخر في الافراد والجمع مبني على أن المراد باليمين

(٥٥) روح المعانى ٩/٧٦ - ٧٨ .

(٥٦) روح المعانى ١٤/١٥٥ - ١٥٦ .

جهة المشرق وبالشمال جهة المغرب ، وهو انه لما كانت الجهة الاولى مطلع النور والجهة الثانية مغريه ، ومظهر الظلمة ، افرد ما يدل على الجهة الاولى كما افرد (النور) في كل القرآن ، وجمع ما يدل على الجهة كما جمع الظلمة كذلك ^(٥٧) . ولا يدعى الآلوسي ان رأيه هذا هو الصواب اذ يقول . (وبعد لسلك الذهن اتساع فتأمل فعل ما ذكرته لايرضيك) .

٦ - قال تعالى (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ، فاردت ان اعيها ، وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا . فاردنا ان يدخلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحمة ، واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالح افاد ربک ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربک وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا) وقيل في وجه تغير الاسلوب الاول شر فلا يجوز استناد اليه سبحانه وان كان هو الفاعل جلا وعلا ، والثاني متزوج خيره وشره فاستند الى الله تعالى والى نفسه ، وقيل انه تفنب في التعبير فحسب وقيل استناد الاول الى نفسه من باب الأدب مع الله ، لأن الاعابة لا تستند الى الله . واما استناد الثاني الى - نا - فالظاهر انه من باب خواص الملك امرنا بكتنا وانما يعنون أمر الملك العظيم وقيل اختلاف الاسلوب لاختلاف حال المارف بالله سبحانه ، فإنه في ابتداء أمره يرى نفسه مؤثرة فلذا استند الأرادة اولا الى نفسه ، ثم يتتبه الى انه لا يستقل بدون الله تعالى ، ثم يرى انه لا دخل له في الأمر وانما المؤثر هو الله تعالى . ثم عرض الآلوسي رأيه فقال (والذى يخطر ببال عبد الفقر انه روعى في الجواب حال الاعتراض وما تضمنه وأشار اليه ، فلما كان الاعتراض الأول بناء على ان لام (لتفرق) للتعليل متضمنا استناد ارادة

(٥٧) المصدر السابق ١٤/١٥٦

الاغراق الى الخضر عليه السلام ، وكان الانكار فيه دون الانكار فيما يليه بناء على ما اختاره المحققون من أن (نكر) ابلغ من (اما) ناسب ان يشرح باسناد ارادة التuib الى نفسه المشير الى نفي ارادة الاغراق عنها التي يشير كلام موسى عليه السلام اليها . وان لا يأتى بما يدل على تعظيم او ضم أحد معه في الارادة لعدم تعظيم امر الانكار المحوج لأن يقابل بما يدل على تعظيم ارادة خلاف ما حببه عليه السلام وانكره .

ولما كان الاعتراض الثاني في غاية المبالغة والانكار هناك ناسب ان يشير الى ان ما اعترض عليه وبلغ في انكاره قد اريد به أمر عظيم ولو لم يقع لم يؤمن من وقوع خطب جسيم ، فلذا استد الخشية والارادة الى ضمير المعلم نفسه او المتكلم ومعه غيره ، فان في استد الارادة الى ذلك تعظيما لامرها وفي تعظيمه تعظيم امر المخشي ، ولما كان الاعتراض الثالث هنا تعظيم امرها وفي تعظيمه تعظيم امر المخشي ، ولما كان الاعتراض الثالث هنا جدا حيث كان بلفظ لا تصلب فيه ولا ازعاج في ظاهره وخافيه ، ومع هذا لم يكن على نفس الفعل بل على عدمأخذ الاجرة عليه ليستعان بها على اقامة جدار البدن وازالة ما اصابه من الوهن ، فناسب ان يلين في جوابه المقام ولا ينسب لنفسه استقلالا او مشاركة شيئا ما من الافعال ، فلذا استد الارادة الى رب سبحانه ، ولم يكتف بذلك حتى اضافه الى ضميره عليه السلام^(٥٨) .

٧ - جاءت الاخبار الروية من ائمة الحديث بطرق متعددة عن ابى ذر انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس فقال يا اباذر أتدري أين تذهب هذه الشمس؟ فقال الله تعالى رسوله اعلم قال هذه تجري حتى تتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة . فيقف الالوسى هنا ليحكم ان ظاهر النصوص تختلف ظاهر المعقول من حيث الأدلة قائمة

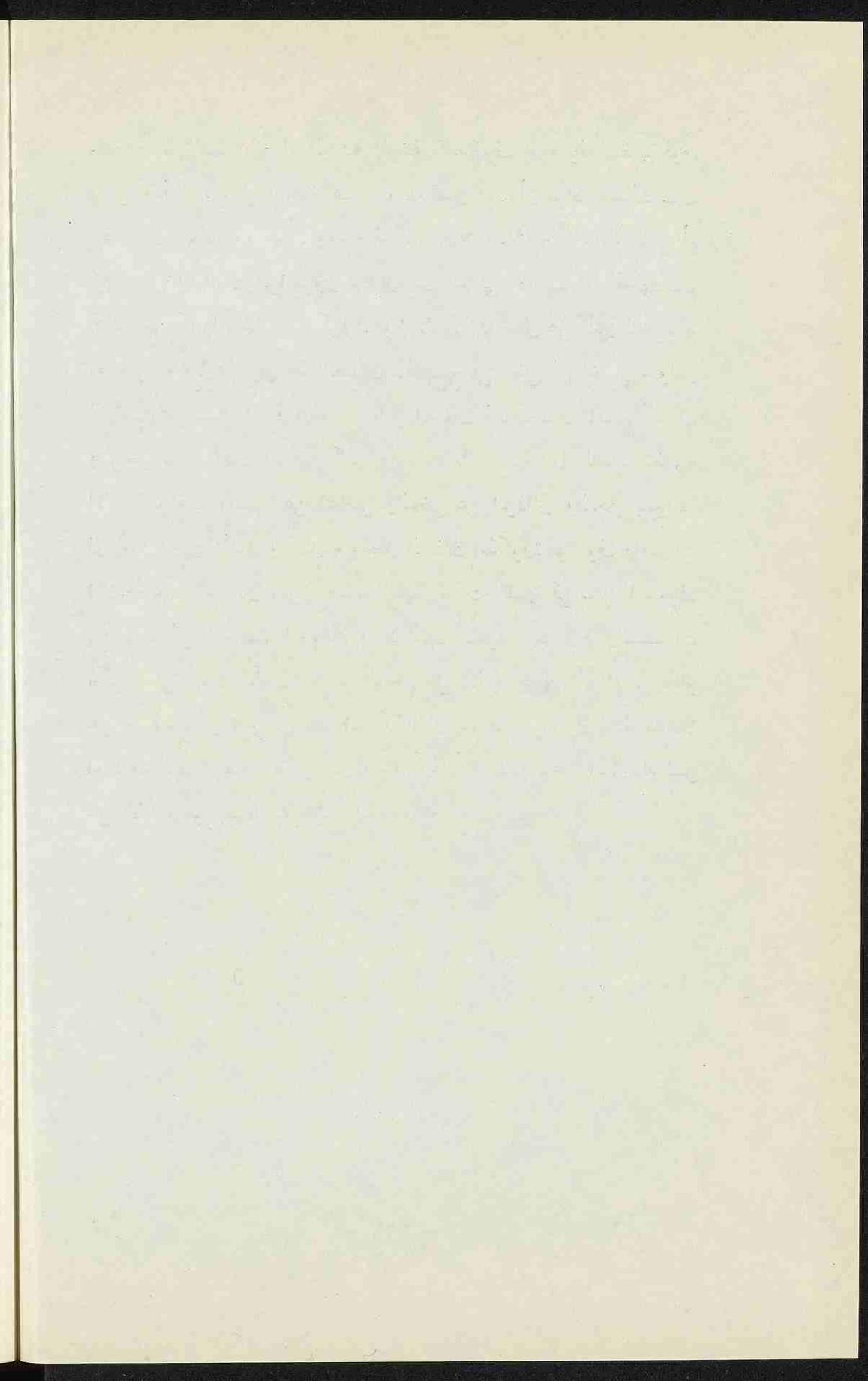
(٥٨) روح المعانى ١٥/١٦ - ١٧ .

على انها لا تسكن عند غروبها ، ويقول انه سأله كثيرا من علماء عصره عن ذلك فلم يفزع منهم بما يروى الغليل ثم يعرض رأيه محاولا التوفيق بين المقول والمعقول ، ولكن بكثير من التكلف فيقول (والذى يخطر بالبال فى حل ذلك الاشكال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ان الشمس وكذا سائر الكواكب مدركة عاقلة كما ينبئ عن ذلك قوله تعالى الآتى (كل فى فلك يسبحون) حيث جيء بالفعل مسندا الى ضمير جمع المقلاء وقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) لنجو ما ذكر يدل ، وعليه ظاهر ما روى عن ابى ذر من انها تسجد وتستاذن . فان المتادر من الاستئذان ما يكون بلسان القال دون لسان الحال) ويقول الاولى متاثرا باراء الحكماء والصوفية (فيمكن ان يقال ان للشمس نفسها مثل تلك الانفس القدسية وانها تنسليخ عن الجرم المشاهد المعروف مع بقاء نوع من التعلق لها به ، فترعرع الى العرش فتسجد تحته بلا واسطة . وتستقر هناك وتستاذن ، ولا ينافي ذلك سير هذا الجرم المعروف وعدم سكونه ^(٥٩) .

٨ - قال تعالى (والصفات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتألييات ذكرا)
 الصفات ، قالوا الملائكة القائمات صفوأ للعبادة أو الصفات اقدمها للصلوة .
 وقيل المراد بالصفات الطير والزاجرات ايضا الملائكة ، وقيل هي آيات القرآن
 لتضمنها النواهي الشرعية ، وقيل كل ما زجر عن معاصي الله عزوجل .
 التألييات ذكرا الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن ، وفسره بعضهم بالأيات
 والمعارف الآلهية وقيل آيات الله وكتبه المنزلة . وقال قتادة بنو آدم يتلون
 كتابه تعالى المنزل . وجوز ان يكون الله تعالى اقسم بنقوص العلماء العمال
 الصفات انفسها في صفوف الجماعات او بطوائف قواد الغزاة في سبيل الله
 تعالى التي تصنف الصفوف في مواطن المحروب . وجوز ان يكون اقسام

(٥٩) المصدر السابق ١٢/٢٣ - ١٤

سبحانه بظواهر الاجرام الفلكية المرتبة كالصفوف المرصوفة بعضها فوق بعض ◦ قال الآلوسي ويجوز عندي والله تعالى اعلم أن يراد بالصفات المصطفون للعبادة من صلاة ومحاربة كفره مثلا ، ملائكة كانوا ام انسى ام غيرهما وبالزاجرات الزاجرون عن ارتكاب المعاصي باقوالهم أو باعمالهم كائنين من كانوا وبالتالي ذكر التالون لآيات الله تعالى على الغير للتعليم أو نحوه ◦ ولا عناد بين هذه الصفات ، فتجمع في بعض الاشخاص ◦ ولعل الترتيب على سبيل الترقى باعتبار نفس الصفات فالاصطفاف للعبادة كمال والزجر عن ارتكاب المعاصي اكمل والتلاوة لآيات الله تعالى للتعليم لتضمنه الأمر بالطاعات والنهي عن المعاصي والتخلى عن الرذائل والتحلى بالمعارف الى امور اخرى اكمل وأكمل ◦ وجعل الصفات المذكورة لموصوف واحد من الملائكة على ما مر بان تكون جمادات منهم صفات انفسها في سلك الصنوف بالقيام في مقاماتها المعلومة أو القائمات صنوفا للعبادة ◦ وبالتالي ذكرها بمعنى تاليات الآيات بطريق الوحي على الانبياء عليهم السلام لا يخلو عن بعد فيما ارى ، على ان تعدد الملائكة التالين للوحي سواء كان صنفا مستقلا ام لا مما يشكل عليه ما ذكره غير واحد اأن الامرين على الوحي التالي للذكر على الانبياء هو جبريل عليه السلام لا غير ◦



الفصل الرابع

مكانة تفسيره

- ١ - آراء العلماء فيه .
- ٢ - منزلته بين كتب التفسير الأخرى المشهورة .
- ٣ - تأثيره فيمن جاء بعده من المفسرين .
- ٤ - ما له وما عليه .

١ - آراء العلماء فيه :

لم يكن تفسير الآلوسي اعتمادياً كثثير من التفاسير ، وإنما كان يعبر عن حاجة عصره إلى تفسير جديد يلم شتات التفاسير ، ويعالج بعض المسائل التي استحدثت في العالم الإسلامي ويوجه نص القرآن الكريم إلى محاربة الفلسفات الدخيلة ٢ والأوضاع الاجتماعية الفاسدة ٠

يقول الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه - التفسير ورجاله - عند بيان الأسباب التي دفعت الآلوسي إلى تأليف هذا التفسير فيقول (انتا اذا نظرنا إلى التفاسير التي كانت تروج في العالم الإسلامي في ذلك القرن وجدناها ثلاثة أصناف ، الصنف الأول منها التفاسير العلمية السنوية مثل تفسير البيضاوي وتفسير أبي السعود ، وهي مصوحة في قالب التحرير المدقق الذي يتطلب بيان المراجع ، وبسط المقاصد ، بطريقة تجعل الدروس الطويلة ، مرکزة على الكلمات القليلة ، وتبرز البحوث والتقارير في صورة التعليق والحواشي ٠ والصنف الثاني من التفاسير التي كانت رائجة في عصر الآلوسي ، التفاسير العلمية الشيعية ، وهي على منهج التفاسير إلا أن اسلوبها مبني على الافاضة والبسط والافصاح مثل تفسير الطوسي وتفسير القمي وتفسير الطبرسي ، وهي في اسلوبها اقرب إلى اسلوب الفخر الرازي ، ومع ما اشتتملت عليه ، من ايضاح علمي وبحث نظري ٢ فإنها قد اشتتملت على ما لا تقرره المذهب غير الشيعية وخاصة ما يرجع إلى المحامل الباطنية لمعانى الآيات ٠ والصنف الثالث من التفاسير الرائجة قبل تفسير الآلوسي : صنف التفاسير الصوفية ٠ التي تعتمد على أذواق غير متقدمة بالطرائق العلمية ، ولا محكمة الاستخراج على قواعد اللغة وعلومها ٠ وأكثرها تداولاً يومئذ بين أيدي الناس احدها ظهوراً ، واقربها إلى مسيرة الطريقة العلمية ٢ وهو تفسير العالم التركي الشيخ اسماعيل حقي من أهل القرن الثاني عشر ٠ فكان الملحوظ أن الصنف الأول من هذه الأصناف الثلاثة وهو صنف التفاسير

العلمية السننية ، لم يكن له مرجع كافٍ يقوم بنفسه متكفلاً ببساطة
البحوث والانظار ، وابراز المعانى ، وتحليل مآخذها ، الا بالجمع بين الاصول
وحواشيها ، وضم الحديث من ذلك الى القديم . فكانت تلك التغرة هي التي
تلفت نظر من يريد ان يبدى في تفسير القرآن شيئاً جديداً ذا بال كما اراد
الآلوجى ، لاسيما وان الاذواق في ذلك العصر قد كانت مبشرة روح المناهج
الصوفية والافكار العلمية كانت قد تقبلت شيئاً كثيراً من منازع الصوفية
وانظارهم ، فراقت بذلك التفاسير المشتملة على المحامل الباطنية والمنازع
الذوقية بما جعل تفاسير الصنف الثاني وهي التفاسير الشيعية والصنف الثالث
وهي التفاسير الصوفية تجد لها من كييفيات النقوس والافكار مساغاً لاتجده
تفاسير الصنف الأول ، وهي التفاسير العلمية السننية ، على ما فيها من صعوبة
تحول بين الناس وبين مطاعتها بغير دراسة وجهه^(١) .

واضيف ان خطر انتشار المذهب الشيعي في العراق وميل الشيعة الى
مناصرة الدولة الایرانية حاملة لواء مذهبها ومقاومة الدولة العثمانية ، حاملة
لواء المذهب السنى أدى بالآلوجى الى التفكير الجدى في تأليف هذا التفسير
الذى قارع فيه الحجة . وفند عقائد الشيعة ، ورد لهم في المسائل التي
ثاروها في التاريخ الاسلامي ، ومطاعنهم في الصحابة الكرام . ولقد بينما
موقعه منهم من قبل ، ووجدنا كيف ان مباحثه في هذه الردود يمكن ان
 تكون بحثاً مستقلّاً في ذاته .

ان استقبال العالم السنى في ذلك الوقت لهذا التفسير كان انسجاماً
طبعياً مع كتاب عبر عن مستوى تفكيرهم ، وجدد لهم دارس ثقافتهم ،
وقارع حجاج مخالفיהם ، وناصر اسس دولتهم فما ان طلع هذا الكتاب الا
وتلقاه العلماء بالقبول ، ورحبو به اعظم الترحيب ، فوضعوه بين التفاسير

(١) ص ١٤٥ - ١٤٧ .

المشهورة ، واطروا كثيرا في مدحه وتقريره ، ورضا عن طريقة مؤلفه ،
واعترفوا بعمقه في العلوم التي يحتاج إلى معرفتها المفسر المعتبر . فممن كتب
عنه وقرره العلامة محمد سعيد أفندي المفتى السابق الذي وصفه بدائرة
معارف للعلوم والعلامة محمد أفندي الطبجلي الذي اعتبره خاتما للتفاسير ،
والعلامة محمد أمين أفندي واعظ الحضرة القادرية الذي وصفه بجامع ما
تفرق في كتب شتى . والعالم الشاعر محمد أفندي العمرى الذي اعتبره
مجده لما درس من آثار العصام والرازي وأبي السعود ، والسيد كاظم الرشتي
الذى وصفه بأنه لم ينسج ناسج على منواله ، والعلامة عبد الغفور أفندي الذى
وصفه بأنه لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها . والعلامة محمد أفندي بن
حسين آل عبداللطيف الراوى الذي وصفه بأنه أجاد بالسائل لكل سائل .
والشاعر عبدالغفار الآخرس الذي وصفه بأنه الآية الكبرى على اطلاع
صاحبه وعلو شأنه في العلوم وارتفاعه . والعلامة محمد فيضي الزهاوى
مفتى العراق الذي وصفه بقصيدة مشهورة قال فيها .

لئن كان في التفسير قصدا مؤلفا فقد حفقت فيه العلوم كما يحرى

ولقد حاز تفسير الآلوسي على اعجاب المتأخرین كما حاز على رضا
وتقدير المعاصرین . فقد من بنا في وصف المجلد الاول المخطوط كيف انه
ما وصل الى مصر نال استحسان العلماء . فهذا الشيخ الازھرى يوسف
التابسى الخنبلى يقدمه الى المصريين . ويدعوهم الى طبعه لجلالة قدره ،
ودقة ما فيه ، وهذا الشيخ محمد الاشمونى يقرره يقول (وبعد فهذا كتاب
جليل فى بابه ، عديم التشىل . وقد شهدت له الافضل ، واذعن جميماً بأنه
الافضل) (٢) .

أما السيد رشيد رضا ، فقد اعتبره من اجل التفاسير ، وهو أحد

(٢) روح المعانى ١/١ المقدمة .

مصادر تفسيره المشهور بـ (المنار) يستشهد به ناقداً ومعجباً، واعتبر صاحبه عقلية كبيرة، وعالماً ذكياً وسبط هذا بالتفصيل عند الكلام عن اثر روح المعاني في التفاسير التي جاءت بعده . وللدرايين المحدثين للتفسيرات وعلوم القرآن آراؤهم في هذا التفسير ، يجمع كلها على الاعتراف بسكته الممتازة بين كتب التفاسير الجيدة . ويقول الشيخ العلامة قاسم القيسى مفتى بغداد (ت ١٩٥٥م) في كتابه (تاريخ التفسير) ما نصه (واما تفسير العلامة محمود شهاب الدين ابى الثناء الآلوسى المسمى بروح المعانى ، فليس له فى الجمع والتحقيق ثانى ، اشتمل على تسعه مجلدات ضخام حوت من الدقائق والحقائق ما لا يسع شرحه كلام ، وهو خال عن الا باطيل والاسرائيليات ، والروايات الواهية والخرافات ، وجامع للمعنى والمقال بتفصيل وسط مقبول)^(٣) . ويقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى صاحب كتاب (مناهل العرفان فى علوم القرآن) ما نصه في تفسير الآلوسى (وهذا التفسير من أجل التفاسير واوسعها واجمعها ، نظم فيه روایات السلف بجانب آراء الخلف المقولة ، والفرق فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الاشارة)^(٤) . ويقول الشيخ محمد حسين الذهبى في كتابه (التفسير والمفسرون) في هذا التفسير ما نصه (وجملة القول فروح المعانى للعلامة الآلوسى ليس الا موسوعة تفسيرية قيمة ؟ جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه ، مع النقد الحر ، والترجح الذى يعتمد على قوة الذهن ، وصفاء القرىحة ، وهو وان كان يستطرد الى نواح علمية مختلفة ، مع توسيع يكاد يخرجه عن مهمته كمفسر الا انه متزن فى كل ما يتكلم فيه ، مما يشهد له بغزاره العلم على اختلاف نواحه ، وشمول الاحاطة بكل ما يتكلم فيه)^(٤) . ويقول الشيخ ابن عاشور فيه وفي منهجه بعد كلامه على ثقافة صاحبه ما نصه (ف بهذه

(٣) ص ١٤٤ .

(٤) ص ٥٥٢ .

الثروة الواسعة من المعارف ، وبالاسلوب الجامع بينها في الدراسة على الطريقة العثمانية الجديدة التي كانت قوام البيئة العلمية في بغداد ، تقدم الشيخ محمود الالوسي لتحرير تفسيره الذي جاء في تسعة مجلدات ضخمة تتألف من اكبر من خمسة الاف صفحة مطبوعة من القالب الكبير ، فسلك فيه مسلك التفسير اللغوي ، يهتم اولا ببيان موقع المفرد او المركب من جملة الكلام ، معتمدا على قواعد الاعراب ، واستعمالات البلاغة ، معتصما بانسجام المعاني ، وسلسل الاغراض ، ويختلط بذلك منهجه لاستخراج المعنى المراد ، معتمدا على الشواهد ، الا انه يفرق اغراقا قد يسرف فيه في مسائل الاشتقاق حتى يتجاوز محل البيان الى القواعد والباحث . ومن البحث اللغوي ينتقل الى المقاد معتمدا على الاحاديث وأسباب النزول متريا في ذلك اكثر من الزمخشرى واليضاوى ، فلا يزال يتتجنب الاخبار الواهية ، ويحرص على الاستناد المعتد به ، وربما بنى بحوثه مع صاحب الكشاف على الاستناد الى نقد الاسانيد ، وفي تحصيل المقاد القرآني يحرص على ايراد الانثار الاصلية والفرعية في نقائض الاستدلالات ، ويتعقب الاقوال ، ويعتمد على مقاولة الرأى بالرأى ، ممسكا في الغالب بما في تفسير الطبرى من محامل غير سنية ليناقشها بقواعد الاصول ومقتضيات التراكيب البلاغية وآخذنا على الامام فخر الدين الرازى تمسكه بنصرة مذهب الشافعى ، فيناقشه كلامه بما للفقهاء والاصوليين من الحنفية فى تلك المسائل من انتشار فى رد حجج الشافعية ، ومناقضتها أو متبعنا طريقة الرازى فى ترجيح مذهب الاشعرى ، آخذنا بترجح مذهب السلف . وهو فى كل هذه المباحث يجرى فى مجال واسع من الانثار والمعارف ، حتى انه كثيرا ما ينشد الشعر الفارسي من مستوى جلال الدين الرومى أو من ديوان المولى جامى ، وكثيرا ما يخوض المباحث الفلسفية أو الرياضية أو الطبيعية لمناقشة المذاهب غير الاسلامية ، معتمدا فى

ذلك على أحدث ما انتهت اليه المعارف في بيته ، وناظعا المنازع العجيبة في الاستلال (٦) .

٢ - منزلته بين كتب التفسير الأخرى المشهورة :

لتفسير الآلوسي منزلة عظيمة بين كتب التفسير المشهورة التي تمثل مدارس التفسير المختلفة ، ولا يمكن الاستغناء عنه ، عند دراسة تفسير القرآن الكريم وتطوره ، سواء من حيث المادة التي يحتوى عليها أو من حيث المرحلة التاريخية التي يمثلها في تاريخ التفسير .

وانى مقتضى تماما استنادا على قراءاتي لهذا التفسير بكامله ، وقراءاتي لتفسير آيات أو سور من التفاسير الأخرى كتفسير الطبرى والزمخشري وابى حيان والرازى والقرطبى وابن كثير والطبرسى وابى السعود وغيرهم ، وكذلك مستثيرا بدراسات معينة كتبت حول أكثر التفاسير المذكورة ، ان تفسير الآلوسي هو من اعظم التفاسير قدرها ، وأغزرها علمًا ، وأكثرها فائدة ، اذا لم أقل انه اعظم تفسير الى حد زمانه ، وذلك للأسباب الآتية :-

١ - ان تفسير الآلوسي جمع لنا المادة الأساسية المهمة من جميع التفاسير المتقدمة ، ومن كتب التراث الإسلامي المتنوعة ، بحيث لا يمكن في اغلب الاحيان للباحث ان يطلع عليها جميعها ، والاطلاع عليها عند فرض وجود هذه التفاسير كلها في متناول يده ، يضيع عليه وقتا طويلا في تفسير آية واحدة . فقراء عشرات الصفحات بل مئاتها في سبيل الحصول على المراد ، بينما عن طريق هذا التفسير يستطيع ان يقع على ما يريد بمدة وجيزة ، لما يتمتع به من موسوعية تسهل على القارئ كثيرا من المشاق ، ونحن في هذا العصر احوج ما نكون الى مثل هذه المؤلفات الموسوعية الجامعة في مختلف انواع العلوم والأداب والفنون .

(٦) التفسير ورجاله ١٥٣ .

٢ - ان الآلوسي لا ينقل الآراء فقط ، وانما ينصب نفسه حكما عدلا الى حد كبير بين الآراء مناقشا ومنفذها ومرجحا ، فتيح الفرصة للقاريء ان يميز الحق من الباطل في كثير من القضايا تساعدة في ذلك شخصيته التي تكون مستقلة في كل شيء . وهذا الاستقلال في رأيي يعطي لتفسيره قيمة علمية كبيرة .

٣ - ان الآلوسي في تفسيره صاحب عقليّة متّورّة ، فهو يرفض الاخبار السقية والقصص الاسرائيلية والآراء الضعيفة ، ومع تمسكه الشديد برأي السلف الا انه يستعمل عقله في سبيل الوصول الى الحق .

٤ - ان الآلوسي استفاد من التطور العلمي الذي وصل اليه زمانه في تفسير الآيات الكونية بصورة خاصة ، وهذه ميزة تعطي لتفسيره مكانة خاصة بين كتب التفسير القديمة .

٥ - ان الآلوسي الى حد ما يظهر بمظهر المصلح في تفسيره ، بجانب كونه مفسرا فقط ، أي انه بدأ يفكر في الاعتماد على القرآن الكريم ، والسنة النبوية في معالجة التخلف في العالم الاسلامي عقيديا وسياسيا واجتماعيا وعلميا . وهذا الاتجاه يعطي لتفسيره ايضا مكانة محترمة ، باعتبار ان التفسير يجب ان لا يكون لأجل التفسير ، وانما لأجل خدمة المجتمع الانساني الذي نزل القرآن الكريم من اجل اصلاحه وتنظيفه ، وتوجيه طاقاته الى بناء الملة والروح . وعلى الرغم أن ظروف زمانه لم تسمح له بالاصلاح في كل شيء الا انه يلمح في كثير من المواطن ، واللبيب يفهم الاشارة^(٧) .

٦ - تأثيره فيمن جاء بعده من المفسرين :
التأثير في نظرى تأثيران في مثل هذا المجال ، فكاتب معين - مثلا -

(٧) روح المعانى . انظر على سبيل المثال ١٧٧/٨ ، ٤٣/٩ ، ٢٥/١٠ ، ٧٩/١٠ .

يؤثر فيمن يأتون بعده تأثيراً واضحاً، ويوجههم توجيهها قوياً، بل يسيطر أحياناً سيطرة كبيرة، بحيث يكون لنفسه منهم مدرسة واضحة المعالم، محددة الاتجاهات، فلا يتصدرون لشيء إلا وينطلقون من أساس مدرستهم، ولا يتحرّكون إلا في حدود إطارها العام. وكاتب آخر يقتصر تأثيره على الجزئيات ويمهد الطريق للآخرين، فلا يكون مدرسة، ولا ينشأ طريقة، وإنما يقتصر الذين يأتون بعده، على الاعجاب ببعض آرائه، والاقتباس منها ومناقشة البعض الآخر. وقد يدخل في ذلك أن يكون كتاب ذلك الكاتب مصدراً من المصادر الكثيرة للذين يبحثون في الموضوع نفسه، وبالمعنى الأول أؤكد أن الآلوسي لم يؤثر فيمن جاء بعده من المفسرين. ولم يكن مدرسة تستطيع أن نسميتها بمدرسة الآلوسي، وإنما اقتصر تأثيره على النوع الثاني وهو التأثير الجزئي الذي ينصب على الاعجاب بفكرة علمه، والشهادة بجودة تفسيره والاقتباس منه، ونقل بعض آرائه وأفكاره تقوية لرأي صاحب التفسير الذي ينقل عنه^(٨).

وقد يتساءل القارئ، فيقول لم يؤثر هذا التفسير العظيم التأثير الأقوى؟ ولم لم يكون مدرسة تفسيرية معينة؟ والجواب على ذلك أن المجتمع الإسلامي في زمن الآلوسي كان قد بلغ الغاية القصوى في التأثر الحضاري، وبدأت طلائع المستعمرين تغزو بلاد الإسلام وتحاول احتلالها واحتضانها، الأمر الذي تنبه إليه المسلمون، فبدأوا يستيقظون على أصوات طلقات مدافعيهم ليجدوا أنفسهم بعيدين عن الإسلام الحق، متأنرين حضارياً يفتک بهم الجوع والجهل والمرض، فكان لا بد لهم أن يستيقظوا، وكان لا بد لهم أن ينطلقوا بقوة في جميع مجالات الحياة، وكان لا بد لهذه الحركة الجديدة من أساس قوي ينطلقون منه، ويبنون عليه، فلم يجدوا هذا الأساس إلا في

(٨) تفسير المراغي ٥/٢٤. حيث يقوى رأيه في انكار الاستغاثة وبعض بدع المتصوفة برأي الآلوسي في هذا الباب.

القرآن الكريم ، ولكنهم رأوا انهم لا يفهمون قرآنهم لأن المسائل النحوية والبلاغية والفقهية الخلافية والكلامية الجدلية قد حجبت نوره عنهم ، وحال بينهم وبين فهم مراد الله ، ومنعهم من أن يستخرجوها من السنن الاجتماعية ، ويستتبوا منها النظم الحيوية . فكان لا بد من تفسير جديد ينفع الحياة في المسلمين ، ويدفعهم إلى حركة مقاومة قوية لعوامل التخلف والانحطاط في الداخل والخارج . أجل كان لا بد من تفسير جديد حقيقي لكتاب الله ينقذ القرآن الكريم من الاغلفة اللغوية والكلامية ، كي يرى المسلمون أنفسهم وجهاً لوجه امام خطاب الله ، ومواعظه ، وسننه ، فيصلحوا من حياتهم ، ويرفعوا من انحطاطهم ، ويستعيدوا حضارتهم ، ويبيتوا صفوهم لجهاد المستعمر المحتل ، والقضاء على عوامل التدهور المخيف ، ومع ان تفسير الآلوسي قد حمل معه بنور جوانب من هذا الاصلاح ، لكنها لم تكن كافية ، فقد كانت هنالك حاجة ماسة إلى انطلاقة كبيرة في تفسير القرآن الكريم تمثلت فيما بعد اجيال تمثيل في تفسير مدرسة الشيخ محمد عبده التي دفت التفسير القرآني خطوات إلى الامام ، وانقذته من ركامات القرون السابقة ، وربطته بالحياة بربطا محكما قويا بعيداً عن تصصن الافتاظ ، ومجادلات الفقهاء ، ومناقشات الكلامين ، وترهات علماء الهيئة ، والقصص والاخبار الاسرائيلية ، وعالجت مشاكل المسلمين ، وثبتت أن القرآن الكريم يساير تطور الحياة ، ويعدها بكل ما تحتاج إليها ، وناقشت شبهات المستشرقين والمبشرين وتلامذتهم من المسلمين ، وردتهم ردوداً قوية مفحمة^(٩) .

اذن فالمنهج الذي سار عليه الآلوسي من اهتمام باللغة ودقائقها ، والفقه ومذاهيه ، والكلام وطرقه ، والهيئة ونظرياتها ، لم يعد له مكان كبير في حياة المسلمين المضطربة القلقة الطامحة في بناء حضارة جديدة مبنية على الایمان

(٩) التفسير والمفسرون ٣/٢١٤

والعلم ، ومجتمع قوي متحرر من الجهل والجوع والمرض ٠

ان هذا التفسير وان أفاد العلماء في نواحي كثيرة ، واختصر لهم كثيرا من الوقت والجهد لم يؤثر تأثيرا كبيرا عمليا في حياة المسلمين ، ولم يقم بانقلاب في الفكر الإسلامي كما فعلته مدرسة محمد عبده ، لأن الظروف التي كانت سائدة في العالم الإسلامي قبل مجيء الآلوسي كانت تتطلب مثل تفسيره الجامع الذي غدا بحق الحلقة التي تربط بين جميع التفاسير القديمة والمرحلة الجديدة من التفسير التي ولدتها الظروف الحيوية الجديدة لlama الاسلامية ٠

لقد تسائلت مراراً ترى هل اطلع محمد عبده على تفسير الآلوسي وتتأثر به ، وأدرك ما فيه من بنور اصلاحية ، ومعالجة وسطية لتفسير الآيات القرآنية ، دون تأثير كبير بالآراء والمذاهب مع استعمال للعقل على نطاق واسع ، واستغلال للعلم الحديث أو جوانب منه في تفسير الآيات الكونية بصورة خاصة ؟ وفي الجواب عن هذا التساؤل أقول ان كل ما قرأته لمحمد عبده من تفسيره لجزء عم ، وما نقله عنه السيد رشيد رضا في المنار في أجزاءه الاولى ، وما كتب من كتب عدة لم يقم دليلاً عندي على تأثره به ، فلمحمد عبده طريقة خاصة في التفكير والتفسير ٠ وليس بعيداً مع ذلك انه اطلع على تفسير الآلوسي ضمن ما اطلع عليه من كتب التفسير ، وليس منطقياً أن نفترض أن محمد عبده لم يطلع على هذا التفسير ، لأنه ليس من من المقبول بالنسبة لمفسر عظيم مثله ، ان نفترض انه لم يكن قد اطلع على جميع التفاسير أو المشهورة المهمة ، ويأتي تفسير الآلوسي في المقدمة من تلك التفاسير ، وخاصة انه طبع في مصر وانتشر بين علمائه منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري ٠

ان من المؤكد الواضح ان المفسرين الذين جاءوا بعد محمد عبده ، والذين رموا من ذات قوسه قد عرفوا تفسير الآلوسي معرفة جيدة ، واتخذوه

مصدراً مهماً من مصادر تفاسيرهم ، وبما ان السيد رشيد رضا تلميذ الاستاذ الامام هو أشهر مفسر ظهر بعده ، فمن الممكن أن تتخذه مدار بحثاً ، لتوصل الى مقدار تأثيره بتفسير الآلوسي ليبرز امامنا جيداً مكانة هذا التفسير في تفكير مفسري العصر الحديث ٠

ان تفسير الآلوسي هو أحد مصادر تفسير المنار ، استشهد به صاحبه كثيراً في مختلف الموضوعات ٠ فهو ينقل عنه - مثلاً - او صافاً لمقاصد اجتماعية كاللجاج والhalb الكاذب والغفلة عن الله بسبب الشطرينج واللواءة^(١٠) ٠ ويعتمد في نقل اسباب النزول على سياق الآلوسي أكثر من اعتماده على السيوطي ، لأنّه يختصر اختصاراً يوهم احياناً بينما الآلوسي يفصل ويوضح^(١١) ٠ وينقل آراءه اللغوية ، واستخراجاته النحوية ، على أساس ان لرأي الآلوسي قيمة في هذا الباب ٠ فهو المفسر اللغوي المرن الذي اتبه قضية تطور اللغة وعدم الجمود في مسائلها^(١٢) ٠ وينقل رأيه في حكمة اخفاء الساعة^(١٣) ، ودلالة الآية الكريمة (وادعوا لهم ما استطعتم من قوة) على العموم^(١٤) ٠ وينقل رأيه في الآية الكريمة (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليندوقوا العذاب) وظاهر كلامه أنه يؤيد هذه في ما ذهب إليه^(١٥) ٠ ويستشهد بأرائه في البدع واستئثارها ونعي حالة المسلمين بسببيتها كي يسند رأيه في محاربة المتصوفة الذين وقفوا بوجهه^(١٦) ٠

(١٠) المنار ٦٢/٨ ٥٢٠ ٠

(١١) المصدر السابق ٢/٢ ، ٣٤٧-٣٤٨ ، ٥٣٧/٧ ، ٥١٤/٨ ٠

(١٢) المصدر السابق ١٠/١٠ ، ٤٨٥ ، ٤٨٥ ٠ راجع أيضاً ٧/٣٣٦ ، ٣٩٧ ، ٤٤٢ ، ٦٥٤ ٠

(١٣) المنار ٩/٤٣٢ ٠

(١٤) المصدر السابق ١٠/٧ ٠

(١٥) المصدر السابق ٥/١٦٥ ، ١٦٦ ٠

(١٦) المصدر السابق ١١/٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٩ ٠

وينقل صاحب المثار عن الآلوسي فصولاً كاملاً في موضوعات عدة
كفله عنه فصلاً طويلاً في مسألة النفس الناطقة عند الحيوانات، وكونها
مكلفة مخاطبة من عند الله ويجعله تحت عنوان (مسألة مستبطة من الآية
منقوله عن روح المعاني) ^(١٧).

وينقل الفصل الذي كتبه الآلوسي في رد الشيعة في دلالة الآية الكريمة
(ثاني اثنين) على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه ^(١٨). وينقل عنه ما أورد
من روايات الشيعة بشأن قراءة النصب والجر في الآية الكريمة
(٢٠ وأرجلكم) ^(١٩). وينقل عنه صفحات عدّة عما لخصه الآلوسي
عن السكاكي وغيره في بلاغة آيات الطوفان من سورة هود عليه السلام ^(٢٠).
ومع اعجاب السيد رشيد بتحقيقات الآلوسي وغزاره علمه، ينقده في
تأييده لمذهب القائلين من المتكلمين والفلسفه أن الاسم يطلق على نفس
الذات والحقيقة والوجود والعين، وهي عندهم اسماء مترادة. قال السيد
(وهذا القول ليس من اللغة في شيء ولا هو من الفلسفه النافعه بل من
الفلسفه الضارة) ^(٢١). ويناقشه في ردوده على الرazi الذي جاء بسبعين
عشراً حجة في تفسيره في اثبات كون البسمة من الفاتحة محاولاً دحضها
تعصباً لمذهب، وهو القول بأن البسمة آية من القرآن الكريم وليس من
الفاتحة، ويقول السيد (وهو من تمحل الجدل فلا معنى لكونها آية مستقلة
في القرآن الكريم الحق بسورة كلها الا واحدة وليس في شيء منها ولا
في فاتحته التي اقتدوا بها في كتبهم كلها) ^(٢٢).

(١٧) المصدر السابق ٧/٣٩٨-٤٠٢.

(١٨) المصدر السابق ١٠/٤٢٥-٥٢٣.

(١٩) المصدر السابق ٦/٢٣١-٢٣٣.

(٢٠) المصدر السابق ١٢/٩٢-١٠١.

(٢١) المصدر السابق ١/٤٠.

(٢٢) المصدر السابق ١/٩٠.

وينقده السيد كذلك في بعض تقولاته المبتورة غير الواضحة تماماً عن النووي^(٢٣) ، وفي عدم ضبطه في نقل بعض الأحاديث^(٢٤) . وفي استساغته آراء بعض المفسرين المتلفة^(٢٥) .

٤ - ما له وما عليه :

قمين بي بعد هذه الجولة الطويلة في دراسة مختلف نواحي هذا التفسير أن أعود من جديد إلى تقويمه بصورة واضحة هذه المرة ، بعد أن لمس القارئ رأيي في جميع مواضعه أثناء عرضها وشرحها . وطبيعي أن يتناول هذا التقويم ما له وما عليه ، اذ الكمال لله وحده ، وليس هناك كتاب يقبل كله ، أو يرفض كله ، فلابد من جوانب قوية يعجب الإنسان بها ، وجوانب أخرى ضعيفة يحاول أن ينبه عليها كي تكون درساً للأخرين في معالجة أيّ موضوع . ولقد ذكرنا عند كلامنا على منزلة تفسير الآلوسي بين كتب التفسير الأخرى ما لتفسير الآلوسي من مميزات جعلته جنباً إلى جنب مع أحسن التفاسير وأعظمها ، وهي موسوعيته المركزة الموقفة ، وتنصيه نفسه حكماً عدلاً بين مختلف الآراء ، واستعماله عقله المتنور في الاختيار والفهم ، واستفادته من التطور العلمي الحديث ، وظهوره إلى حد ما بمظاهر المصلح الذي يحاول أن يربط القرآن الكريم بواقع الظروف الحيوية المتنوعة ، وأضيف هنا إلى النقاط ما يلي :

١ - انه غالباً ما يختار من الروايات والتفسيرات الأقرب إلى الواقع وأدنى إلى قوانين العلم والعقل ، وأوفق بالآحاديث الصحيحة ، والاخبار الصادقة ، فهو يقول مثلاً (ونوح كما قال الجوالقي أعمجي معرب ، زاد الكرماني

• (٢٣) المصدر السابق ٧/٥١٠ .

• (٢٤) المصدر السابق ٧/٥٤١ .

• (٢٥) المصدر السابق ٧/٥٣٢ .

و معناه بالسريانية الساكن ، وقال الحاكم في المستدرك إنما سمي نوحًا لكترا
بكتره على نفسه ، و اسمه عبدالغفار ، والأول أثبت عندي ^(٢٦) .

٢ - ومن مآثر الآلوسي في تفسيره أنه لا يكتفي بطلاق القول جزافاً ،
وانما يبحث ويدقق عن الأدلة التقليية في مسألة من المسائل الدقيقة ، فان لم
يجد يلحاً إلى العقل ، فان اطمأن إليها قال بها ، والا اعترف بعدم اقرارها
نهائياً . وهذا دليل على أن الآلوسي كان دقيقاً في اسلوب تفكيره ، موضوعاً
في اقرار كثير من مسائل هذا الوجود أو عدم اقرارها ^(٢٧) .

٣ - ان الآلوسي في تفسيره ، يفسر الآيات القرآنية في حدود مفاهيم
العرب الذين نزل فيهم لا في حدود المصطلحات التي تجت من امتزاج
الثقافات المتنوعة ^(٢٨) .

٤ - من مميزات هذا التفسير ان صاحبه يمحض فيه الروايات ،
ويدقق فيه الاخبار ^{غير} يرفض الاسرائيليات رفضاً باتاً ، وقد ظهرت لنا هذه
النهاية واضحة جلية في اكثـر من مكان في هذه الـ سـالة .

ومع كل تلك الميزات فان هنالك ثغرات مهمة في تفسير الآلوسي كنا
نود أن لا نراها فيه لأنها تکدر صفاءه ، وتشوه جماله ، وهي في نظرى
كما يأتي :

١ - من عيوب هذا التفسير انه يستطرد في معانى بعض الآيات إلى
مواضيعات كان يستطيع الاستغناء عنها ، لأن عدم معرفتها لا يدخل ضمن
المفهوم العام للآلية الكريمة . ففى قوله تعالى - جعل الظلمات والنور - أنسا
كلاماً فيزيائياً طويلاً حول حقيقة النور والظلمة قائماً في أساسه على وجهات

(٢٦) روح المعانى ٧/٢١١ .

(٢٧) المصدر السابق ٢٢/١٨٢ .

(٢٨) المصدر السابق ٢٤/١٠٩ .

النظر القديمة التي لا يقرها العلم الحديث . وكذلك فعل في تفسيره لقوله تعالى - وكان عرشه على الماء - اذ نقل كلاما طويلا جدا في حقيقة العرش والماء ، وخلق احدهما قبل الآخر ، وهل بينهما خلاء ام لا ؟ وعرض لمناقشات بعض المتكلمين حول رأين في هذا الموضوع أبدا هما القاضي البيضاوي وسيخ الاسلام ابو السعود^(٢٩) ان الذي يقرأ هذا البحث يفوته كثير من الخير في تذوق القرآن الكريم ، اذ هو بحث فلسفى محض قائم على الفرضيات اكثره مخالف لمقررات العلم الحديث .

وللآلوسى استطرادات اخرى في موضوعات عدة كالموضوعات النحوية والكلامية ، يشعر القارئ اثناء قراءته للتفسير انها تماما زائدة ، ولا علاقة لها بالآيات من قريب ولا من بعيد .

٢ - يضيق صدر الآلوسى احيانا امام مخالفيه . فهو مثلا في رده على ابن حزم في اعتراضه على الامام الشافعى في مسألة فقهية معينة يقول ما نصه (وشنع ابن حزم الضال عليه) وعلى الرغم من أن هجوم ابن حزم القاسى على الشافعى هو الذى دفع الآلوسى الى هذا ، الا انه لا يمكن ان يقوم هذا حجة في تبرئته ، وكذلك يستعمل اقسى الكلمات ضد المعتزلة وعلمائهم وخاصة الزمخشري الذى مع اعترافه بامامته في العربية وغزاره علمه ينال منه بكلمات جارحة .

٣ - ورغم عقلية الآلوسى المتوردة ، فلم يسلم من ابداء آراء في غاية البعد كقوله (والحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاناث من المال اقل من نصيب الذكور نقصان عقلهن ودينهن)^(٣٠)

٤ - انتى آخذ على الآلوسى تظاهره بالتمذهب بالحنفية والدفاع عنها

(٢٩) روح المعانى ١٢ / ١٠

(٣٠) المصدر السابق ٤ / ٢٧

بعضية مصطنعة في مسائل متعددة على الرغم من انه في الحقيقة لم يكن متذهبها بمذهب معين كما ذهبت اليه عند دراستي لنواحي الفقه في تفسيره مما دفع مفسرا كالسيد رشيد رضا الى اتهامه بالتعصب للمذهب وعدم طلب الحق لذاته^(٣١) . والحال ان الآلوسي ليس كذلك في حقيقة الأمر ، بل هو الذي اقام على نفسه الحجة بدفعه المصطنع عنهم^(٣٢) .

٥ يجد القارئ شيئا من الغموض في شخصية الآلوسي العقلية في تفسيره ، وعلى الرغم من اشارتي من قبل لهذه النقطة ، وقولي ان الظروف التي سادت عصره هي التي دفعته الى سلوك هذا المسلك ، أرجع فاقول انه كان يجب ان يكون صريحا وجريئا ، فالعالم الذي يتصدى لتفسير القرآن الكريم عليه ان يرتفع فوق الظروف والاعتبارات ، ويجب الا يخاف الا من الله ، والا يقول الا الحق الذي يعتقده ، ولو كلفه ذلك ما كلفه .

٦ - ومن مأخذى على الآلوسى في تفسيره هذه التفسيرات الاشارية الباطلة في معظمها والتي ليست الا من تأثير الافكار الباطنية التي وجدت لها مسارب في عقول كثير من العلماء والمفكرين بصورة غير مباشرة والتي حطمت القوى المحركة في المجتمع الاسلامي ، فتحن في غنى عن خيالات التفسير الاشاري . وان تسجيل الضلالات والترهات بدعوى تسجيل نتاج الفكر الاسلامي - هذا ان احسناظن بالآلوسى - يجب ان نزهه تفسير القرآن الكريم عنها ، لأن ادخال هذه الأمور الظنية الخيالية الباطلة الى التفسير يسىء كثيرا الى فهم المسلمين للقرآن الكريم اشد الاصابة ، وتحجج بهم تعاليمه الواضحة ، وشرعياته الحكيمه ، وتبطل عند كثير من الجهلة العمل بظاهره البين .

• ٩٠/١ المنار

• ٨٠/٦ روح المعانى

٧ - ان الظروف الحيوية السيئة التي كانت سائدة في زمن الآلوسي
في المجتمع الاسلامي كانت قمينة في دفع المفسر إلى توجيه التفسير إلى
الاصلاح الاجتماعي فالقرآن الكريم كتاب هداية وثورة على تلكم الاوضاع .
وكان المسلمون في حاجة ماسة إلى هذا النوع من التفسير المتضمن على بيان
السنن الكونية ، وعوامل التقدم وظروف الهدایة ، وكيفية النهوض . وعلى
الرغم من انتا نجد في تفسير الآلوسي معالجات قصيرة وملحوظات عرضية
حول تلك التواحي ، الا انه مع ذلك لم يوجه تفسيره بكليته إلى هذه الناحية
مع شعوره - كما ارى - الاكيد بفساد الحالة ، ورغبته في الاصلاح .
ولكن هذا كله لا يقف دون مكانة هذا التفسير ، ولا يفرط في قيمته
العلمية الكبيرة في عالم التفسير ، ولا يحول بيننا وبين اعظم الفوائد الكامنة
فيه .

الخاتمة

كان لزاماً على "في اول هذا البحث ان اعرض مناهج المفسرين قديماً وحديثاً، كي يستطيع القارئ أن يأخذ فكرة صحيحة عنها، ويحدد مكانة الآلوسي بين هذه المناهج المتعددة المختلفة" . وكان من الضروري في بداية الفصل الاول من الباب الاول ان اخرج على ظروف مجتمع الآلوسي السياسية والعقلية ، لأن معرفة هذه الظروف تلقى اضواء كشافة على الكاتب ، وتعين على فهم انتاجه بصورة أدق . وانتهت من ذلك الى ان العراق كان مرتبطاً بالدولة العثمانية شكلاً ، وكان الحكم الحقيقي بيد المماليك ، يستبدون به . وادى الاصطدام بينهم وبين دار الخلافة الى سفك دماء كثيرة . ولم تكن علاقة العراق مع جاراته حسنة . وقامت ثورات فردية وجماعية في هذه الفترة أهمها خروج العشائر على الدولة ، وقيام الشيعة بحركتهم في كربلاء . وفي هذا العصر بدأ النفوذ الاجنبي في شؤون العراق وخاصة النفوذ الانجليزي .

أما الناحية العقلية والادبية . فقد ظهرت في هذا العصر بوادر نهضة فكرية أدبية بتشجيع من الولاة للثقافة والعلم ، وفتحهم المكتبات والمدارس . ظهرت نتيجة لذلك بيوتات علمية مشهورة برز فيها علماء وأدباء وشعراء شاركوا في هذه النهضة العلمية . ومن جهة أخرى فان المدارس الملحقة بالمساجد قادت الحركة العلمية ، ونفقت الطلبة بالثقافتين النقلية والعلقية . وساعد على ذلك انتشار المكتبات الخاصة وال العامة المزودة بعشرات الالوف من مختلف أنواع الكتب . وعلى الرغم من ان الدراسات الادبية لم تكن ضمن المناهج الدراسية ، فقد ظهرت طائفة من الشعراء والكتاب ، نشروا وعيادبياً شعرياً رصينا .

وبعد تقديم هذه الدراسة للعصر بدأت دراسة حياة الآلوسي ، وتوصلت

الى انه كان يتمي الى اسرة علمية عريقة ينتهي نسبها الى الرسول الاعظم
 صلى الله عليه وسلم من جهة الأب والأم . فتربي في أحضانها تربية دينية
 صالحة على يد أب عالم عابد . وفتح عينيه على القرآن الكريم وأحبه ،
 واستطعه مبادئ العلوم صبيا ، وقرأ كتابا متعددة في مختلف العلوم قبل
 البلوغ . ودرس على يد كبار علماء عصره ، وهضم العلوم النقلية والعلقانية .
 وانتشر صيته بين الناس ، فاعترفوا بعلمه وفضله ، وعيّن مدرسا في عدة
 جوامع . كان خلال تدرسيه بها مثلا للمدرس النشيط الموجه الواعظ
 الخطيب . مما أدى الى جلب حسد الحساد عليه ، فرشقوه بانواع التهم
 والباطل ، ف تعرض الى الایذاء والسجن والفصل من وظائفه . ولما اطلع
 الوزير علي رضا على منطقه العذب ، وعلمه الغزير ، وشخصيته الفذة .
 عينه مفتيا في بغداد ، ولم يكن يتولى هذا المنصب الا أعلم علماء العصر . ولما
 جاء الوزير نجيب باشا نجح حساد الآلوسي في اقناعه بعزله ، فعزل من
 منصبه ، وقطع عنه مصدر رزقه في أوقاف المدرسة المرجانية . فسافر الى
 اسطنبول لعرض مظلمته ، فاستقبل استقبلا عظيما من قبل الوزراء والقواد
 والعلماء ، واغترفوا من علمه ، وطلبو منه البقاء فرفض . وفي طريق عودته
 أصيب بالحمى ، فلم تزل تدب في عروقه الى ان توفاه الله سنة ١٢٧٠ هـ .
 اما ألسنته وشيوخه ، فقد كانوا نخبة ممتازة من علماء العراق ، تتلمذ
 عليهم ، ولا زمهم . فتقلى عنهم العلوم النقلية والعلقانية التي كانت تدرس في
 ذلك الزمان . ومن الجدير بالذكر ان كلا منهم كان بارزا في ناحية من
 النواحي .

وفي هذا الفصل تعرضت ايضا لمصادر ثقافته ، فانتهيت الى انه كان
 مطلعا اطلاقا واسعا على العلوم النقلية والعلقانية ، وكتب أهل الكتاب من اليهود
 والنصارى وتاريخ الامم والشعوب ، والتصوف ونظرياته ، ومارسه عمليا
 ضمن الطريقة النقشبندية . وكان يجيد اللغة الفارسية والتركية ، وعلى

اطلاع جيد بعلم الجغرافيا وبعض نتاج العلم الحديث . ولقد أكسبه تجواله
خبرة عميقة صبها في كل ما كتب من كتب ورسائل .

وبعد الانتهاء من هذه الجولة ، فصلت القول في ملامح شخصيته
الاجتماعية والعلقية ، فوجدت أن شخصيته كانت عصرية ، برزت مبكرا ،
وهيمنت المعرف الإنسانية في زمانه ، فسنت بذلك أرقى المناصب ، مما
جلبت عليه الحسد ثم الاضطهاد . وكان مؤمنا بالمثل التي جاء بها الإسلام
متمسكا بها عمليا . فلقد كان متواضعا لا يدعى علما ، عفوا ، كريم الطبع ،
راعيا للحقوق ، وفيما ، صادقا صابرا ، كثير الصدقات والصلة والاستغفار .

اشترك في النشاط الاجتماعي في زمانه بقسط كبير .
وكان الآلوسي من أشد انصار الدولة العثمانية ، يدعو لثبت أركان
دولتها في كتاباته ، بسبب العدو الخارجي ، والخوف من سيطرة الشيعة في
العراق على الدولة . وعلى الرغم من تأييده للدولة منه المسؤولين إلى الفوائض
التي كانت موجودة وخاصة في العراق ، فلفت الانظار في كتبه ورسائله
إلى كثير من العيوب الاجتماعية . وكان معتملا غير متطرف ، يجهر بالحق
ولا يألو .

اما مكانته العلمية ، فقد كانت ظاهرة بين علماء عصره ، قدموه وعظموه ،
 وبالغوا في اكرامه ، وكان موضع تبجيل الجميع في كل مكان .

وفي الفصل الثاني من الباب الأول عالجت تراث الآلوسي ، ففي آثاره
العلمية صفت كتبه إلى المجموعات التالية :-
اللغة والادب :-

وتدل هذه الكتب على احاطة الآلوسي بمسائل النحو وعلمه ، وتعمله
في فهم أسرار اللغة ، والتفريق بين المعاني ، وطول باعه في النقد اللغوي
ثم كتب البحث والمناظرة :-

وتظهر من هذه الكتب غزارة علم الآلوسي ، وقدرته الفائقة على
الحجاج المنطقي ، والجادلات الدامغة ، ودفاعه القوي عن مصالح الاسلام
كدولة ، ودعوته المسلمين الى الجهاد ، ومناصرته لمذهب اهل السنة
والجماعة ، ومناقشة الشيعة في هجماتهم على الصحابة الكرام ٠

ثم كتب الرحلات :- وهي (غرائب الاغرب) و (نشوة الشمول)
في السفر الى اسلامبول) و (نشوة المدام في العود الى مدينة السلام)
وفيها سجل الآلوسي رحلته الى دار الخلافة ، ونجد فيها جوانب طريفة
لحياته ، وتحليلات رائعة لواقع مجتمعه ، ومقابلات علمية مفيدة مع علماء
عصره ، ووصفاً أدبياً رائعاً لكل ما صادفه من مظاهر الطبيعة الجميلة في
الطرق التي سلكها ، وتصويراً صادقاً لأهل المدن والقرى التي رأهم فيها ،
واسمع اليهم ، ولقى منهم الجفاء حيناً ، والحفاة أحياناً . وهذه الكتب
تقوم وثيقة تاريخية للمؤرخين لاستخلاص جوانب من ملامح الحياة في
عصر الآلوسي ٠

ثم التراجم :- وله كتاب واحد في ترجمة شيخ الاسلام احمد عارف
حكمت ، وهو وثيقة تاريخية جيدة لجوانب معينة من حياته ، تفيد من
يحاول دراسته أو دراسة العصر الذي عاش فيه ٠

ثم مقاماته : وقد سجل فيها جوانب من حياته ، ونظرته الى الناس
وشکواه من الزمان ، وحاول فيها لفت أنظار الناس الى الواقع نخرت
مجتمعه ، بأسلوب أدبي رصين مسجوع احياناً ومرسل حيناً آخر ٠

وبعد هذه الدراسة في كتبه ، قدمت دراسة فنية لأسلوبه الادبي ،
فظهر لي أن الآلوسي كان كاتباً كبيراً ، لم يكن يقل في موهبته الادبية عن
كبار كتاب العرب . قيدت روح العصر اتجاه اسلوبه بالسجع . ولكن كأن
يتحرر أحياناً فينطلق متسللاً ، وخاصة في تفسيره ٠

ومع ذلك فان سجنه خفيف الروح ، بعيد في أكثر الأحيان عن التصنّع ، قریب إلى الروح الشاعرية . وله خيال بارع في الوصف ، وغرايم باستعمال الاستعارات وتولیدها . وأوصافه رائعة في مختلف مظاهر الطبيعة ، وتحديد ملامح الشخصيات .

أما اسلوبه العلمي فانتهيت منه إلى أن اسلوبه الأدبي ظاهر على اسلوبه العلمي . وهو في تقريره للحقائق لا يدع لعاطفته سيليا . ويعتمد في تقريره للافكار على الظروف والقواعد التي قيدت أصحابها . وفي سيل معرفة حقيقة أو فكرة يرجع إلى كتبها الأصلية . ويسط جميع الآراء ولا ينحصر عموما . وهو في اسلوبه العلمي غير مغلق على الفهم .

اما اسلوبه في ردوده فيعتمد على استنباط ادلة الازمام او لا من كلام خصمه . واما شعره فلم تُتح له ظروف حياته العلمية والعملية الصقل الكامل ، وإنما بقيت قابلية الشعرية حبيسا تتحرك في اطار معين .

وفي الباب الثاني درست تفسير الآلوسي (روح المعاني) . وفي الفصل الاول عالجت تاريخ كتابته للتفسير ، والمراحل التي مرت بها ، والمدة التي استغرقتها ، والنسخة التي أهدتها ، ثم قدمت وصفا عاما لهذا التفسير شمل مقدمته التي تتحدث عن جوانب كثيرة تتعلق بالتفسير وتاريخه ومسائل متصلة بالدراسة البلاغية للقرآن الكريم . وقد لاحظت ان الاجزاء الاولى أصعب 'الاجزاء' ، وأعمقها معالجة ، وأكثرها تفصيلا . والتفسير مركز ، فيما يذكره في آية لا يعيده في آية أخرى . وعقليته في تطور مستمر . وقد رأيت أن هذا التفسير مجتمع التفاسير ، اتبع فيه الآلوسي المنهج الجمعي أو الموسوعي . وهو طالب حق ، فما يقرره في مكان يتراجع عنه في مكان آخر اذا ما ظهر له الحق . ومن الجدير بالذكر انه يدل على مصادره والكتب التي اعتمد عليها في معظم الأحيان .

وبعد ذلك قدمت وصفا مفصلا النسخ المخطوطة والمطبوعة .

وفي الفصل الثاني عالجت منهجه في كيفية تناول الآيات ، وكشفت عما يمتاز به من خصائص ، فهو يفسر القرآن بالقرآن وبالحديث مع اهتمام بالجرح والتعديل ، وقدرة على التحقيق والتدقيق مما جعلنا نطمئن إليه في هذه الناحية الخطيرة . وهو يفسر باللغة وله نظرات دقيقة في هذا المجال . فهو يعتقد أن القرآن الكريم يجب أن يفسر في حدود المفاهيم اللغوية التي سادت في عصره . وبطيل الألوسي في عرض المسائل النحوية ، وهو لا يأخذ بمذهب معين ، وإنما يأخذ من جميع المدارس . وهو يعالج النواحي البلاغية المختلفة في الآيات لآيات اعجاز القرآن ، وتبرير تركيب آياته . ويهتم بيان أسباب التزول لأنها مفتاح فهم الآية في كثير من الأحوال . وهو في بيانه ذلك يوضح ويسقى ويختار . ثم ينتقل إلى تفسيرات إشارية تبعد القارئ عن الجو القرآني الرائع . ولا ينسى الكلام عن فضائل السور والآيات والمشاكل التي أثيرت حول بعض الآيات القرآنية . وتوضيح المعاني بطائفة من أجمل الأشعار ، وتقديم كلام موجز عن المعاني العامة للآيات ، مع عدم اخضاعها إلى المقاييس المنطقية .

وفي الفصل الثالث تناولت موقفه من آراء القدماء . ففي تناوله لحرروف الهجاء في أوائل السور ، يعتقد أنها أمور غبية لا يعرّفها إلا الله والعارفون . ويعتقد أن جميع ما قيل وما يقال صحيح في معانٍ هذه الحروف . وفي تناوله للقسم يتبع العلماء والمفسرين السابقين في أنه قسم حقيقي مقصود لغاراض معينة . وفي تناوله للفوائل يعتقد أن التزامها لغاية بلاغية جمالية . وفي تناوله للمتشابه ، يذهب مذهب السلف ، وهو الإيمان بالظاهر وارجاء الامر كله إلى الله سبحانه . وفي النسخة يبين أنواعه وحكمة وجوده شرعا . وفي الاعجاز يذهب إلى الجمع بين الآراء ، ويقدم نماذج عملية تقوم دليلا على الاعجاز القرآني ، ويقف موافق بلاغية تحليلية رائعة من الآيات القرآنية متأثرا بعلماء المدرسة البيانية في التفسير وعلى رأسهم

الزمخشرى ٠ وفي القراءات يعرض الوجوه المختلفة ، ولا يتلزم برأى جمهور القراء ، ويتحقق ثقة كاملة بتوارثها ، ويدافع عنها دفاعاً قوياً ، ويحشد الأدلة المتعددة على صحتها ٠ ويشن حملات عنيفة على بعض علماء اللغة والتفسير الذين ضعفوا قراءات معينة ، ويرميهم بالجهل ٠ وموقفه هذا لم يمنعه من نفي بعض القراءات الشاذة جداً ٠ وأما الأسائليات فهو يرفضها ويشدد النكير عليها ، ويرد أخبار القصص ، وينقد العلماء الذين نقاوها ٠ وفي المسائل الاعتقادية يتبع السلف الذين يقون الآيات على ظواهرها بلا تسطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ٠ ولا يصح المجاز إلا إذا اتفق مع أساليب العرب في الكلام ، ويدخل في معارك حامية مع المعتزلة ، فيُفنى عقائدهم ٠ ثم يلتقي إلى متصرفه زمانه ، فيرميهم بالجهل والشرك والفسق ، والخروج على الإسلام ، بما ادعوه من الاستغاثة بغير الله وبعادة القبور ، وضرب السيف ، واستعمال الدفوف ٠

واما في الفقه فهو يعرض آراء مدارسه وعلمائه مع احترامه لهم جميعاً ، ومع تظاهره بالحنفية إلا أنه لا يت指控 لمذهب معين ، والآلوي لا ينسى المشاكل الفقهية والقانونية التي اثيرت في زمانه ٠ وفي التصوف يعرض أقوال كبار الصوفيين في وحدة الوجود وغيرها ، ويعتبرها أقوالاً فوق طور العقل ، لا يجب أن نشغل أنفسنا بها ، ويحذر الناس منها ٠ وهو على الرغم من اتباعه مذهب السلف متأثر بنزاعتهم ، كثيراً الاحترام لشایختهم ، مع فضحه لتصوف زمانه ٠ وفي المسائل الكونية يأتي إلى الآيات فيفسرها وبين رأي العلماء فيها ، فيقبل ما يقبل ويترك ما يترك ٠ وهو يستعين بتتاح العلم الحديث الذي انتقل عن طريق الترجمات من أوروبا ٠ أما موقفه من أهل الفرق والملل ، فهو موقف الرد القوي على الشيعة ، والتفنيد لأرائهم وعقائدهم ، يدخل معهم في مناقشات نقلية وعقلية ٠ وله ردود على الصوفية والمعزلة والنصارى ومذاهبهم في المسيح عليه السلام ٠ وفي القسم الثاني من هذا الفصل

استعرضت نماذج من آراء الآلوسي وتوجيهاته في آيات معينة ، وهي تبرز شخصيته العلمية التي لا تقف عند الجمع والتنسيق ، وإنما تتجاوزهما إلى الاستقلال بالرأي ، والانفراد بالتوجيه *

وفي الفصل الرابع عرضت طائفة من آراء العلماء المعاصرين للآلوسي والمتاخرين عنه ، حيث اجمعوا على الاشادة بتفسيره ، ووضعه في مقام بارز بين التفاسير المشهورة *

اما منزلة تفسيره بين كتب التفسير المشهورة فهي منزلة محترمة ، لموسعيته المركزة ، وعقلية صاحبه المستنيرة ، وأحكامه العادلة في العرض والترجم ، واستفادته من التطور العلمي الحديث ، وظهوره بمظهر المصلح *
وأما تأثيره فيمن جاء بعده من المفسرين ، فلم يكن تأثيراً أساسياً موجهاً لتبدل ظروف العصر ، ولكنه كان تأثيراً علمياً * ومن الذين استفادوا من تفسيره السيد رشيد رضا في المنار والأمام المراغي في تفسيره * وقد أخذت الأول مدار بحثي ، وعرضت لجوائب هذا النوع من الاستفادة *

وبعد تلخيص مزايا هذا التفسير عرضت الثغرات التي وجدتها فيه ، كاستطراداته العلمية والفلسفية ، ووضيق صدره أحياناً أمام مخالفيه ، وإبداء آراء غريبة ، وظهوره بالتمذهب بالحنفية ، وغموض شخصيته بعض الشيء ، وتفسيراته الاشارية *

نتائج البحث :

استطيع أن أقول إن بحثي هذا في مجموعة لم أسبق إليه حسب ما أعلم ، فنتائج لا يأس بها * فقد حللت شخصية الآلوسي الاجتماعية والعقلية ، ودرستها كل ، فظهرت لي فيها جوانب القوة ، وجوائب الضعف ، وهي طفيفة مما تثير الطريق أمام الدارسين لتفسيره ، والقارئين لتراثه *
ودرست تراث الآلوسي كتاباً كتاباً ، وصنفت كتبه إلى مجموعات *

وبينت مزايا كل مجموعة منها ٠

ودرست مزايا اسلوب الآلوسي العلمي والادبي والشعرى ٠

كما قدمت وصفا علميا عن تفسير الآلوسي وظهر لي ان منهج الآلوسي هو منهج جمعي او موسوعي ، اي انه لم يخضع لمنهج واحد بعينه ، ولذلك رفضت الاقوال التي تجعل من تفسير الآلوسي تفسيرا بالرأي تارة وبالإشارة أخرى ووضعت نسخ تفسير الآلوسي المخطوطة في مكتبات بغداد واسطنبول وصفا تفصيليا جزءا جزءا ٠

وتكلمت على مصادر تفسير الآلوسي ، وقامت باحصائية شاملة لعدد المرات التي استشهد فيها بكل مفسر ، وبذلك حددت بصورة علمية اتجاه تفسيره من حيث تأثره بالتفاصيل التي سبقته ٠ ودحضت القول الذي اطلقه بعض الباحثين ، والذي ينص على ان تفسير الآلوسي انما هو صورة مصغرة مبتورة من تفسير الرازى ٠

وقدمت باحصائية مناسبة بأشهر الذين اعتمد عليهم الآلوسي في العلوم النقلية والعقلية ٠

واستخلصت مواقف الآلوسي التفصيلية من المدارس الفكرية المتعددة في التراث الإسلامي ٠

وظهر لي من دراسة تفكير الآلوسي في تفسيره انه كان مستقل التفكير في معظم المسائل ، وقد استطاعت ان أضع يدي على استقلاله هذا تحت انفاس من ركامات ظاهره بتقليد الحنفية ، أو التشيع لفكاره الصوفية أو هجماته على بعض العلماء ٠

واستطاعت ان أصل الى ان الآلوسي لم يكن جامعا آراء في تفسيره ، وإنما كان صاحب رأي ، وله نظرات شخصية في كثير من الآيات القرآنية ٠ واستخلصت من تفسيره خصائص اسلوبه في تناوله للآيات القرآنية وحددت بصورة علمية مستندا على دراسة التفسير نفسه ، مكانته بين تفاسير العلماء ٠

و درست مقدار تأثيره فيما بين جاء بعده ، و اتخدت من تفسير المنار ميدانا
لهذه الدراسة .

و حددت بموضوعية مجردة عن الهوى ما لها التفسير من فضائل وما
فيه من نواقص .

واستخلصت من « جموع هذه الدراسة ان الآلوسي اديب من كبار ادباء
العرب و عالم من كبار علماء الاسلام » و مفسر من مشاهير المفسرين ، و ان
تفسيره من التفاسير المهمة الذى لا يستغنى عنه الدارس والباحث .

انتهى

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

شكر

أشكر الاستاذ النجيب حازم هاشم الآلوسي على معاونته لي في الاطلاع
على كثير من المخطوطات المتصلة بهذه الدراسة ، المحفوظة في مكتبة المرحوم
والده .

وأشكر الاستاذين الجليلين منير القاضي ومحمد بهجة الأثيري على
تهئتيهما لي فرصة المناقشة معهما في بعض موضوعات هذا الكتاب .

وأشكر الاستاذ عبدالله الجبورى أمين مكتبة الاوقاف فى بغداد على
معاونته لي فيما كنت أطلب من مخطوطات ومطبوعات .

وأخيراً أشكر صاحب مطبعة المعارف فى بغداد وجميع المسؤولين فيها
على ما بذلوه من جهد فى اخراج هذا الكتاب .

المؤلف

المصادر والمراجع

- ١ - ابن تيمية - مقدمة في اصول التفسير -
- ٢ - ابن الجوزي - النشر في القراءات العشر - مطبعة مصطفى محمد - القاهرة ٠
- ٣ - ابن خلدون - المقدمة ، بتحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي - لجنة البيان العربي القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٥ م ٠
- ٤ - ابن كثير - التفسير - عيسى البابي الحلبي - القاهرة ٠
- ٥ - أحمد أمين - ضحى الاسلام - السادسة - النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦١ م ٠
- ٦ - أحمد خليل - نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن - الاولى - الاسكندرية ١٣٧٣ هـ ٠
- ٧ - أحمد مصطفى المراغي - التفسير - الثانية - البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٣ هـ ٠
- ٨ - الآلوسي (محمود شهاب الدين) - الاجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية - الحميدية بغداد ١٣٠١ هـ ٠
- ٩ - الآلوسي (محمود شهاب الدين) - الاجوبة العراقية للأسئلة الایرانية - مخطوطة الاوقاف العامة بغداد ٠ رقم ٥٣٤٥ ٠
- ١٠ - الآلوسي (محمود شهاب الدين) - التبيان شرح البرهان في اطاعة السلطان ٠ مخطوطة الاوقاف العامة ٠ بغداد ٠ رقم ٥٦١٦ ٠
- ١١ - الآلوسي (محمود شهاب الدين) - حاشية عبد الملك بن عاصم في علم الاستعارة - مخطوطة بمكتبة المرحوم هاشم الآلوسي ٠ بغداد ٠
- ١٢ - الآلوسي (محمود شهاب الدين) - حواشي شرح القطر - الاولى - القاهرة ١٣٢٠ هـ ٠

- ١٣- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - الخريدة الغيسية في شرح القصيدة العينية - مصر ١٢٧٠ هـ
- ١٤- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - رسالة بخطه في مكتبة هاشم الآلوسي - بغداد
- ١٥- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسجع المثاني - الأولى - بولاق - القاهرة ١٣٠١ هـ
الثانية - المنيرة - القاهرة
- ١٦- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - سفرة الزاد لسفرة الجهاد - دار السلام - بغداد ١٣٣٣ هـ
- ١٧- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - شجرة الانوار - مخطوطه مكتبة المتحف - بغداد رقم ١١٠٣
- ١٨- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - شهى النغم فى ترجمة شيخ الاسلام عارف الحكم - مخطوطه الاوقاف العامة - بغداد رقم ٥٩٣٣
- ١٩- الآلوسي (محمود شهاب الدين) الطراز المذهب فى شرح قصيدة الباز الشهيب - الفلاح - مصر ١٣١٧ هـ
- ٢٠- الآلوسي (محمود شهاب الدين) غرائب الاغتراب ونزة الالباب - الشابندر - بغداد ١٣٢٧ هـ
- ٢١- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - الفوائد السننية في الحواشى الكابنوية - مخطوطه الاوقاف العامة رقم ٦٥٢٣
- ٢٢- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد - الكستيلية مصر - ١٢٧٨ هـ
- ٢٣- الآلوسي (محمود شهاب الدين) كشف الطرة عن الغرة - الأولى - دمشق ١٣٠١ هـ
- ٢٤- الآلوسي (محمود شهاب الدين) المقامات - حجرية - كربلاء ١٢٧٣ هـ

- ٢٥- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - نسوة الشمول في السفر إلى
اسلامبول - الولاية - بغداد ١٢٩٣ هـ
- ٢٦- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - نسوة المدام في العود إلى مدينة
السلام - الولاية - بغداد ١٢٩٣ هـ
- ٢٧- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - النفحات القدسية في الرد على
الامامية - مخطوطة بمكتبة هاشم الآلوسي - بغداد
- ٢٨- الآلوسي (محمود شهاب الدين) - نهج السلام إلى مباحث الامامة -
مخطوطة الاوقاف العامة رقم ٤٦٧٨ ب
- ٢٩- الآلوسي (محمود شكري) - مساجد بغداد - الاولى - دار السلام -
بغداد ١٣٤٦ هـ
- ٣٠- الآلوسي (محمود شكري) - المسك الاذفر - الآداب - بغداد
١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م
- ٣١- البستاني - دائرة المعارف - بيروت ١٩٥٦ م
- ٣٢- جرجي زيدان - مشاهير الشرق والغرب في القرن التاسع عشر -
الهلال - القاهرة ١٩٠٢ هـ
- ٣٣- جولدزيهر - مذاهب التفسير الاسلامي - ترجمة عبدالحليم النجار -
السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٤ هـ
- ٣٤- الحريري - المقامات - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة
- ٣٥- خيرالدين الزركلي - قاموس الاعلام - الثانية - كوستاسوماس -
القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م
- ٣٦- داود سلوم - تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي - المعارف -
بغداد ١٩٦١ م
- ٣٧- الرازي - مفاتيح الغيب - الاولى - الشرقية - القاهرة ١٣٠٨ هـ
- ٣٨- رشيد رضا - تفسير المنار - الرابعة - دار المنار - القاهرة ١٣٧٣ هـ

- ٣٩ - الزرقاني - مناهل المعرفان في علوم القرآن - الثانية - عيسى البابي الحليبي ١٣٦١ هـ
- ٤٠ - الزركشي - البرهان في علوم القرآن - الأولى - عيسى البابي الحليبي - القاهرة
- ٤١ - الزمخشري - الكشف - الثانية - الاستقامة - القاهرة ١٣٧٣ هـ - م ١٩٥٣
- ٤٢ - سليمان فائق - تاريخ بغداد - الأولى - المعارف - بغداد ١٩٦٢ م
- ٤٣ - السيوطي - الاتقان في علوم القرآن - الثالثة - البابي الحليبي - القاهرة ١٣٧٠ هـ - م ١٩٥١
- ٤٤ - الشاطبي - المواقف - المكتبة التجارية - القاهرة ١٩٥٦ م
- ٤٥ - شوقي ضيف - البلاغة تطور وتاريخ دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ م
- ٤٦ - شوقي ضيف - الفن ومذاهبه في النشر العربي - بيروت ١٩٥٦ م
- ٤٧ - صالح القرزوني - الديوان - مخطوطة في مكتبة المتحف - بغداد رقم ١٨٩٢
- ٤٨ - صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن - الثالثة - دار العلم للملائين - بيروت ١٩٦٤ م
- ٤٩ - صديق حسن خان - الناج المكلل - بومباي ١٣٨٢ هـ - م ١٩٦٣
- ٥٠ - صفي الدين البغدادي - مراصد الاطلاع - القاهرة ١٣٧٣ هـ - م ١٩٥٤
- ٥١ - طنطاوي جوهري - الجواهر - البابي الحليبي - مصر ١٣٤٣ هـ
- ٥٢ - عباس العزاوي - تاريخ العراق بين احتلالين - الأولى - بغداد ١٣٦٩ هـ - م ١٩٤٩
- ٥٤ - عباس العزاوي - ذكرى أبي الثناء الألوسي - شركة التجارة - بغداد ١٣٧٧ هـ - م ١٩٥٨

- ٥٥- عبدالباقي العمري - الترائق الفاروقى ° مطبعة أمين أفسدي
اسطنبول ١٣١٦ هـ °
- ٥٦- عبدالرازق الحسني - البابيون والبهائيون حاضرهم وماضيهم - العرفان
صيدا ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م °
- ٥٧- عبدالرازق الهلالى - تاريخ التعليم فى العراق - الاولى -
بغداد ١٩٥٩ م °
- ٥٨- عبد الرحمن الوكيل - هذه هي الصوفية - السنة المحمدية - الثالثة -
مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م °
- ٥٩- عبدالغفار الاخرس - الطراز الانفس - طبعة اسطنبول ١٣٠٤ هـ °
- ٦٠- عبدالفتاح الشواف - حديقة الورود - مخطوطه مكتبة هاشم الالوسي °
- ٦١- عبدالقادر المغربي - تفسير جزء تبارك - الشعب - القاهرة °
- ٦٢- علي حسب الله - اصول التشريع الاسلامي ° الثالثة - دار المعارف
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م °
- ٦٣- علي حسين الخربوطلي - شروب الخلافة الاسلامية - التقدم - القاهرة
- ٦٤- قاسم القيسي - تاريخ التفسير - المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٦٦
- ٦٥- لونكريك - أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث - ترجمة جعفر
الخياط - الاولى - التفيسن - بغداد ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م °
- ٦٦- محمد أمين زكي - مشاهير الكرد والكردستان - التفيسن - بغداد
١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م °
- ٦٧- محمد بهجة الاثري - اعلام العراق - السلفية - القاهرة ١٩٤٥ هـ °
- ٦٨- محمد بهجة الاثري - محمود شكري الالوسي - الدراسات العربية -
القاهرة ١٩٥٨ م °
- ٦٩- حمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون - الاولى دار الكتاب
العربي - القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م °

- ٧٠ - محمد الخال - الستوسي - الاولى - المعارف - بغداد ١٣٧٧ هـ -
١٩٥٨ م
- ٧١ - محمد الخال - الشيخ معروف التودهي - الاولى - التمدن - بغداد
١٣٩١ هـ - ١٩٦١ م
- ٧٢ - محمد الخال - مفتى زهادى - المعارف - بغداد ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م
- ٧٣ - محمد عبد - تفسير جزء عم - الثالثة - مطبعة مصر - القاهرة
١٣٤١ هـ - ١٩٣٨ م
- ٧٤ - محمد القاضى ابن عاشور - التفسير ورجاله - دار الكتب الشرقية -
تونس ١٩٦٦ م
- ٧٥ - محمد الفزلي - التعريف بمساجد السليمانية - النجاح - بغداد
١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م
- ٧٦ - محمد مهدي البصیر - نهضة العراق الأدبية - الاولى - المعارف -
بغداد ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
- ٧٧ - مصطفى جواد - المباحث اللغوية في العراق - الدراسات العربية -
القاهرة ١٩٥٥ م
- ٧٨ - مصطفى الصاوي الجوبني - منهج الزمخشري في تفسير القرآن - دار
المعارف - القاهرة ١٩٥٩ م
- ٧٩ - منير القاضي - ورقة بخط يده محفوظة في مخطوطه (دقائق التفسير)
بمكتبة هاشم الألوسي - بغداد
- ٨٠ - الهمداني - المقامات - منشورات المكتبة الازهرية - القاهرة - ١٣٤٢ هـ
- ١٩٢٣ م
- ٨١ - ياقوت الحموي - معجم الادباء - دار المؤمن - القاهرة - ١٣٥٥ هـ -
١٩٣٦ م
- ٨٢ - ياقوت الحموي - معجم البلدان - الاولى - السعادة - مصر
١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م
- ٨٣ - يوسف عزالدين - الشعر العراقي - في القرن التاسع عشر - الاولى
بغداد - الزهراء ١٩٥٨ م - الثانية - الدار القومية - القاهرة
١٣٨٠ هـ - ١٩٦٥ م

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٨ - ٣	١ - المقدمة
٢٥ - ٩	٢ - تمهيد (منهاج التفسير عند القدماء والمحدثين)
	الباب الاول - الفصل الاول
	٣ - عصر الآلوسي من النواحي السياسية والعقلية والادبية
٣٣ - ٢٨	آ - الناحية السياسية
٣٨ - ٣٣	ب - الناحية العقلية والادبية
	٤ - حياة الآلوسي
٤١ - ٣٩	ـ آ - أسرته
٤٦ - ٤١	ـ ب - مولده ونشأته
٥٢ - ٤٦	ـ ج - رحلته الى القسطنطينية
٥٥ - ٥٢	ـ د - وفاته
٥٩ - ٥٥	ـ ه - أساتذته وشيوخه
٦٣ - ٦٠	ـ و - ثقافته واتجاهاتها
٨٠ - ٦٣	ـ ز - شخصيته الاجتماعية والعقلية
٨٣ - ٨٠	ـ ح - مكانته العلمية في عصره

الفصل الثاني

آثاره العلمية والادبية المطبوعة والخطوطة

	(١) - آثاره العلمية :
١٠٩ - ٨٦	ـ آ - اللغة والأدب
١٢٧ - ١٠٩	ـ ب - البحث والمناظرة
١٢٩ - ١٢٨	ـ ه - الترجم

الموضوع	الصفحة
آثاره الأدبية :	(٢)
ـ كتب الرحلات	١٣٨-١٢٩
ـ المقامات	١٤٣-١٣٩
دراسة فنية لأدبه :	(٣)
ـ دراسة لأسلوبه العلمي	١٤٦-١٤٤
ـ دراسة لأسلوبه الادبي	١٥٥-١٤٦
باب الثاني - الفصل الاول	
ـ تاريخ كتابه وفراغه منه	(١)
ـ نسخه المخطوطة والمطبوعة	(٢)
ـ وصفه	(٣)
الفصل الثاني	
ـ مصادره ومنهجه	(١) مصادره
ـ منهجه	(٢) منهجه
الفصل الثالث	
ـ موافقاته ومخالفاته للعلماء	آ
ـ موقفه من حروف الهجاء في أوائل السور	١
ـ موقفه من القسم	٢
ـ موقفه من الفواصل	٣
ـ موقفه من المتشابه	٤
ـ موقفه من النسخ	٥
ـ موقفه من الاعجاز	٦
ـ موقفه من القراءات	٧

الموضوع

الصفحة

٢٨٧-٢٨٢	٨ - موقفه من الاسرائيليات
٢٩٤-٢٨٧	٩ - موقفه من المسائل الاعتقادية
٣٠٣-٢٩٤	١٠ - موقفه من المسائل الفقهية
٣١٠-٣٠٣	١١ - موقفه من التصوف
٣١٣-٣١٠	١٢ - موقفه من المسائل الكونية
٣٢٢-٣١٣	١٣ - موقفه من أهل الفرق والملل
٣٢٩-٣٢٢	(٢) الآراء التي انفرد بها

الفصل الرابع

مكانة تفسيره

٣٣٧-٣٣٣	١ - آراء العلماء فيه
٣٣٨-٣٣٧	٢ - منزلته بين كتب التفسير الأخرى
٣٤٤-٣٣٨	٣ - تأثيره فيمن جاء بعده
٣٤٨-٣٤٤	٤ - ما له وما عليه
٣٥٨-٣٤٩	٥ - الخاتمة

فهرس الاعلام

- | | | |
|---|---|----|
| احمد بن ابراهيم الشعبي النيسابوري الجيلي ٩٧ | ٠ | |
| حبيب بن قاسم آغا الكروي ٨٣ | ٠ | ١٣ |
| الحريرى ٢١٨ ، ١٥٣ ، ٨٩ | ٠ | |
| حسن افندي النائب ٦٧ | ٠ | |
| الحسن البصري ١١ | ٠ | |
| حسن بن الشيخ علي العشاري ٤١ | ٠ | |
| حسين الطباطبائي آل بحر العلوم ٥٤ | ٠ | |
| ابن حجر ٦٤ ، ٧٥ | ٠ | |
| حمدى باشا ٤٨ | ٠ | |
| حمزة ٩٢ | ٠ | |
| ابو حيان ١٥ ، ١٨٣ | ٠ | |
| الخازن ١٧ | ٠ | |
| خالد النقشبندى ٥٨ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٦٢ | ٠ | |
| ابن خالويه ١٥ | ٠ | |
| الحفاجي ٢٥٣ | ٠ | |
| خلف التحوى ١٤ | ٠ | |
| الخليل ٨٩ | ٠ | |
| خير الدين الزركلي ١٤٢ | ٠ | |
| الدانى ١٥ | ٠ | |
| الدارقطنى ١٥ | ٠ | |
| داود باشا ٣١ ، ٢٩ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٦٥ | ٠ | |
| الرازى ١٧ ، ١٩ ، ١٩٣ | ٠ | |
| الرضي ١٠٧ | ٠ | |
| الراغب الاصفهانى ١٤ ، ٩٦ | ٠ | |
| رشيد باشا ٤٨ | ٠ | |
| احمد الاسنائى ١٢٦ | ٠ | |
| احمد شاكر ٥٥ | ٠ | |
| احمد عارف حكمت ٤٨ ، ٥٩ ، ٨٠ | ٠ | |
| احمد فتحي باشا ٤٩ | ٠ | |
| احمده مصطفى المراغي ٢٢ | ٠ | |
| اشعث بن قيس ١١٤ | ٠ | |
| الباقلاطي ١٠٧ | ٠ | |
| بديع الزمان ١٥٣ | ٠ | |
| البغوى ١٣ | ٠ | |
| ابو بكر الصديق ١١٥ | ٠ | |
| البيضاوى ١٧ | ٠ | |
| التسلمى ٢٠٦ ، ١٠٧ ، ٤٧ | ٠ | |
| التسيرى ١٧ | ٠ | |
| التلمسانى الاندلسى ٩٧ | ٠ | |
| الشعالبى الجزائرى ١٣ | ٠ | |
| ابن الجزرى ١٥ | ٠ | |
| الحافظ ١٥ | ٠ | |
| الجرجاني ١٥ | ٠ | |
| ابن جرير الطبرى ١٩١ | ٠ | |
| الجصاص ١٩ | ٠ | |
| ابو جعفر النحاس ١٣ | ٠ | |
| الجلال المحلى ١٧ | ٠ | |
| جنكين خان ١١٠ | ٠ | |

طاؤس بن كيسان	١١	رُفعت باشا	٤٩
الطبرسي	٢٠٥	رفيع بن مهران	١١
طاحنة بن أبي عيد الله	١١٥	المرهاني	٢٤٩
طنطاوى جوهرى	٢٠٢	ائزؤاس	١٤
ابن عابدين	٨١	الزبير بن العوام	١١٥
عامر الشعبي	١١	الزجاج	٢٠١، ١٤، ١٥
ابن عباس	١٨٠	الزركش	٢٤٨
عائشة	١٢٧، ١١٥، ١٠٧، ١٧، ١٥، ١٤	ائزمحشرى	
عبدالباقي العمري	٣٧، ٤٩، ٥٠		١٨٧
	٥٣، ٦٥، ٧٢، ٨٢، ١٠٠، ١٠٤	المسكاكى	١٠٧
	١٢١، ١٣٤، ١٣٩، ١٢٩	أبو السعود	١٩٩، ١٧
عبدالباقي سعد الدين	٥٥	سعید بن جبیر	١١
عبدالله افندي	٦٤	السلمي	١٨
عبدالله افندي العمري	٤٠، ٤٠، ٥٠، ٥٩	سلیمان باشا الكبير	٣١
عبدالله بهاء الدين	٥٤	سلیمان باشا	٢٨
ابو عبدالله القرطبي	١٩	سلیمان باشا	٥٠
عبدى باشا	٣٣	سلیمان فائق	٣٠
عبدالحميد الاطرقجي	٧٢	السمرقندى	١٣
عبد الرحمن الكزبرى	٥٩	سيبو به	٨٩
عبد الغفار الآخرين	٣٧، ٤٥، ٥٠	سيد قطب	٢٢
	٥٤، ٧٢، ٧١، ٨٣، ١٢٢	السيرافي	٨٩
	١٣٦	ابن سينا	٢١
عبد العزيز افندي شواف زاده	٥٦	السيوطى	١٣، ١٠، ١٣، ١٦، ١٣، ١٧، ٣٠٣
عبد العزيز غلام شاه الدهلوى	١٢٥		٢٦٥، ٢٤٩، ٢٢٥
عبد القادر الجيلاني	٩٧، ١٠٠	الشوکانى	٢١٠
عبد القادر الطيار	٤٠	صالح التميمي	٣٧، ٤٥، ٨٣
عبد القادر المغربي	٢٢	صيغة الله الحيدري	٢١٠

- | | | | |
|------------------------------|-----------|------------------------------|---------------------------|
| الفیروز آبادی | ٩٦ | عبدالکریم الشادر | ٤٦ ، ١٤٧ |
| الفیومی | ٩٦ | عبداللطیف بن عبد الله المفتی | ٥٩ |
| قاسم الموصلي | ٤٤ | عبدالمنان بن عصام | ١٠٧ |
| قادة السدوسي | ١١ | عبدالمجید خان | ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٤٨ |
| قطرب | ١٤ | | ١١٦ ، ١٥٩ ، ١٦٢ |
| کاظم الرشتي | ١٢٦ | عبدالوهاب افندي یاسین چیزاده | ١٠٩ |
| ابن کثیر | ١٣ | ابن العربي | ١٩ ، ١٢٠ ، ٢٣٠ |
| الکسائی | ١٤ | ابن عربي | ٩٧ |
| تلادیوس رج | ٣٠ | ابن عطیة | ١٣ |
| الکلینی | ١١١ | عکرمة البربری | ١١ |
| الکیا الهراسی | ١٩ | علقمة بن قيس | ١١ |
| انبرد | ٩٢ | علاء الدین الموصلي | ٤٢ ، ٥٧ ، ١٤٠ |
| محسن الخضری | ٣٧ | | ٢٧٠ |
| مجاهد بن جبیر | ١١ | علی باشا | ٤٩ |
| ابن مجاهد | ١٥ | علی علی باشا | ٤٩ |
| مرة الحمدانی | ١١ | علی رضا اللاز | ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ |
| مسروق بن الاحدع | ١١ | | ٤٨ ، ٦٥ ، ١١٧ ، ١١٤ ، ١٤٠ |
| مقداد السیوری | ١٩ | | ١٥٩ |
| مصطفی جواد | ٩٥ | علی السویدی | ٥٨ |
| صفی طریف باشا | ٥٠ | علی بن السيد احمد | ٥٦ |
| معاوية بن ابی سفیان | ١١٤ ، ١١٥ | علی بن ابی طالب | ١٠٤ ، ١١٥ |
| | ١١٦ | علی محمد الشیرازی | ١٢٦ |
| المحمر حسین الداغستانی | ١٣٧ | عمرو بن العاص | ١١٦ |
| محمد امین بن السيد علی الحلی | ٥٦ | الغزالی | ٢٠ |
| محمد امین افندي العمری | ٧٢ | ابن الفارض | ٩٧ |
| محمد امین افندي الواقع | ٥٠ | الغراء | ١٤ |
| محمد افندي الكرکلی | ٦٤ | فؤاد افندي | ٤٩ ، ٧٦ |

محمد مهدي البصیر ، ١٤٦ ، ١٤٢	٦٤ ، محمد اسعد افندي
١٥٠	٧٤ ، ٤٩ ، محمد باشا سر عسكر
٣٣ ، محمد وجيه باشا	٣٩ ، ١٤٢ ، محمد بهجة الاشرى
١٩ ، محمد بن يوسف اطفيش	١٤٤ ، ١٦٥ ، محمد حسین الذهبي
١٦٥ ، نمير القاضي	٦ ، ١٧٥ ، محمد حمدى باشا
٣٧ ، المؤيد الالوسي	٤٧ ، ٧٧ ، محمد بن حصن بن خالد الالوسي
٤٧ ، محمود افندي العمرى	٣٧ ، ٦٧ ، محمد الحال
٤٠ ، محمود بن درويش الخطيب الالوسي	٩٥ ، محمد الججاد السياه بوشي
٦٩ ، ٤٩ ، ٣٢ ، محمود الشانى	٣٣ ، محمد رشيد الكوزلکلي
١٦٢ ، ١٥٨ ، ١٠٩	٨١ ، محمد سعيد افندي
١٣٣ ، نادر باشا عبدى	١٨ ، ابو محمد الشيرازى
٣٣ ، نامق باشا	٧٧ ، محمود شكرى الالوسي
٨٦ ، ٥٥ ، نعمان خيرالدين	٤٩ ، محمد علي باشا
١٧ ، النيسابورى	٢١٠ ، ١٣٦ ، محمد بن كعب القرظي
١٣ ، الواحدى	٥٥ ، ايلا حسين الجبورى
٨٦ ، ٩٣ ، ابن هشام	١٨ ، ملا محسن الكاشى
١٩ ، هود بن محكم	٢٩ ، ٣٢ ، ٤٥ ، يونس بن جيب
٩٤ ، يحيى بن اكشم	٦٥ ، ١٤١ ، يوسف الزيدى
٥٩ ، يحيى المزوري العمادى	

